اللهجات العربية القديمة

في غرب الجزيرة العربية

تأليف
تشيم رابين

ترجمه وقدم له وعلق عليه
الدكتور عبد الكريم مجاهد

اللهجات العربية القديمة

في غرب الجزيرة العربية

اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية
تشيم رابين / مؤلف من بريطانيا
ترجمة د. عبد الكريم مجاهد / الأردن

الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢
حقوق الطبع محفوظة

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
المركز الرئيسي :
بيروت ، الصنايع ، بناية عيد بن سالم ،
ص.ب : ٥٤٦٠-١١ ، العنوان البرقي : موكيالي ،
هاتفاكس : ٧٥١٤٣٨ / ٧٥٢٣٠٨

التوزيع في الأردن :
دار الفارس للنشر والتوزيع
عمّان ، ص.ب : ٩١٥٧
هاتف ٥٦٠٥٤٣٢ ، هاتفاكس : ٥٦٨٥٥٠١
E-mail : mkayyali@nets.com.jo

تصميم الغلاف والإشراف الفنّي :
رشاد برس / بيروت

الصفّ الضوئي :
مطبعة الجامعة الأردنية

اللهجات العربية القديمة

في غرب الجزيرة العربية

تأليف

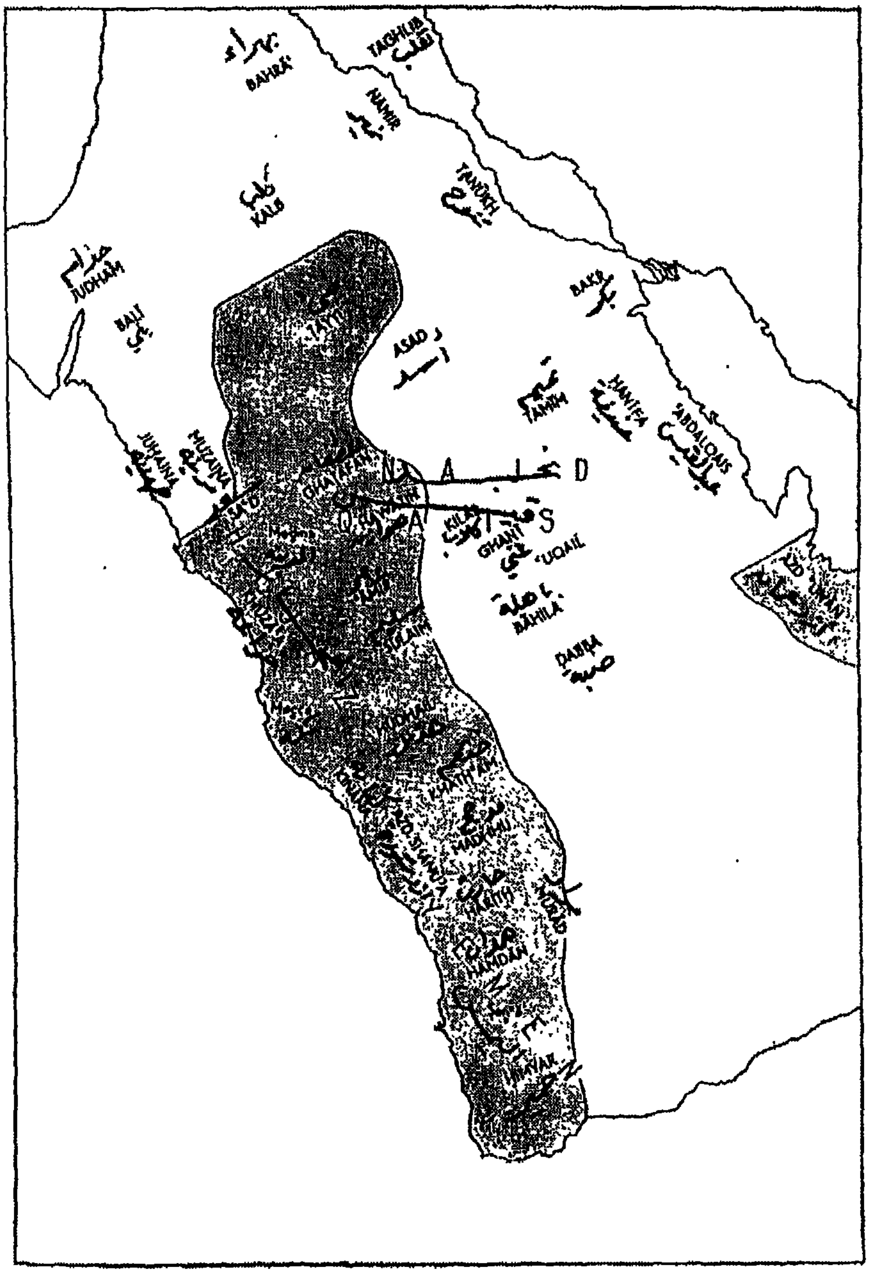
تشيم رابين

ترجمه وقدّم له وعلّق عليه

الدكتور عبد الكريم مجاهد

طبع الأصل الإنجليزي في
London, Taylor's Foreign Press
2 Guilford place, W.C.I
1951

أعد الأصل الإنجليزي وطبع في بريطانيا العظمى من قبل
Lund Humphries Co. Ltd. London and Brandford



مواقع اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية

إهداء الأصل الإنجليزي إلى
جي . أس . أي رابين
مع الحب والعرفان

المحتويـــات

تقديم الترجمة

لقد شدّني إلى كتاب **Ancient West-Arabian** غزارة مادته العلمية وثراؤه الفكري فيما يخص لغتنا العربية الشريفة ولهجاتها القديمة ؛ إضافة إلى الغاية الأولى التي كانت ، في مقدمة مقاصد المؤلف Chaim Rabin ؛ وهي رغبته في أن يثبت في كتابه هذا أن هناك لغة عربية تكوّنت من ائتلاف اللهجات في غرب الجزيرة العربية ، معتمدة في الدرجة الأولى على لغة أهل الحجاز ، في مقابل لغة شرقية جوهرها لغة أهل تميم ولكنها ائتلاف من عدة لهجات في شرق الجزيرة ؛ ومن سماتهما ائتلفت العربية الفصحى التي يمثلها النص القرآني خير تمثيل ؛ ففي أثناء هذه الدراسة كان يتعامل مع اللهجات العربية في غرب الجزيرة وكأنها مع اللهجات في شرقها مرحلة لغوية سابقة تاريخيا على العربية الفصحى . ويبدو ذلك واضحاً من عنوان الكتاب الذي لو ترجمناه حرفياً فلن يكون سوى «العربية الغربية القديمة» ؛ عدا أنه كان في معالجته اللهجية يقارنها باللغات السامية الأخرى كالعبرية والعربية الجنوبية والآرامية والإثيوبية (الحبشية) وغيرها ، وكأنها لغة في مقابل هذه اللغات . وفي اعتقادي أن المؤلف ، وإن كان لنا بعض التحفظ على ما أورده ، قد أراد أن يقدّم وجهة نظر جديدة أو رأياً جديداً مساهمة منه في حل إشكالية قديمة في الثقافة العربية حول اللغة العربية الفصحى التي تمثلها لغة القرآن ولغة الشعر الجاهلي : أهي لغة قريش المنتقاة خاصة أم هي ائتلاف من لغة قريش وغيرها من لغات العرب في الجزيرة ؟!

لقد أبدى المؤلف نوعاً من الإيجابية برفضه صراحة وجهة نظر فولرز ، التي بين مضمونها في مقدّمة هذا الكتاب ، حول لغة القرآن الكريم ، ثم اعترافه الواضح بنبوة سيدنا محمد [ﷺ] وقداسة القرآن الكريم ؛ فلطالما وردت وبكثرة كلمة Prophet يعني بها نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام ، في الوقت الذي لم يخفِ فيه ميله وتعصبه أحياناً للعبرية ، ولم يستطع التخلص تماماً من يهوديته بذكره مرة أن «محمداً اقترضها من العربية الجنوبية» يعني كلمة «بعل» القرآنية وهو ما رددنا عليه في مكانه .

ويمكنني أن أجمل الدوافع التي كانت حقاً وراء ترجمة هذا الكتاب بما يأتي :

* أولاً : سعة اطلاع المؤلف على كتب التراث وغزارة المعلومات التي وردت في الكتاب وشمولها وإحاطتها ؛ حتى يمكن اعتبار الكتاب مرجعاً في بابه ، فلا تكاد تجد دراسة لغوية حديثة عن اللهجات العربية القديمة تخلو من إشارة أو إحالة أو اقتباس منه أو تضمين .

* ثانياً : الدقة في قراءة النصوص اللغوية مع قدرة واضحة على التحليل واستخلاص النتائج .
* ثالثاً : يمتاز الكتاب ببسطة في التحليل والتعليل والمقارنة وأمانة النقل وصحة التوثيق .
* رابعاً : الرد على ما جاء في الكتاب من مغالطات تاريخية وتجاوزات غير موضوعية وإن كانت قليلة .

والكتاب في مضمونه يبحث في الظواهر اللهجية العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية التي يكاد يحصيها عداً دون أن يفلت شيء ذو بال منها ، وانصبّ جهد الباحث على لهجة أهل الحجاز من جميع جوانبها : الصوتية والنحوية والصرفية ، وعلى خصائص لهجة اليمنيين خاصة لهجتي حِميَر والأَزْد ، إضافة إلى لهجتي هذيل وطيء ، عدا ما ساقه من مقدّمات نظرية في أصول العربية الفصحى ، وتاريخية عن اهتمام علماء اللغة العربية باللهجات . وعليه فإنني سأقوم بكل ما يلزم الترجمة من تعليق أو توثيق أو مراجعة أو تفسير ، وكأنه نص تراثي عربي .

لما سبق من الأسباب ؛ عكفت على ترجمة الكتاب ثانية بعد اطّلاعي على الترجمة التي قام بها الدكتور عبد الرحمن أيوب ، التي لم تكن على مستوى الكتاب بلغته الأصلية ، فإنّ ما عرفناه عن الدكتور أيوب من التزام بالمنهجية العلمية في الضبط والتحقيق والتدقيق في مؤلفاته ، رأينا ما يناقضه في الترجمة التي قام بها لهذا الكتاب بما يمكن أن نفصّله بالملاحظات الآتية :

أولاً : عدم رجوعه إلى النص الأصلي في مظانّه ، وإنّما كان يقوم بترجمة النص الإنجليزي بلغته . والأَوْلى في مثل هذه الحالة أن ينقل النص بلفظه العربي من مصدره ؛ لأن هناك فرقاً بين النص بلغته الأصلية وبين النص مترجماً إلى الإنجليزية ثم إعادة ترجمته إلى العربية . ولا يخفى ما في ذلك من تغيّر في فهم النص ؛ إذ النص الإنجليزي تعبير عن مفهوم المؤلف ، ونقل النص الإنجليزي إلى العربية تعبير عن مفهوم المترجم ، وهكذا تعددت المفاهيم وأصبحت كأنها هي الأصل . وكان الأحرى بالأستاذ أن يتفضّل باقتباس النص الأصلي ولو في الهامش ؛ لأن الترجمة الإنجليزية قد تكون غير دقيقة . وذكر النص الأصلي العربي يتيح للقارئ ، خاصة الباحث ، المقارنة والتمييز بين فهمه وفهم ناقله إلى الإنجليزية . فانظر ، أيها القارئ ، كيف كانت ترجمة النص الأصلي وهو «تيامنوا عن كشكشة تميم وتياسروا عن كسكسة بكر» حيث يقول المترجم العربي عن النص الإنجليزي (ص٣٥ ، فقرة ز) : «تتجنّب كشكشة تميم عن يمينها ، وكسكسة بكر عن يسارها . . .؟! إنها ترجمة حرفية

لا معنى لها تـمّت دون الرجوع إلى النص الأصلي .

وبما يمكن إلحاقه بالملاحظة السابقة النُقول التي يذكرها المؤلف بإجمال ، ويشير إلى مصدرها ، وفي تصوري أن المسألة في ترجمة الكتب التي تعالج موضوعاً تراثياً ، تكون أقرب إلى التحقيق الذي يقتضي من المترجم الاعتناء بالتوثيق ، بأن يرجع إلى المصدر الذي نقل عنه المؤلف ، ويقتبس النص في الهامش على الأقل ؛ لأن فيه وضوحاً ودقة أكثر . وقارن معي بين ما ذكره المترجم (في الفقرة ص/ ص ٥٤) : «إن القرآن بأكمله نزل بهذه اللهجة (يقصد لهجة قريش) لأنها عذبة صافية» ، وبين ما جاء في النص الأصلي «إن كلام قريش سهل ليّن واضح« . وأظنك تدرك معي أن السهولة والوضوح غير العذوبة والصفاء ، فالوصفان الأخيران يصلحان وصفاً للماء أكثر من صلاحيتهما وصفاً للكلام . وفي الموضع نفسه ذكر المترجم ما نصه : «ليس في القرآن من مفردات غير قرشية سوى ثلاث كلمات» ، وأعتقد أن الباحث أو القارئ لا بد أن يتوق إلى معرفة هذه الكلمات ، ولكن المترجم لم يرجع إلى النص في مصدره ، والكلمات المقصودة هي : «فَسَيُنْغِضُونَ» (٥١ – الإسراء) ، وهي بمعنى يحرّكون رؤوسهم ، و«مُقيتاً» (٨٥– النساء) ، بمعنى مقتدر ، و«فَشَرِّدْ بهم» (٥٧ – الأنفال) .

وانظر معي أيضاً هذا النص الذي ابتسره المؤلف وتابعه المترجم دون الرجوع إلى أَصْلِه وقد جاء في الإتقان (ط البابي الحلبي ، ط الثانية ١/١٣٥) لبيان حكم القراءتين في الآية الواحدة ، وهو : «حكى أبو الليث السمرقندي قولين : أحدهما أن الله قال بهما جميعاً ، والثاني أن الله قال قراءة واحدة ، إلا أنه أذن أن نقرأ بقراءتين ثم اختار توسطاً وهو أنه إن كان لكل قراءة تفسير يغاير الآخر فقد قال بهما جميعاً ، وتصير القراءتان بمنزلة آيتين مثل : «حتّى يَطْهُرْنَ« (٢٢٢ – البقرة) . وإن كان تفسيرهما واحداً فإنما قال بأحدهما ، وأجاز القراءة بهما لكل قبيلة على ما تعوّد عليه لسانهم فإن قيل : إذا قلتم إنه قال بأحدهما ، فأيّ القراءتين هي؟ قلنا التي بلغة قريش» . وقد جاءت ترجمة هذا النص ص ٥٤/ فقرة ص كالتالي : «ويستعمل أبو الليث السمرقندي عنصر اللهجات في نقد النصوص فيقول : إذا اتفق معنى قراءتين فإن هذا يدل على أن النبي قرأ بواحدة منهما ولكنه سمح لأبناء القبائل الأخرى بتلاوة القرآن وفقاً لاستعمالاتهم اللغوية . فإذا سأل سائل إذا قلت بأن النبي قد قرأ بطريقة واحدة فما هي هذه اللهجة؟ قلنا إنها هي الطريقة التي تتفق مع لهجة قريش» . وهذا الكلام عندما تقارنه بالنص الأصلي تجده أقرب إلى التلفيق الصحفي قام به المترجم مريحاً نفسه من عناء ترجمة النص الإنجليزي بلفظه ، ومن الرجوع إلى النص الأصلي العربي ؛ إذ النص الذي ذكره المترجم تنقصه الدقة والتفصيل اللذان جاءا في النص الأصلي .

وهناك نص آخر أورده المؤلف نقلاً عن النيسابوري الذي أخذه عن ابن فارس من كتابه الصاحبي ، وقام المترجم بنقل النص إلى العربية دون الرجوع إلى أصله في مصدره وهو كتاب الصاحبي الذي جاء فيه : «كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ وأسلسها على اللسان عند النطق ، وأحسنها مسموعاً ، وأبينها إبانة عن النفس ومن أفواههم أخذنا العربية الفصحى . .» وقد جاء مترجماً عن النص الإنجليزي كالتالي : «إن قريشاً تفوق كل العرب في دقة اختيارها للألفاظ ، فقد كان كلامهم سهلاً سائغاً ، وكان لهم إحساس مرهف باللغة وقدرة فائقة على التعبير عن أفكارهم ومن أقوالهم دُوِّنت الفصحى» . وهذه رواية بالمعنى لا باللفظ ، والفرق بينهما واضح فإن قوله : كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ ، غير قول المترجم : إن قريشاً تفوق كل العرب في دقة اختيارها للألفاظ ، فالدقة غير الفصاحة ، وهكذا . . .

ومن هذا القبيل ما ابتسره رابين ص ٧٤ حين ذكر قصة الأعرابي الذي أساء فهم كلمة «وثب» الحميرية حيث جعل الملك الحميري يقول : «ليس عندنا عربيت» . وكنت أتمنى على المترجم أن يذكر الحكاية بالتفصيل كما وردت في كتب التراث ، وهي كما جاءت في اللسان مادة وثب : «الوثْب القعود في لغة حمير ، ودخل رجل من العرب على ملك من ملوك حمير فقال له الملك : ثب أي اقعد ، فوثب فتكسّر . فقال الملك ليس عندنا عربية كعربيتكم ، قال ابن سيده : وهو الصواب عندي ، لأن الملك لم يكن ليخرج نفسه من العرب» .

ويذكر المؤلف رابين فيما أورده المترجم ص ٩٩ : «إن استعمال الأداةِ أم في لغة حمير وفي نقوش الهمداني وفيما قالته أمُّ وهب» ويجدر هنا أن يبيّن المترجم من هو وهب؟ وماذا قالت أمه؟ ووهْب هو ابن منبِّه وقد قالت والدته : «رأَيْكُ (أي رأيت) بْنِخْلَم كَوَلَدْكُ (أي ولدتُ) ابناً من طيب» .

ثانياً : وما يتبع هذا الأمر أو يعتبر من قبيلهِ مما أهمله المترجم من عدم توثيقه أبيات الشعر أو تحقيقها ، خاصة أن المؤلف كان يعالج أَمثلة أو شواهد لغوية يقتبسها من أبيات من الشعر لا يذكرها ، وكان على الأستاذ المترجم أن يبحث عن هذه الأبيات في مظانّها ويذكرها في الهامش . مثال ذلك ما جاء في ص٣٣ من أن الأندلسي يعتقد بأنه سيجد في الشعر كي بمعني كيف ، وإما أن يكون هذا في لهجة الشعر أو أن الفاء قد سقطت للضرورة الشعرية . (نقلاً عن الأستراباذي في شرح الكافية ١١٧/٢) . ولم يذكر المؤلف بيت الشعر ، وكان على المترجم أن يحقق المسألة في المرجع المذكور حيث يقول في شرح الكافية ١١٧/٢ :

«وجاء في كيف ، كي ، قال :

أو راعيـان لبُعْـران شَـرَدْنَ لنـا
كي لا يُحِسـانِ من بُعـراننـا أثـراً

قال الأندلسي : إمّا أن يقال : هي لغة في كيف أو يقال حذف فاء كيف ضرورة» . وفي موضع ثانٍ يقول المؤلف : «والكلمة المقترضة من اليونانية إقليد ، أي المفتاح ، مأخوذة من اللهجة اليمنية ؛ لأنها وقعت في سطر شعري معزوٌّ إلى تبَّع» ولم يذكر بيت الشعر ، وهنا لا بدَّ أن يظهر جهد المترجم ؛ لأن القارئ في هذه الحالة يتوق إلى معرفة بيت الشعر الذي جاءت فيه هذه الكلمة ، وهو البيت الذي جاء على لسان تُبَّع حين حج البيت فقال :

وأقـمنا بـه من الـدهر سَـبْتـاً
وجـعلنـا لبـابِه إقليـدا

وكذلك يذكر المؤلف رابين ص ٦٩ : «إن الفعل (عطا) يُعدَّى أحياناً بإلى» معتمداً على شرح شواهد المغني للسيوطي ، ولكنه لم يذكر البيت الشعري الذي يشهد لذلك ، وفات المترجم كذلك أن يرجع إلى المرجع المذكور ويقتبس الشاهد في الهامش وهو :

ويومـاً توافـينا بوجـه مـقسَّـم
كـأنْ ظبـيـةٌ تعطو إلى وارق السَّلَـمْ

وشبيه بما سبق ما ذكره رابين ص ٧٤ من أن صيغة فُعَال تأتي للمذكر ، كما هي للتأنيث ، وقد ذكر أن ذلك قد ورد في معلقة لبيد العامري في البيت الثاني والخمسين ، حيث اسم الكلب الذَّكر سُخام ، إلى جانب الأنثى كُساب . ولم يكلف المترجم نفسه أن يذكر البيت في الهامش وهو :

فتقصّدت منها كُسابُ ، فضرِّجت بـدم
وغـودر في المكرِّ سُـخـامـهـا

ومما يستدعي الرجوع إلى الشاهد الشعري في مظانّه وتوثيقه ، ما أورده المؤلف رابين وجاءت روايته مغلوطة عند المترجم ص ٧٨ ، ويحتاج إلى تصحيح وتعليق ، وهو الشاهد على نُطْقِ (أم) بدلاً من (أل) التعريف العربية حيث ورد في الترجمة :

ذاك خليلـي وذو يعـاتبنـي
يرحُب ورائي بمْسَـهْم ومْـسَلِمـه

والرواية الصحيحة كما أوردها البغدادي في شرحه على شواهد شرح الرضي على الشافية ٤/٤٥١ :

ذاك خليلي وذو يعاتبني

يرمي ورائي بامْسَهمْ وامسَلِمَه

والفرق بين الروايتين واضح ، ولكن المترجم لم يحقق البيت ، ولم يكلف نفسه عناء شرحه فكلمة السَّلِمه جمعُها السَّلِم أو السِّلام وهي الحجارة . وقد وردت رواية أدق من هذه في المرجع نفسه ٤٥٢/٤ ، وجاءت كذلك في شرح الأشموني ١٩٢/١ ، منسوبة إلى بُجَيْر ابن عَنَمة الطائي وليس ابن غنمة أو عَتَمه حيث يرى شارح الأشموني أن النحاة قد ركبوا هذا البيت من اثنين مع تغيُّر في صدر أولهما والصواب في الأمر أن ينشد كالتالي :

وإنّ مولاي ذو يعاتبني

لاإحْنَةٌ عنده ولاجَرِمَهْ

ينصرني منك غير معتذر

يرمي ورائي بامْسَهْم وامْسَلِمَهْ

والجدير بالذكر أن هذه اللهجة ما زالت متداولة في اليمن في لواء إب ، وقد سمعتها من أحد طلابي بجامعة صنعاء من سكان مدينة جِبْلة حيث يقول : امَّسجد وامَّدرسة ولكن بكسر الهمزة ، وقد ذكر لي أحد الطلاب أن هذه اللهجة موجودة أيضاً في منطقة ذباب بلواء تعز وأنشدني قول شاعرهم :

حنّ إن على زعرو

حتى امطيور تبكي

وزعرو قضى ستين

وامقلب يُبْرُدشي

وزعرو اسم رجل كان يتصف بالشجاعة على ما يبدو ، أو إنه محب . وامّطيور وامقلب ، أي الطيور والقلب . ويبردشي أي لم يبرد قلب زعرو حتى بعد وصوله سن الستين . وقد يذكر المترجم بيتاً من الشعر ص ٨٢ نقلاً عن الأصل الإنجليزي بصورة خاطئة في مثل :

ما زال شيبان شديداً خَبَصُهْ

حتى أتاه قِرنُه فوقصُه

وكان عليه أن يرجع إلى نص البيت في مظانّه ، وخَبَصُهْ ؛ الصحيح فيها حَبَصُه وهو العَدْو الشديد . وفي رواية اللسان هبصه وليس حبصه أو خبصه . والهبص هو النشاط والعجلة ، والوقص هو الكسر .

وقد نجد المؤلف رابين يقول فيما أورده المترجم ص١١٣ : إن سيبويه يستشهد ببيت من الشعر يهجو قبيلة عنزة ، وكان شيئاً جميلاً من المترجم لو ذكر هذا البيت في الهامش حتى يضع القارئ في الصورة ، والبيت لزياد الأعجم وهو :

عجبت والدهر كثيرٌ عجبُه

من عَنَزِيّ سبَّني لم أَضربه

ثالثاً : قد حدث في الآيات القرآنية مثل الذي حدث في أبيات الشعر ، حيث كان المؤلف رابين يذكر رقم السورة ورقم الآية فيها ، فمثلاً في الفصل الرابع بعنوان اليمن ، الفقرة «ر» يذكر رقم السورة بالأرقام اللاتينية xxxviii ورقم الآية ١٣٥ ، ويقوم المترجم في مثل هذه الحالة وغيرها بترجمة هذه الأرقام إلى أرقام عربية وينتهي الأمر عند هذا الحد . وهو لم يُصِب في ذلك ؛ بل عليه أن يذكر اسم السورة ورقم الآية ، وفي الهامش يذكر الآية ؛ ليترك للقارئ فرصة للتمييز بين المعاني في مثل : كلمة (بعل) التي ترد بمعنى الرب في الآية الكريمة التي ذكر رقمها آنفاً وهي (أَتَدْعُونَ بَعْلاً وتَذَرونَ أَحسَنَ الخالقين) وفي آية أخرى تذكر مع سورتها رقمياً فقط (Xi-72) أي سورة ١١- آية ٧٣ ، والمقصود طبعاً الآية ٧٢ من سورة هود التي ترد فيها كلمة بعل بمعنى زوجٍ ، وهنا يفترض أن يذكر الآية بنصها وهي (قالتْ يا وَيلَتى أَأَلِدُ وأَنَا عَجوزٌ وهذا بعلي شيخاً» . وأعتَقِدُ أن الاكتفاء بذكر أرقام السور والآيات لا يجدي القارئ نفعاً ، بل قد يتركه في حيرة وضيق .

رابعاً : عدم عناية المترجم بشرح المصطلحات أو تفسيرها مثل المصطلحات اللهجية التي تصف ظواهر لهجية وردت في كلام بعض القبائل : مثل عنعنة تميم وتلتلة بهراء والرُّتَّة واللخلخانية في العراق وفشفشة تغلب وتضجُّع قيس وعجرفية ضبَّة ، التي يمكن تفسيرها كالتالي : العنعنة : إبدال العين من الهمزة مثل : أأن- أعن

التلتلة : وهي كسر حرف المضارعة مثل : تِعلم وتِدري .

اللخلخانية : من لخَّ في كلامه بمعنى جاء به ملتبساً ، وقيل هي العجز عن إرداف الكلام بعضه ببعض ، وقيل هي عجمة ولُكْنَةٌ في المنطق كما ورد في اللسان . وأما في فقه اللغة للثعالبي ص ٧٣ فهي مما يعرض في لغاب أعراب الشِّحر وعُمان كقولهم : مشا الله كان ، يريدونه : ما شاء الله .

والفشفشة : لم أجد لها تفسيراً عند أحد . وأما التضجُّع : فقيل إنه إمالة الحرف إلى الكسر . والعجرفية : جفاء في الكلام . والرُّتَّة لها أكثر من معنى في اللسان كالعجلة في الكلام ، وقيل هي قلب اللام ياء ، وقيل هي العجمة ، وقيل الأَرَتُّ هو الذي في لسانه عقدة

وحبسة .

وقد وردت أسماء كثيرة في النص الإنجليزي تحتاج إلى بيان مثل : المشناه وقد ذكرها المترجم دون تعليق أو تحقيق وهي : مجموعة القوانين غير المكتوبة التي جُمعت حوالي ٢٠٠ بعد الميلاد ، وتشكل أساس التلمود اليهودي . وكذلك الميلاه العبرية وهي كتاب بالعبرية للمؤلف رابين يبحث في علاقة اللهجات العربية القديمة بالعبرية . ومثل ذلك السامخ ص ٦٣ وهو أحد الحروف العبرية وهو غير السين وإن التبس لفظه بلفظ السامخ في مرحلة لاحقة .

ومثل ذلك مصطلح Proto- Arabic ص٣٥ وتفسيره أن بعض الدارسين يعتقدون أن العربية قد مَرّتْ في نشأتها بأكثر من مرحلة ، ومرحلتها الأولى المسماة Pre- Arabic أي المرحلة التي كانت جزءاً غير منفصل عن السامية الأم . والمرحلة الثانية Proto- Arabic وهي المرحلة التي ذكرها المؤلف وبها استقلت العربية عن السامية الأم ، ولكنها في هذه المرحلة لم يكتمل نضجها لتصبح لغة أدبية ، وتأتي بعد ذلك المرحلة الثالثة وهي مرحلة النضج والاكتمال ، أي اللغة التي تصلح للشعر والكتابة . ومثل ذلك مصطلح شعر الزوامل ص٧٥ ، والزَّمَلَ في اللسان هو الرجز ، والزاملة بعير يُحمل عليه المتاع والطعام ، ويبدو أن المقصود بشعر الزوامل هو ما يقوله الشعراء في حُداء الإبل في أثناء السفر مع القوافل التي تحمل فيها الإبل الأمتعة وعروض التجارة .

وكذلك وردت بعض الألفاظ المبهمة (ص ٨٩) التي تحتاج إلى تفسير وشرح وهي : الغُتْم بمعنى النطق بلكنة أعجمية ، والنُّوَك بمعنى الحمق ، والتعقُّد أي صعوبة الفهم . وكذلك تنوين الترنّم ص٩٧ ، وفي المغني (٣٧٧/١-٣٧٨) هو : الترنُّم اللاحق للقوافي المطلقة بدلاً من حرف الإطلاق الذي قد يكون الألف أو الواو أو الياء وذلك في إنشاد بني تميم . وقد صرّح سيبويه . . أنَّه جيء به لقطع الترنم ، وإن الترنم هو التغني ، يحصل بأحرف الإطلاق لقبولها مد الصوت فيها ، فإذا أنشدوا ولم يترنموا جاؤوا بالنون في مكانها ولا يختص هذا التنوين بالأسماء ، ومن أمثلته :

أقلّـي اللوم عـاذل والعـتـابَـن

وقـولـي إن أصـبتُ لقـد أصـابَـن

والأصل العتابا وأصابا . وقد جاء في شرح الكافية ١٤/١ : «وأما تنوين الترنم فهو في الحقيقة لترك الترنيم عند بني تميم في رويٍّ مطلق» .

ومثل ذلك : الأصوات الأسنانية ص٧٧ مثل التاء والثاء والدال والذال فيقال : امْتعب ، امْثلاثة ؛ فلا تدغم لفظاً مع التالي لهل مثل أل . وكذلك الصوامت الصفيرية

كالسين والزاي فيقال : امْسيف ، امْزهر ، بعكس ما إذا كانت مع أل فإنَّهما يدغمان معها لفظاً . وكذلك الأصوات الهسيسية ، ص٩٩ كصوت السين وهي نوع من أنوع الأصوات الصفيرية . وكذلك المقطع المقفل ص١١١ وقد سماه المترجم المقطع المقفول أي من قَفَل وهو خطأ لغوي واضح ولم يفسره كذلك ، وهو المقطع الذي ينتهي بصامت أو أكثر (أي : ص ح ص) مثل لَمْ (ل+فتحة+م) في حال وصل الكلام . أما في وقف الكلام مع التنوين فيكون المقطع طويلاً مقفلاً بصامتين (أي : ص ح ص ص) مثل : بَحْرٌ التي يوقف عليها بَحْرْ .

خامساً : لقد ورد في النص الإنجليزي ما يستحق التعليق وإبداء الرأي فيه ولكن المترجم لأمر ما كان يتفاداه ويتجاوزه بأن لا يذكره أو لا يعلّق عليه ، مثال ذلك ما ذكره المترجم ص٧٤ فقرة : a «أما بقية أنحاء الجزيرة فقد كان لها لغة مختلفة تماماً عن الفصحى ، وهذه اللغة هي الأصل الذي نشأت عنه اللهجات الحضرية « ووقف عند هذا الحد ولم يكمّل مقولة فوللرز التي يذكرها المؤلف رابين وترجمتها :» وهي التي نزل بها القرآن الكريم وأعيدت كتابته بأسلوب العربية الفصحى » وهكذا يرى فوللرز أن الفصحى التي رواها اللغويون العرب ووجدت في القرآن ونسج على منوالها الشعراء إنما هي مصنوعة وينكر أنها كانت حية في مكة ، في عهده صلى الله عليه وسلم . وهل هذا حديث يمكن إهماله وتجاوزه وغض الطرف عنه وعدم الرد عليه؟! بل إن الدكتور عبد الرحمن أيوب قد ارتكب خطأين منهجيين أولهما : حذفه جزءاً من النص الأصلي . وثانيهما : عدم تعليقه على هذا الجزء . وكيف يكون للمؤلف الجرأة على الطعن في لغة قرآننا ولا نملك الجرأة على الرد عليه؟!

وأما ادعاء فوللرز بأن النحاة هم الذين اصطنعوا ظاهرة الإعراب إذ لم يكن لها وجود حقيقي في مكة ، في رأيه ، فقد وجد من المستشرقين من يرد عليه مثل نولدكه الذي أثبت أن النهايات الإعرابية لا يمكن أن تكون من صنع النحاة ، وما قاموا به إنما هو تسجيل لما وجدوه في الشعر جاهليّه وإسلاميّه وفي القرآن الكريم .

وما ذكره المؤلف في النص الإنجليزي ص٢٠ وسكت عنه المترجم ولم يأتِ على ذكره في النص المترجَم ما جاء في الفقرة التالية : من ص ٥٢ : «لم يَصِف ثقيفاً إلا بالبراعة في استعمال القلم . وقد تكون نسبة هذه الشهرة إلى ثقيف ذات هدف سياسي . . .» وهنا يكمل المترجم الفقرة من عنده بقوله : هو أن تؤيد الفكرة التي شاعت من أن لغة القرآن حجازية» في حين أن المؤلف في النص الإنجليزي قد ذكر شيئاً آخر وهو : «الترويج لإعجام الحجاج للقرآن الكريم» وهنا لا بدّ لي أن أسجّل ملاحظتين أولاهما : أنه لم يجرِ على يدي الحجاج أية مراجعة أو تَنْقيح Revision للقرآن الكريم والمعلوم تاريخياً لدى الدارسين أن

إعجـام القرآن الكريم أي نَقْطُه قـد حصل أيام ولايتـه على العراق بأمر من عبـد الملك بن مروان ، على يدي نصر بن عاصم الليثي ويحيى بن يعمر العدواني ، وثانيهـمـا : هي أن الأصوب في ترجمة Revisionالإنجليزية بكلمة الإعجام العربية ، وليس التنقيح أو المراجعة ليصبح الأمر أقرب إلى ما ثبت تاريخياً ؛ لأن التنقيح أو المراجعة يوحيان بما أراد فوللرز الترويج له وبموافقة رابين له أيضاً . وهكذا يكون المترجم قد سمح لنفسه التغيير في النص الإنجليزي الذي هو :

To give wider currency to Hajjaj's revision of the Koran

وقد قدمت ترجمتها بإيجاز غير مخل وهو بعيد عن قول المترجم : «تؤيد الفكرة التي شاعت من أن لغة القرآن حجازية» فانظر ، وتأمل أخي القارئ ، ما وقع فيه من خطأ علمي ومنهجي .

وقد ورد في الفصل الرابع فقرة dفي النص الإنجليزي ص٧٢ كلمة «بعل» بمعنى الرب : «وأنها بهذا المعنى يمكن أن يكون محمد [ﷺ] قد اقترضها من العربية الجنوبية» . . . » . . .

"In this sense the word may have been borrowed by Muhammad..."

وانظر كيف ترجمها الدكتور أيوب ص١٦ : «وقد تكون الكلمة القرآنية اقتراضاً من العربية الجنوبية» وهكذا يتغاضى مرة أخرى عن النص الأصلي ويسكت عن هذا السم الذي بثه رابين ؛ لأنه بإسناد الاقتراض في القرآن الكريم لسيدنا محمد [ﷺ] ترويج للمقولة المفتراة على القرآن الكريم وعلى الإسلام بأن القرآن من وضع محمد عليه الصلاة والسلام ، وليس منزَّلاً عليه ؛ مما يعني أنه ليس نبياً مرسلاً من عند الله . ولا أستطيع تسويغ إغفال المترجم لهذا النوع من الافتراء .

ومما تغاضى عنه المترجم كذلك في ص٤٦ ما سماه رابين في النص الإنجيزي بالسهل اليهودي في فلسطين . ومن الحقائق الجغرافية المعروفة أنه لا يوجد سهل بهذا الاسم في فلسطين .

سادساً : وقوع المؤلف في أخطاء في الترجمة نَفْسِها ، كقوله مثلاً ص٦١ : «الطبقة اللغوية السفلى التي سبقت دخول العربية لهذه المناطق كانت قليلة الشأن» وهو هراء لا معنى له ، وأدق منه أن يقال : «إن المادة الأساسية من العربية السابقة على عربيتنا Pre- Ar-abicكانت طفيفة أو قليلة جداً» . كذلك لقد جاء في ص٦٥ (فقرة ظ) ما نصه مترجماً : «أنا أفْصَحُ العرب بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد» ثم يردفه المؤلف وينقله المترجم : «ولهذا الحديث في رأيي تفسير واحد هو : لولا أني من قريش ونشأت في بني سعد لكنت

أفصح العرب أو رغم أني من قريش ونشأت في بني سعد فأنا أفصح العرب» ومن يقرأ هذه الترجمة يدرك خطأها فلا يفهم منها سوى عكس ما أريد منها ؛ فما أورده المترجم يعني أنه [ﷺ] ليس بأفصح العرب لأجل ولادته في قريش ونشأته في بني سعد ، وحاشاه أن يكون كذلك . وعليه فإن الترجمة الصحيحة ـ التي يستفاد منها أنَّه أَفْصَحُ العرب بسبب ولادته في قريش ونشأته في بني سعد ، وهو الأمر الطبيعي ـ هي كالتالي ترجمة لقول المؤلف : «ينبغي أن أكون من أفصح العرب من أَجْلِ أنني ولدت في قريش ونشأت في بني سعد» أو ربما نفهم منه أيضاً : «أنا أفصح العرب لأنني ولدت في قريش ونشأت في بني سعد ، ويعزو ابن هشام سبب ذلك إلى البيداء» وينتهي كلام المؤلف وقد حذف المترجم منه قوله (ويعزو ابن هشام سبب ذلك إلى البيداء) . ومما يؤيد ترجمتي السالفة هو ما أضافه رابين في الهامش ما ترجمته «يمكنني أن أعتبر أن (نَشَأْتُ) بمعنى قد نَشَأْتُ وذلك يعني : أنني أتكلم بأفصح عربية ؛ وذلك لأنني ولدت في قريش ونشأت فيما بعد في سعد» وإن مراجعة دقيقة من المترجم كانت ستجعله يدرك خطأ ما نقله في ترجمته .

وقد ورد خطأ آخر للمترجم ص٩٦ حين يذكر الفقرة ز : «وفي لغة اليهود الصفديين في غرب أوروبا» والترجمة الصحيحة هي : «واليهود الشرقيون (السفارديم) في غرب أوروبا» وعليه يكون قد ترجم كلمة Sephardic التي وردت في الأصل بكلمة «صفديين» ، وكأنه لا يعلم أن اليهود قسمان سفارديم وهم الشرقيون وأشكنازيم وهم الغربيون ، ولا محل لكلمة الصفديين هنا .

وفي موضع آخر ص٧٩ نجده يأتي بكلمة أخرى وهي (بربري) التي لا محل لها في قوله (اقصد المترجم) : «ومن هذا يمكن أن نفترض أنَّ معنى كلمة طِمطيم كان في الأصل ضعيف العقل ثم تطوّر إلى بربري» والترجمة الصحيحة في رأيي هي : «ربما كانت طِمْطِمْ (وليست طِمْطِيم كما وردت عند المترجم) في الأصل ، الأحمق أو الأبله وبعد ذلك صارت تعني الغُتْم وعدم الفصاحة» وعليه فكلمة بربري لا معنى لها هنا ، إلا أن يكون المترجم قد نقل الكلمة الإنجليزية نفسها أي بلفظها دون معناها . وأما ما ذكره لكلمة طِمطيم وليس (طِمْطِمْ) فلأنه لم يرجع إلى نص البيت الذي قاله عنترة ، وإنما اعتمد على الضبط الأجنبي لها فخُدع ، والبيت هو :

تأوي لــه حِــزَقُ النعــام كــأنهــا
حِـــزَقٌ يمانِيَـــةٌ لأعـــجمَ طِمْطِـــم

والبيت له أكثر من رواية في اللسان وفي صحاح الجوهري ، والحِزق هي الجماعات أو الفرق . ونجده كذلك يذكر مصطلحاً آخر لتغوير القاف أي النطق الحنكي لها ويسميه

التصليب الإدغامي ص١٠٨ وهي ترجمة بعيدة عن المعنى المقصود ، في رأيي . وفي الصفحة نفسها يترجم القات ، وهو النبات الذي يمضغ في اليمن ، بقوله : «قات النبات المخدر المستعمل في اليمن» والقات لا يخدّر عند استعماله بل يقوم بعملية تنشيط ذهني كما يقول اليمنيون فكان طلابي في الجامعة يستعينون به في أيام امتحاناتهم ليعينهم على السّهر والاستيعاب .

ومن متابعته المؤلف فيما وقع فيه من خطأ ما أورده ص١١٣ في رواية البيت الثاني :

وقـــال ربيـــعـــهـــم لمّا أتانـــا
بكفِّـــه فُـــومَـــةٌ أو فـــومـــتـــان

والصحيح فيها «ربيئهم» وليس ربيعهم فلو رجع إلى النص في مصدر تراثي كاللسان لوجدها كذلك ؛ لأنه لا معنى لوجود ربيعهم ؛ وكان عليه أن يشك في الأمر .

سابعاً : وهو مما يمكن إلحاقه بالملاحظة السابقة ويتمثّل فيما أورده المترجم من أخطاء في الأعلام ، فمثلاً في ص٧٦ ترجم بدو المخا إلى بعض مخا ، والمخا ميناء يمني غرب مدينة تعز بحوالي ٧٠ كم ويقطن حوله بدو . وفي ص ٧٨ ، يذكر المترجم نمر بن طولب بدلاً من النمر ابن تَوْلب ؛ وهو خطأ ناتج عن عدم رجوعه إلى النص الأصلي ، وفي ص ٨٩ يذكر : خضر وسحلان ويحضب والصحيح فيها : حضر وسحلان ويحصُب كما وردت في كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني . وفي ص ٩٠ يضبط كلمة زُبَيد بضم الزاي وفتح الباء والصحيح فيها فتح الزاي وكسر الباء أي زَبِيد وهي مدينة يمنية مشهورة بالعلم والعلماء في علوم اللغة والدين الإسلامي . وفي ص ٩٢ يذكر المترجم : ظنفر بدلاً من ظفار ، والكَلَع بدلاً من الكُلاع ، وقتب بدلاً من قَتاب ، والمعافير بدلاً من المعافِر ، وأَبْيان بدلاً من أَبْيَن وكلها مناطق في اليمن . وكذلك يتكرر عنده قوله اليمن الشمالية بدلاً من شمال اليمن ، وهو خطأ واضح لأنّ المؤلف رابين لا يقصد المصطلح السياسي وإنما يقصد التقسيم الجغرافي اللغوي ؛ لأنه يفرد فصلاً خاصاً بعنوان اليمن ، وفصلاً آخر بعنوان شمال اليمن .

كذلك يذكر في ص١٠٠ : السبيحي ورايما ويارم متّبعاً فيها الضبط الأجنبي والصحيح فيها : الصبيحي ، وريْمَه ويريم ، وهي أسماء لقرى يمنية .

وفي ص١١٣ يذكر اسم الشاعر يعلى بن الأحول الشكري ، أو اليشكري ، الأزدي ــ وهو الاسم الصحيح للشاعر كما جاء في الخصائص ١٢٨/١ ــ خطأً حيث يورده يعلو بن الأحوال الشكري . وفي الصفحة نفسها يذكر كذلك قبيلة كلب بدلاً من كِلاب ، ولو رجع إلى النص الأصلي في شرح الكافية ١١/٢ لوجدها : «بنو عقيل وكِلاب يجوّزون حذف الوصل» .

ثامناً : يذكر المؤلف أحياناً بعض السمات اللهجية المتوارثة ولا يضرب مثلاً يوضحها من اللهجات الحديثة ، ويعفي المترجم نفسه كذلك من هذا الأمر . مثال ذلك ما يورده ص٤٠ عن المميز اللهجي -كُ الحميرية ، ولا أعتقد أن القارئ مهما بلغت درجة استيعابه يستطيعُ أن يفهم هذا المميَّز دون أن يوضح بمثال ، وهي ظاهرة لهجية مميزة باليمن في منطقة إبْ ، حيث سمعتهم يقولون : قَا قُلْكُ لك ، وأخذْكُ وحفَّظْكُها الدرس ، أي : قد قلتُ لك ، وأخذتُ وحفَّظتُها الدرس .

وفي مكان آخر ص٥٦ يذكر المترجم : إن الفتحة الطويلة لا تتحول إلى ضمة نصف ضيقة أو ضمة طويلة ، في أي مكان في اليمن . والأمر عند القارئ بحاجة إلى توضيح هنا أيضاً ، ويجدر بالمترجم العربي أن يغتنمه ليفيد القارئ العربي . والتوضيح كما استوحيته من كتاب فقه اللغات السامية لبروكلمان ص ٥٣ (ترجمة د . رمضان عبد التواب) وبيانه : لا يحصل في اللهجة اليمنية أن تتحول الفتحة الطويلة (الألف) في مثل كلمة (سالم) إلى ضمة طويلة ، أي تصبح (سولم) كما يحدث في العبرية والآرامية الغربية أو السريانية الغربية حيث تتحول ā إلى ō ، فمثلاً (قاتِل) العربية نجدها في العبرية Kōtēl وفي الآرامية الغربية .Kōtel

ويذكر المترجم الشنشنة ص٩٨ وهي قلب كاف المخاطبة شيناً ، وهي ظاهرة لهجية «تشيع في العربية الجنوبية الحديثة التي تقلب الكاف شيناً دون شروط ، وفي لهجة حضرموت تصير الكاف الأخيرة شيناً في بعض الحالات مثل : عليش- عليك» . والحقيقة في هذا الأمر أن الكاف التي لم تقلب شيناً ليست أية كاف أخيرة وإنما كاف المخاطبة فقط وهي الشنشنة ، وهي غير الكشكشة التي تقلب فيها الكاف حرفاً مزجياً (تش) دون شروط أقرب إلى لفظ الحرف اللاتيني ch ولم يجد علماؤنا القدامى حرفاً أقرب إليه من الشين فرسموه شيناً . و الشنشنة مسموعة ومعروفة في جنوب اليمن وقد سمعتها بنفسي من رجل في تعز ، وهو يسأل طفلة صغيرة كانت تبكي فقال لها : مالِش؟ بشين محققة تماماً ، وهي لهجة معروفة في حضر موت ، وقد ذكر لي أحد طلابي في كلية التربية- تعز شيئاً من أغنية معروفة عندهم :

يا مَـــــرْحــــــبـــا بِشْ وبْـهَـلِشْ

وبـالجـــــــــمـل الـلـي رَحَـلْ بِـشْ

أي : يا مرحبا بك وبْهَلِكْ ، وبالجمل اللي رَحْل بك . (أي مرحباً بك وبأهلك وبالجمل الذي رحل بك) .

وفي ص١١٣-١١٤ يذكر المترجم تقصير حركة الضمير المتصل ، ترجمة عن المؤلف

حيث جاء : «يظهر الضمير ساكناً وقبله ضمة وهو مماثل لهذا الضمير في اللهجات المعاصرة وهو شبيه بنفس الضمير في العبرية الذي يظهر في صورة ضمة طويلة» . ويحتاج هذا الأمر إلى توضيح مفاده بأنه يقصد ضم ما قبل الهاء بإلقاء حركة الهاء على ما قبلها في مثل عَجَبُهْ وأضربُهْ من بيت الشعر المستشهد به ولم يذكره المؤلف في المتن ، ولا المترجم في الهامش وهو :

عجبت والدهرُ كثيرٌ عجبُهْ

من عنزيٍّ سبَّني لم أَضْرِبُهْ

وقد حلّت هذه الحركة محل الهاء في اللهجات العربية المعاصرة وقد وقع مثل ذلك في العبرية أيضاً ، حيث لا يظهر من الهاء المضمومة الدالة على الغائب سوى ضمة ممالة (انظر بين العربية ولهجاتها والعبرية ، للدكتور محمد بحر عبد المجيد ص٩٩) والدكتور أنيس فريحة يرى أن مثل هذا الأمر موجود في السريانية ، وقد تأثرت به اللهجة اللبنانية في قولهم كتابُو في كتابه . (انظر : اللهجات وأسلوب دراستها ص٨٧) . وهذه الظاهرة عامة في اللهجات العربية المعاصرة كلها .

وبعد ، فإن هذه الملاحظات لا تقلل من الجهد الذي بذله الأستاذ الدكتور عبد الرحمن أيوب ، راجياً أن يتسع صدره لهذه الملاحظات ، ومثله جدير بذلك ، ولا نية لي من ملاحظاتي هذه سوى استكمال ما ينقص الكتاب ، من وجهة نظري ، فإذا وافقني عليها الدكتور أيوب فبها ونعمت ، وإذا لم يوافقني أكون قد اجتهدت بنية الوصول إلى الصواب وكمال النفع والفائدة ؛ إذ الكتاب ، في أصله الإنجليزي ، ينبئ عن اطلاع واسع على التراث ويدل على غزارة في المعلومات ، وعمق وإحاطة بجوانب موضوعه ، وأحببت أن تكون الترجمة العربية على مستوى الكتاب في نصه الإنجليزي ، خاصة أنه يعالج موضوعاً تراثياً . فأرجو أن تكون ترجمتي لهذا الكتاب مساهمة فعالة ثانية أضيفها لجهد الأستاذ الدكتور عبد الرحمن أيوب لتقريب مستوى النسخة المنقولة إلى العربية من مستواها في لغة مؤلفها . وأرجو كذلك ، أن تساهم هذه المراجعة لترجمة الدكتور أيوب ، بنصيب ما في إرساء منهجية علمية واضحة وثابتة عند نقل الكتب الأجنبية التي تعالج موضوعاً يخص تراثنا ؛ حيث يجب أن يضاف ، من وجهة نظري ، إلى جهد الترجمة جهد التوثيق والتحقيق والشرح والتعليق ما أمكن ذلك أو لزم .

وعلى الله قصد السبيل ، ومنه السداد والتوفيق والله نسأل أن يَجْعل عملنا هذا خالصاً لوجهه ،».

مقدمة المؤلف

كانت هذه الدراسة في بدايتها عام ١٩٣٧م ، أطروحة بعنوان «دراسات في اللهجات العربية القديمة» قدمتها في عام ١٩٣٩ للحصول على درجة الدكتوراه (في الفلسفة) من جامعة لندن . في ذلك الوقت انصبَّ اهتمامي ، بتأثير من فولرز (Vollers) على «لهجات شرق الجزيرة العربية» ، ولم أدرك إلاّ فيما بعد الموقع الخاص للهجات غرب الجزيرة ، وأنه كان هناك وجود للغة عرب الجزيرة ، ومن ثم قرّرت البدء بها في أبحاثي عن اللغة العربية . وآمل أن أنشر في تاريخ لاحق المواد التي جمعتها عن لهجات شرق الجزيرة وكذلك مجموعاتي المعجمية في هذا الصدد .

وعندما بدأت بحثي حول الموضوع ، كان ذلك مشروطاً ضمناً بأنني سأتخلى عن هذه الدراسة ، إذا لم أجد بعد ثلاثة شهور من البحث ما يكفي من المواد للاستمرار فيه ، وسرعان ما اكتشفت أن هناك من المواد أكثر مما يمكن استيعابه طوال حياتي . ولذلك فان المادة المقدّمة في هذا الكتاب لا تعدو كونها مجرد مختارات من المواد المتوافرة ؛ ولذلك لا أتوقع للكتاب أكثر من أنه سرعان ما ستتجاوزه الدراسات المماثلة حول الموضوع . فإن الأهمية الكامنة الكبيرة للهجات العربية التي سبقت اللغة الفصحى (Pre- classical Arabic dialects) لدراسات اللغة العربية ، وفي النحو المقارن ازدادت بروزاً في السنوات الأخيرة على أيدي الخبراء الكبار في هذا المجال أمثال كامبفماير (Kampffmeyer) وريكندورف (Reckendorf) ومما يدل على تجديد الاهتمام بهذا الموضوع ـ وهو اهتمام جدير بكل ترحيب ـ الدراسات الممتازة التي قام بها المأسوف عليه الدكتور كوفلر (Dr. H. Kofler) ، وزميلي في الدراسة في سنوات ما قبل الحرب الدكتور إبراهيم أنيس .

غير أن هذا السِّفر يسير على خط مغايرٍ تماماً لأبحاثهما ، وفي بعض الحالات ، يستكمل ما قاما به من أبحاث .

وما يروق لي من أداء واجب هو التقدم بالشكر لكل أولئك الذين ساعدوني في إعداد هذا الكتاب . ولا بد لي ، أولاً وقبل كل شيء في هذا الصدد ، من شكر الأستاذ الدكتور جِب (Professor H. A. R. Gibb) ، الذي غمرني بنصائحه وتشجيعه في جميع مراحل إعدادي للكتاب ، ففي الساعات الطوال التي كرسها بكل سخاء لقراءة المسودات المتعاقبة ومناقشة ما كان يعترضني من شكوك ومصاعب ، وُلِدَ الكثير من الأفكار التي لا يمكنني القول إنها بنات أفكاره أو أفكاري . وهكذا كان له نصيب كبير وحقيقي في هذا الكتاب ، وإن كان من المستحيل توثيق ذلك بالتفصيل .

ولا يكاد يقلُّ عن ذلك ما يطوّق عنقي من عرفان للأستاذ الدكتور تريتون (A. S. Tritton) ، والمشرف على دراستي ، أخذ بيدي في خطواتي المترددة الأولى ، وأغدق علي ملاحظاته القيمة النابعة من اطلاعه الواسع ، وجنّبني الكثير من المزالق ، أما فيما يتعلق بالنصائح القيمة المتعلقة بالتفاصيل فإنني مدين كثيراً لكل من الأستاذ الدكتور فيرث (Professor W. R. Firth) والدكتور بيتسون (Dr.A.F.L. Beetson) والدكتور شاخت (Dr. J. Schacht) والأستاذ الدكتور (Professor Marcel Cohen) والدكتور كرنكو (Dr.F.Krenkow) كما أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الدكتور درايفر (Professor G. R. Driver) والدكتور سيرجنت (Dr. R. Serjiant) ، وإدموند بيك (P. Edmond Beck) والأستاذ الدكتور كانتينو (P rofessor J.Cantineau) والدكتور غليزر (Dr. S.Glazer) لاتصالهم بي ولسماحهم لي باستخدام نتائج أبحاثهم غير المنشورة .

كما أتقدم بالشكر إلى العاملين في معهد غريفيث (Griffith Institute) ومكتبة بودليان (Bodleian Library) بجامعة اكسفورد والمتحف البريطاني ومكتبة كلية الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن ؛ لما أبدوه من صبر ولطف في تسهيل مهمتي ، وأخص بالذكر مكتبة المركز الهندي (India Office) لإعارتي مرتين ولفترات زمنية طويلة المخطوط النفيس لكتاب التسهيل لابن مالك .

استخدمت طريقة نقل الحروف (من العربية إلى اللغة الإنجليزية) التي وضعتها الجمعية الآسيوية الملكية ، ولكنني أضفت همزة في أول الكلمة وأوضحت الألف المقصورة عندما تكتب بالعربية ألفاً مقصورة بالرمز ā والمدّة فوق الحرف هنا ليس لها أي دلالة صوتية على طريقة اللفظ (انظر النص الإنجليزي الفصل العاشر الفقرة bb). وأشرت إلى الإمالة في اللغة الفصحى بالرمز āe ، والإمالة الحجازية بالرمز e(انظر النص الإنجليزي الفصل العاشر الفقرة(x) . أما التنوين والتاء المربوطة فقد حُذفا حيثما لا يؤدي هذا الحذف إلى أي غموض أو إبهام . ووضعت uفي نهاية الحروف التي يفترض أنها «حروفٌ كانت في اللغة العربية الأصلية» . وللتقليل قدر الإمكان من علامات الحركات فقد حذفتها من أسماء القبائل العربية المعروفة . أما الكلمات العاميّة فقد وضعت تهجئة لها كما هي في المصادر التي استقيتها منها .

أما فيما يتعلق بالاستشهادات من القرآن فقد اتبعت الطريقة الحديثة المتمثلة في وضع أرقام الآيات أولاً ، وهي الطريقة التي اتبعها فلوجل (Flügel) ؛ وبعد ذلك إذا كان هناك اختلاف اتبعت نظام جمعية القرآن المصرية الملكية ، وبالنسبة للتواريخ فالأرقام الأولى هي بطبيعة الحال للتواريخ الهجرية والتالية للميلادية .

ثَبَت المراجع
الكتابات الحديثة التي تعالج اللهجات العربية

- أنستازي ماري (P. Anastase Marie) : اللغات واللثغات ، المشرق ، العدد الرابع ص ص٢٥٩-٣٦ ، ص ص٥٨٩-٩٣ . عبارة عن قائمة بالمصطلحات الوصفية التي تطبق على اللهجات بصورة رئيسية وتعتمد على عدة مصادر .
- أنيس ، إبراهيم : اللهجات العربية ، القاهرة ، حوالي ١٩٤٦ . دراسة نقدية ، تعتمد على اطلاع واسع ويهتم المؤلف بصورة رئيسية بالاختلافات الصوتية ويقلل من قيمة المعلومات النحوية والتركيبية .
- بارث ، جي (Barth, J): (Das arabische s- Suffix der zweiten (person sin. Fem., Wzkm) ، المجلد ٤١ (١٩١٠) ، ص ص٢٨١-٢٨٦ .
- بلاو ، أو (Blau, O): (Altrabische Sprachstudien, ZDMG, xxv (1817) 525-92 ، يهتم بصورة رئيسية بالاختلافات بين اللهجات في القرون الميلادية الأربعة الأولى .
- برافـمـان ، إم (Bravmann,M): Materialien und Untersuchungen zu den Phon- etischen Lehren der Araber, G?ttingen, 1934.

وله كذلك : Some aspects of the development of semitic Dipthongs, Orientalia, viii, 1939, 244-253, ix(1940), 45-60.

- فـريتـاج ، و.(Freytag .W.): (Einführung in das Studium der arabischen Sprache, Bonn, 1861) ، كُرِّست الصفحات ٦٥-١٢٥ إلى اللهجات . وقد رتبت المادة وفق اللهجات ولكنها جمعت بطريقة غير نقدية من مُظهر والقاموس التركي بصورة رئيسية .
- كامبفماير ، جي (Kampffmeyer, G.): Beiträge zur Dialektologie des Arabischen) 1 ، Wzkm ، العدد ١٣ (٩٩٨١) ، ص ص١-٣٤ ، س س٢٢٧-٢٥٠ .

كـذلك له : Die arabische verbalpartikel b(m), MSOS, iii, 1900, 48-101 and .Marbur, 1900

- كـاظم بيك (Kazem Beg): Observations sur le chaptire inconnu du Coran, JA, 1843, ، ص ص ٣٧٣-٤٢٩ . تبحث في مختلف أشكال أداة التعريف وإن كانت أشكالاً وهمية .
- كـوفلر (Kofler): Reste Altarabisher Dialekte, (WzkM) ، الأعـداد ٤٩-٦٧

(١٩٤٠-١٩٤٢) ، أكمل مجموعة معلومات حتى الآن ، ولا تجمع أشكالاً تعزى إلى لهجات خاصة فحسب ، بل مادة غير محددة في مجال النحو كافة كذلك ، مرتبة تحت عناوين نحوية ؛ ولا توجد أية محاولة لتصنيفها جغرافياً .

- لاندبيرغ كومتي دي (Landberg, Comte de): La Langue arabe et ses dialects, : Leiden, 1905.

وله كذلك : Dathina, Leiden, 1905-1913.

كذلك له : Glossaire Dathinois, Leiden, 1920-1974 ، يعتمد على اللهجات الأقدم عهداً لتوضيح اللهجة اليمنية العامية الحديثة .

- نولدكه (Nöldeke Th): (Das Klassiche Arabisch und die arabischen Dialekte, in Beitrege zur semitischen sprachwissenschaft ، ١٩٠٤ ، ص ص١-١٤ .

- رابين (Rabin Ch.): (La chute du Hamza en arabe hijazien et en hebru moderne, Comptes Rendus du CLES ، العدد الثالث ، ص ص٧٧-٧٩ .

وكذلك له : اللهجات العربية القديمة وعلاقتها بالعبرية (باللغة العبرية) ، (Melilah) ، العدد الثاني (مانشستر ١٩٤٦) ص ص٣٤٢-٥٥٢ .

وله كذلك : الإعلال المهجور في بعض الأسماء العبرية التوراتية Archaic vocalization in some Biblical Hebrew names ، مجلة الدراسات اليهودية (Journal of Jewish Studies) ، العدد الأول (١٩٤٨) ، ص ص٢٢-٦ ، يتناول «التلتلة» .

- الرافعي ، مصطفى صادق : تاريخ آداب العرب ، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٩١٢ . حول اللهجات ، ص ص١٠٣-١٥٨ . نادراً ما يذكر مصادره ، ولكن حيثما يذكرها كان يتأكد من دقتها ، يحتوي على بعض المواد التي لم أجدها في أي مرجع آخر .

- ساراو ، سي:(Sarauw, C.) (Die altarbische Dialektspaltung (ZAss)) ، العدد ٢١ (١٩٠٨) ، ص ص٣١-٤٩ . أول مناقشة جغرافية علمية للهجات .

- شوارتز ، بي :(Schwarz, P.) ديوان عمر بن أبي ربيعة (Heft) العدد الرابع : Umars Le ben, Dichtung, Sprache, und mitrik, Leipzigk ، ١٩٠٩ . الوصف الوحيد الموجود حالياً لأية لهجة عربية ، وفي هذه الحالة اللهجة حجازية .

وله : Der sprachgeschichtliche Wert einiger älterer Wortscheibungen im Koran, ZASS ، المجلد ٣٠(١٩١٥-١٩١٦) ، ص ص٤٦-٥٩ ، يستخدم الرسم القرآني في إعادة بناء اللهجة الحجازية .

- فـــولـرز ، كي (Vollers, K): Volkssprache und Schriftlprache im alten Arabien. استـراسـبورغ ، ١٩٠٦) ، يعـيـد بناء ما يُزعم أنه «لغـة شـعـبـيـة» من القـراءات القرآنيـة الشـاذة . وقـد جـمـعت المواد الخـاصـة باللهـجـات القـديمة من المزهر وغـيره من الكتـابات المتأخرة ، والنتائج التي تم التوصل إليها منها نتائج جزئية . وعلى أية حال ، فإن الكتاب يحتوي على الأفكار القيّمة الكثيرة وهو كتاب هام لكل دارس للغة العربية القديمة .
- فايل جي (Weig G.): Die Behandlung des Hamza- Alif im Arabischen, ZASS، المجلد ١٩ (١٩٠٦ ، ص ص١-٣٦ . تلقي هذه المقـالة التي كـتـبت بعناية الكـثـيـر من الضـوء على اللهجـة الحجـازية ، دون أن تقصـد أن تكون مـقـتصرة عليـها ولأغـراض هذا الكتاب . ينبغي تدقيق عبارات هذه المقالة على ضوء رسم النسخ الأول من القرآن (التي وصفت في نولدكه ، Nüldeke, Geschichte des Korans ، الطبعة الثانية) التي غالباً ما تختلف عن قواعد النحويين .
- اليازجي ، ناصيف : مميزات لغة العرب . وقائع المؤتمر السابع للمستشرقين (١٨٨٦) ، الجزء الثاني ، ص ص٦٩-١٠٤ . مجموعة ثرية من المعلومات ولكن لا تورد أسـماء المصـادر ، ويضع المؤلف نفسه موضع الاتهام بسبب تعميماته المتسرعة ، كما يخترع «الأمثلة» بكل حرية .

قائمة المختصرات والطبعات المستخدمة وغيرها

- أبو عُبيد ، الرسالة فيما ورد من لغات القبائل (قارن الفصل الثاني ، الفقرة د) ، على هامش التيسير في علم التفسير للدريني ، القاهرة ١٣١٠ .

إي أف أو (A F O) : (Archiv Für Oreintforschung) .

- الأغاني ، الطبعة الثانية ، بولاق ١٢٨٥ .

- العينطابي ، انظر القاموس التركي (Qãmus Tu) .

- الأستراباذي ، شرح كافية ابن الحاجب ، اسطنبول ١٣١٠ .

- البيضاوي ، طبعة فلوغل (Flûgel) ، ليبزج ، ١٨٤٦ (تفسير البيضاوي) .

- باور ليندر (Bauer- Leander) : النحو التاريخي (Hist Gramm der hebräischen sprache) ، ١ ، هلله (Halle) ، ١٩٢٢ .

- باور إل (Bauer, L.) : Das palästinische Arabisch ، ليبزج ، ١٩١٠ .

- بلاشير (Blachere, R.) : Introduction au Coran ، مقدمة للقرآن ، باريس ١٩٤٧ .

- بروكلمان (Brockelmann) : Grundriss der vergleichenden Grammatik der semi-tischen Sprachen ، برلين ، ١٩٠٨-٦٣ .

- بي أس أل (BSL): Bulletin de la Société Linguoshiqw de Paris.

- كانتينو ، جي (Cantineau, J) : Le dialecte arabe de Palmyre ، بيروت ١٩٣٤ .

وله : Etudes sur quelques Parlers de nomades arabe de l'Orient, Annales de l'Etudes Or. d'Alger ، المجلدان الثاني والثالث (١٩٣٦-٧) ، اقتطفت هنا من مستلات مختلفة .

وله : Les parlers arabes du Horan ، باريس ، ١٩٤٦ .

- دَلمان جي (Dalman,G.) : الآرامية اليهودية الفلسطينية ، ط٢ ليبزج ، ١٩٠٥م .

- دي لمان ، إي (Dillmann, A.) : النحو الإثيوبي ، لندن ، ١٩٠٧ .

- درايفر ، جي ، أر (Driver, G.R.): نحو العربية العامية في سوريا وفلسطين ، لندن ، ١٩٣٥ .

- جسنيُص (Gesenius) : النحو العبري ، الطبعة الثانية الإنجليزية ، اكسفورد ، ١٩١٠ .

- غوردون ، سي ، اتش (Gordon, C.H.) : النحو الأوغاريتي (Ugaritic Grammar) ، الطبعة الثانية ، روما ١٩٧٤ .

- جي كيو ، نولدكه (GQ, Noldeke) : Geschichte des Korans ، الطبعة الثانية ، ليبزج ١٩٠٩-١٩٣٨ .
- الحماسة ، طبعة فريتاج ، بون ١٨٢٨ .
- الحريري ، الدرّة ، اسطنبول ١٢٩٩ .
- حاتم الطائي ، طبعة شولتس (ed. Schulthess) ، ليبزج ، ١٨٩٧ .
- ابن عقيل ، شرح ألفية ابن مالك ، طبعة ديتريشي (ed. Dieterici) ، ليبزج ، ١٨٥١ .
- ابن فارس ، الصاحبي ، القاهرة ١٩١٠ .
- ابن هشام ، المغني ، طبعة القاهرة ، بدون تاريخ ، (مصطفى البابي الحلبي)،
وله : شرح بانت سعاد ، طبعة جويدي (ed. Guidi) ، روما ١٨٧١-١٨٧٤ .
- ابن مالك ، تسهيل الفوائد ، مخطوط ، مكتب الهند ، لوث ٩٦٣ (Loth 963) .
- ابن قتيبة ، أدب الكاتب ، طبعة غرونيرت (ed. Grünert) ، ١٩٠٠ .
- جي إي (JA) : المجلة الآسيوية (Journal Asiatique) .
- جمهرة ابن دُرَيْد ، حيدر آباد ١٣٤٤-١٣٥١ .
- جيفري إي (Jeffery A.) المفردات الأجنبية في القرآن ، بَروده (Baroda) ١٩٣٨ .
وله : مادة تختص بتاريخ النص القرآني ، ليدن (Leiden) 1937.
- المصباح للفيومي ، القاهرة ١٩١٦ .
- المبرِّد ، الكامل ، طبعة رايت (ed. Wright) ، ليبزج ١٨٦٤-٩٢ .
- المُخصَّص لابن سيده ، بولاق ١٢١٦-١٣٢١ .
- نشوان ، الاختيارات : Die auf Südarabien bezüglichen Angaber...herausg لعظيم الدين احمد ، ليدن ١٩١٦ .
- OLZ : (Orientalistische Litesaturzeitung) .
- القالي ، الأمالي ، القاهرة ١٩٢٦ .
- القاموس التركي ، عينطابي ، بولاق ١٩٥٠ .
- رينهاردت سي (Reinhardt C.) ، Ein arabischen Dialekt gesprochen in Oman (und Zanzibar ، شتتغارت وبرلين ١٨٩٤ .
- ريكندورف اتش (Reckendorf H.) : Die syntaktischen Verhältnisse des Ar- abischen ، ليدن ١٨٩٥-١٨٩٨ .
- رودو كاناكس ، إن (Rhodokanakis, N.): Der vulgäratabische Dialekt im Dofar

(zfâr) ، (Wein) ١٩١١ .
- رز (Ris) قارن أبا عُبيد .
- روسي إي (.Rossi E) : dialetto arabo parlato a San'a ، روما ، ١٩٣٨ .
- RSO: Rivista degli Studi Orientali.
- الصبّان ، حاشية على شرح الأشموني على الألفية ، القاهرة ١٣٢٩ .
- فهارس الشواهد (Schawahid- Indices) ،
(ed. Fischer und Bräunlich) ، ليبزج ، ١٩٣٤-١٩٤٥ .
- (.Segal, M.H):نحو اللغة العربية كما ورد في المشناه (A Grammar and Mishnaic
Hebrew) ، اكسفورد ١٩٢٧ .
- الشنقيطي ، شرح شواهد جمع الجوامع للسيوطي ، القاهرة ١٩٢٨ .
- سوسين إي (Diwan aus Central arabien) :(.Socin A) ، ليبزج ١٩٠١ .
- السيوطي ، الإتقان ، كلكته ، ١٩٥٦ .
وله : جمع الجوامع في النحو ، القاهرة ١٣٢٧-١٣٢٨هـ .
وله : البهجة المرضيّة على ألفية ابن مالك ، القاهرة ، ١٢٩١ .
وله : المزهر في علوم اللغة ، القاهرة ١٣٢٥ .
- الأشموني ، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، القاهرة ١٣٢٩ .
- رايت (Wright) :Grammar of Arabic Language ، الطبعة الثالثة ، كمبردج ١٨٩٦ .
- الزمخشري ، المفصّل ، طبعة بروخ (ed. Broch) ، Christiana ١٨٧٨ .
وله : الفائق ، حيدر آباد ١٣٢٤ .
- ZASS : (Zeitschrift Für Assyriologie) .
- ZS : Zeitschrift Für Semitistik .

الفصل الأول

مقدمة

هذا الكتاب محاولة لإجراء تقويم ، من وجهة نظر مقارنة وتاريخية ، للمعلومات التي حافظ عليها علماء اللغة العرب فيما يتعلق بعلم الأصوات والنحو ، والتراكيب اللغوية لمجموعة من اللهجات العربية التي سبقت اللغة العربية الأدبية ولا نحتاج لتفسير دراسة لهجات اللغة العربية القديمة إلى أية مسوغات . إذ من المحتمل أن تلقي الضوء لا على اللغة العربية الفصحى ولهجاتها الدارجة الحديثة فحسب بل على اللغات السامية بعامة كذلك . فاللغة العربية الفصحى تتميَّز بخصائص انتهى استعمالها . وإذا كان هذا هو حالها ، فما الذي هُجر أكثر من ذلك من استعمال اللهجات التي سبقتها زمنياً؟! وكم مثَّل ، من هذه اللهجات ، استمراراً مباشراً لسلسلة التطوّر من اللغة السامية الأم ، إذا سلَّمنا أن اللغة العربية الفصحى لا تعدو كونها ، بصورة من الصور ، خليطاً من أساليب تعبير متعددة؟ وإذا كان هناك ما جعل هذه اللهجات لا تحظى حتى الآن إلا بالقليل من الاهتمام ، فإنَّ ذلك لم يكن لقلَّة أهميتها ، بل للانطباع الذي يخرج به المرء من المادة المتاحة منها ، المبعثرة وغير المترابطة والمتناقضة أحيانا كما هي عليه فعلاً . فلم تشكل قاعدة مناسبة للدراسة . فالقائمة التي أعدّها فريتاج (في كتابه Enführung ، ص ص ٦٥-١٢٥) لا بد وأن تكون قد أقنعت الكثيرين أن هذا ميدان عقيم .

ولم تُجْد الدراسات الممتازة الخاصة بدقائق هذه اللغة التي جرت فيما بعد (انظر مراجع الفصل الأول) نَفْعَاً في تغيير هذا الموقف ، والمحتمل أن تثبِّط المجموعة الثمينة من المعلومات اللغوية ، التي يعود الفضل في توافرها لدأب الدكتور كوفلر Kofler الراحل وسعة اطلاعه المذهلين ، أكثر وأكثر من عزيمة أي باحث قد يأمل في استثمار تلك المعلومات في دراسة اللهجات ؛ نظراً لإهمالها التام للعامل الجغرافي . ومن المؤمَّل أن تقنع الدراسة التي نعرض لها في هذا الكتاب ــ حتى لو ثبت ــ على ضوء تزايد المعرفة ــ خطأ ما توصلت إليه من استنتاجات ــ القُرّاء بأن التحليل الذي يقوم على أسس جغرافية خالصة قد يؤدي إلى التوصل إلى نتائج تجعل دراسة اللهجات جديرة بالاهتمام .(١)

ونحن مدينون لفولرز Vollers وسَرَو Saruaw لاكتشافهما أن تقسيم اللهجات حجازية أو تميمية ــ الذي نجده في الأبحاث العربية ــ يتطابق مع انقسام اللهجات القديمة الفعلي إلى

(١) سياق الكلام : ومن المؤمَّل أن تقنع الدراسة التي نعرض لها في هذا الكتاب . . . القرّاءَ بأنَّ . .

مجموعتين إحداهما عربية شرقية والأخرى عربية غربية . ولم تكن هاتان المجموعتان وحيدتين ، ولكننا لا نعرف سوى النزر اليسير عن غيرهما لأخذه بعين الاعتبار . وتمتاز مجموعة اللهجات الشرقية ، التي تضم لهجات تميم وربيعة وأسد وعُقيل وغَنِيٍّ وبعض قبائل قيس الأخرى ، بعدد كبير من الملامح المميِّزة . وعند إلقاء نظرة فاحصة على هذه اللهجات ، يتبيَّن أنها تمثل تطورات لغوية حديثة في الغالب مقارنة بغيرها ، وأن اللهجات الشرقية هي في الأساس اللهجات نفسها التي استخدمها شعراء العربية الأقدمون . ولم يكن هذا حال اللهجات التي كان يتكلمها الناس على طول تجمع المياه الكبير في شبه الجزيرة وعلى منحدرها الغربي . فالملامح العامة المشتركة بين لهجات هذه المناطق أقل وضوحاً- ولم يتضح لي الكثير منها إلا بعد دراستي للمادة اللغوية المتاحة منها لفترة تزيد على خمسة أعوام- وإن كانت ، هذه الملامح ، تؤثر تأثيراً عميقاً على البنية اللغوية . ولو أولينا الحقيقة القائلة إنّ كل ما نعرفه عن أية لهجة عربية لا يعدو مجرد انعكاس واهن لبعض خطوطها العريضة الغامضة ، ما تستحقه من أهمية[1] ، لكان حرياً بنا الاعتراف بأن هذه اللهجات الغربية لا بد وأنها كانت تبدو لعرب نجد كما لو كانت لغة أجنبية . فهذه اللهجات تظهر اختلافات عن اللغة العربية الفصحى تعود إلى مرحلة اللغة السامية الأم . فهي ، أي اللهجات الغربية ، أكثر تقادماً ، أي أنها لم تشارك في التطورات التي مرَّت بها اللغة العربية الفصحى (أو بصورة أكثر دقة اللهجات التي انبثقت عنها هذه اللغة الفصحى) .

وفي نواحٍ أخرى تطورت كلٌّ من اللهجات الشرقية والغربية في اتجاهين مختلفين . وهذه التطورات توازيّ ، في حالات عديدة هامة ، التطورات التي جرت على اللغة الكنعانية من ناحية واللهجات العربية الجنوبية من ناحية أخرى . وهذه اللهجات هي ما لا نجده في اللغة العربية بصورة واضحة : أي أنها لم تكن حلقة الوصل ين اللغة السامية الشمالية الغربية واللغة السامية الجنوبية الغربية (على حد تعريف لِسلاو) . وهكذا فإن خصائص هذه اللهجات تتفق مع الموقع الجغرافي الذي نشأت في ظله .

إن ما يبدو أنه يتمخَّض عن هذه المعلومات هو لغة ، وإن كانت وثيقة الصلة بالعربية الفصحى ، فإنها منذ أوائل العهد بها قد تطورت عبر مسارات وعلى خلفيات مغايرة- بل إنها في الحقيقة لغة أخرى غير العربية الفصحى . وعند هذا الحد فإنني لا أجد أية إجابة على التساؤل عما إذا كان لهذه اللغة واللغة العربية أصل مشترك واحد يفصلهما عن

(١) سياق الكلام : ولو أولينا الحقيقة القائلة . . . ما تَسْتَحقُّه . . .

اللغـــة الكنعـانيـة واللغـة العـربيـة الجنوبيـــة- أو مـا يمكـن أن نسـميـه نوعـاً من الأور- أرابيســـك Ur- Arabisch ، أو أنهـما (أي هذه اللغة واللغة العربية) كـانتا مـفصـولتين عن بعضهما منذ المرحلة السامية الأم . ولما كانت اللهجات السامية قريبة جداً بعضها من بعضها الآخر وأنه مما لا شك فيها أنه كان بينها تأثير متبادل ، فإن التساؤل المذكور ربما لن تجد له أية إجابة أبداً . ولذلك فإننا سننظر إلى هذه اللغة الجديدة ، بصورة مرحلية ، كما لو كانت كياناً لغوياً مستقلاً تماماً ، ولذلك ، وعلى هدي من التسمية المعروفة باللغة العربية الجنوبية ، فإننا سنطلق على هذه اللغة الجديدة اسم اللغةً العربية الغربية .

بل إن الأكثر صعوبة من مشكلة العلاقة بين هذه اللغة العربية الغربية واللغة العربية الفصحى هو علاقة هذه اللغة بمختلف اللهجات التي وجدت في النقوش العربية الشمالية : من لحيانيّة وثمودية وصفوية ولغة نقوش النمارة واللغة العربيـة التي كـان لهـا تأثير على الآرامية النبطية . فهذه اللهجات توضع مجتمعة تحت تسمية واحدة هي اللغة العربية الأم ، على أن هذه التسمية هي مجرد تعبير تأريخي ولا ينبغي لها أن توحي بأن هناك علاقة عضوية بين هذه اللهجات . ولدي إحساس بأنه سيتبيَّن أن إحدى هذه اللهجات تنتمي إلى مجموعة اللهجات العربية الغربية وترتبط بها باقي تلك اللهجات بمثل ما ترتبط (أي تلك اللهجات) باللغة العربية الفصحى .

إلاّ أننا لا نملك في الوقت الحاضر الوسائل التي تمكّننا من عقد المقارنة بين أيٍّ منها ، وباستثناء احتمالات ظهور أشكال مكتوبة من اللغة العربية الغربية ، فإنها لم تكن لغة أدبية ، إذ لم يترك لنا الذين كانوا يتكلمونها آثاراً كتابية باقية نستطيع من خلالها إعادة بناء تاريخهم أو ثقافتهم . وتوحي الدلائل اللغوية التي وجدت في اليمن أن المتكلمين باللغة العربية الغربية قد نفذوا إلى هناك من الشمال على شكل موجات بشرية . فانتشار اسم طيء (قارن الفقرة (14 -a)) هُوَّ بصراحة ، لا يعدو كونه مؤشراً واهناً على أن العربية الغربية قد لعبت في يوم من الأيام دوراً هاماً في الشمال . ويزعم التقليد المتعارف عليه عن العرب ، الذي دأب على جمع كل القبائل العربية الغربية معاً ولكن بصورة مشتركة مع القبائل الأخرى على اعتبارها قبائل يمنيَّةً ، يزعم على النقيض من ذلك ، بأن هذه القبائل هاجرت من اليمن باتجاه الشمال . وقد كان من شأن القول بأن هذه القبائل ذات أصول شمالية أن يقدِّم بكل تأكيد أَبْسَطَ تفسير لأوجه التشابه ، بل شَبَه التطابق ، المثير للدهشة بين اللغات الغربية واللغة الكنعانية . ولكننا لا نستطيع السير في مثل هذا التحليل إلى ما هو أبعد من ذلك .

وعندما بدأ العرب في غرب الجزيرة يكتبون الأدب ، لم يكتبوه بلغتهم هم بل باللغة العربية الفصحى . ونحن نطلق اسم اللغة العربية الفصحى (Classical Arabic) على لغة الشعر قبل ظهور الإسلام ، بينما نطلق اسم اللغة العربية الأدبية (Literary Arabic) على الشكل القياسي (Standaraized form) الذي استخدم لغة عالمية إبان الإمبراطورية العباسية . وفي الفصل الثالث سنقوم بتلخيص آراء الكتاب الأوروبيين والمسلمين حول أصل هذه اللغة . ولا يمكن الزعم بأن البحث الذي قمنا به في هذا الكتاب قد مكننا من إعطاء رأي قاطع حول ذلك . إلا أنه بإمكاني ، علي أية حال ، اقتراح فرضية عملية جعلتني أقف على أرض صلبة طوال هذا البحث : هذه الفرضية هي أن اللغة العربية الفصحى قد قامت على واحدة من اللهجات النجدية ، أو على عدة لهجات منها ، ولربما كان ذلك على أحد أشكالها القديمة . فنَجْد كانت منطقة يلتقي عليها عرب شرق الجزيرة وغربها ويختلطون . وفي الشرق من هذا الإقليم كانت لهجات غطفان وهوازن عربية غربية الطابع بصورة قوية ، بينما كانت لهجات غَنِي وعقيل إلى الشرق من ذلك شرقية الطابع بصورة جلية . وما بينهما كانت هناك لهجات ربما كانت مختلطة حقيقة .

ومثل كل شيء ، فإن هذه اللهجات كان ينقصها النزعة إلى تخفيض حروف العلة القصيرة غير المشدَّدة التي يمكن ملاحظتها بكل وضوح في لهجات تميم وربيعة الشرقية الطابع ، وهكذا فإن هذه المنطقة لم تكن تتكلم اللغة العربية الشرقية الخالصة ولا اللغة العربية الغربية الخالصة . بل كانت مسرحاً لمختلف المحاولات الرامية للتسامي على التنظيم القَبَلي : إمبراطورية اتحاد كندة مع قيس . ومن الواضح أن الشعر العربي قد ظهر ها هنا . وكما حدث في إسبانيا عند حمل الشعر الغنائي بين ثناياه تعابير لغة الغال الذي ولد في مهدها ، فإن الشعر العربي الجديد انتشر حاملاً معه اللغة التي قيلت قصائده الأولى بكلماتها . وعلى ضوء الطبيعة المختلطة لهذه المنطقة ، فمن المحتمل أن اللغة فيها كانت مزيجاً من اللغة العربية الشرقية واللغة العربية الغربية منذ البداية . ففي طبيعة أصواتها (كمال التعبير وغياب الإمالة الشديدة وغير ذلك) كانت تشبه النمط العربي الغربي أكثر من غيره ؛ وفي نحوها كانت تشبه اللغة العربية الشرقية أكثر من غيرها . ولربما أدت الحاجة إلى التعبير الشعري والوزن إلى حدوث ما أدى إلى تشكيلها في صورتها النهائية لما هو أكثر من ذلك .

وبالفعل كانت هذه اللغة قبل ظهور الإسلام تستخدم على نطاق واسع من قبل شعراء كانت لغتهم المحكيّة تختلف اختلافاً كبيراً عن لغة نجد . ومن خلال ذلك جرى تطوير بعض اللهجات المحلية سمحت بدرجة محدودة بإدخال ملامح لغوية ، وبخاصة مفردات ، من غير

اللهجات النجدية . وجرى ضمان وحدة اللغة الشعرية بفعل الوشائج الثقافية الوثيقة التي جرى تطويرها في ذلك الوقت وتتجه لاجتماع الشعر من قبائل كثيرة في بلاط الحيرة وغسان وفي المراكز التجارية والدينية .

كما استخدم مثل هذا النمط المحلي من العربية الفصحى في الحجاز لأغراض الشعر ولربما لأغراض الكتابة العامة . وهذه هي اللغة التي تحدث بها القرآن ووُثّق بها . وكان نطق اللغة الأدبية الذي استخدمه الحجازيون متأثراً إلى حد كبير ، بطبيعة الحال ، بلهجتهم الأصلية التي تعتبر الرسم القرآني للكلمات دليلاً صادقاً عليها إلى حد كبير .

أما بالنسبة للتصريف ، فإنه يمكن القول بوجود تطابق يكاد يكونُ تاماً ما بين لهجتهم واللغة العربية ؛ إذ لا تظهر الصيغ الحجازية ، مثل صيغة الأمر الثلاثي وصيغة الأمر من الأفعال مضعّفة الوسط ، إلا بصورة متفرقة هنا وهناك . أما بالنسبة للتراكيب النحوية فإن الأمر أكثر تعقيداً . ففي حين تجري المحافظة على القواعد البسيطة للغة العربية الأدبية ، فإن التضارب بين العادات الكلامية والمكتسبة يؤدي أحياناً إلى تفكك في التركيب الأكثر تعقيداً ، الأمر الذي يمكننا من اكتشاف طبيعة التراكيب الحجازية الأصلية . والى حدٍ أقل من ذلك ، فإن مثل هذه الملامح من ملامح الحجازيين والطائيين .

وعلى أية حال ، فإنه قد يكون من التسرُّع في الحكم القول بأن كل اختلاف عن المعايير التي وضعها النحاة نجده في القرآن أو عند شعراء اللغة العربية الغربية هو مؤشر على الأنماط اللغوية العربية الغربية . وفي وقتنا هذا فإنه لا يمكن التعرف على مثل هذه الأنماط الباقية من اللغة العربية الغربية إلا بالاستعانة بالعبارات الصريحة التي خلفها لنا النحاة العرب الغربيون الأقدمون .

ويكاد لا يكون من الضروري التأكيد على أن المنهج الذي نسير عليه في هذا الكتاب يختلف ، في الأساس ، عن المنهج الذي اتبعه كي فولرز في كتابه (Volkssprache und Schriftsprache im alten Arabien) ، فهو يرفض النص القرآني الرسمي زاعماً أنه تلفيق قام به النحاة وبحث عن ضبطه الأصلي في القراءات المختلفة الشاذة . وزعم أن هذا النص الذي أُعيد بناؤه هو الممثل «للغة الشعبية» مقابل اللغة العربية الفصحى ، أولاً وقبل كل شيء ، بسبب غياب الحالات الإعرابية (cases) وتوجيهاتها ولكنني من جانبي أقبل بالنص العثماني تعبيراً صادقاً عن اللغة التي استخدمها محمد [ﷺ] ، ولكنني أومن كذلك بأن تعابيره الأدبية تنطوي على عناصر من اللغة المحكية في عصره ، وأن هذا النص العثماني هو عيّنة للغة ، التي لولاه لأصبحت لغة مفقودة .

أما بالنسبة للقراءات المختلفة فإن بعضها (وليس من بينها دائماً القِراءات التي استخدمها القرّاء الحجازيون) قد حافظ بدوره على ملامح من اللهجة الحجازية ، وفي بعض الحالات قد تلعب الدور نفسه الملامح التي كان من الممكن أن يستبعدها النبي على أساس أنها ملامح مغرقة في بُعدها اللهجي . أما أي القراءات ذات قيمة لنا في هذا البحث؟! فهذه أيضاً مسألة لا يمكن تقريرها إلا بالاستعانة بفقهاء اللغة القدامى . وكما أن هنا قراءات تلوَّنت باللهجة الحجازية ، كذلك هناك قراءات أخرى تلوَّنت باللهجات الشرقية أو بملامح اللغة الدارجة .

وهكذا فإننا لا نرى اللهجات العربية الغربية إلا من خلال منظور اللغة الأدبية التي استخدمها متكلمو تلك اللهجات . ولكن ماذا عن اللهجات ذاتها؟ إن الكثير من الملامح التي جرت مناقشتها في هذا الكتاب توحي بأن اللهجة الحجازية لم تكن عربية غربية خالصة ، ولكنها مرَّت بتأثيرات عميقة مارستها عليها اللهجات العربية من مثل تلك التي قامت عليها اللغة العربية الفصحى ، وهذا التأثير يمكن تبيُّنه بأقوى ما يكون في لهجة هُذيل ، كما أنه لم يغب تماماً عن اللهجات اليمنية أيضاً . ولذلك ، فإن ما لدينا هو لغة تقترب أكثر ما يكون من اللغة العربية . وفي الحقيقة فإن اللغة الأدبية التي استخدمها محمد [ﷺ] واللغة التي استخدمت في مكة والمدينة تبدوان وكأنهما مجرّد مرحلتين من مراحل الانتقال من اللغة العربية الغربية إلى اللغة العربية . ومن غير المحتمل أنه كان هناك فروق وتنوّعات فردية إلى درجة موافقتها للصيغ العربية . ولهذه الأسباب مجتمعة ، فإننا نشعر أن من حقنا الآن الاعتقاد بأن لغة عربية غربية متكاملة كانت مميَّزة إلى حد بعيد عن العربية الفصحى ، نظراً إلى أنه حتى البقايا المتآكلة منها ، لا زالت تشير بكل وضوح إلى الاختلافات العميقة بين اللغتين .

ونكاد نكون تقريباً في وضع العالم اللغوي الذي يحاول إعادة تركيب اللغة الألمانية من الأخطاء التي ترتكب في استخدام اللغة الإنجليزية من قبل أنصاف المتعلِّمين الذين يتكلمون «لغة ألمانية» هي هجين من اللغة البنسلفانية .

الفصــل الثانــي

علماء اللغة العرب و اللهجات

a- ١ - ما دام تحقيقنا أقيم منذ البداية على المعلومات المجموعة من أعمال اللغويين العرب ، سنحاول أن نلقي نظرة على مناهجهم ومواقفهم فيما يتعلق باللهجات غير الأدبية .

b- ٢ - وفوق كل هذا يجب أن نأخذ في الاعتبار أن تسجيل المعلومات اللهجية كان بالنسبة للغويين العرب شيئاً هامشياً ؛ إذ لم يشكل جزءاً من عملهم الذي خصوه بجهودهم ألا وهو جمع قواعد اللغة الفصحى وتصنيفها وتنظيمها . وفي أحسن الأحوال كان يستعرضها ليعطي القارىء انطباعاً بسعة علمه ، وفي أسوأ الأحوال يستعمل اللهجات ليحتج لنقطة غير مرتبطة بهنّ تماماً . وكانت تنقصهم طريقة الضبط الدقيق . ويوجد كذلك أسباب عديدة أخرى ساهمت في تحريف-fal sificationالمعلومات اللهجية مما سنناقشه في الفقرات التالية .

c- ٣ - كتب كثير من اللغويين في وقت مبكر أعمالاً تحت اسم كتاب اللغات أو ما يشبهه . ولم يُلْقَ الضوء على أيٍّ من هذه الأعمال المذكورة في كتب الفهارس العامة ؛ حتى أنه لا يمكننا القول إن كانت هذه الأعمال في اللهجات أو هي مجموعات لنوادر الكلمات .

وفيما يلي العناوين المعروفة مرتبة ترتيباً زمنياً تاريخيّاً :

١- كتاب اللغات ليونس بن حبيب (١٥٢- ١٨٢هـ/٧٦٩-٧٩٨م) (الفهرست ط فلوجل ، ص٤٢)

٢- ومثله للفراء (٢٠٧هـ/٨٢٢م) (الفهرست ص٦٧)

٣- ومثله لأبي عبيدة معمر بن المثنى (٢١٠هـ/٨٢٥م) (السابق ص٥٤)

٤- ومثله لأبي زيد الأنصاري (٢١٤هـ/٨٢٩م) (السابق ص٥٥)

٥- كتاب لغات القرآن نفسه ، (Die Grammatischen Schulen,p. 72)

٦- كتاب اللغات للأصمعي : (٢١٦هـ/٨٣١م) حاجي خليفة ص١٤٣ .

٧- ومثله لابن دريد : المصدر السابق (٢٢٣- ٣٢١هـ/٨٣٧- ٩٣٣م) ص١٠٣ ط فلوجل .

٨- ومثله لعبد الله أو عمر الزعفراني أو الدّومي : الفهرست ص٤٨ ، وياقوت الحموي في

إرشاد الأديب : ص٤٧ . إن المؤلف الذي يشي اسمه بأنه من الجزيرة العربية ، وعاش في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي ، يقول عنه ابن النديم إنه من المحدثين .

٩- ومثله اللسان المقتبس لابن برّي (٥٨٢هـ/١١٨٧م) ، والاقتباس لا يشير إلى مصطلح لهجي .

١٠- كتاب السبب في حصر لغات العرب : أي الأسباب التي أدت إلى حصر اللهجات العربية (أو المفردات) ، لحسين بن المهذّب المصري (قبل ٦٥٠هـ/١٢٥٢م) ، انظر : السيوطي : بغية الوعاة ص٢٣٦ ، نقلاً عن المُغرب لابن سعيد .

١١- كتاب اللغات ، وقد ذكره ابن خالويه (٣٧٠هـ/٩٨٠م) في كتابه (ليس) ، طبعة الشنقيطي ص٤ .

d- ٤ - إننا نملك دراسة واحدة فقط في اللهجات ، وهي رسالة معزوّة إلى أبي عبيد القاسم ابن سلام الهروي (٢٢٣هـ/٨٣٨م) ، بعنوان (رسالة في ما ورد في القرآن من لغات القبائل) ، دراسة عن مفردات اللهجات في القرآن . وقد طبع هذا العمل في هامش الطبعة الحجرية لكتاب الدريني Dirini's «التيسير في علم التفسير» (القاهرة ١٣١٠هـ) ، وأعيدت طباعته على هامش تفسير الجلالين (القاهرة ١٣٥٦هـ) . والسيوطي في كتابه الإتقان يقتبس بتوسع من دراسة (تأليف المفرد) لأبي عبيد في هذا الموضوع . وهذه الاقتباسات متطابقة بشكل كبير مع المادة في رسالتنا) ، ولكنها مرتّبة حسب اللهجات ، بينما في الرسالة تجد المفردات مرتبة حسب السور القرآنية التي تتعلق بها . وكذلك السيوطي يستشهد بنصوص لا ذكر لها في النص المطبوع . وعليه يمكن أن تكون الرسالة واقتباسات السيوطي مأخوذة من عمل كامل لكاتبنا .

e- ٥ - إن المعلومات في الرسالة تختلف عن تلك التي نجدها في المعجم . والمعجم لا يستشهد بها أبداً مع الأسماء ، وفي حالات قليلة جداً يعطي الأصل اللهجي للكلمات ذاتها . وأينما توجد ، فإنها تفضي إلى تعزيز الرسالة . والرسالة تعزو الكلمات إلى اللهجات التي لم تُذْكَر أبداً في أعمال أخرى . وأكثرها إثارة للاستغراب هي لغة جُرُهم ، إحدى قبائل العرب البائدة ، على الساحل قرب مكة . وهذه القبيلة كانت معروفة لمحمد الكلبي (١٤٦هـ/٧٦٣م) ، اقتبسها- واستشهد بها الأزرقي في «أخبار مكة» طبعة فستنفيلد ص٥٤ ، انظر : نولدكه المعلقات الخمس ٧٢/٣ n2.) .

وبهذا يمكن أن يكون أبو عُبيدة أو راويته ما يزالان وقتها يسمعان لغة تلك القبيلة . إنَّ مقاصد اللهجة المسجّلة في الرسالة تصعب ملاءمتها والنصُّ الذي من المفترض أن توضحه أو تمثله ، وقد تزوِّدُنا ملابسةٌ ما ببعض الاحتمالات المؤدِّية إلى المعلومة . ويمكن أن تكون مادة أخرى موجودة في كتاب أبي عبيد غير المطبوع وهو الغريب المصنَّف(١) .

f- ٦ - إن مؤلفي الدراسات السابقة كانوا معجميين . والفرّاء يمثل لمدرسة الكوفة وأما نحاة مدرسة البصرة فكان اهتمامهم الحقيقي باللهجات قليلاً ويذكر سيبويه بصورة رئيسية الاستعمالات المسموح بها في العربية بناء على اقتناعه بها وأنه يخضعها للقياس كأي مادة أخرى ,وطالما أن اللهجات لا تعني له شيئاً فلم يكن يتردّد في رد الخلافات بصورة عامة إلى الخلاف القائم بين الحجاز وتميم (بما يظهر أنه كان يدرك بوضوح الفرق بين لغة غرب الجزيرة والعربية) ومعظم النحاة المتأخرين لم يكن لهم أدنى اهتمام باللهجات ، وكانوا يقومون بحذف التفاصيل التي سجّلها سيبويه . ولكن وجد نحاة متأخرون من الموسوعيين الانتقائيين مثل الأستراباذي (٦٨٣هـ/١٢٨٧م) والسيوطي (١١٩هـ/١٥٠٥م) ممن جمعوا كل المعلومات اللهجية التي وقعت عليها أيديهم من أجل الوصول إلى درجة من الكمال . ويبدو أن ابن مالك (٦٨٦هـ/١٢٨٧م) كان له بعض الاهتمام باللهجات في حد ذاتها . وكان يذكرها كثيراً في التسهيل ، وكذلك في الألفية وربما تحوّلت في ذلك الوقت إلى نمط من إظهار الخبرة في النوادر اللغوية .

إن شرّاح ابن مالك مثل : ابن عقيل والأشموني والسيوطي ؛ تعتبر شروحهم مصادر ذات قيمة ثانوية في هذا الشأن ، لأنهم حفظوا لنا كثيراً من المعلومات اللهجية من المصنفات الضائعة . ومن هـذه الشروح ، عمل أبي حيان الذي لـم يصلنـا ، الـذي قرّظه القلقشندي (١٢٨هـ/١٤١٨م) باعتباره أفضل مصدر للمعلومات عن اللهجات (صبح الأعشى جـ٢ ص٣٢٣) . ويمكننا أن نسجل ؛ بهذه المناسبة ، الحقيقة الغريبة أن معرفة مثل هذه الأشياء تعتبر ذات قيمة في وقت الاضطرابات .

g- ٧ - وكان المعجميون بالطبع أكثر اهتماماً بالمفردات اللهجية ، التي ترد في الشعر وغير الشعر . ومن الصعب أن نكتشف المنهج الذي كانوا يجمعون عليه مثل هذه الألفاظ . وبالتأكيد لم تقم أية محاولة لتكون عملية منظمة . ولابن دريد ولنشوان

---

١) لقد خرج الكتاب مطبوعاً بتحقيق محمد المختار العبيدي ، تونس ، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق ، بيت الحكمة ، ١٩٩٠م . (المترجم) .

الحميري اهتمام خاص خاصة بالألفاظ ذات الأصل اللهجي . ومع ذلك فإن ابن دريد نادراً ما كان يعطي أي مادة من لهجته الأزدية(١) ؛ وإن شرّاح ديوان هذيل لم يستشيروا أحد أفراد القبيلة الأحياء ، مع أن القبيلة كانت على مسافة قريبة من مكة . والكتاب الوحيد الذي كان تقديمه للهجة ما أكثر أو أقل تنظيماً من أي وقت مضى ، هو المجلد (الكتاب) السابع من إكليل الهمداني ، وهو المكرّس للغة الحميرية ، وقد فُقِد لسوء الحظ .

والمعجميون المتأخرون لم يهتموا بوجه خاص بالمادة اللهجية . حتى اللسان غالباً ما تحذف من استشهاداته مثل هذه المعلومات التي جاءت في الأعمال المتقدّمة عليه .

h- ٨ - معظم الخصائص اللهجية المعالجة في كتب النحو والصرف هي التي جاءت في المصادر الأدبية ، وعُدَّت من الفصيح ، أي عربية صحيحة وفصيحة وقد خضعت إلى المعالجة التعليلية نفسها كأيّ ظاهرة أخرى في اللغة الأدبية ، وما زالت مقيّدة تماماً بقوانين أساليب الكتابة المصنوعة . وفي بعض الحالات كما في «ذو» الطائية التي بمعنى «الذي» ، والمناقشة النحوية الصرفية قادت إلى تبني الصيغ والتراكيب المغايرة للهجة التي جاءت منها هذه المفردات . وهناك خصائص أخرى حُصِرت لأنها وقعت في أشعار محتج بها أو في القرآن الكريم ووجب تعليلها بطريقة ما . وفي مثل هذه الحالات كان يكتفي علماء اللغة غالباً بخبر مجرد وهو «هذه لهجة المؤلف» أو «بناء على لهجة . . .» . وسبب ثالث للاستشهاد بالاستعمالات اللهجية هو أنها في بعض الأحيان تؤيد رأياً حول خصيصة في التركيب اللغوي الأدبي القياسي .

i- ٩ - من المتعارف عليه أن أية صيغة لا تتطابق مع قوانين الفصحى يمكن أن تعتبر لهجة ، ومن المغري أن يكون في متناول اليد ما نبحث عنه من تفسير سهل لأيّ شيء لا يمكن أن تعلله قواعد اللغة ؛ وذلك بأن نلجأ إلى تفسير خاص نصنعه بأنفسنا ، ونضرب مثلاً واحداً من عدة : الأندلسي (اقتباس الأستراباذي ، الكافية

---

(١) يعزو المؤلف ذلك إلى أن نشوان كان يقيم بالبصرة وربما لم يكن له معرفة بلهجة قومه ولكن ما نقله من معلومات كان من اليمنيين الذين يختلط بهم .

١١٧/٢)[1] يعتقد بأنه سيجد في الشعر «كي» بمعنى كيف . ويضيف : «إما أن يكون هذا في لهجة الشاعر أو أن الفاء قد سقطت للضرورة الشعرية» . وأي شبه ضعيف بلهجة معروفة يُلْجَأ فيه إلى القول بالشذوذ دون اعتبار لاحتمال استعمال المؤلف لتلك اللهجة . مثل هذه العبارة في ديوان هذيل مفسَّرة من لهجة تميم الخ . وفي حالة أسوأ «الألفاظ اللهجية» تُبْتَدَع تلقائياً لتسويغ بعض التصورات (المفاهيم والأفكار) الإلهية ، أو بصورة أكثر بساطة لإيجاد معنى لتعبير قرآني ، مثل حروف يس في مطلع سورة يس قد جاءت لتمثيل ياسين المقولة لتعني يا رجل في لهجة طيء ، وحروف طه في سورة طه لتعني أيضاً : يا رجل أو يا أنت في لهجة عك (البيضاوي ١٥٦/٢ ، ٥٩١/١) ، والكلمة المقترضة من اليونانية إقليد أي المفتاح مأخوذة من اللهجة اليمنية لأنها وقعت في سطر شعري معزوٌ إلى تُبَّع[2](انظر اللسان ٣٦٨/٤) .

k- ١١ - إن الاقتراض من اللهجات الأخرى قد قدَّم تفسيراً للأضداد ، الكلمات من ذوات المعنيين المتضادين (حقيقةً أو توهماً) . حين يكون للصوت المركب Sound- complex معنيان متعارضان ، من السخف أن يُعتقد بأن العرب قد استعملت المعنيين كليهما في وقت واحد . هذه الكلمات استخدمتها قبيلة ما بمعنى ، واستعملتها قبيلة أخرى بالمعنى الثاني . وأخيراً تطلع كل قبيلة على استعمال الأخرى ، ويتلو ذلك تبادل الاقتراض (ابن الأنباري ، الأضداد ص٧) . وهذه درجة متقدّمة على الموقف الساذج الذي عبر عنه أبو عمرو بن العلاء (١٥٤ـ/٧٧١م) أحد مؤسسي مدرسة البصرة . وقد سأله أبو التقليديين ابن نوفل فيما إذا كان يقبل كل استعمالات البدو على أنها عربية فصيحة ، أجاب بالنفي

---

(١) جاء في شرح الكافية ١١٧/٢ : وجاء في كيف كي ، قال :

أو راعيان لبُعْرانٍ شَرَدْنَ لنا   كي لا يحسّان من بعراننا أثراً

قال الأندلسي(والأندلسي ربما يقصِد به أبا حيان الغرناطي الأندلسي) : إما أن يقال هي لغة في كيف أو يقال حذف فاء كيف ضرورة .» (المترجم)

(٢) إشارة إلى البيت الذي جاء على لسان تبع حين حجّ البيت :

وأقمنا به من الدهر سَبْتاً   وجعلنا لبابه إقليداً /والسبت الدهر . (المترجم)

وصرّح : «أتّبع الأغلبية وأسمي ما خالفني لهجة»[1] (السيوطي ، المزهر ١/١١١ نقلاً عن الزبيدي في طبقات النحويين) . ولسنا بحاجة إلى الأخذ بمعيار الأغلبية بدقة كاملة كالاستعمالات السارية بين أغلبية عرب الصحراء كالتلتلة[2] التي رفضها النحويون .

l- ١٢ - بمعزل عن الابتداع الصِّرف لهذا النوع ، إن النزعة إلى تفسير وجود التركيبات البديلة عن العربية الفصحى بوساطة اللهجات غالباً ما يقود إلى فروق حادة ولا مسوِّغ لها . فأي تركيب ، كان مخالفاً لأي قاعدة نحوية صرفية لسبب ما ، يمكن أن يوجد في أي لهجة ، أو نص لفرد من قبيلة ما ، غالباً وببساطة يعلن أنه استعمال لهجي . وكمثال على هذا استعمال الخبر مع لا النافية للجنس ، التي بسبب وقوعها في القرآن الكريم ، قيل إنها تركيب لهجي حجازي . والنتيجة النهائية لذلك ، أنها نقلت وكأنها لم تستعمل في أي مكان آخر ، وحين وجدت في قصيدة لحاتم الطائي ؛ يقال أن الشاعر قد هجر لهجته الخاصة . والسبب الأساسي لمثل هذه الفوضى هو الحاجة إلى مفهوم واضح للعلاقة بين العربية الفصحى واللهجات . (راجع الفصل القادم) .

m- ١٣ - ومن المصادر الخصبة للفوضى الاشتراك اللفظي لكلمة لغة ، حيث لها عدة معان :

١- الكلام العام .

٢- الاستعمال العادي في مقابل المعنى الاصطلاحي لها .

٣- اللغة العربية الفصحى .

٤- في التأليف المعجمي توضع في مقابل قواعد النحو والصرف Grammar ، بناء الجملة syntax.

٥- بمعنى كلمة .

٦- تعبير بديل جائز .

---

(١) والخبر بتمامه . قال رجل لأبي عمرو بن العلاء : أخبرني عما وضعت مما سميّت عربية ، أيدخل فيه كلام العرب كله؟ فقال : لا ، فقلت كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة؟ فقال : أحمل على الأكثر وأسمي ما خالفني لغات . (المترجم)

(٢) هي كسر حرف المضارعة كقولهم : تِعلم ، تِدري . وهي لغة قيس وتميم وأسد وربيعة وعامة العرب . (المترجم) .

٧- لهجة .

٨- تعبير محلي أو لهجي .

وغالباً ما تجد أحد الكتّاب القدماء يقول أن هذه الصيغة «لغة في . . .» . أي صيغة بديلة لـ . . . ، ومؤلف متأخر مقتبساً عنه يستبدلها بقوله : «في بعض اللغات» أي في بعض اللهجات ، والعكس بالعكس .

القيود التي يضعها بعض الكتّاب لاستعمال اصطلاح لغة ، لم يعط القضية أي وضوح . فالأستراباذي مثلاً (الكافية ٣١/٢) في مناقشته استعمال هولاء بدلاً من هؤلاء يقول : «إنها ليست لغة ، ولكنها صيغة حدث لها تقصير» .(١) وبوضوح فإن لفظ «لغة» لا يعني في هذا السياق صيغة لهجية ، ولكنها صيغة لا يمكننا اشتقاقها من الصيغة العادية باستبدال صوتي بسيط . وبالتأكيد ليس هو الاستعمال المتبع بشكل عام .

n- ١٤ - لا عجب إذا كان بعض اللغويين قد فقدوا رؤية حقيقة أن اللهجة مرتبطة بالجماعة العرقية! ففي جمع الجوامع (٣٧/١) للسيوطي وجدنا القطعة التالية :

«يقول بعضهم إن معاملة الأسماء الممنوعة من الصرف في النثر كأسماء مصروفة هي لهجة بعض العرب . وهذا الرأي حكاه الأخفش وقال إنها لهجة الشعراء ، لأنهم باستخدامهم لها في ضرورة شعرية ، تصبح أكثر استعمالاً وتجري على الألسنة في الكلام اليومي .»(٢) ومن يريد أن يتكلم عن اللهجات في البصرة والكوفة ، يعني تلك الصيغ التي أقرّها نحاة البصرة والكوفة . (Kofler: WZKM xlviii: 264)(٣)

والذين يدركون مضمون مصطلح لهجة بوضوح أكثر ليسوا دائماً على حق في تطبيقه .

---

(١) يشير إلى ما جاء في شرح الكافية للأستراباذي ٣٢،٣١/٢ :

«وأما قولهم هولاء في :

تجلّدْ لا يَقُلْ هولاء هذا ... بكى لما بكى أسفاً وغيظاً

«فليس بلغة بل هو تخفيف هؤلاء بحذف ألف ها وقلب همزة أولاء واواً» . (المترجم)

(٢) يشير إلى ما جاء في همع الهوامع شرح جمع الجوامع ٣٧/١ للسيوطي : «وزعم قوم أن صرف مالا ينصرف مطلقاً أي في الاختيار لغة لبعض العرب ، حكاها الأخفش قال : «وكأن هذه لغة الشعراء لأنهم قد اضطروا إليه في الشعر فجرت ألسنتهم على ذلك في الكلام» . (المترجم) .

(٣) و : WZKM اختصاراً أي : (Wiener Zeitschrift die Kunde des Morgenlands).

وفي أثناء مناقشة رأي الفراء أن «منذ» مكونة من «مِن» واسم الموصول «ذو» يعترض ابن يعيش[1] قائلاً : إن العرب يستعملون منذ ، وطيء وحدها تستعمل ذو . كيف يكون في كلمة ، يستعملها الجميع ، عنصر محصور الاستعمال في لهجة قبيلة واحدة؟ (ص١١٠٣) بالرغم من منطقيته . إلاّ أنه كان مخطئاً .

٥- ١٥ - إن كمية لا بأس بها من معلوماتنا عن اللهجات يتألف من نمط شذوذ الناس اللغوي رغبوا في عزوها لجيرانهم . وفي الوقت الذي تحتوي على لبٍّ الحقيقة فإنها بلا شك تغلب عليها المبالغة والغموض و تشبه الروايات الشعبية «لويلش» الثاني أو الاعتقاد الفرنسي بأن الألمان ينطقون الصوتين p ، b كل منهما في موضع الآخر . كثير من اللهجات أخذت اسمها من الألقاب الشعبية التي تطلق على أصحابها لوجود صفة لافتة للنظر عندهم مثل الغمغمة[2] ، العجرفية[3] ، العجعجة[4] ، والرُّتَّة[5] ، الخ ، ومعظمها عند تحليلها لا تعني أكثر من : الصراخ ، الجأر بصوت عال ، العويل ، كلام غير مفهوم (هذيان) أو أشبه ، نوعاً ما ، بالنعوت والألقاب (كما يحدث تماماً في ألمانيا حين تُتّهمُ كلُّ منطقة من قِبَل المناطق الأخرى بالغناء والصراخ) .

ولم يطب ذلك لعلماء اللغة بشكل كاف ، الذين يتوقون إلى تقليل غموض المصطلحات لتقريبها من التفاصيل النحوية الصرفية الواقعية . أو حينما لا تتوافر الملامح المناسبة ،

---

(١) يشير إلى ما جاء في شرح المفصل (٤٤/٨ط عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة المتنبي القاهرة) عن «منذ» وذهب الفراء إلى أنها مركبة مِن مِن وذا التي بمعنى الذي وهي لغة طيء نحو قول اشاعر :

فإن الماءَ ماءُ أبي وجدّي وبئري ذو حفرتُ وذو طَوَيْتُ

. . . ومما يبطل قول الفراء أن ذو بمعنى الذي إنما يستعملها بنو طيء لا غير ، ومنذ يستعملها جميع العرب ، فكيف يركبُون كلمة يستعملها جميعهم من كلمة مختلف فيها بينهم» . (المترجم)

(٢) هي أن تسمع أصواتاً ولا تحدد فيها الحروف ولا يبين الكلام وتنسب لقضاعة . (المترجم)

(٣) هي تحويل الياء جيماً وتنسب لقضاعة أيضاً كقولهم في عليّ وعشي : علج وعشجٌ . (المترجم)

(٤) هي الجفاء في الكلام وتنسب لضبة . (المترجم)

(٥) لم يُحَدّد لها في اللسان معنىً واحداً وإنما قال في قال في باب رتت «هي عجلة في الكلام» ، وقيل قلب اللام ياءً ، وقيل هي العجمة في الكلام قيل الأرتُّ هو الذي في لسانه عقدة وحُبْسة ، ويعجَل في كلامه فلا يطاوعه لسانه . (المترجم)

يلجؤون تقريباً إلى ابتداع مصطلح . وقد اصطنع مصطلح عنعنة تميم ليشير إلى حقيقة أن هذه القبيلة تقول «عن» بدلاً من أن . وعليه فإن عجعجة قضاعة وطيء يجب أن تعنى أنهم يقولون عجْ بدلاً من عَيْ . وهذه المصطلحات أصبحت عدة الصانع لعامة اللغويين . والاتجاه العام للهجات قد تمركز حولها . ويمكن العثور على كمية لا بأس بها من القيم التقليدية معزوّة إلى هذه الأسماء ، في مقال «اللغات والّلثغات» لبير أنستاسي Pére Anastase المنشور في مجلة المشرق ٥٢٩/٦– ٥٣٦ ، ٥٨٩– ٥٩٣) .

p– ١٦ – وهكذا سيكون ، في كل مصدر للمادة التي سنعوّل عليها ، أسباب عملت على تزييف المعلومات ، والتقليد الذي اتبع فيما بعد بنسخ الأخبار من قبل كل كاتب عن سلفه ، هو الآخر مسؤول عن قدر كبير وغير محدود من معرفتنا للهجات ، وفي بعض المناسبات كنا نجد المؤلفين يكذّب بعضهم بعضاً تكذيباً صريحاً ، سواء في وصف الظاهرة أو في عزوها للقبائل . إن أسماء القبائل المتشابهة نطقاً أو كتابة غالباً ما كان سبباً في التشويش ، خاصة إذا لم تكن تعني شيئاً كبيراً بالنسبة لعلماء اللغة المتقدمين وقد وضع فريتاج Freytag (Einführung, p.76) قائمة بالمظاهر اللهجية لقبيلتي الأَزد ، والأَسْد تحت عنوان واحد . وبعض الخلط وجدته مصادفة بين هذيل وحنظلة (فرع من تميم) وبين اليمن وتميم . مثل هذه الأخطاء لم تتكرر كثيراً ويمكن اكتشاف معظمها بسهولة .

q – ١٧ – والأكثر إزعاجاً من هذه ، بالنسبة لغايتنا ، هو الميل إلى استبدال تجمع قبلي كبير بآخر صغير . وعليه غالباً ما كنا نجد أسماء لفروع من تميم ، التي يظهر أن لهجاتها قد اختلفت بشدة إلى حد ما ، ألحقت بتميم أو بكنانة ، خزاعة ، المدينة ، العالية ، الخ قد ألحقت بالحجاز . وهذا الأمر مزعج بوجه خاص حين يقطع مثل هذا التجمع الواسع الحدود الفاصلة بين اللهجات ، كما في حالة قيس التي يتضمن تحالفها متكلمين للهجات الغربية والشرقية . ولكن مما لا يقبله العقل هو استعمال اللهجة اليمنية في عدة أجزاء من الجزيرة العربية من قبل قبائل تدعي أنها ذات نسب يماني . والنهج الأكثر تكراراً هو أن نجد استعمالات مجموعة غرب الجزيرة تحت اسم الحجاز ، ومجموعة قبائل شرق الجزيرة تحت اسم تميم . وقديماً فعل ذلك سيبويه بتوسع والسيوطي يسمى الفصل الذي يعالج اللهجات في المزهر (١٧٥/٢–١٧٨) «الفروق بين لهجات الحجاز وتميم «بالرغم من أنه في أعماله الأخرى لم يكن ميّالاً إلى هذا التشقيق . وحين يخالف استعمال إحدى

المجموعتين العربية الفصحى غالباً ما تعزى الصيغة الفصحى وببساطة ، إلى المجموعة الأخرى . لأن «ما» في حالة نصب الخبر تسمى حجازية و «ما» في حالة رفعه تسمى التميمية . (ابن مالك التسهيل ص٢٢) والتميميون يصرفون هلمّ ، بينما هلمَّ غير المتصرفة من عمل اللهجة الحجازية (الأستراباذي ، الكافية ٧٢/٢) .(١)

r- ١٨ - بينما يجري تخليص هذه المصادر من الأخطاء ، وتطبيق النقد المطلوب على الأخبار التي تزودنا بها المصادر العربية يجب أن نكون على حذر من الوقوع في الخطأ المضاد باعتقادنا أن المعلومات لا غناء فيها . وآمل أن أكون قد عرضت في هذا الكتاب هذه المعلومات بإجمال ، يتناسب مع نظام متماسك من التوزيع الجغرافي . ويجب علينا ، قبل كل شيء ، أن نكون حذرين من رفض أية صيغة بسبب كونها فريدة . وغالباً ما تبدو في الظاهر منافيةً للعقل وبتقليبها على وجهها الصحيح تصبح مستحسنةً . فقد رفض موللر (D. H. Muller, Südarabische yeminite p21) ، عام ١٨٧٧م أداة النفي الحميرية دو du مثل :im semitischen undenkbarبينما هي في الحقيقة أكثر المظاهر أصالة في اليمينية الجنوبية . ومما لاشك فيه أننا نمتلك كتلة متماسكة من المعلومات نشأت من الملاحظة . وتبقى علينا مراجعة طبيعة هذه المعلومات ومصدرها .

s- ١٩ - إن كثيراً من الأخبار التي بحوزتنا قد صيغت بطريقة تدل على الاتصال الشخصي بمتكلمي اللهجات والعبارات التي تدل على ذلك مثل : سمعت رجلاً من القبيلة يقول . . . . ، أخبرني رجل من القبيلة أن استعمالهم كان كذا كذا ، وتتكرر باستمرار . وغالباً ما تُعطَى تفاصيل دقيقة عن عصر الراوي ، وعن ظروف اللقاء به . والمثال التالي دال على ذلك : ينقل «أبو عُبَيْد (٢٢٣هـ/٨٣٨م) عن الحسن : أننا لم نعرف ماذا تعني كلمة الأرائك حتى قَابَلْنا رجلاً من اليمن فأخبرنا أن أهل بلاده يستعملون الأريكة لتدل على الظُّلّة التي يُنْصب تحتها سرير

(١) إشارة إلى ما جاء في الكافية ٢٧/٢-٣٧ عن «هلمّ» : «لم يتصرف فيه أهل الحجاز مع أن أصله التصرف» يقصد الفعل لُمّ باعتبار أن هَلُمَّ مركبة من هاء التنبيه مع الفعل لُمَّ كما يقول الخليل . « . . . وبنو تميم يصرفونه نظراً إلى أصله وليست بالفصيحة نحو هلمَّا ، هلموا . .» (المترجم) .

الزفاف . (السيوطي ،الإتقان ص٣١٠)[١] . وقصة أخرى ممتعة وهي : أن أبا عمرو (١٥٤هـ/٧٧١م) حين أراد أن يحسم مسألة ثار حولها جدل أرسل رسولين ليلقِّنا الحجازي والتميمي تركيباً معيناً . وأصرَّ كل منهما على لهجته الخاصة ولم تُجْدِ معهما أية وسيلة ليعترف كل منهما باللهجة الأخرى (ابن هشام ، المغنى ٢٢٧/١)[٢] . وهذه القصة ، مشكوك في أمرها حقاً ليس فقط للافتراض المسبق أن البدو في القرن الثاني الهجري ما زالوا يتكلمون لهجة فصيحة ، ولكن أيضاً لأنها تبالغ كثيراً في فكرة أن البدوي لا يطاوعه لسانه أن ينطق تعبيراً خاطئاً ، (الخزانة ١٣٠/٢) .

ويجب أن نعترف بالحيرة نفسها أمام مقولة الجَرْمي (٢٢٥هـ/٨٤٠م) التي جاء فيها : «لقد خرجت من خندق الكوفة وقطعت الطريق كلها إلى مكة ولكنني لم أسمع أحداً يقول بغير النصب في التركيب : اضرب أيُّهم أفضلُ» . (الأستراباذي ، الكافية ٥٧/٢)[٣] هذه الافتراضات المسبقة حول النهايات الإعرابية كان اتجاهاً عاماً في أواخر القرن الثاني

---

(١) والخبر في الإتقان (٣٣١/١ ط٢) ، طبعة البابي الحلبي وأولاده كما يلي بنصه . «وأخرج أبو عبيد عن الحسن قال : كنا لا ندري ما الأرائك حتى لقينا رجل من أهل اليمن فأخبرنا أن الأريكة عندهم الحجلة فيها السرير «والحَجَلةُ كما جاء في اللسان مادة حَجل مثل القبّة ، وحَجلة العروس بيت يزين بالثياب والأسرة والسُّتور ، أو بيت كالقبّة يستر بالثياب . (المترجم)

(٢) يشير بذلك إلى اقتران خبر ليس بإلاّ نحو : ليس الطيبُ إلا المِسكُ حيث جاء في المغني (٣٢٥/١ ط دار الفكر) : فإن بني تميم يرفعونه (أي الخبر) حملاً لها على ما في الإهمال عند انتقاض النفي ، كما حمل أهل الحجاز ما على ليس في الإعمال عند استيفاء شروطها ، حكى ذلك عنهم أبو عمرو بن العلاء ، فبلغ ذلك عيسى بن عمر الثقفي فجاءه فقال : يا أبا عمرو ما شيء بلغني عنك ؟ ثم ذكر ذلك له ، فقال له أبو عمرو : نمت وأدلج الناس ، ليس في الأرض تميمي إلاّ وهو يرفع ، ولا حجازي إلاّ وهو ينصب . ثم قال (أي أبو عمرو) لليزيدي ولخلف الأحمر اذهبا إلى أبي مهدي (حجازي) فلقناه الرفع فإنه لا يرفع ، وإلى المنتجع التميمي فلقناه النصب فإنه لا ينصب ، فأتياهما وجَهِدا بكل منهما أن يرجع عن لغتة فلم يفعل . فأخبرا أبا عمرو وعنده عيسى . (المترجم)

(٣) قد جاء في الكافية ٥٧/٢ : «قال الجَرْمي خرجت من خندق الكوفة حتى أتيت مكة فلم أسمع أحداً يقول في نحو : اضْرب أيُّهم أفضل إلا منصوباً» . والمؤلف رابين يقول حسبما جاء في الهامش : إنه من الطبيعي أن يتردّد في قبول الخبر الذي يقول : إن نعم وبئس تؤنث بالتاء في كل اللهجات . (المترجم)

الهجري ، وبقليل من المنطق سيداخلنا شك في أن تكون هذه الأقوال قد حصلت من الأشخاص الذين تُعْزى إليهم ، أو إنها نطقت بجدية كاملة . وقد أوضحوا نقطة في منتهى الأهمية بالنسبة لموضوعنا : وهي أن خداع النفس في المسائل اللغوية لم يكن أقل قوة بين العرب في القرن التاسع الميلادي(1) منه بين رجال الأدب والمعلمين في وقتنا الحاضر في أوروبا وأي مكان آخر .

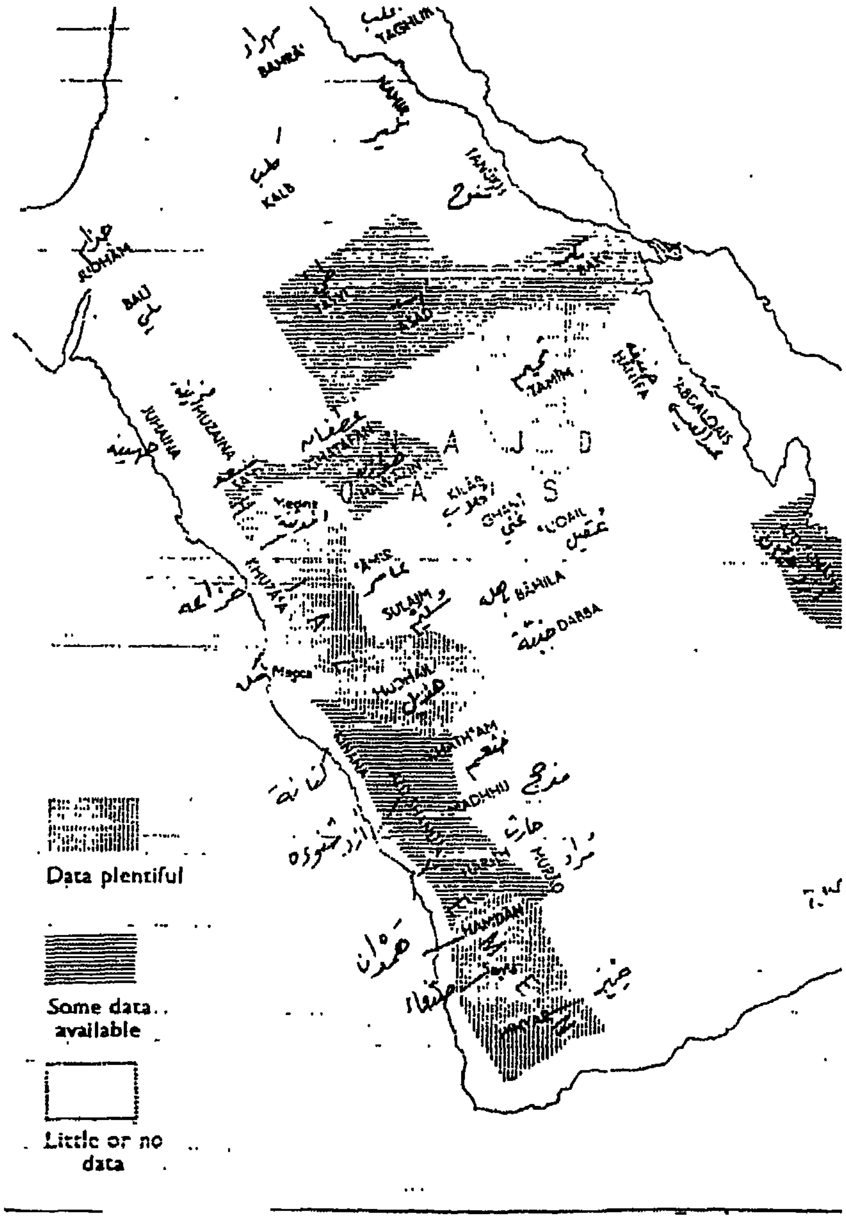
t- ٢٠ - إن كثيراً من المعلومات حول اللهجات يحتمل ألاّ تكون قد جمعت في البادية ولكن في المدن العراقية التي كان يعيش فيها البدو ، وكان لهم احتكاك بالمدارس اللغوية . وإن فلوجل (Flügel (Grammatische Schulen, p. 45 seq يضع قائمة لمثل هؤلاء المساعدين من المواطنين ، ومعظمهم كانوا يُقْبلون من قبائل شرق الجزيرة العربية .

إن اللهفة التي كان يُستَقبَل بها هؤلاء الوافدون من البادية توحي بأن معظمهم قد فقدوا اتصالهم بالكلام البدوي الحي (Gold3iher, JRAS,1897, p.326, note 1) والمشهور عن هؤلاء البدو أن تزويدهم محاوريهم بالأخبار والمعلومات التي يرغبون فيها كان مشروطاً بالعطاء الملائم (ابن هشام ، المغني ٨١/١ ، طه حسين ، الأدب الجاهلي ، ص١٨٠) . ولا يوثق بالطبع ، على وجه الخصوص ، بالمواد التي تخص لهجات غير لهجاتهم . تجدر الإشارة إلى أن أسماء هؤلاء الرواة نادراً ما تظهر في الأخبار . كذلك لم يُذكروا قط في المعلومات التي ترتبط بمواد العربية الفصحى . ومن الواضح أنه لم يكن مطلوباً من اللغوي أن يعيّن موطن مصدره .

u- ٢١ - ومصدر آخر لم يُذكَر قط ، ويحتمل أن يكون من الأهمية بمكان ، وهو ما تتناقله الأسر العربية في أماكن عدة من الكلام القديم المنسوب إليهم من لغات غريبة تنسب لذويهم المعمّرين ، وتعبيرات متداولة في الأسر العريقة التي تفخر بتراثها القَبَلي . ومن الجليّ أن هذا الأمر مصدر غير وثيق جداً للمعلومات ، كالكلام المستقل الواقع تحت تأثير اللهجة السائدة حوله . ولكن هذا المصدر قد يلعب دوراً أكبر بمساهمته في تجلية الخصائص البارزة للهجات .

v- ٢٢ - سيكون من الصعب ، إن لم يكن مستحيلاً ، الكشف عن الأسباب التي حَدَتْ باللغويين أن يكتفوا بتسجيل الخصائص البارزة للهجات . وقد تم هذا الأمر بدون

(١) أي القرن الثالث الهجري .



خريطة رقم ٢ – معلوماتنا عن اللهجات العربية – فصل ٢ – فقرة aa .

تنظيم ، ولم يعدّوا ، مطلقاً ، هذه اللهجات شكلاً صحيحاً من أشكال الكلام الذي بحوزتهم ، ولكنها مجموعات غريبة أو لافتة للنظر باعتبارها منحرفة عن اللغة الأدبية ، والمعيار الذي قاسوا عليه معلوماتهم كلها هو العربية الفصحى . ونستطيع أن نتبين بوضوح تام أنهم فشلوا في رؤية أي شيء لم يقع في فصائل[1] تلك اللغة الفصحى ومفاهيمها ، ولكن حتى لو سلّمنا بهذا التحديد فإنه ستظل كمية كبيرة من الصيغ والاستعمالات اللهجية مما نتعلمه بطريقة غير مباشرة ، مما يطرق سمع العربي ؛ لم يحظ بالتسجيل . وكدليل على ذلك تلك الطريقة العرضية والخادعة التي قدّم بها مميز لهجي مهم في المعجم مثل – كُ[2] الحِمْيَرية التي تلحق بفعل المفرد المتكلم ، حيث لم يذكر اللغويون عنه شيئاً مطلقاً . وربما يكون السبب الوحيد لذلك هو أن اللغويين العرب لم يكن لهم اهتمام حقيقي بل يمكن أن نصف اهتمامهم بأنه عرضي ، ثانوي ولم يعطِ الاهتمام الكافي لا من الصرف ولا من النحو . ونخلص إلى نتيجة مفادها أنه لدينا قدر كبير من المعلومات في مواقع ثانوية من الاستعمال اللهجي ، ونالت مصادفة ، تقعيداً أساسياً بنظرات غير فاحصة .

ولا نستطيع أن نعيد بناء الجذر التام لأية صيغة في أية لهجة . ونادراً ما يمكننا القول بالتأكيد إن هذه الكلمة قد اكتملت وكيف تَمَّ نطقها . والنظرات الخاطفة التي حصلنا عليها تبرهن على أن هناك فروقاً شاسعة مستغلقة علينا بحيث لا يحتمل أن ينكشف أمرها لنا .

w- ٢٣ – لن يكون كافياً التأكيد أنه لا يمكننا أن نمتلك جملة فريدة في لهجتها الأصلية بعيداً عن الحِمْيَرية . والشواهد التي نجدها في مصادرنا في كثير من الحالات ، بلا شك ، من صنع اللغويين ، وأنها لم تُسْتَقَ من أفواه الناطقين باللهجات . وحيثما تكون الجمل مقتبسة من كلام واقعي ، نجد الكلمة أو الكلمات الأساسية فقط في صيغتها الأصلية ، ونجد البقية قد أعيدت صياغتها حسب قواعد اللغة الأدبية .

---

(١) ما يسمى باللغة الإنجليزية Categories

(٢) وهذه لهجة معروفة في اليمن حتى وقتنا هذا حيث سمعت في نواحي مدينتي تعز وإب : قاتُلْكْ لَكْ اي قد قلتُ لك/ وأَخَذْكُ اي أخذت ، وحَفَّظكها الدرس أي حفَّظتها الدرس ، وهكذا . (المترجم)

وعلينا أن نتذكر أنه في كثير من الأحوال لم يكن في إمكان طريقة الكتابة العربية التعبير عن الأصوات اللهجية ، كما هي الحال الآن حيث لا تفي هذه الطريقة بكتابة اللهجات الدارجة . وظلت عملية تسوية هذا الأمر منوطة بالنسّاخ .

x- ٢٤ - بعيداً عن أمثلة علماء اللغة ، علينا في كثير من الأحوال أن نتعامل مع الشعر والقرآن الكريم . وكلاهما من المصادر غير المباشرة التي يمكن استعمالها فقط بيقظة تامة ، لأنهما من النصوص الفصيحة التي ترد فيها الملامح اللهجية دون قصد للانحراف عن الأصل الذي ينسج على منواله المؤلفون أنفسهم . وإنَّ ما نحصل عليه ليس لهجة خالصة وإنما لغة وسطى بين اللهجة والعربية الفصحى . وإن النُسّاخ والتعديل المنتظم من علماء اللغة قد عملا في نصوص الطرفين إلى أبعد مدى على إخفاء صفة المحلية فيها . واللهجة في هذه النصوص تلعب دوراً مشابهاً جداً لدور اللغة الكنعانية في رسائل تل العمارنة . أن الاستخلاص الناجح لكثير من ملامح الكنعانية القديم من خلال تلك الرسائل يشجعنا على التعامل مع المواد اللغوية العربية .

y- ٢٥ - والمشكلة الخاصة التي تواجهنا في الشعر هي مسألة الموثوق به . وليس من المستحسن كثيراً إقامة قواعد لغوية على شعر لم يقله أحد أفراد القبيلة التي يمثلها الشاعر المحتج بشعره . وربما تزودّنا يوماً ما معرفتنا باللهجات والتنوّعات الإقليمية للعربية الفصحى بمعيار لغوي عالي الكفاية للحكم على موثوقية النثر أو الشعر . وفي الوقت الحاضر نقبل المادة الشعرية فقط باعتبارها شاهداً تراكمياً[١] وما زالت الدراسات التمهيدية الضرورية تَفتقر لمثل ذلك .

وحبذا لو استطاع كل محقق للشعر القديم أن يزوّدنا بدراسة متأنية ودقيقة للغة شاعره كما فعل شوارتز (Shwar3) في تحقيقه لشعر عمر بن أبي ربيعة . مثل هذه الدراسة لا تكمن قيمتها في ترقية الدراسات اللغوية العربية كليةً ولكن لأنها تجعل من التحقيق نفسه أنموذجاً يقاس عليه . والأشعار المقتبسة في هذا الكتاب غالباً ما تكون شواهد استعملها اللغويون

---

(١) أي كلما تكرر استعمال لغوي كثيراً في أعمال شاعر كان أقل عرضة للتزوير . (المترجم)

أنفسهم ، استخدمت باعتبارها أمثلة[1] وليس باعتبارها حجةً على وجود الظاهرة التي تمثلها . ولهذا السبب ، وفي معظم الحالات ، لا يهم كثيراً ما إذا كانت أصيلة أم لا .

z- ٢٦ - ولا يتغير حديث علماء اللغة عن الوحدات اللهجية الثابتة . فمكة والمدينة والطائف مراكز تندر فيها اللهجات ، أو هذه وحدات قبلية صغيرة خصوصاً في حالتي تميم وأسد ، ولكن في معظم الأحوال حين يكون الحديث عن قيس وتميم فإنه يقال تجمع قبلي كبير ، أو تحالفات قبلية ، أو مناطق واسعة يصعب تحديدها مثل : اليمن ، الحجاز ، نَجْد ، تِهامة . وإننا بكل تأكيد لا نرضى بالمطلب الأساسي للجغرافيا اللغوية ، الذي يجعل من المكان أساساً للتقسيم اللغوي ، ولا نستطيع رسم الحدود الفاصلة بين الخصائص اللهجية المتنوعة ، إن بحوث الجغرافيا اللغوية قد أظهرت أن اللهجات نادراً ما تحتفظ ببقائها طويلاً والكلام المحلي يختلف من قرية إلى قرية . وبالصدفة فقط قد يجد أحدنا مجموعات ذات حدود فاصلة واسعة بشكل كاف ؛ تعطي شعوراً بأن هناك حداً لغوياً فاصلاً . والوحدة اللغوية للعربي البدوي هي الحي ، حيث تعيش مجموعة من العائلات معاً كل منها بعيدة عن القبيلة التي تنتمي إليها . ولم يثبت بشكل لا لُبس فيه أن القبيلة تشكل وحدة لغوية ، وفيما يتعلق بالوحدات الجغرافية الواسعة ، من المؤكد غالباً أن الحدود اللغوية تمر عبرها . وعليه فإنه لا يمكننا إلاّ الموافقة على تمركز مادتنا كما هي . والجغرافيا اللغوية في الجزيرة العربية فيها شذوذ إضافي وهو أن الوحدة اللغوية غير مستقرة ، ولكنها تتحرك غالباً عبر مساحة شاسعة . والمراكز الموجودة على خرائطنا ليست إلاّ علامات تخطيطية وأكثر ما يبدو خطأً بعضها حين يكون إدراكها غير محدّد ، إذ ليس لدينا خريطة جغرافية دقيقة للقبائل في الجزيرة العربية .

aa- ٢٧ - ولدينا معلومات وافرة بشكل ملائم عن ثلاث مناطق فقط في الجزيرة العربية هي : الحجاز وذلك ممكن في المدن المقدّسة ، واليمن وتميم . وبالنسبة للمناطق

---

(١) والحقيقة في هذا الأمر عند اللغويين أن ما استعمله اللغويون من أمثلة يعتبر شواهد لغوية وحجة للظاهرة ما دام الشاهد قد ورد في عصر الاحتجاج- ١٥٠هـ في الحضر- ٣٥٠ هـ في المدر ، وصدر في قبيلة يحتج بشعرها أو بلغتها وهي القبائل التي حدّدها الفارابي في كتابه وصف الحروف وهي : قيس وتميم وطيء وهذيل ثم بعض كنانة . (المترجم)

الأخرى لدينا بعض المعلومات التي تسمح لنا بالتعرف على الخصائص العامة للهجات المنطوقة هناك ، وبالنسبة لبقية اللهجات في شبه الجزيرة العربية لدينا معلومات قليلة جداً بحيث يمكن اعتبارها مجهولة لنا تماماً ، (انظر خارطة رقم ٢) ولحسن الحظ فإن لهجات غرب الجزيرة تقع كلها ضمن الصنفين الأول والثاني . والثغرات ، نوعاً ما ، مؤلمة حقاً ، وتشمل قبائل قضاعة التي كانت على اتصال وثيق باللغات السامية الشمالية وتغطي المنطقة التي وجدت فيها كل النقوش التي تخص المرحلة السابقة على استقلال العربية عن السامية الأم ، لدرجة أننا لم نتمكن من الحصول على أية مساعدة لفهم أفضل لهذه الوثائق القديمة . والأسوأ من ذلك أنها تحتوي تقريباً على كل اللهجات المركزية العربية التي يمكن أن تكون هي الأساس للعربية الفصحى . إن فقدان الاهتمام قد كشف عن أمر مثير للدهشة هو أن معظم الشعراء القدامى وأهمهم قد أتوا من هذه المنطقة . وهناك تفسيران يقدّمان أنفسهما أحدهما أنه من القرن الثاني إلى القرن الرابع لم يكن سهلاً على المقيمين في المدن أو البلدان إقامة اتصال مع البدو في هذا الجزء البدوي من الجزيرة العربية ، وأما الثاني فبسبب أن هذه اللهجات قد أبرزت العربية الفصحى وإن اختلافها عن الفصحى لم يكن لافتاً للنظر بشكل كاف ليجذب الانتباه .

الفصل الثالث

آراء في أصول العربية الفصحى

a- ١ - إن معرفتنا غير الوفيرة باللهجات القديمة هي السبب إلى حد بعيد في أن الآراء حول العلاقات بين هذه اللهجات والعربية الفصحى تعتبر من قبيل الظن والتخمين فنولدكه (Noldeke, Beeiträge p. 1- 14) وفي(Semit. Sprachen 2nd ed. p. 54- 55, td) اعتقد أن الفروق بين اللهجات المنطوق بها في الأجزاء الرئيسة من الجزيرة العربية (وهي الحجاز ونجد وفي منطقة الفرات) كانت بسيطة ، وإن قواعد اللغة الأدبية قد أقيمت اعتماداً عليها كلها بشكل متساو . وأما جويدي Guidi (Misc Ling. G. Ascoli, Torino 1901,p.323) فقد اعتقد أن العربية بالفصحى خليط من اللهجات المنطوقة في نجد والمناطق المجاورة ، ولكنها لا تتطابق مع كل واحدة منها على حدة . وأما نالينو Nallino (Scritti, vi,188= Hilâl, xxvi 1917 p.47) فيربط نشوء العربية الفصحى بمملكة كندة ؛ حيث اعتقد أنها اللغة الدارجة التي كانت تنطق بها قبائل معدّ المتحالفة في تلك الدولة . وأما فيشر Fischer (ZDMG,) lix , 662, note 4) فيرى أن هناك تشابهاً وتماثلاً بين العربية الفصحى وبين إحدى اللهجات ، ولكنه لم يعيّن هذه اللهجة . وهو ما يتفق في جوهره مع رأي هارتمان Hartman (OLZ, xii, 23) وأما فولرز(Volksj Sprache p. 184) Vollersفأطلق افتراضاً مفاده أن العربية الفصحى قد أقيمت قواعدها على وجه الخصوص على لهجات نجد واليمامة التي غيّرها الشعراء كثيراً ، وفي الوقت نفسه كانت تجري على الألسنة لغة مختلفة في سائر أنحاء الجزيرة وهي لغة السلف التي تحضرت وأصبحت حديثة ، وهي التي نزل بها القرآن الكريم ، وأعيدت كتابته بأسلوب العربية الفصحى(١) وأما بروكلمان

(١) إن هذا الادعاء الذي يطلقه فوللرز بأن النحاة هم الذين اصطنعوا ظاهرة الإعراب التي لم يكن لها وجود حقيقي في مكة ، في رأيه ، قد وجد من المستشرقين من يرد عليه مثل نولدكه الذي أثبت أن النهايات الإعرابية لا يمكن أن تكون من صنع النحاة ، وما قاموا به إنما هو تسجيل لما وجدوه في الشعر الجاهلي والإسلامي . وإنّه من الخطأ الشنيع كما يقول نولدكه ، الاعتقاد بأن اللغة الحية في عهد النبي لم يكن فيها الإعراب فإن العلماء في عصر هارون الرشيد قد وجدوا الإعراب بكل دقائقه لدى البدو .

Brockelmann (GVG, i,23) مثل فتزشتاين (Wet stein) وآخرون قبله ، فيصرح بأن العربية الفصحى لم تنطق قط بالشكل الذي نعرفه ، ولكنه لم يناقش علاقتها باللهجات . وأما لندبيرج Land berg- (Provt. et Dictions, i,xxvii) فيقول قد نُطِق بها (on ne Saitqunad) ولكن قواعدها الصرفية النحوية قد تضخمت بسبب أعمال الشعراء وأما إبراهيم أنيس (في كتابه اللهجات ص ٢٨) فينكر أن العربية الفصحى تتطابق مع أيٍّ من اللهجات . ومارسيز (Marcais) اقتباساً عن فليش Fleisch ، (المقدّمة ص٩٩) يقارنها بلغة هومر المصطنعة المتكلّفة .

b- ٢ - وينبثق أحياناً سؤال عن كل ذلك ، وإن كان بعيداً عن الأسئلة التي تدور حول أصول العربية الفصحى ، وهو عن الدور الذي لعبته في النظام اللغوي في فترة ما قبل الإسلام : وهناك اتفاق راسخ بين علماء من أوروبا يرى بأنها كانت لمعظم الذين استعملوها أو كلهم من أجل كتابة الشعر ، وكانت بالنسبة لفريق آخر لغة أجنبية يجب اكتسابها . وبناء على هذا الاعتبار كان الحال بين البدو القدماء كحاله بين عرب أيامنا هذه الذين يؤلفون شعرهم بلهجات مهجورة وغالباً ما تكون غريبة ودخيلة Socin, Diwan Aus Zentralarabien, iii,71, (Doughty, Travels, ii,27, etc) وفي البلاد التي استوطنها العرب كانت اللغة أشبه بالطريقة البدوية (Cantineau, parlers, p. 4, note)تماماً كالتي كانت في الحجاز أيام محمد [ﷺ] .

c- ٣ - ولكن علماء المسلمين يتبنّون وجهة النظر المضادة ، وإن بينهم اتفاقاً أساسياً يرون فيه أن العربية الأدبية تطابق اللغة التي كان يتكلم بها البدو . وأن العربي البدوي هو الحكم النهائي للعربية الصحيحة . ولا يطاوعه لسانه على الخطأ حتى ولو أراد ذلك . وكلما كان حظه من الحضارة أقل كان أفضل . وأفضل متكلمي العربية أكثرهم إيغالاً في البداوة ، ويقال في المثل العربي (أفصح العرب أبرُّهم ، لسان العرب مادة برر) . والفراء اللغوي (٢٠٧هـ/٨٢٢م) عنّفه بدوي لدراسته اللغة على يدي اللغوي المشهور يونس بن حبيب بينما كان في إمكانه أن يتعلمها بصورة أفضل من أعراب أسد الذين أقاموا إلى جوار بلده المقيم فيها (Noldeke, Beitrage p. 5) ويجزم أبو قِلابة الجَرْمي أنه لم يرَ أكثر دقة في العربية من أعراب الحارث الذين قابلهم في مكة (المبرّد ، الكامل ص ٤٣٤) . والفصاحة البدوية كانت

موضوعاً لنوع أدبي في كتاب الأمالي لإسماعيل بن القاسم القالي (ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م) ، ويبدو أن الرأي القائل بالأفضلية اللغوية البدوية كان نتيجة طبيعية للنظرية التي تعزو كل شيء غير صحيح إلى تأثير اللغات الأجنبية من كلام غير العرب . وقد كان هذا طرفاً من المثالية العامة للمجتمع المسلم التي تشبه الميل الشديد إلى المثالية في المجتمعات التي تمدّنت بعد مرحلة بدائية . وكان هذا الأمر مستساغاً إلى حدّ ما بسبب ثراء كلام الأعراب وقدرته البلاغية السليقية ، وبسبب الحقيقة التي يؤكدها هذا الشعر التقليدي العربي الفصيح الذي ظلت القبائل تحافظ عليه لعدة قرون . كما يُستدلُّ على ذلك بديوان هذيل . وإن هناك قليلاً من الشك في أن اللغة التي يتكلمها البدوي مختلفة عن اللغة الفصحى . وإنه من الصعب أن نفهم لماذا لم يحاول العلماء إدراك هذا الأمر؟ وربما كانوا قادرين على تجريد أذهانهم من الأعراب الذين احتكوا واختلطوا بهم ، مع التركيز على بعض الأعراب المثاليين . حتى يومنا هذا يجد الرحّالة في الجزيرة العربية من يخبره أن هناك قبائل في وسط الجزيرة ما زالت تتكلم بالعربية الفصحى الخالصة . ومهما يكن من أمر فقد تكون الأسباب التي تدعو لمثل خداع النفس هذا قد وجدت . ولا يوجد أدنى شك في أن التشابه الأساسي بين العربية الفصحى وبين الحديث اليومي لبعض العرب كان الدافع الرئيسي لاشتغال العلماء العرب بهذه القضية .

d- ٤ - وفيما يتعلّق بأصل العربية الفصحى كانت آراء العلماء العرب منقسمة كآراء الأوروبيين . ولو قدّمنا هذه الآراء حسب تطورها الزمني ، يجب ألاّ يؤخذ مثل هذا التقديم المتنوع على أنه تتابع تاريخي ، وأن كل رأي سابق قد هُجِر وحل محله رأي لاحق . وأعْتَقِدُ ، بالرغم من أنني لا أملك المادة الكافية للبرهنة على هذا الاعتقاد ، أن مدارس التفكير الثلاث التي سنصفها في الفقرات التالية قد تبعت ، في الحقيقة ، كل واحدة منها الأخرى على مدى جيل أو اثنين خلال القرن الثالث الهجري . وقد عرفناها عن طريق الأعمال المتأخرة ، حيث وردت وجهات النظر الثلاث جنباً إلى جنب دون أية محاولة للحكم عليها . وعليه يبدو أن المؤلفين المتأخرين يحفظون عدة آراء في وقت واحد . وتطوّرت كل وجهة نظر فيما بعد ، وإن كل واحدة منها قد صيغت بشكل يخفي شبهها بالأصل الذي كانت عليه .

e- ٥ - في باديء الأمر يبدو أنه قد أصبح مألوفاً بأن اللغة الأدبية المستعملة في القرآن الكريم تضم لهجات مختلفة ، وقد وضع أبو عبيد (٨٣٨/٢٢٣) في رسالته مجموعة من كلمات هذه اللهجات ، حيث ضمّن وجهة نظره هذه في مقدمة رسالته كالآتي : إن بعض القرآن الكريم قد نزل بلهجة قريش ، وبعضه بلهجة هذيل ، وبعضه الآخر بلهجة هوازن ، وبعضه بلهجة اليمن . . . الخ وبعض اللهجات لها القسط الأوفر في القرآن الكريم دون غيرها»[1] . (اقتبسها السيوطي في الإتقان ص ١١٠)[2] . كذلك يضع أبو بكر الواسطي في كتابه «الإرشاد في القراءات العشر» قائمة بخمسين لهجة (ص٥٠) وثماني لغات أجنبية ضمن ألفاظ القرآن الكريم» (اقتبسها السيوطي في الإتقان ص٣١٣)[3] .

ويبيّن ابن عبد البر (١٧٠١/٣٦٤) أن بعض الملامح العامة للنص القرآني مثل تحقيق الهمزة يتعارض مع ما نعرفه من لهجة الحجاز[4] . (انظر الإتقان) . وقد اعتبر ابن النقيب أنَّ هذا برهان على إعجاز القرآن الكريم حيث يقول : «الكتب الأخرى نزلت فقط بلغة القوم الذين أنزلت عليهم ، بينما القرآن الكريم يتضمن ألفاظاً من لهجات العرب جميعها ومن

---

(١) مما تجدر ملاحظته أن اللهجات التي ذكرت هي من لهجات غرب الجزيرة . وقد هيمنت أيضاً لهجات غرب الجزيرة على مادة الرسالة .

(٢) حيث ورد في الإتقان ٤٧/١ ، ط٢ البابي الحلبي : «وقال أبو عبيد ليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات بل اللغات السبع مفرقة فيه فبعضه بلغة قريش وبعضه بلغة هذيل وبعضه بلغة هوازن وبعضه بلغة اليمن ، وبعض اللغات أسعد به من بعض وأكثر نصيبا . (المترجم)

(٣) جاء في الإتقان ١٣٥/١ طبعه البابي الحلبي : «وقال أبو بكر الواسطي في كتابه الإرشاد في القراءات العشر في القرآن من اللغات خمسون لغة (عد منها : لغة قريش وهذيل وكنانة . . . وجرهم وتميم وحمير وعذرة وهوازن وغيرها) ومن غير العربية الفرس والروم والنبط والحبشة والبربر والسريانية والعبرانية والقبط» . (المترجم)

(٤) يقصد أن الحجازيين يسهلون الهمزة وقد جاء تحقيقها في القرآن الكريم مما يدل على أنه قد تضمن لهجات أخرى . والنص في الإتقان ١٣٥/١ كالتالي : «وقال ابن عبد البر من قال نزل بلغة قريش معناه عندي الأغلب لأن غير لغة قريش موجودة في جميع القراءات من تحقيق الهمزة ونحوها وقريش لا تهمز» (المترجم)

اللغات الإغريقية والفارسية والإثيوبية» (السيوطي٣١٦)[١]

f- ٦ - وقد حصل ليُّ عنق خفيف لهذه الفكرة التي جاءت في عبارة تُعزَى لابن عبّاس[٢] ، في أثناء شرحه للأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم وكأنها سبع روايات لهجية ؛ خمس منها بلهجات أعْجاز هوازن ، وواحدة بلهجة خزاعة ، وواحدة بلهجة قريش . (الطبري ، التفسير ٢٢/١) ومن المحتمل أن تكون الروايات باللهجات الأخرى قد فُقِدَت[٣] ، ولم يبق سوى لهجة قريش . وبهذه الطريقة تمثّل العبارة بحق المدرسة الثالثة في التفكير التي تسوّي بين اللغة الأدبية العربية وبين لهجة قريش . ويمكن أن تشير أيضاً إلى أن جميع اللهجات التي ذكرها ابن عباس في عبارته هي لهجات حجازية .

g- ٧ - وغالباً ما كانت هذه الآراء خاصة بالقرآن الكريم ودون شك قد أخذت اللغة الأدبية بوجه عام في الاعتبار ويصر ابن جني على الصفة الجامعة للعربية الفصحى باعتباره التفسير المعقول الوحيد لأنواع الإبدال والشذوذ في تشابه إعلال الصحيح وغير الصحيح (الخصائص ٣٧٩/١) وقد عبَّر الأنباري عن رأي مشابه خاصة فيما يتعلق بالأضداد .

وفي نص آخر (الخصائص ٢٥٣/١) يرى ابن جني أن الفروق بين اللهجات ليست شاسعة . وقد تختلف في التفاصيل (الفروع) وليس في الجوهر (الأصول) ، والصيغ اللهجية كلها تتطابق مع النظام العام لقواعد اللغة (لها من القياس وجه) .

h- ٨ - والفكرة الشائعة عن أصل العربية الفصحى بين سكان الحضر ، من ناحية ثانية ،

---

(١) والكلام بنصه كما جاء في الإتقان (١٣٦/١) طبعة البابي الحلبي : «ابن النقيب صرّح : من خصائص القرآن على سائر كتب الله تعالى المنزلة أنها نزلت بلغة القوم الذين أنزلت عليهم لم ينزّل فيها شيء بلغة غيرهم . والقرآن احتوى على جميع لغات العرب وأنزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيء كثير» . (المترجم)

(٢) وفي المزهر ١٠٤/١ روي عن ابن عباس قال : نزل القرآن على سبع لغات ، منها خمس بلغة العجز من هوازن ، وهم الذين يقال لهم : عليا هوازن وهم خمس قبائل أو أربع ، منها سعد بن بكر ، وجشم بن بكر . ونصر بن معاوية وثقيف» (المترجم)

(٣) هذا دسٌّ من المؤلف ؛ لأنه لا يوجد روايات أخرى للقران الكريم ، بلهجات أخرى وفُقدت أو ضيّعها جامعوه أو غيرهم . (المترجم)

يبدو أنها موافقة للهجة قبيلة أو مجموعة من القبائل . وقد كان ما بني عليه هذا الرأي قليلاً في الواقع ويمكننا أن نتبين ذلك بملاحظة الاختلاف الواسع بين هذا الرأي وبين التطابق مع القبيلة . فكل قبيلة تقريباً في شبه الجزيرة العربية وصفها بعض العلماء بأنها أفصح العرب . وحينما نجد عالماً متقدّماً كأبي عمرو بن العلاء (١٥٤هـ/٧٧١م) يؤكد هذا الأمر لعليا هوازن وسفلى تميم (السيوطي ، الإتقان ص١٠٩)[1] فإنه لا يعني أنهم يتكلمون أفضل عربية ، ولكنهم أكثر خبرة في معالجة لغة الشعر باستعمالهم الفصيح بمعناه الأصلي البليغ ، وقد يكون هذا هو معنى القصة نفسها التي وردت في تفسير الطبري١/١٤ حيث نظّم النبي [ﷺ] مسابقة بين القبائل في تلاوة القرآن الكريم ووجد أن تميماً أكثرها ضبطاً للنهايات الإعرابية أي أعرب القوم كما أن شعراء هذه القبيلة قد لعبوا دوراً بارزاً في الحركة الأدبية في القرن الأول الهجري ، ومثل هذه المسابقة يجب أن تكون قد عدّلت تماماً حوالي سنة ١٠٠هـ . فإن ثقيفاً في الطائف التي عُدّت من عليا هوازن ، يبدو أنها تمتعت بمنزلة رفيعة في الفصاحة . وهذا يمكن أن يشير إلى براعتها الأدبية وكذلك لكون لغة حديثهم تمثل النموذج الخالص للهجة غرب الجزيرة . وكذلك كانت أكثر تمدناً من جيرانها (انظر : Lammens, Ta'if p. 181) فإن الخليفة عثمان [رضي الله عنه] كان من رأيه أن أفضل فريق للحصول على نص دقيق ومضبوط للقرآن الكريم يجب أن يتألف من مُمْلٍ من هذيل ، وكاتب من ثقيف[2] (انظر : GQ, iii,

---

(١) وقد ورد في الإتقان ط٢ ، البابي الحلبي ١/٤٧ : قال أبو عمرو بن العلاء : «أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم يعني بني دارم» .

(٢) وقد جاء في مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني (دار إحياء التراث العربي - بيروت١/٣٧٩ : «يقولون : روي عن عثمان أنه حين عرض عليه المصحف قال : أحسنتم وأجملتم وإن في القرآن لحناً ستقيمه العرب بألسنتها» هذه رواية . وفي رواية أخرى : يقولون روي عن عكرمة أنه قال : «لمّا كتبت المصاحف عرضت على عثمان فوجد فيها حروفاً من اللحن فقال : لا تغيروها فإن العرب ستغيرها أو قال : ستعربها بألسنتها ، لو كان الكاتب من ثقيف والمملي من هذيل لم توجد فيه هذه الحروف» «يقول الأندلسي : إن ذلك لم يصح عن عثمان أصلاً ، مستنداً إلى تناقض الروايتين إذ كيف يصف نسّاخ المصحف بأنهم أحسنوا وأجملوا ثم يصف المصحف الذي نسخوه بأن فيه لحناً ، وهل يقال للذين لحنوا في المصحف أحسنتم وأجملتم؟! (المترجم)

(2 ومرجع آخر : الصاحبي لابن فارس ص٢٨) .

وهذا يعني بالنسبة لمخترعي هذه القصة أن هذيلاً تعتبر أنموذجاً للاستعمال الأدبي الصحيح وضبطه ، بينما لم تعرف ثقيف إلا ببراعتها في الكتابة «حتى هذه السمعة لثقيف يمكن أن تكون قد غُذّيت بشكل مصطنع من أجل الترويج لإعجام[١] الحجاج للقرآن الكريم . انظر : .(Blachere, Introduction p. 75).

i– ٩ – أما بالنسبة لهذيل ، فيمكننا أن نتبين كيف أن سمعتها الأدبية قد أسيءُ فهمها أخيراً عند محاكاتها باللهجات . يقول المقدسي (في أحسن التقاسيم ص٩٧) : إن لهجة هذيل هي أصح لغات العرب جميعاً ، وبعدها تأتي في المنزلة لغتا نجد ، ويأتي بعد ذلك الباقي (هكذا) من لغة الحجاز ، باستثناء لغة الأحقاف لجفاء حديثهم» . ويشير ذلك بقوة إلى ما كان في عصر المقدسي (٣٧٥هـ/٩٨٥م) . وبالنظر إلى خصائص العربية في غرب الجزيرة كما تبدو في لهجات هذيل والحجاز نقول لا بد أنه لم يحصل لها تعديل في أي وقت . وقد أعدّ كوفلر (WZKM,xlvii,64- 5) قائمة بأسماء القبائل التي ذُكرت باعتبارها أكثر العرب فصاحة[٢] . ومن بينها يمكن أن يشد انتباهنا نص في اللسان (مادة قَعَن) حيث أعطي لفظ النصر بشهادة عالِم إلى نصر قُعَين أو قُعَين نصر[٣] وهناك بعض القبائل التي تسمى قعيناً وهما قُعَين أسد وقُعَين قيس ، ولا يبدو أن أياً منهما لافتة للنظر ومما يبعث الشك في النفس أن يرمز باسم إلى قبيلة يمكن أن تعطى أي اسم ، وتكون الرواية محاكاة ساخرة من أولئك الذين يبحثون في الجزيرة عن مصدر

---

(١) لم يُتَحْ لنا مرجع موثوق به يذكر أن مراجعة أو تنقيحاً قد جرى للقرآن الكريم على يدي الحجّاج ، ولكن من المعلوم تماماً أن إعجام القرآن الكريم أي نَقْطَه قد حصل أيام الحجاج بأمر من عبد الملك بن مروان على يدي نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر العدواني ، وعليه فإنني أميل إلى أن أترجم لفظ Version بإعجام . (المترجم)

(٢) وقد ورد في الإتقان ط٢ ، البابي الحلبي ٤٧/١ : قال أبو عمرو بن العلاء : «أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم يعني بني دارم» .

(٣) والنص مبتسر بهذه الصورة وهو في تمامه في اللسان هكذا :
سُئل بعض العلماء : أي العرب أفصح؟ فقال : نصر قُعَيْن أو قعين نصر . (المترجم)
ومن الجدير بالذكر أنّ لهجة قبيلة الحارث (قد تكون مقصودةً بالحرث) قد شطبت من القائمة .

تتوافر له العصمة من الخطأ اللغوي .

ومن أغرب الاختيارات لأفصح بيوت العرب ، اختيار قبيلة جَرْم ، في الساحل الشمالي للحجاز ، التي تنتمي لحلف قضاعة .[1] وعلى كل الاحتمالات إن هؤلاء الناس كانوا يتكلمون لهجة من نوع غريب كلياً ، قد تكون قريبة من العربية التي استقلت عن اللغة السامية الأم[2] ، وليست العربية التي نعرفها . ولم يبرز منها شعراء ، ولم يكن لها دور في باكورة التاريخ الإسلامي . ومن المعتقد أنها قدّمت بعض النحاة المتأخرين . وقد يكون من أسباب عربيتهم السليمة أنهم تعلموها وكأنها لغة أجنبية ، وكأنهم لذلك ليس لهم لغة محلية . إن التفوّق اللغوي لقبيلة جرم هو موضوع إحدى النوادر ذات الأهمية لموضوعنا لأنها توضح نشوء الاعتقاد الذي ساد بأن العربية الأدبية ليست سوى لهجة قريش .

وهذه الحكاية النادرة قد وردت في الكامل للمبرد ص٣٦٤ ، ودرّة الغوّاص للحريري ص١١٤ ، وثوربيك Thorbecke ص١٨٣ ، والمفصّل للزمخشري ص ١٥٦ ، وفي العقد الفريد لابن عبد ربه ٢٩٤/١ . وأقدمها رواية الكامل[3] التي جاءت فيه كما يلي : «وحدّثني من لا أُحْصِي من أصحابنا عن الأصمعي عن شعبة عن قتادة ، قال : قال معاوية يوماً : من أفصح الناس؟ فقام رجل من السِّماط[4] فقال : قوم تباعدوا عن فراتية العراق ، وتيامنوا

---

(١) ويوضح ابن يعيش أن جَرْماً المذكورة هنا ليست التي من قضاعة بل جَرْم طيء ووجود جَرْم في قبيلة طيء يفتح آفاقاً للبحث عن أصول هذه القبيلة .

(٢) حيث يعتقد بعض الدارسين أن العربية مرت في نشأتها بأكثر من مرحلة ، ومرحلتها الأولى هي المسماة pre- Arabic أي المرحلة التي كانت جزءاً غير منفصل عن السامية الأم . والمرحلة الثانية هي المرحلة التي ذكرها الكاتب هنا وهي المسماة Proto- Arabic أي المرحلة التي استقلت فيها العربية عن السامية الأم ولكنها في هذه المرحلة لمّا يكتمل نضجها لتصبح لغة أدبية وتأتي بعد ذلك مرحلة النضج والاكتمال أي لغة صالحة للكتابة والشعر وقد حصل ذلك لها في الجاهلية لتكون مستعدة لاستيعاب الدعوة الإسلامية ومعانيها في دستورها الخالد وهو القرآن الكريم . (المترجم)

(٣) أوردتها بنصها من الكامل ، ط مؤسسة المعارف بيروت ٣٧٠/١- ٣٧١ .

(٤) السِّماط : الصفّ (اللسان مادة سمط) .

عن كشكشكة[1] تميم وتياسروا عن كسكسة[2] بكر ، ليس فيهم غمغمة[3] قضاعة ولا طمطمانية[4] حمْيرَ فقال له معاوية من أولئك؟ فقال : قومي يا أمير المؤمنين فقال له معاوية من أنت ؟ قال أنا رجل من جَرْم قال الأصمعي : وجَرْم من فصحاء الناس . والى هنا انتهت رواية الكامل .

وأما الروايات الأخرى فقد أضافت عيوباً لهجية ونسبتها لقبائل أخرى مثل عنعنة

---

(١) الكشكشة هي إبدال الشين من كاف الخطاب مع المؤنث وهي في تميم وأسد وقيل أيضاً في بكر بن وائل وربيعة وسُلَيْم ومنهم من قال إنها زيادة شين بعد الكاف المكسورة أي عليكش وبكش ومنكش . ويستشهدون لهذه الكشكشة (إبدال الشين من كاف المؤنث المخاطبة) بقول مجنون :

فعيناش عيناها وجيدش جيدها ولكن عظم الساق منشِ دقيق

و بقول الأعرابية للجارية مولاش يناديشِ) ، وفي قراءة بعضهم : «قد جعل ربُّشِ تحتش سرياً» في قوله تعالي : «قد جعل ربكِ تحتك سرياً» . (المترجم)

(٢) الكسكسة هي إبدال كاف المذكر سيناً كإبدال كاف المؤنث شيناً كما جاء في الاقتراح ص١٩٩ أي يقال : أمّسْ ، أبوس بدلاً من (أمك وأبوك) وتنسب لبكر وهوازن وربيعة ومضر . وفي فقه اللغة للثعالبي ص٧٣ : الكسكسة تعرض في لغة بكر ، هي إلحاقهم لكاف المؤنث سيناً عند الوقف كقولهم أكرمتُكِسْ وبِكسْ يريدون أكرمتكِ وبكِ . (المترجم)

(٣) انظر في الغمغمة ، والعجعجة والعجرفية والرتّة/ الفصل الأول فقرة (١٤- n) .

(٤) هي إبدال اللام ميماً كقولهم طاب امهواء أي طاب الهواء وهي لغة حِمْيَر انظر فقه اللغة للثعالبي ص ٧٣ وقيل نفر من طي كما في شرح الكافية للرضي . (المترجم)

تميم[١] ، وتلتلة بهراء[٢] ، والرُتّة[٣] واللخلخانية[٤] في العراق وفشفشة تغلب[٥] ، وتضجّع[٦] قيس ، وعجرفية[٧] ضبّة .

m- ١٢ - إن رواية الكامل تتضمن على الأقل انحرافاً عن الأصل الذي يجب أن تكون عليه القصة وذلك في عَزو الغمغمة إلى قضاعة . ففي التاج ج ٤/ص٦ معزوّة إلى قريش . وقد ذهبت الرواية في الدرّة والعقد إلى مدى أبعد ، حيث جعل جليسه يقول : قومك يا أمير المؤمنين ، قريش أفصح العرب ، وهكذا يكون قد فعل وَفقاً للاعتقاد الذي اختزله بيير أنستاسي Pére Anastase في مجلة المشرق ، ٦ ، ٥٢٩) «لم يكن لقريش عيب في الكلام» .

n- ١٣- والأسباب التي دعت لمثل هذا التفكير واضحة جيداً إن النبي [ﷺ] كان أمياً ، مما يعني للعرب في القرون المتأخرة انسجاماً مع عدم معرفتهم باللغة الأدبية . ولذلك فأمر تعلم الرسول لها ليس موضع سؤال[٨] . وأكثر من ذلك ، لا يجدر

---

(١) إبدال العين من الهمزة ، وتعرض في لغة تميم كقولهم ظننت عنّك ذاهب ظننت أنك في ذاهب وكما قال ذو الرمة :

أعَنْ توسّمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم

انظر فقه اللغة للثعالبي (ص ٣٧) ، والخصائص (١١/٢) وفي الاقتراح (ص ١٩٩) هي في لغة قيس وتميم وزاد بعضهم أسداً . (المترجم)

(٢) انظر فيها (فقرة/ 11-k) من الفصل الثاني /وكذلك ارجع إلى الفصل الثاني ، فقرة 51. o -

(٣) انظر فيها (فقرة/ 11-k) من الفصل الثاني /وكذلك ارجع إلى الفصل الثاني ، فقرة 51. o -

(٤) المشهور أن اللخلخانية في العراق من لخَّ في كلامه إذا جاء به ملتبساً وقيل هي العجز عن إرداف الكلام بعضه ببعض وقيل هي عجمة ولُكْنَةٌ في المنطق كما في اللسان ، وأما في فقه اللغة للثعالبي ص 37 : اللخلخانية تعرض في لغات أعراب الشّحْر وعُمان كقولهم مشاء الله كان ، يريدون ما شاء الله (المترجم) .

(٥) لم نجد لها تفسيراً عند أحد . (المترجم)

(٦) قيل إمالة الحرف إلى الكسر وقيل إنها في قيس . (المترجم)

(٧) ارجع إلى الفصل الثاني فقرة 15-o .

(٨) كأنه يريد أن يقول إن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم كانت بلهجة قريش ، وما دامت أحاديثه منسجمة في فصاحتها مع اللغة الأدبية ، وهو لم يتعلمها كذلك وبناء عليه يكون بديهياً أن تكون اللهجة القرشية هي اللغة الأدبية التي اتفق عليها العرب . (المترجم)

بالنبي [ﷺ] أن يتكلم إلاّ بأفصح لغة ، ولا يستعير أي لغة من أيٍّ كان ، وخاصة الشعراء الذين يحتقرهم[1] والنظرية تتناسب مع النزعة التي ترى لمكة القيادة الدينية والأدبية قبل الإسلام .

o– ١٤ – يقرر خالد بن سَلَمة أنه قد بات من المألوف أن القرآن الكريم قد نزل بلغة قريش (الطبري ، التفسير ٢٣/١) . وأبو بكر الواسطي الذي رأيناه يناقش الصفة المشتركة لألفاظ القرآن الكريم يقول : «ليس في القرآن حرف غريب عن لغة قريش غير ثلاثة أحرف ، لأن كلام قريش سهل لين واضح ، وكلام العرب البدو وحشي غريب»[2] (الإتقان ص٣١٤) . وأبو الليث السمرقندي يطبّق المعيار اللهجي بدلاً من النقد النصي ، حين يكون للآية قراءتان حيث حكى قولين أحدهما إن الله قال بهما جميعاً والثاني أن الله قال بقراءة واحدة إلا أنه أذن أن تقرأ بقراءتين ثم اختار توسطاً وهو أنه إنْ كان لكل قراءة تفسير يغاير الآخر فقد قال بهما جميعاً ، وتصير القراءتان بمنزلة آيتين مثل ﴿حتى يَطْهُرن﴾[3] . وإن كان تفسيرهما واحداً ، فإنما قال بأحدهما ، وأجاز القراءة بهما لكل قبيلة على ما تعوّد عليه لسانهم ، فإن قيل : إذا قلتم إنه قال بأحدهما فأي القراءتين هي؟ قلنا التي بلغة قريش»[4] .

q– ١٥ – وقد قرّر القلقشندي (صبح الأعشى ٣٣٢/٢) هذا الرأي بطريقة معيّنة تظهر دلالتها الفكرية حيث قال : إن النبي [ﷺ] قد تكلم لهجة قريش بلغة العامة والخاصة وبلغة أهل الحجاز» . وقد نقل إلينا كيف كان الخلفاء الأوائل[5] يَقظين

---

(١) لم يرد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه ازدرى واحتقر الشعراء بدليل أنه استعان ببعضهم للرد على هجاء الكفار وأشهرهم حسّان الذي حثّه الرسول صلى الله عليه وسلم مؤيداً بالروح القدس والشعر المرفوض هو الشعر الذي لم يلتزم بآداب الإسلام وهو المقصود فيما نعتقد بقوله تعالى : «والشعراء يتبعهم الغاوون . .» . الآية إذ القرآن الكريم ينعى على الشاعر أن يسخّر موهبته فيما لا يجدي في قوله ومالا يستطيع فعله . (المترجم)

(٢) في الإتقان ط٢ ، البابي الحلبي ١٣٥/١ ، والكلمات التي يقصدها هي : «فسينغضون» بمعنى تحريك الرأس ، في الآية/٥١ من سورة الإسراء ، و «مُقيتاً» بمعنى مقتدر في الآية/٨٥ من سورة النساء . و «فشرِّدْ بِهِم» بمعنى اسْمع في الآية ٧٥/من سورة الأنفال . (المترجم)

(٣) من قوله تعالى : ﴿فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن﴾ ٢٢٢– البقرة .

(٤) أوردت ما حكاه السمرقندي بنصه من الإتقان ط٢– البابي الحلبي : ٨٣/١ .

(٥) أي الخلفاء الراشدون . (المترجم)

يقظة شديدة ، مخافة أن يفقد النص القرآني ميزاته اللهجية[1] . ومحمد الأمير(المغني ١/١١١)[2] يخبرنا «أن ابن مسعود كان يرتل القرآن الكريم في حضور الخليفة عمر (رضي الله عنه) وقرأ عتّى[3] بدلاً من حتى ، التزاماً بلهجة هذيل . ولكن الخليفة عنّفه بحدّة قائلاً له : «إن القرآن الكريم لم ينزل بلهجة هذيل ، أَقْرِىء الناس على لهجة قريش» ومثل هذه الحكايات كثير .

قال ابن التين (السيوطي ، الإتقان ص١٤٠)[4] : «جَمْعُ عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرؤوه بلغاتهم على اتساع اللغات فأدى ذلك بعضهم إلى تخطئة بعض من تفاقم الأمر في ذلك فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتباً لسوره ، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش ، محتجاً بأنه نزل بلغتهم» . وبناء على ما أورده أبو الفدا (تاريخه ١/٢٦٤) أن عثمان (رضي الله عنه) أعطي تعليماته التالية[5] : «إذا اختلفتم في شيء من القرآن الكريم فاكتبوا القراءة التي تتوافق مع لهجة قريش ، لأن القرآن نزل بلغتهم» .

q- ١٦ - والمسوِّغات التي صارت لهجة قريش بسببها لغة العرب كلهم أكثر ما عبرت عنه بوضوح عبارة أطلقها ابن فارس (ت٣٩٥هـ/١٠٠٥م) في كتابه الصاحبي ص٢٣ ، وقد اقتبست ، ونورد اقتباس النيسابوري في كتابه «غرائب القرآن جـ١/ص٢٠» : «كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ ، وأسلسها على اللسان عند النطق ، وأحسنها مسموعاً ، وأبينها إبانة عن النفس ، ومن أفواههم أخذنا العربية الفصحى ، ويجب أن نتبع استعمالهم . لأن لغتهم منتقاة من بين لغات العرب قيس وتميم وأسد . وعليه فهذه هي المصادر الرئيسة للمعلومات . وإن استعمالهم الذي نعوّل عليه ويهمّنا ، يكون في المعجم والنحو والصرف . إلى جانب كل ذلك ، ولكن بدرجة أقل ، سنأخذ في الاعتبار قبيلة هذيل وبعض كِنانة ، وبعض

---

(١) أي في القراءات القرآنية . (المترجم)

(٢) هذه الرواية غير موجودة في المغني ط دار الفكر . (المترجم)

(٣) منهم من سماها فحفحة هذيل ومنهم من سماها غمغمة هذيل (انظر المزهر ٩٠١/١) . (المترجم)

(٤) الإتقان ، ط٢ ، البابي الحلبي : (٥٩/١-٦٠) وقد أوردت ما نقله ابن التين بنصه من الإتقان .(المترجم)

(٥) للنساخ وهم : زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، حيث قال لمن مع زيد كما جاء في الإتقان ٥٩/١ : «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما نزل بلسانهم» . (المترجم)

طيء . ولن يُتَّخَذَ شخص ينتمي لأية قبيلة مصدراً للمعلومات . ولا يقبل أي عربي تحت أي ظرف أن تكون فصاحته محل شك . ولسنا بحاجة إلى مناقشة هذا التناقض الداخلي لوجهة النظر هذه .

ويضيف كتّاب آخرون كيف حدث هذا التفوّق اللغوي لأهل مكة من خلال احتكاكهم الدائم باللهجات العربية الأخرى في الحج أو في سوق عكاظ ، فيتخيرون من لغات العرب وأشعارهم . (وقد أوجز ذلك سليمان البستاني في أثناء تعريبه لإلياذة هوميروس ص١٠٩) .

وهذا هو ما انتهى إليه الرأي بوجه عام في العصور الوسطى المتأخرة ، وعلى يد العرب المحدثين . وإن التمسك بتطبيقه بدقة دفع طّه حسين في كتابه «الأدب الجاهلي» أن ينكر وجود أي شعر جاهلي لغير شعراء الحجاز وحينما تقدّم فولرز Vollers في مؤتمر الاستشراق سنة ١٩٠٥ بنظرية تعارض هذا المبدأ ، هاجمه علماء المسلمين وكأنه يحاول الانتقاص من جَوهر العقيدة الإسلامية انظر : (Volkssprache p.3) وبعدها شهدنا كيف تتخذ المواقف المتعارضة تماماً من قبل المراجع الإسلامية الهامة .

r- ١٧ – ويبدو أنه قد حصل اعتراض ما على تمجيد لهجة قريش . وكالعادة أفرغ في صيغة الحديث الذي يقول فيه النبي [ﷺ] : «أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ، ونشأت في بني سعد» ابن هشام في المغني١/١٠٥ واللسان ٦٨/٤) . وليس لهذا ، في رأيي ، سوى تفسير واحد هو : يجب أن أكون أفصح العرب من أجل أنني ولدت في قريش ونشأت في بني سعد ، أو ربما نفهم منه أيضاً : أنا أفْصَحُ العرب لأنني . . . ، وابن هشام يعزو سبب ذلك إلى البيداء .[1]

s- ١٨ – كل هذه الآراء ، نوعاً ما ، كانت نظرية خالصة ولم يمارس أي تأثير على طريقة

---

(١) وأورد نص الحديث من المغني (انظر : ١٢٢/١) ط دار الفكر وهو كالتالي :

«أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش ، واسترضعت في بني سعد بن بكر» (ينظر نص الحديث في كتب الحديث الصحيحة) ويضيف الكاتب في الهامش : أنه يمكنه أن يعتبر (نشأت) بمعنى (قد نَشّأتُ) وذلك يعني : «أنني أتكلم بأفصح عربية وذلك لأنني ولدت في قريش ، ونشأت فيما بعد في سعد» . وإن فكرة أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) قد أرسل إلى سعد من أجل تحسين عربيته قد عبّر عنها ابن هشام . وربما تكون قصتنا قد صنعت من الحديث الذي احتفظ به ابن الأثير في كتابه النهاية (ط القاهرة ط١/ص٣) حيث يعزو محمد (صلى الله عليه وسلم) قدرته على محادثة العرب جميعاً إلى إقامته في بني سعد . وقد يفهم من هذا أن لغة بني سعد كانت غير مفهومة للمكيين . (رابين) ==

العلماء في فهم القضايا اللغوية . ولم نسمع أبداً عن أي عالم ذهب لدراسة العربية في مواطنها المفترضة أو حاول تصحيح الشعر بناء على الأسلوب القرآني . ومع الاهتمام بالاستعمال البدوي إلاّ أننا يجب ان نتلقاه بتحفظ وارتياب . والمؤسسون للمدارس النحوية كانوا من الرواة المستهنين . والراوي هو الذي ينقل الاستعمال العربي الأدبي من جيل إلى جيل[١] . وعلماء اللغة القدماء ، كالخليل ويونس ، قد استقوا معلوماتهم من الرواة . إذ لم يكونوا قد بدؤوا سيرتهم رواة ، كما هو الراجح تماماً . الإنجازات الكبرى لأوائل علماء اللغة تتمثل في الجمع والتصنيف المنهجي لأحاديث الرواة المحلية أو القبلية المختلفة والتوفيق بينها وبين النماذج الأدبية العربية الأخرى التي وردت في القرآن الكريم وفي الأحاديث ذات المستويات البلاغية العليا .

t- ١٩ - إن كثيراً من العبارات التي نوقشت في الفصول الخاصة باللهجة الحجازية ، تدل على أنّ علماء اللغة ، بالرغم من دمجهم النظري بين لهجة قريش والعربية الأدبية ، كانوا حذرين تماماً في التمييز بينهما . ولم يترددّوا في ردّ ما جاء في القرآن الكريم مخالفاً للعربية الأدبية إلى لهجة النبي [ﷺ] القرشية . ومهما يكن

____

== ويبدو أن الكاتب هنا يريد أن يثبت أن الأساس في الفصاحة هي البداوة وقريش ليست قبيلة بدوية وإنما هي متحضرة لأنها في مكة فكيف تكون لهجتهم هي اللغة الأدبية وهي تتناقض مع المقياس السابق الذكر ؟! وهو روح البداوة . ورداً على ذلك نقول : إن الحجاز كانت ذات مكانة دينية معروفة أسبابها ، وذات مكانة اقتصادية تجارية ، ترسل القوافل وتأتيها قوافل التجارة وذات مكانة ثقافية أيضاً بسبب الأسواق التي تعقد فيها ، وهي أسواق تجارية وأدبية في الوقت نفسه وعليه فإن مكة تستقطب العرب وهي ملتقى التاجر والحاج والشاعر من القبائل كافة ولذلك لا بد أن يجدوا لغة مشتركة للتفاهم فيما بينهم من ناحية ، وبين القرشيين من ناحية أخرى ، وما أيسر أن يكون ذلك بلغة البلد الذي يلتقون فيه ، ولذلك حرص المكيون أيضاً ، كما تواترت الأخبار ، أن يبتعدوا بلهجتهم عن عيوب اللهجات الأخرى بل كانوا يضيفون ما يستحسنونه من لغات القبائل إلى لهجتهم مما جعل جميع العرب يتخذونها لغة أدبية مشتركة للتفاهم فيما بينهم باعتبارها اللغة الأرقى وليس الأكثر بداوة كاتخاذ الإنجليزية على عيوبها لغة مشتركة في هيئة الأمم . وهكذا كانت الظروف الاقتصادية والدينية والثقافية وليست البداوة وراء ارتقائها واتخاذها لغة أدبية مشتركة . (المترجم)

(١) وبنفس النظرة وضع ليندبيرج الشعراء الذي يحتفظون بأقدم صيغة لغوية ، في المقدّمة انظر : Proverbes et). Dictions, I, xxvii)

فإن لديهم تصميماً على الذهاب بعيداً في تطبيق هذا المنهج الملائم القريب التناول .

u- ٢٠ - إنّ أبي داوود المعروف من علماء الحديث بهذا الاسم (أبو داوود) صاحبُ (السنن) ، وليس (ابن أبي داوود) (Jeffery, Materials, Arabic text, p32, seq) ينقل الأحاديث بناء على ما قرره عثمان من أن القرآن الكريم ما زال يتضمن بعض السمات اللهجية «ولكن العرب ستقيمها بألسنتها أو ستعربها بألسنتها»[1] . وهل يمكننا أن نفهم من كلمة «العرب» أعراب نجد ، حراس لغة الشعر ، وبقية السمات اللهجية للحجازية المحلية؟ . وفي الحقيقة إن العرب تعرب القرآن الكريم في نطاق معيَّن[2] من خلال تأثير النحاة في اختيار القراءات المتنوّعة .

---

(١) يشير بذلك إلى الشبهتين المرويتين عن عثمان وقد أوردتها ص ٦٤ في الهامش في الفقرة ٨ - hمن الفصل الثالث .

(٢) والحقيقة أن الكاتب قد جانبه الصواب في قوله في نطاق معين حيث القراءة الصحيحة للقرآن الكريم تعتبر للعربي واجباً دينياً عدا كونها مفروضة لغوياً حيث اللحن في القرآن الكريم قد يسبب في فهم معنى غير مقصود أو مرفوض ، عليه فإن العربي يحرص في قراءته على الضبط الصحيح ، حتى لو لم يتقيّد بأحدى القراءات المشهورة . (المترجم)

الفصل الرابع

اليَمَن

a- ١ - إن اليمن أكثر المناطق تحديداً في الجزيرة العربية . وإن أهلها يختلفون عن سائر سكان شبه الجزيرة في ملامحهم الجسدية ، فضلاً عن بيئتهم الاجتماعية . وهناك عاملان آخران جعلا أهل اليمن منذ العهود المبكرة للإسلام يحسون بتميز بلادهم . ذكرى عظمة حضارة جنوب الجزيرة ما زالت حيّة ، وإن معالمها ما زالت ماثلة ، وإن قسماً كبيراً من أهلها ما زالوا يتكلمون لغة اختلافها ملحوظ عن العربية ، تسمى الحِمْيَرية ، التي يسود اعتقاد شعبي بأنها هي بذاتها لغة نقوش أقيال اليمن . وإن الآثار اليمانية تثير فخراً قومياً كبيراً في نفوسهم ، وإن علماء اللغة في القرنين الثالث والرابع الهجريين كانوا يدوّنون الألفاظ والتعبيرات غير المألوفة التي تجري على ألسنة مواطنيهم .

ونحن بهذا ، على الأقل من منظور معجمي ، نكون على علم باللهجة اليمانية بصورة أفضل من أي لهجة أخرى . عدا ذلك فإن سكان اليمن يبدو أنهم لم يتغيّروا كثيراً عن القرن السابع الميلادي[١] بحيث يمكننا أن نأخذ في الاعتبار ملامح اللهجة اليمنية الدارجة في وقتنا الحاضر عند شرح معلومات اللغويين الضئيلة . وعلى الرغم من قلة المعلومات التي تتيحها أعمال كومت دي لندبيرج de Comte de Landberg وجويتاين Goietin ، وميتووش Mittwoch ، وروسّي Rossi ، إلاّ أنها تعطينا صورة أوضح عن الكلام اليمني أكثر مما نملكه عن أي لهجة دارجة في الجزيرة العربية .

b- ٢ - إن التطور اللغوي المتواصل ، وما حظيت به اللهجات من عناية اللغويين ، عاد علينا أيضاً بضرر معين . وعلى العموم لم يكن ممكناً لنا أن نتبيّن ما إذا كانت أي قطعة من المعلومات تدل على عصر كاتبها أو عصر سابق عليه . ومصادرنا تتجه لمعالجة لغة الإقليم كوحدة ، وغالباً ما يستشهد بها باعتبارها ملامح لغة أهل اليمن التي تصنّف في مكان آخر على أساس أنها شاذة عن لهجات شمال اليمن أو عن الحِمْيَرَية . وسيكون الأمر أكثر صعوبة لو كان لفظٌ أو تركيبٌ ما يشير إلى لهجة

---

(١) إنه يتكلم عن اليمن قبل الثورة بسنين عديدة . (المترجم)

يمنية ، أي لهجة لبعض أهل اليمن . ولم نفعل شيئاً حتى الآن سوى معالجة المعلومات التي لا نملك لها تمركزاً مفصّلاً بصورة أكثر ؛ باعتبار دلالتها على اللهجة اليمنية بوجه عام .

وفي الحقيقة لا يمكن البرهنة على وجود دائم لملامح يمكنها تمييز اللهجات في داخل منطقة عن لهجات أخرى خارجها ، وبكلمات أخرى لا يمكن المحافظة أبداً على لهجة يمانية ، وإن القليل الذي نعرفه عن اللهجات اليمانية الشمالية يفضي إلى الإيحاء بأن هناك سلسلة متصلة من اللهجات ، من الجنوب إلى الشمال ، دون أن يكون هناك خط فاصل بوضوح بين اليمن والحجاز . ولذلك فإنه من المحتمل جداً أن تكون بعض المادة التي تعالج في هذا الفصل تخص في الواقع الفصول الثلاثة التالية وهي : حِمْيَر ، الأزد ، شمال اليمن .

c– ٣ – باستثناء الخصائص التي صنّفت بدون عناء بأنها حميرية فإنّ المعلومات التي لدينا عن اليمن تنبىء عن بقاء القليل من العربية الجنوبية ، ويبدو أنّ هذا يشير إلى أن المادة الأساسية من العربية السابقة على عربيتنا Pre-Arabic كانت طفيفة جداً في المناطق التي تتكلم العربية . ولكن بوجه عام فإن المعلومات النحوية الصرفية قليلة بالقياس إلى المعلومات المعجمية . والألفاظ اليمنية التي نجدها في المعاجم معظمها يحمل طابع الخصوصية والمحلية ، ونادراً ما يمس مجال المفردات الأساسية . وكل هذا يحملنا على أنْ نستنتج أنّ علماء اللغة قد سجلوا لنا العربية الأدبية كما كان يستعملها اليمانيون ، وليس لهجاتهم المحلية . وقد يكون من غير المستبعد أن تتضمن الأخيرة (اللهجات المحلية) كثيراً من خصائص العربية الجنوبية .

d– ٤ – ومع أن هذه المفردات لا تقع داخل نطاق هذا الكتاب ولكن يمكن أن نذكر هنا قدراً قليلاً من الكلمات الشائعة في اللهجة اليمنية أو الحميرية ، واللغة السامية الشمالية الغربية ، لأنها يمكن أن تلقي الضوء على موقع اللهجة في عائلة اللغات السامية ، وبعض هذه المفردات قد يكون مقترضاً من العربية الجنوبية ، خاصة أنها تعبر عن نشاطات لحياة مستقرة . وغيرها ، من ناحية أخرى ، قد يكون شائعاً في غرب الجزيرة ، من الكلمات التي نبذ استعمالها في الحجاز .

وربما لو عرفنا أكثر مما نعرفه عن لهجة طيء ، لأمكن أن نجد بعض هذه الكلمات فيها . والمظهر العبري لهذه المعادلة قد عولج بصورة أكمل في المليلة العبرية[1] .Hebrew Melilah,

---

(١) كتاب للمؤلف بالعبرية يبحث في علاقة اللهجات العربية القديمة بالعبرية . (المترجم)

ii ,252-55, (Manchester 1946)

١- aim' إيم : الشيطان ، تاريخ الطبري ١٠٤٠/١ ، وفي العبرية إيميم : emïm` أي ما ورد ما قبل التاريخ .

'āyüm : عَيُوم : عملاق/ 'emāh إيماه : رعب /

uimu أومُ : التنين (انظر لآخر كلمة Hommel, Ethnologie p.665, note 4) ولسابقتها (South- Arabian as n.pr., CIH 434 Line 10)

٢- بَعْل أي الربّ[1] (انظر : البيضاوي ١٧٧/٢ ، وأبا عبيد ، الرسالة ص ١٥٥) وبَعل العبرية وشقيقاتها معروفة في العربية الجنوبية وفي المهرية (Mehri انظر Mordt- mann, Himyar, Inschr,p.611) بالإضافة إلى الإثيوبية Ethiopic والكلمة بهذا المعنى قد تكون مقترضة[2] من العربية الجنوبية (الآية ١٢٥- من سورة الصافات ، مكية) . ولكن المعنى الغالب عليها هو «الزوج» (الآية ٢٧- من سورة هود)[3] . وكذلك تقع في الشعر[4] (مثلاً في شعر مجنون ليلى العُقيلي ، انظر (Noldeke, Delectus p.6) وربما تكون من قبيل الاقتراض المباشر من السامية الشمالية .

---

(١) وقد وردت بهذا المعنى في الآية (١٢٥) من سورة الصافات في قوله تعالى :

«أتَدعُونَ بعلاً وتذرون احسن الخالقين» أي أتدعون رباً سوى الله عز وجل . والكلمة لها في العربية أكثر من معنى حسب السياق الذي ترد فيه ولكن أشهرها بمعنى الزوج . (المترجم)

(٢) في الأصل : يقول الكاتب رابين : «أن محمداً [ﷺ] هو الذي اقترضها» وبهذا الأسلوب أي بإسناد الاقتراض إلى سيدنا محمد (ص) ترويج للمقولة المُفْتَراة على القرآن الكريم وعلى سيدنا محمد وعلى الإسلام بأن القرآن من وضع محمد مما يعني أنه صلى الله عليه وسلم ليس نبياً ولا مرسلاً . (المترجم)

(٣) في قوله تعالى : «قالت يا ويلتي أألدُ وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً» .

وكذلك في الآية (١٢٨) من سورة النساء «وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما» . (المترجم)

(٤) وكذلك ورد في اللسان مادة بعل : قال الراجز :

شَرُّ قرينٍ للكبير بعلتُهُ ... تولغ كلباً سُؤرَه أو تكفتُه

وقال الحطيئة :

وكم من حَصَانٍ ذات بَعْلٍ تَرَكْتَها ... إذا الليل أدجى لم تَجِدْ من تُباعلُه . (المترجم) .

٣- التُّلْم(١) : أي التَّلْم (انظر : نشوان ، المنتخبات-عظيم الدين أحمد ص٤١) وبالعبرية تِلِم والإثيوبية تِلْم ، في مقابل العربية تَلم . وفي الترجمة الآرامية للتوراة أي الترجوم (تْلاَمًا) .

٤- جَفْن(٢) : (انظر : الأزهري : اقتبسها التاج ٢٦١/٤) ، وفي العبرية وشقيقاتها جِفِنْ ، وكذلك العربية الجنوبية .

٥- الجَيهْل والجُهَل وهو خشبة يُحرَّك بها الجمر (انظر : الجمهرة لابن دريد ٣٥٧/٣ واللسان ١٣٨/٨ مادة جهل) ، ربما يكون لها صلة بالكلمة العبرية جَحِلِتْ أي الفحم الحي ، وهي كلمة ليس لها أصل أو اشتقاق مقنع .

٦- حَصَب أي حطب النار ، كما شرحها الفراء (في اللسان ١/ ٣١٠ مادة حسب في تفسيره للكلمة في الآية ٩٨ من سورة الأنبياء)(٣) وفي العبرية حاصَبْه أي قطعة الخشب (Is.,x,15)

٧-خَبَالاه أي واأسفاه أو وَيْلتاه (الجمهرة ٢٣٩/١) ، وفي الآرامية خاصة الغربية حَبْهَل (ما يظهره الإنسان من أسف وحزن على القبر) .

٨- خَشَف أي الخزف السميك (الجمهرة ٢٢٣/٢) في الآرامية الإنجيلية خَسَف(٤) ، وفي كتاب اللغات بالصاد وتعطى عناية خاصة بسبب صيغ في السامية الجنوبية ، في الإثيوبية صاحِبْ «خزف» وربما في العربية الجنوبية صخف أي رفع سداً ترابياً ، وفي

---

(١) ويجوز التَّلَم أيضاً بلغة أهل اليمن كل أخدود من أخاديد الأرض (المترجم) .
أو هي خطُّ الحارثِ بلغة نجران . والجمع التُّلْمُ والأَتْلام (انظر اللسان مادة تلم) . (المترجم)

(٢) يريد الكاتب جَفْن بمعنى الكَرْمة بدليل وضعه في مقابلها كلمة (Vine) الإنجليزية وكلمة جَفْن في العربية لها عدة معان فهي بمعنى غطاء العين ، وغمد السيف والجَفْنة ضَرْب من العنب وجمعها جَفْن ، وقيل الجَفْن نفس الكَرْم بلغة أهل اليمن (انظر اللسان مادة جفن) . (المترجم) .

(٣) في قوله تعالى : ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ﴾ .(المترجم)
حيث جاء في اللسان مادة حصب ، قال الفراء : ذكر أن الحصب في لغة أهل اليمن الحطب . (المترجم)

(٤) في اللسان مادة خَشَف الخشف الخزف يمانية وفي الهامش ط دار المعارف ٢/ص١١٦٧ .
قوله : والخشف الخزف في شرح القاموس الصواب الخسف بالسين المهملة . (المترجم) .

العربية الصّحة هي القصعة ، لاحظ التحول الذي يحصل للصاد والحاء مع الخاء[1] .

٩- خَصِين[2] أي الفأس الصغيرة (الجمهرة ٢/٢٢٧) ، وفي السريانية خصينا وفي العربية السامية الجنوبية Ass خَصِينُو[3] .

١٠- خَلاق أي حظ ونصيب (وردت في القران الكريم ست مرات[4] في السور المدنية فقط) كما قال أبو عبيد (في الرسالة ص١٤٣) لتعني نصيباً أو قسمة في لهجة كنانة وفي الآرامية الإنجيلية خالَق ، وفي العبرية خيلِق . وبما أن العبارة في القران الكريم ٣/٧٧[5] متشابهة مع تعبير المشناه[6] العبرية .

'en lāhem heleq bā-'olām hab-bā'

أي وعليه فالكلمة كما وردت في القرآن الكريم قد تكون مقترضة من الآرامية اليهودية .

١١- رَخِيما[7] أي إبداء مشاعر الحنان واللطف (الجمهرة ٢/٢١٤) وفي العبرية رَخِيم غالباً ما تستعمل لتدل على محبة الوالدين لولدهما . وفي العربية الجنوبية «رخّم» من أسماء الله (CIH 40, Line 5) ، وكذلك في الثمودية (مرخمت) . وفي العربية الجنوبية رخمن والصورة الأخرى من الجذر ، التي ترد في النقوش الأخيرة ربما تكون مقترضة من

---

(١) يقصد أن الحاء اجتمعت مع الصاد ولم تجتمع مع الخاء . (المترجم) .

(٢) في اللسان مادة خصن : الخصين من أسماء الفأس ، أو فأس ذات خلف واحد . (المترجم)

(٣) في المعجم التلمودي (عَرُخ) Arukh' عمود ١١٠) يذكر حزينا أي العصا ذات المقبض الحديدي (في كلِم المشناه ٢/١٤) كلمة طائية .

(٤) لم يذكر منها في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي ، ط دار أحياء التراث العربي . دون تاريخ / سوى ثلاثة مواضع في البقرة - آية ١٠٢ ، ٢٠٠ وفي آل عمران -٧٧ (المترجم) وقد فات المعجم أن كلمة خلاق قد وردت في الآية ٦٩ من سورة التوبة ثلاث مرات في قوله تعالى : ﴿الذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخَلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخَلاقهم ....﴾ .الآية . (المترجم)

(٥) الآية ٧٧ سورة آل عمران . (المترجم)

(٦) المشناه هي مجموعة القوانين غير المكتوبة التي جمعت حوالي عام ٢٠٠ بعد الميلاد ، وهي التي تشكل أساس التلمود . (المترجم)

(٧) في اللسان مادة رخم : الرَّخَم : العطف ، وَرخمهُ رَخْمةً لغة في رحمه رحمةً وعن أبي زيد الأنصاري أن من أهل اليمن من يقول رَخِمْتُهُ رخمةً بمعنى رَحِمْتُهُ . والرُّخمُ : المحبةُ والإشفاق . (المترجم)

السامية الشمالية .

١٢- رَقَدَ : أي السرعة في العَدْوْ (الجمهرة ٢/٢٥٣) وفي العبرية وشقيقاتها راقَض .

١٣- رَكَنَ : ينزع أو يميل إلى (وقد وردت في القران الكريم في سورة الإسراء الآية ٧٤)[١] .
وقال أبو عبيد في الرسالة ص ١٤٨ إنها من لهجة كنانة . وفي عبرية المشناه هَرْكِين بمعنى ينحني الرأس .

١٤- شَحَبَ : بمعنى عَزَقَ الأرض (الجمهرة ١/٢٢٣ ، اللسان[٢] ١/٤٦٧) وقد يكون لها صلة بالكلمة العبرية سحابوتْ أي الخرق البالية . (Jer.,xxxviii,11) و«ساحَبْ» أي يمزق ويُقطِّع (المرجع السابق حـ٥١/ص٣) وهكذا يكون لدينا جذر شحب[٣] (يقطع) يختلف عن جذر آخر «سحب» أي يَجُرُّ في العربية والعبرية والحبشية . والكلمتان العبريتان المقتبستان آنفاً كتبا بالسامخ[٤] خطأ . (ولمعرفة حالات مشابهة في الإنجيل انظر : Gesenius, Grammer,6k) .

١٥- تشبَّص[٥] أي تَضَفَّر ودخل بعضه في بعض (الجمهرة ١/٢٩١) وفي العبرية مشبصوث[٦] أي دخول خيوط الذهب بعضها في بعض (متشابكة) .

١٦- أشَطَّ (في القرآن الكريم ، الآية ٢٢من سورة ص)[٧] ومصدرها شَطَطٌ وتفسر عادة بـ «خطى وتجاوز» وهي مشتقة من شطَّ في رأي أبي عبيد (الرسالة ص١٥١) أي يتمدّد أو يكذب في لهجة خثعم ، وربما في العبرية Sāte khāzābh (Ps.,x1,5) و Setim (Hos,v.2) ويمكن تفسيرهما بأنه ينعطف جانباً أو يلتف مما يعني أنه كذاب .

١٧- الشَّوْقَم : نوع من الجمّيز (الجمهرة ٣/٤٢) وفي الآرامية الفلسطينية المسيحية Shōqmā

---

(١) وذلك في قوله تعالى : ﴿ولولا أن ثبّتناك لقد كدت تركَن إليهم شيئاً قليلا﴾ . (المترجم)

(٢) وفي اللسان مادة شحب/شحب وجه الأرض يشحبه شحباً قشره ، يمانيه . (المترجم)

(٣) مكتوبة في الأصل بالسامخ العبرية التي تقابلها الشين العربية أي shb كما في لفظ عشر الذي يكتب في العبرية (ʿeser أي عيسر) .

(٤) العبرية التي تقابلها الشين العربية أحياناً . (المترجم)

(٥) في اللسان مادة شبص بمعنى دخول شوك الحجر بعضه في بعض . ويقال فقد تشبص الشجر ، وهي يمانية . (المترجم)

(٦) mishbesōth

(٧) وقد ورد في الآية الكريمة الفعل تُشْطِط : « . . . فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط» . (المترجم)

شوقما وفي العبرية شِقْميم (جمع) Shiqmim .

١٨-سُثْيٌ : بمعنى تتسخ الملابس (الجمهرة ١٨٢/١) وفي العبريةbeghādhim الثياب القذرة (Zech.,iii,3) وفي العربية يمكن تفسيرها بـ «وصيء»[١] .

١٩- طَفال : الطين اليابس[٢] (الجمهرة ١١٠/٣) ، وفي الآرامية اليهودية tephel أي يفرش مادة على سطح ما .

٢٠- ظِئْر[٣] : العمود ، الدعامة (الجمهرة ٣٧٩/٢) . وفي المشناه اليهودية صِير sir أي مفصلة الباب وفي العربية الجنوبية (تَظْوَر) (tzwr) (RES.2965, LineI...).

٢١-يَعْزُبُ : أي مختبيء أو مختف ، (وفي القرآن الكريم الآية ١٠ ، في سورة يونس[٤] وقد قال أبو عبيد (في الرسالة ص١٤٧) إنها تعني يترك ، يغادر ، يَبْعُد في لهجة كنانة . وفي العبرية عازَب ʿāzabh أي يبعد ، وفي شقيقاتها كذلك . (انظر كذلك (yahu da,ZASS.,xvi,250-8).

٢٢-عَزِيقَه[٥] : أي سهل مستو (الجمهرة ٦/٣) ربما يكون له صلةً ببلدة عَزيقاه على حدود السهل الفلسطيني[٦] وربما عَزِّيق أيضاً تعني يسوِّي . (IS.,v,2).

٢٣-قَفَخ[٧] : يضرب في الرقبة (الجمهرة ٢٣٦/٢) ، وفي المشناه العبرية qāphah يضرب على الرأس .

٢٤- الكركور : ممّر نهري عميق (الجمهرة ١٤٧/١) ، وربما في العبرية kıkkar ha-yarden تُفَسَّر عادة بالسهل الدائري في الأردن .

٢٥- ماريُّون : الملك أو المولى في الحميرية (نشوان ، المنتخبات ص١٠٠) والآرامية الإنجيلية

---

(١) في اللسان مادة وصأ . وَصِيء الثوب : اتَّسخ . (المترجم)

(٢) في اللسان مادة طفل : الطُّفال ، الطَّفال : الطين اليابس ، يمانية . (المترجم)

(٣) في اللسان مادة ظأر : الظِّئْرُ الدّعامة تبنى إلى جانب حائط ليُدْعَم عليها . (المترجم)

(٤) في قوله تعالى : « . . . وما يَعْزبُ عن رَبِّك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبرَ إلاّ في كتاب مبين» . (المترجم)

(٥) في اللسان مادة عَزَق : العزيق المطمئنُّ من الأرض ، يمانية . (المترجم)

(٦) في الأصل السهل اليهودي . ولا وجود لهذا التسمية في التاريخ أو الجغرافيا . ولكنه من ابتداع اليهود ومن شايعهم . (المترجم)

(٧) في اللسان مادة قَفَخَ تفيد الضرب على الرأس . وقيل القفخ كسر الرأس شدخاً . (المترجم)

mãre (ماريء) ، وفي العربية الجنوبية 'mr (مرء) وفي العربية امرؤ (رجل) الخ ، يختلف في الشكل والمعنى .[١]

٢٦- تنسَّمَ أي تنفّس (الجمهرة ٣/٢٥) وفي العبرية وشقيقاتها ناشَم nāsham وفي العربية[٢] تهب .

٢٧- وَثَب : بمعنى جلس وقعد في الحميرية (نشوان ، المنتخبات ص١١٣ ، الجمهرة ٥٠٢/١ . . . وفي أماكن عدة أخرى) . وفي العبرية وشقيقاتها ياشب yāshabh وفي العربية قفز[٣] .

٢٨- وَهرَ : وهَجَ الشمس (الجمهرة ٢٢٤/٢) وفي اللغة الماندِيَّة[٤] يِيهَرْ أي يلمعُ ، يتلألأ ، وفي العبرية[٥] : يا هير yāhir أي فخور (انظر : Noldeke, Neue Beiträge p.189) .

---

(١) وفي لغة هُذَيْلٍ يقولون للرجل «المِرْءُ» حيث استشهد السكري كما جاء في اللسان مادة «مرأ» بقول أبي خراش الهذلي :

جمعتَ أموراً يُنْفِذُ المِرْءَ بعضُها   من الحِلمِ والمعروف والحسبِ الضخمِ

والعرب الآخرون يستعملون : (مُرؤٌ ، مِرْءٍ ، مَرْءَ) وكذلك مُرءِ القيس في النمارة ، مَرْقَيْسِي في لهجة كندة .

(٢) في اللسان مادة نسم : تنسَّم : تنفّس ، يمانية . وتنسمت ريحها أي هبّت . (المترجم)

(٣) وفي اللسان مادة وثب وردت حكاية الرجل الذي دخل على أحد ملوك حمير فقال له الملك : ثب أي اقعد ولكنه قفز فتكسَّر . (المترجم)

(٤) لغة يتكلمها شعب زنجي في غرب إفريقيا .

(٥) مما تجدر ملاحظته من خلال كل ما أورده عن الألفاظ أنه كان يحرص كل الحرص أن يأتي ما أمكنه باللفظ العبري مع أن هذا اللفظ ليس له صلة بالموضوع المذكور كما في اللفظ رقم ٢٨ فما علاقة الفخر الذي تعنيه كلمة «ياهير» العبرية ووهج الشمس الذي تعنيه كلمة وَهَر اليمانية . ويفترض كذلك مجرد التشابه في الحروف بين العربية اليمانية والعبرية لصالح العبرية دون أن يدور في خلده أن هذه كلمات وردت في اللغة السامية الأم وانتقلت منها إلى فروعها سواء أكانت عبرية أم عربية ، وهذا هو الأقرب إلى الصواب والاعتدال . بالإضافة إلى ذلك فإنه أعطى للمواقع أسماء يهودية كذكره السهل اليهودي بدلاً من السهل الفلسطيني . وإذا اضطر إلى ذكر فلسطين فإنه يذكرها مختصرة بحيث تكون خافية كما في اختصاره الآرامية المسيحية الفلسطينية هكذا: Chr. Pal.Aram ، وإنه كذلك يتجنى على الحقيقة حين يقول أن (محمداً صلى الله عليه وسلم) اقترض كلمة بعل في القرآن الكريم حيث القرآن موحى إلى سيدنا محمد وليس من وضعه . كل ذلك شواهد تدفعنا إلى الحذر منه وتدفع عنه الإنصاف والموضوعية أحياناً . (المترجم)

وبالرغم من حدوث شيء من الاتفاق ، مع السامية الشمالية في مقابل العربية الفصحى ، مع كل لهجة تقريباً ، فإن هذه القائمة طويلة جداً ، لكي يجري التعامل معها على أنها مجرد صدفة .

وكما هو معروف جيداً فإن الأثيوبية ، أيضاً ، تتفق في بعض المفردات مع العبرية في مقابل اللغات السامية الأخرى . وكذلك في كثير من النقط الأساسية نجد السامية الجنوبية الغربية أكثر مما يفعله الفرع الشرقي للسامية الجنوبية .

e- ٥ - وبالنسبة إلى أصوات اللين (حروف العلة) في اللهجات اليمنية فإننا لا نملك إلاّ دليلاً مباشراً هزيلاً وغامضاً . فالإمالة الطويلة تبدو أنها نادرة في العاصمة اليمنية في وقتنا الحاضر ؛ اعتماداً على روسّي (١٧/ص ٤٦٩ ، ROS) ولا ترد في جنوب صنعاء . روسي ROSSI (المرجع السابق ص٢٣٤) لا يذكر مطلقاً أن الفتحة الطويلة (الألف ā) تتحول إلى ضمة طويلة ممالة ō(١) في أي مكان في اليمن . ومثل هذا التغير قيل أنه يحدث بشكل متفرق في حضرموت Landberg, Arabic, v. 189, كذلك(Mordtmann, südar,Alt.p.22 note1) shahha (Jayakar, BrasB, شحّ (Landberg, Dathina, p.295) وفي عزّان 206 (Rhod- وظفار (Reinhardt p.95,115) عُمان ، 1902, p.263) وفي المنطقة الأخيرة يعزوها رودوكناكس okanakis, Ohfar,ii,91).. Rhodokanakis ، لسبب معقول هو التأثير الشّحري Shaharis ولا نملك أي أثر لنطق ā (الألف- الفتحة الطويلة) بصورة ō (ضمة طويلة ممالة) سواء في النقوش الإغريقية أو العربية في الأسماء العربية الجنوبية القديمة ، وكذلك لا يقع مثل هذا التغيير في عائلة اللغات الإثيوبية (على الرغم مما جاء في كتاب دلمان Dillmann وهو (Ethiopic Grammar). واللغات العربية الجنوبية الحديثة يحدث فيها مثل

(١) أي لا يحصل في اللهجة اليمانية أن تتحول الألف (الفتحة الطويلة) في مثل (سالم) إلى ضمة طويلة ممالة أي تصبح (سُولِم) ، كما يحدث في العبرية والآرامية الغربية أو السريانية الغربية حيث تتحول ā إلى ō (قاتل) العربية نجدها في العبرية kōtēl وفي الآرامية الغربية kōtel (انظر فقه اللغات السامية لكارل بروكلمان ترجمة د . رمضان عبد التواب ط جامعة الرياض ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م : ص٩) . (المترجم)

هذا التغيير بشكل منتظم (انظر بروكلمان Brokelmann في كتابه[١] (GVG,I,142) حيث ā تتحول بانتظام إلى ō في الكنعانية ، والآرامية الغربية ، وفي اللهجة الحجازية[٢] . وقد تقع تحت إغراء افتراض أنّ هذه الظاهرة قد تغلغلت إلى العربية الجنوبية من العربية الغربية . ولا بد أن تكون اللهجة اليمانية القديمة هي حلقة الوصل . وعليه فإنه من المهم أن نعرف كيف تنطق الفتحة الطويلة ā فيها .

f- ٦ - إن عدداً كبيَراً من الأسماء في القرون الإسلامية الأولى ، والمتأخرة ما زالت في غرب الجزيرة ، قد انتهت بالمقطع– ون[٣]/un وأما Kampffmeyer في (ZDMG, iv,634-40)فيقدم حجةً ليقنعنا بأن ذلك كان إحدى الطرق اليمانية الشاذة في صياغة الأسماء . ويرى لندبيرج (Landberg) في (Dathina p.293 ff) أن –ون un – ليست سوى أداة التعريف ān- في العربية الجنوبية التي أصبحت تنطق ōn من قِبَل اليمانيين حاملي هذا الاسم . وفي الحقيقة إن اعتبار صيغة ān أداة التعريف n- في العربية الجنوبية هو محض افتراض . ويعتقد Kampffmeyer (السابق ص٦٤٩) أنها كانت –ون/un في حالة الرفع ، و– ين/- inفي حالة الجر ، و – آن/ān- في حالة النصب ، وليبرهن على ذلك أشار إلى وجود أسماء تنتهي ب –إين/in[٤] ، و–آن ān-[٥] إلى جانب التي تنتهي بِـ – ون un- وبما أن الحميرية لا يوجد فيها أي أثر للأداة اللاحقة القديمة فإنه من غير المحتمل ودون ريب ، أن تكون بحاجة لهذه اللواحق ، وأنه يجب مقارنتها على الأصح بالأسماء العبرية التي

(١) وهو الكتاب الذي ترجمه د . رمضان عبد التواب باسم فقه اللغات السامية وقد سجلنا هذه الملاحظة في الصفحة السابقة . (المترجم)

(٢) انظر الخارطة رقم ١٢ .

(٣) اعتقد أنه يعني الأسماء التي تنتهي بالواو والنون مثل : زيدون ، خلدون ، حمدون . (المترجم)

(٤) مثل سلاطين ، مساكين ، عثامين . (المترجم)

(٥) مثل : سرحان ، حمدان ، زيدان ، عثمان ، جبران ، سليمان . (المترجم)

تنتهي بـ ōn ، وبعضها يمكن أن يكون للتصغير كَلَـوَاحق التصغير السريانية[١] -ون ōn-وين in- ، وأنَّ - ō- تستعمل للتحبب مع الأسماء في العامية السورية المعاصرة مثل (عبدو في عبد الله) .

g- ٧ - إن غياب أية رواية واضحة عن حقيقة تحول الألف ā إلى ō أي ضمة كالذي يحدث في اليمن ليس حجة قوية ضد افتراض أنه كان كذلك . ولم يكن للعلماء العرب الاهتمام الكافي بالمسائل الصوتية .[٢] وسوف نرى ، حينما نصل إلى معالجة مثل هذه المسألة في الحجاز . وبصرف النظر عن القضية بشكل عام فإن اهتمامنا الأساسي ينحصر في قضية خاصة وذلك في تبعية النطق للكتابة ، أعني الكلمات التي هي من طراز حياةٌ ، وزكاةٌ التي تُكتب في القرآن حيوة ، زكوة . وابن جني (في سر الصناعة حيث اقتبسها Bravmann,Materialien, (P.35) يقول إن حياة وزكاة قد نطقتا في اليمن حيُوةٌ وزكُوة .

ونحن نعرف ، بشكل لا لبس فيه ، أن هذه الكلمات في التجويد القديم وبهذا الرسم كانت تنطق حَيُوةٌ وزكُوةٌ ، وهي حقيقة لا يمكن أن تكْون مجهولة لابن جني . ولذلك فإننا نشك بأنه يعني الصوت نفسه في خبره عن اليمن ، ولكن برافمان Bravmann على أي حال ، يقرؤهما حَيَوةٌ وزَكَوَةٌ . ودون استخدام سر الصناعة ، لا أستطيع أن أحكم فيما إذا

---

(١) «وزيادة الواو والنون تتفق مع ما هو معروف في السريانية عن التصغير فكلمة (كتاب) وتصغر على (كتابونا)» انظر د . إبراهيم السامرائي . فقه اللغة المقارن ص٢٧٩ ط٢ دار العلم للملايين ١٩٧٨م/ وذلك بعد قوله : «وللتصغير طرق غير الطرق المعروفة ومن ذلك أن يختم الاسم بالواو والنون كما في سعدون ، وخلدون . (المترجم)

(٢) وهذا اتهام فيه نظر لأن جُهْدَ النحاة العرب الصوتية في إطار لغتهم لم يكن بسيطاً خاصة عند الخليل وسيبويه وابن جني وابن سينا ولكن كانت عنايتهم بالوصف لبيان كيفية النطق الصحيحة ولم يبذلوا جهداً ذا نفع في المقارنات الصوتية بين اللغات أو في التطور التاريخي ، وقد شهد بتقدمهم في علم الأصوات برجشتراسر في كتابه التطوّر النحوي للغة العربية ص١١ ، بقوله : «ولم يسبق الغربيين في هذا العلم إلاّ قومان ، هما : أهل الهند ، والعرب» . (المترجم)

كانت الحركات[1] موجودة في المخطوطة . وإذا كانت موجودة فإن هذا يعقّد الموقف أكثر لأن (زكاه) كلمة دخيلة فهي من الآرامية زكوثا Zakkōthā ، وأشكُّ بقوة أن تكون (حيوةٌ) دالة على مفرد (انظر الفصل ١٠-٩) . ومن ناحية أُخرى يُعْتَقد بأنهما صيغتان للأسماء من هذا النوع في السامية الأم . وهكذا تختصر القضية في مسالتين منفصلتين :

أ- هل بقيت -َ وَ- -awa- من السامية الأم في اليمانية ، وصارت ā ألفا أو فتحة طويلة (كما في العربية الفصحى) أم ō ضمة طويلة ممالة .

ب- وهل نطقت هذه الكلمات الدخيلة كما في لغاتها الأصلية . أم أنها (إذا قبلنا البديل الأول في المسألة أ) تكيّفت مع مثال محلي حيّ؟

h- ٨ - يقرر الهمداني (في الجزيرة ص١٣٥) أن بني حرب ، إحدى القبائل البدوية في جنوب اليمن ، أهل إمالة في جميع كلامهم . وهل الهَمْداني يريد أن يقول إنهم على عكس مواطنيهم في إقليمهم يلفظون الألف (الفتحة الطويلة) إِي[2] أو ما يشبهها؟ . وهذا مما يجب الاهتمام به ؛ لأنه يوضح أن هناك إمالة أخرى مجهولة في اليمن ، وهكذا يجب أن نقدّم تأييداً غير مباشر إلى النظرية التي تقول أن ā (الفتحة الطويلة) يمكن أن تُمَال نحو ō (الضَمة الطويلة الممالة) . ولكن يمكن أن يكون الهمداني قد عنى شيئاً آخر بالإمالة .

i- ٩ - إن صوت الجيم في العربية الفصحى يوصف نطقه في اللهجة اليمانية بين الكاف والجيم (الجمهرة ٥/١ ، ابن يعيش ص١٤٦٣)[3] . وأما ابن فارس (في الصاحبي

---

(١) قد يكون قصده في حياة وزكاة حين تكتب هكذا حيوة ، زكوه حيث يقول في الأصل vowels وأنها تعني عندهم حروف اللين أي حروف العلة في العبرية ، وكذلك تعني الحركات . ويبدو أن المؤلف على حق في تحفظه إذ في سر الصناعة ليس كما ذكر برافمان تماماً فقد جاء في ص ٥٨١ : «وروينا عن قطرب أن بعض أهل اليمن يقول : الصَّلَوْةُ والزَّكَوْةُ والحَيَوْةُ بواو قبلها فتحة ، فهذه الواو بدل من ألف صلاة وزكاة وحياة وليست بلام الفعل من صلوت وزكوت . . .» وفي الهامش ينقل المحقق عن نسخة أخرى من المخطوطة ما يوافق ما ذكره برافمان . (المترجم)

(٢) كما ينطقها اللبنانيون في لهجتهم في وقتنا الحاضر في قولهم مثلاً في هشام -هِشِيم ، أو في لبنان لِبْنِين . (المترجم)

(٣) فقد جاء في شرح المفصل ١٢٧/١٠ : ثمانية أحرف غير مستحسنة ويعد منها : «الكاف التي كالجيم والجيم التي كالكاف . . . . .فأما الكاف التي بين الجيم والكاف فقال ابن دريد هي لغة في اليمن يقولون في جَمَل كَمَل وفي رجُل ركَل ، وهي في عوام أهل بغداد فاشيه ، والجيم التي كالكاف كذلك ، وهما جميعاً شيء واحد إلاّ أن أصل أحدهما الجيم وأصل الأخرى الكاف» (المترجم) .

ص٢٥) فيقول إنه ينطق بين القاف والكاف وبين الجيم . والمقدسي (في أحسن التقاسيم ص ٩٦ عدن) يصفه بأنه كالكاف . وأما القاري (في المناحي الفكرية ص٢٥) إذ يرتفع اللسان فيصف صوتاً ممزوجاً من الكاف والجيم إلى المكان الذي تنطق منه الكاف ، مما يجعله غالباً ما يقترب من كونه حرفاً مهموساً .

ويستدل برافمان (Bravmann, Materialien, p.49) من هذا أن وصف هذا الصوت اليماني لا يتطابق مع الحرف g[1] ، لأن الحرف المهموس غير مجهور ، لذلك وصفه القاري Qāriبأنه يجب أن يكون صوتاً غير مجهور ، ومن غير المحتمل ، مع ذلك ، أن يكون للحرف الذي وصفه القاري وبأيّ وسيلة ، صلة بذلك الصوت اليماني . إن الصوت اليماني يجب أن يكون قد حصل له جهر بكيفيَّة ما «وإن وصفه بين الجيم الإنجليزية لو الكاف يحتمل أن يعني أنه قد نُطِق به من مخرج بين هذين الصوتين ، أي أنه كان صوتاً حنكياً Palatal خالصاً . ومثل هذا الصوت ما زال يستعمل في جنوب اليمن (Rossi San'a ,p.2 وكذلك (Rso, xvii,236 ويصفها روسّي Rossi بأنها تشبه «g» المضغوطة ، تلفظ تقريباً بطريقة «gy» ومالتسان ZDMG: Maltzan xxvii,244) يرى أنها أَلْيَن من g وكانتينو : (parlers, p.25f) يروي الصوت نفسه عن لهجات البدو في شمال الجزيرة العربية في قبائل الروله ، وعَنز ، وشمَّر . وفي جميع هذه اللهجات[٢] (وهو صوت غير مستقر) يتناوب بحرية معg (الإنجليزية كما في go).[٣] بعض اللهجات اليمانية ليس لها في الجيم إلاّ نطقها g)[٤] لندبيرج (Dathina, P.xxii/Landberg ، وكذلك لها النطق نفسه في لهجة عُمان (رينهارت Reinhardt p.4) . وذلك هو نطقها الصُّلْب (Cantineau p.26) وهذا الصوت ، بالطبع ، هو الصوت المماثل للجيم في العربية الجنوبية المعاصرة ، واللغات الإثيوبية . وربما رواية المقدسي (التي يمكننا أن نقرأها كَك[٥] وليس كافاً) تشير إلى لهجات من هذا النوع . ومما يدعو كذلك إلى الاستغراب عدم وجود مقارنة مع حرف gāf الفارسية .

---

(١) في مثل الكلمة الإنجليزية good ، أو (God. المترجم)

(٢) أي كالجيم القاهرية متبوعة بياء خفيفة مليّنة . (المترجم)

(٣) ينقل عن إبراهيم أنيس (من كتابه اللهجات ص٧٧ ، دون مصدر) أنه قال : بناء على نطق بعض أهل اليمن للجيم أصبح هذا النطق سارياً في طيء ، وهذا يشبه نطق قبيله شمر في الوقت الحاضر .

(٤) أي كالجيم القاهرية متبوعة بياء خفيفة مليّنة . (المترجم)

(٥) قد يقصد أنها أقرب إلى كشكشة الكاف حين تعطّش الجيم . (المترجم)

k- ١٠ – لم تذكر مصادرنا شيئاً عن تلاشي العين حتى تصبح ألفاً ، مع أن هذا الأمر شائع في العامية اليمانية في أيامنا هذه ، وفي لهجة طيء قديماً . ويحدث أيضاً التغيير نفسه في النقوش الجنوبية لشبه الجزيرة العربية في حضرموت (انظر : Philpy, JRAS,1945,P.128) وكما سنرى فإن الدليل في لهجة الحجاز لم يكن العثور عليه سهلاً ، ولذلك فإن سكوت اللغويين عن هذا الأمر في اليمن لا يسمح بتصور أي استنتاج أو تخمين .

1-١١- ويمكننا أن نستنتج أحكاماً ، أخرى لصوت العين في غرب الجزيرة وجنوبها من خبر أن اليمن ، والأزد ، وقبيلتي هذيل وقيس والمدينة وسعد بن بكر يقولون أنطى في أعطى (نشوان ، المنتخبات ص ١٠٤ ، والفائق للزمخشري ص٦ ، واللسان ٢٠٦/٢-انظر الخارطة رقم ٣) . ولأول نظرة تبدو وكأنها عين قد قلبت نوناً (أو بالأحرى نوناً مفخمة) بتأثير الطاء المجاورة . وهذا الافتراض المسبق أن العين لها في العادة عنصر أنفي عند النطق بها ، الذي في حالات معيَّنة (على سبيل المثال قبل الأصوات الساكنة مباشرة) ، يمكن أن يبقى هو العلامة الوحيدة لهذه الوحدة الصوتية (الفونيم) . ومثل هذه الغُنَّة الأنفية تُسْمَع بوضوح تام من قِبَل بعض عرب فلسطين . وفي لهجات السوادي[1] في وسط إفريقيا . إن إغْنان (تأنيف) NasaliZation الحركات هو الأثر الوحيد الباقي من أصل العين (Kampffmayer, MSOS ii,2, P.200). وفي ظفار (جنوب اليمن) تغنّ الحركة (صوت اللين) حينما يأتي بين العين والنون أو الميم . ولذلك لم يسمع رودوكناكس أيَّ جَرْس أنفي في العين نفسها .

واليهود الشرقيون يكثر في كلامهم إغنان العين في العبرية . واليهود الشرقيون (السيفارديم) في أوروبا الغربية قد تخلوا عن العنصر الحلقي . وتنطق الأصوات الصامتة Consonants مثل نطق ng[2] في كلمة King انظر كذلك (Gramm. Ebraica, Padova 1853, p.99, Luzatto) (Artom, Leshoneneun,xv,56) وأما برافمان Bravmann (Materialien,p42) فيعتقد أن

---

(١) تقع شرقي بحيرة تشاد . (المترجم)

(٢) لعله يريد هنا توالي الأصوات الصامتة (الساكنة) دون وجود حركة ، وهو ما ترفضه العربية فإذا التقى ساكنان فيها وجب تحريك أحدهما . (المترجم)

أصل (أنطى) هو صوتي محض ، ويؤكد أن الغنة الأنفية هي إحدى الملامح الملازمة للصوت الصامت من زمن اللغة السامية الأم . وهناك آراء أخرى تطرح تفسيراً غير صوتي (لأنطى) . وفي هذه الأيام تستعمل هذه الصيغة في بغداد ، جنوب العراق ، ولهجة نابلس[١] في فلسطين (باور Palestin, Arabisch, p.7/ Bauer) وبين بني عنز في الصحراء السورية (انظر : (Wetzstein, ZDMG xxii,74line2, and 80 Cf.ibid., (Wetzstein,ZDMG line4, p.114 ولم يذكرها كانتينو Cantineau وقد سجلت في اليمن نفسها صيغ فيها عين : في وسط اليمن أُعْطِي (انظر : ، جويتاين Goitein, Jemenica No. 711) وفي الجنوب : عطا (Rhodokanakis, Dhafar,ii,40) ، وفي عُمان عطا بمعنى يَهَب (Reinhardt, p.244) ويجب أن نتذكر أنه في العربية فقط ، يشيع استعمال الجذر (عطي)[٢] بهذا المعنى . ويرى بروكلمان (Brockelmann,GVG,ii,309,Note1). أن التركيب الشاذ لأعطى في تعدّيها إلى مفعولين بسببَ أن (عطا) التي بمعنى يصل إلى أو يميل إلى ، مشتقة منها . والفعل الأخير (أي عطا) أحياناً يُعدّى بإلى (السيوطي ، شرح شواهد المغني ص٤١)[٣] . وعليه فإنه يماثل الفعل العبري natah yadho'el. (ناطاه يادهو إلى) أي مدّ يده إلى بمعنى يأخذ ، التي تقلّصت في عبرية الإنجيل (natal ناطَل) بمعنى يرفع ، وفي الآرامية نِيطِل netel ، والموقف كله في العربية يوحي بأن أنطى هنا سبب في نطى ، هي أقدم كلمة ، وقد حل محلها في الشرق بنية جديدة من (عطى) المرادفة لـ (نطى) natä وربما كان ذلك بعد أن تخصص معنى نطى natä والعلاقة بين أعطى ، والكلمة العبرية nātāh أول من ذكر به فولرز (K. Vollers في ZDMG,xlix,505) والصيغة الجديدة قد أخذت وقتاً ما قبل أن تنتقل إلى غرب الجزيرة . وإنّ أنطى القديمة ما زالت ترد في بعض الأحاديث (انظر فصل ٢/١١) ، في كلام رجل

---

(١) ليس مدينة نابلس فقط وإنما المحافظة كلها ، وفي جميع قرى فلسطين تقريباً وفي الأردن أيضاً . (المترجم)

(٢) لقد نبّهني البروفيسور درايفر Driver إلى أن الجذر يعطه له المعنى نفسه في العبرية والعربية .

(٣) قد جاء في شرح الشواهد للسيوطي ط دار مكتبة الحياة ١١٢/١ في شرحه للشاهد :

ويوماً توافينا بوجه مقسَّم   كأنْ ظبيةٍ تعطو إلى وارق السَّلم

«تعطو : أي تتناول أطراف الشجر في الرعي ، وعدّى تعطو إلى على تضمينه معنى تميل في مرعاها إلى كذا . قال في القاموس : معناه تتطاول إلى الشجر لتتناول منه» أو في لسان العرب مادة عطا العَطْو التناول ، وظبي عَطُوٌ يتطاول إلى الشجر ليتناول منه . ولا تعطوه الأيدي أي لا تبلغه ، وعطا الشيء وعطا إليه عطواً تناوله) وهكذا فإن الفعل «عطا» يؤدي معنى التناول بتعديته بإلى ودون تعديته بها (المترجم) .

غنوي ، وهي اللهجة التي تنتمي لدواع أخرى إلى المجموعة الشرقية (البكري ، معجم ما استعجم ص٥٤٠) ويحتج فِل (ZDMG,liv,235 Fell) بأن الجذر nty (نطي) بمعنى (يُنزل المطر) ربما يكون انعكاساً آخر للاستعمال القديم . وبلا شك فإن التشابه الصوتي جعل من السهل إحلال أنطى محل أعطى . وقد يكون هناك سبب مماثل وراء إحلال الجذرmtw (مطو) (يأتي) محل nty في اللغتين الآرامية والإثيوبية في سفر دانيال ٢٢/٧ ، الترجمة السبعونية[1] على ورق البردي ترجمت كلمة meta'ak (ميطعَك)- مُعطًى لهم .

وفي الإثيوبية mattawa مَطَوَ تعني يقدّم ، وفي الأمهرية ammatta أمطَّ تعني يعطي . ومن الممكن أن تعني mtw «يعطي هدايا» (في CIH,397,line 6-7) ويمكن أن نرى كلاماً له المعنى نفسه في العربية وهو : أَمْطى الظهر (أي أعطى أحدهم مطيّةً ليركبها) التي هي مشتقة ، مما يتعذر تعليله ، من كلمة مَطِيَّة بمعنى جبل أو حصان فهي في الأصل مشتقة من الحصان الذي يعطيه أحد الأمراء أو السادة لأتباعه» . وهكذا نكون قد قدّمنا تفسيراً تأصيلياً مرضياً للعلاقة بين «أنطى» ، «وأعطى» ، وعليه لا نستطيع أن نذهب بعيداً في التخمين .

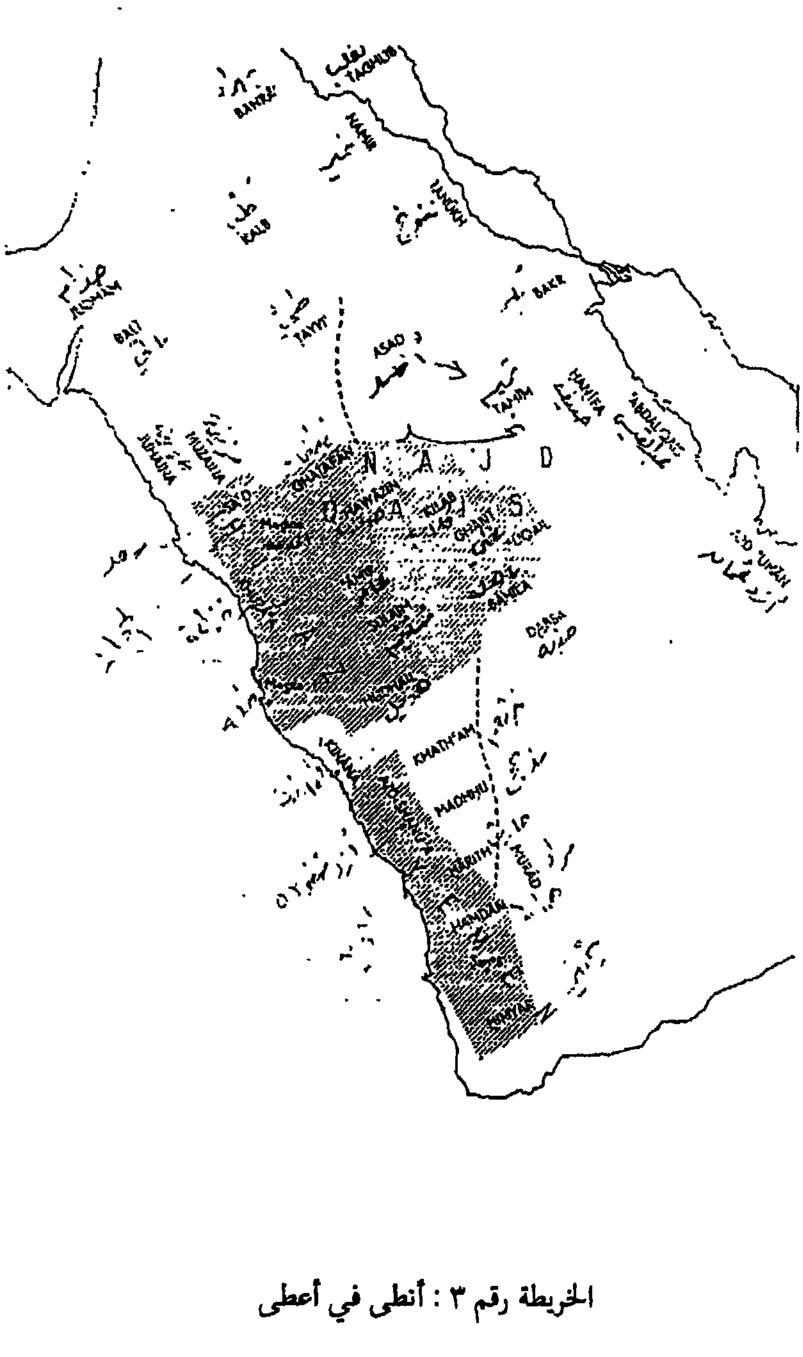
m-١٢- نجد تبادلاً بين الضاد والشين في جذرين : عِلَّوْض[2] (ابن آوى) (الجمهرة ٩٣/٣) وتأتي أيضاً عِلَّوْش (المصدر السابق ٦١/٣) . ويذكر نشوان (في المنتخبات ص٧٠١) كلمتين بمعنى «يحمل» هما ناضَ وناشَ . وكل هذه الصيغ أعطيت على أساس أنها يمانية . وفي بواكير العربية كان كلٌّ من الضاد والشين صوتين جانبيين[3] Latezal Sounds انظر : (Bravmann,Materialien,p.53) وما زالت الضّاد صوتاً جانبياً عند بعض قُرّاء القرآن الكريم[4] (انظر : Gairdner, Phonetics p.20 John, Mehrisprache, p.4, Lexique Soqotri p.31) وكلاهما صوتان

(١) انظر : درايفر Drive .(JBL,xv,102) .

(٢) جاء في اللسان مادة علض : العلَّوْض : ابن آوى بلغة حِمْيَر وكذلك في مادة علش : العِلَّوْش : الذئب ، حِمْيَرية وقيل ابن آوى . (المترجم)

(٣) الأصوات الجانبية هي الأصوات التي تحدث من خروج الهواء من جانبي اللسان حين يكون هذا اللسان ملامساً للثة (الثنايا العليا) فيحدث الصوت كاللام مثلاً من جرّاء احتكاك الهواء الخارج بحافتي اللسان (المترجم) .

(٤) بينما كانتينو Cantineau (لهجة حوران ص١٠١) يصفها بأنها مفخمة من بين الأسنان احتكاكية متبوعة بتسلسل جانبي .



الخريطة رقم ٣ : أنطى في أعطى

جانبيان في اللغات العربية الجنوبية المعاصرة والضاد في بعض أجزاء اليمن (انظر : Landberg, Hadr.p.637) . وهكذا يجب أن يكون التعاقب ميسوراً . ويجب ألا نستنتج من هذا أن معاصري نشوان وابن دريد ما زالوا ينطقون هذين الصامتين صوتين جانبيين . وإن الأصوات المتعاقبة يجب أن تكون موروثة منذ القدم أو أنها تنتمي إلى لهجة مشتركة مختلطة[١] .

n-١٣- إن اللهجة اليمانية ليست من ضمن اللهجات التي تسهّل الهمزة ومع ذلك ينقل إلينا المعجميون أمثلة من الأفعال المهموزة أصلاً ، بالواو بدلاً من الهمزة ، الذي لا يمكن تفسيره إلاّ بأنه خطأ في الاشتقاق من المضارع : يؤاتي يُواتي ، ومن ثمّ واتيتُ بدلاً من آتيت (التاج١٠/١٠) وكذلك واخَذَ بدلاً من آخَذَ (المصباح ص١٤) وواخى بدلاً من آخى (نشوان ، المنتخبات ص١١٤) واسى بدلاً من آسي . والموقف مشابه لما يحدث اليوم في اليمن . فالهمزة من ناحية نجدها ظاهرة بوضوح في النطق (انظر : Goitien, Jemenica, p.xii; ROSSI,ROS xvii,235) ومن ناحية أخرى تحذف ويحل محلها واحد من حرفي اللين الواو أو الياء وهو أمر شائع جداً (Goitein, ibid) ويستشهد روسي Rossi بصيغ مثل : توخّر في تأخّرَ ، تفاوَل في تفاءَل . في الوقت الذي لا يمكن أن تقع فيه الهمزة الأصلية بين الفتحة والضمة ، حتى إن الواو قد تكون نتيجة لقياس على أمثلة أخرى التي تنشأ لأسباب صوتية .

o- ١٤ - ويستشهد ابن دريد بحالتين في اللهجة اليمانية تقوم فيها صيغة فُعَال أو فُعَّال بدلاً من الصفة المشبهة فَعيل مثل كُبَّار في كَبير (الجمهرة ٢٧٤/١ ، وفي الاشتقاق ص ٢٥٤ : كُبَار) ، وكذلك كُثَار في كثير (الاشتقاق ص ٤٠) ويذكر Ruzicka (ZS,x,29) قائمة من الحالات التي تتبادل فيها المواقع في العربية الفصحى صيغتا فُعَال وفَعيل . وقد راجعتها في المعجم ، ولم أجد أية إشارة للهجة اليمانية . ومن ناحية أخرى فإن أسماء الأماكن المذكورة في القائمة كلها تقريباً مما يمكن تحديد مكانه وسنجده يخص منطقة غرب الجزيرة العربية : سُلَيْم ، الحجاز ، طيء ، عُمان[٢] ، قليل منها فقط في اليمن . وإن صيغة كُبَار ما زالت حيّة في

---

(١) لمزيد من تعاقب هذين الصامتين في لهجة ربيعة انظر كوفلر في (Kofler, (WZKMxlvii,92

(٢) إنّ عُمّان جغرافيا تقع في الجنوب الشرقي لجزيرة العرب .

اللهجة المكيّة بصيغة كُبَاريّة (انظر Snouck Hargronje, Mekkanische Sprich Wort p5).

إن استعمال فُعَال وفُعَل في غرب الجزيرة العربية مرتبط إلى حد بعيد بصيغة التأنيث فَعال التي تطلق على مذكر كما في معلقة لبيد العامري الغربي[١] في السطر الثاني والخمسين[٢] حيث اسم الكلب الذكري سُخام يظهر إلى جانب اسم المؤنث كَساب (سخام، سخمن كلاهما أسماء عربية جنوبية أيضاً. وفي البخاري، الشروط، يخاطب أحد المكيّين مكيّاً آخر أيْ غُدَرُ، وفُعَلُ صيغة نموذجية للنداء مثل فَعال. وربما يكون قد احتفظ بقوته الندائية في الأسماء الغربية[٣] مثل عُمَرُ، التي يرى فيها العرب أنها معدولة[٤] وليست بصيغتها الأصلية (انظر: Wright, I, 245).

p- ١٥ - في الحكاية المعروفة عن العربي الذي أساء فهم[٥] كلمة وثب الحميرية (انظر: الصاحبي ص٢٢. واللسان ٢/٢٩١) حيث جعل الملك الحِمْيَري يقول: ليس عندنا عَرَبيتْ، وقد فسرت هي الأخرى بأن علامة التأنيث لم تسقط[٦] عند الوقف في كلامه. وليس هذا بالضرورة من قبيل التذكير بالعربية الجنوبية ولكنه إحدى الخصائص القديمة للعربية الغربية، وكذلك احتفظت بها اللهجة الطائية في أقصى الشمال. وليس من السهل أن يقال إنها وجدت في الحِمْيَرية فقط، أو إنها وجدت كذلك في اللهجات اليمانية الأخرى.

q-١٦- وقد سمع المقدسي (٣٧٥هـ/٩٨٥م) في عدن قولهم: رجْلينْهْ (رجلاه) ويَدينْه

---

(١) يقصد غرب الجزيرة العربية. (المترجم)

(٢) الذي يقول فيه:

فتقصدت منها كُسَابُ، فضُرِّجتْ بدمٍ، وغودر في المكرّ سُخامها. (المترجم)

(٣) يقصد غرب الجزيرة العربية. (المترجم)

(٤) أي معدولة عن عامر كما يقول النحويون ولذا منعت من الصرف. (المترجم)

(٥) حيث جاء في اللسان مادة وثب: «الوثب: القعود في لغة حِمْيَر. ودخل رجل من العرب على ملك من ملوك حِمْيَر فقال له الملك: ثِبْ أي اقعد فوثب فتكسر. فقال الملك: ليس عندنا عربيَّتْ يريد العربية، فوقف على الهاء بالتاء وكذلك لغتهم. ورواه بعضهم: ليس عندنا عربية كعربيتكم، قال ابن سيده: وهو الصواب عندي، لأن الملك لم يكن ليخرج نفسه من العرب. (المترجم) انظر ص ٨٢، سطر ٧، الهامش (٣).

(٦) حيث علامة التأنيث في الوقف تلفظ هاء وفي الوصل تلفظ تاء. (المترجم)

(يداه) ، مع أن الشائع في اللهجة رِجْلَيْه . . . الخ (أحسن التقاسيم ص ٩٦) ، ويمكن أن يكون الأمر ليس سوى تحوّل قياسي للنون عن الصيغة الأساسية الثابتة ، كما يحدث في عدة لهجات عاميّة في نطق جمع المذكر (انظر : ,Brockelmann GVG, I, 452) وقد وصف المقدسي اللهجة العدنية بأنها مولّدة ، على أنه ربما يقصد أن أهلها كانوا في مرحلة التحول من العربية الجنوبية إلى العربية الشمالية . وقد استعمل أحياناً أشباه المتعلمين صيغاً مماثلة في عُمان ، ومصر وتلمسان -Brock) lemann, GVG,I,456) وبصورة منتظمة في بغداد والموصل -Barth, Pro) nominalbildung p. 55) وزنجبار (Praetorius, ZDMG, xxxiv, 222) والسلوت Slut في سوريا الجنوبية (Cantineau, Parlers, P. 73). وهذه عاميّات تدل على التأثير اليماني من نواحٍ أخرى . ويجب أن يجعلنا ذلك حذرين من صرف نظرنا عن الصيغة باستخفافٍ على اعتبار أنها من قبيل اللحن النحوي . وعلينا ألا نستخفَّ بملاحظة المقدسي باعتباره غير لغوي بل يجب أن نعرف علاقة الصيغ العاميّة باليمن .

٢-١٧- إن أداة التعريف في اللهجة اليمانية كانت هي السابقة «أمْ»[1] . والدليل على وجود هذه الأداة قديماً قد ذكره لندبيرج (Landberg, Dathina, p.281- 90) وكمبفاير Kampffmeyer, MSOS, iii, 2p82) ولا حاجة بنا لتكراره هنا . ويمكن أن يكون قد ذكر للاستغراب ، حيث صرف النظر عنه كريمر (Kremer, Südarabische sage,p.34) على أساس أنه مجرد تلفيق من اللغويين ، معتمداً على إعادة الجمع العشوائية للعربية الجنوبية غير المعرّفة أو غير المحدّدة [2] . وقد استعمل هذا الشكل من الأدوات في القرن الثالث على طول الحدود الشمالية لليمن (قائمة الهمداني ٥٠) . وما زال استعمالها جارياً في كثير من

---

(١) من أجل التيسير أكتبها – plam ، وربما تكون الحركة موضوعاً لقانون مشابه كأداة التعريف – (lal) . واعتماداً على مالتسان (Maltzan, (ZDMG, xxvii, 245فإن هذه الأداة تنطق بدون حركة حتى لو كانت الكلمة منفردة أي ليست في سياق جملة مثلاً .

٢) وقد استعمل لفظ mimationالتمييم وفسّره بأنه للتنكير كالتنوين في العربية .

التراكيـــب المحليـــة للعاميّة اليمانية[1] ، انظر قائمة الأماكن التي أعدها روسّــي Rossi (ROS,xvii,273) وغـالبــاً مـــا تكـــون جنبـــاً إلـــى جنب مع أل.
(Maltzan, ZDMG, xxvii, 245)ويبــدو أنهـــا في وسط اليـــمن أخــذت في الاختفاء ، ولا أثر لوجودها فيما جمعه جويتاين Goitein فـي كتابـه عن اللهجة اليمـــانية Jemenica وميتوش Mittwoch في (Aus Dem Jemen) ويقول لندبيرج (Landberg, Dathina p. 283) إنها تستخدم باستمرار تقريباً في شعر الزوامل[2] ؛ مما يمكن أن يستنتج منه أنها تنتمي إلى لغة الشعر المهجور أكثر من انتمائها إلى لغة الحياة اليومية . استخدمت الأداة «أل» في ظفار ، ولكنها تظهر بوضوح قبل الباء والفاء والميم (انظر Rhodokanakis, Dhafar, ii, 115:) ولا يعني هذا سوى أن هذه الأداة كانت في السابق أَمْ ، وقد احتفظت بها الصيغ القديمة المماثلة بالرغم من التغيير (ومن أجل حالة مشابهة انظر الملاحظات على أن المخفّفة) .

خـــارج اليمـــن الأصليـــة ما زالـــت تستعمـــل الأداة أَمْ فـــي تهامـــة ، (انظر : Glaser, Geschiechte und Geographic Arabiens, ii, 29) ومن قبل بدو المخا أيضاً (Landberg, Dathina, p. 286) ومـــن قبـــل مُـــرّة فـــي شمـال غرب الربع الخـالي (انظر : philby, Geogr. Journal, 1xxxi, 10) وبعض بدو وسط إفريقيا (Kampffmeyer.).

وكما علمنا فإنّ الأداة أَمْ تستعمل أيضاً في طيء ، يوجد لدينا إحدى خصائص اللهجات العربية الغربية القديمة ، التي اختفت من وسط الغرب في القرن الثامن ، وهي الآن في طور التلاشي من اليمن . ويمكننا أن نتوقع ولكن بحجة غير قوية أن هناك مصادر غير عربية لاستخدام الأداة «أَمْ» فلندبيرج (Dathina p. 284) يرى أن الأداة أم موجودة في النقوش القديمة مثل أمْبِسَمَ Ambisama (Ptolemy 396) ، و Mariaba Baramalacun يحلل الحروف على أساس أنها (Barr am- Malik بَرْ أَمْمَلِـــك أي ابـــن الملـــك) ؛ ولكن بـــلاو (Blau, ZDMG,xxy,587) ، وسـبـرنجـر (Sprenger, Alte Geographic Arabiens p.156)

---

١) تستعمل في كثير من المناطق في أيامنا هذه حسبما علمت من طلابي بجامعة صنعاء في اليمن مثل : سهل تهامة كله و لواء تعز عامة وفي المخا خاصة باعتبارها ضمن سهل تهامة ولذلك وفي ألوية الحديدة وإب مثل جبْلة والبيضاء ومأرب وحجة . (المترجم)

٢) جاء في اللسان مادة زمل : أن الزَّمَل هو الرجز ، والزاملة بعير يحمل عليه المتاع والطعام ، ويبدو أن المقصود هنا هو ما يقوله الشعراء في حُداء الإبل في أثناء السفر في قوافل . (المترجم)

ونولدكه (Nöldelke, ZDMG, xxiii,) يقدمون تفسيرات أخرى للاسم .

s ١٨- منذ القدم والأداة أَمْ شائعة في اللهجات العربية الغربية ولكن لا توجد أية إشارة تربطها على وجه الخصوص بأشكال الأداة المستخدمة في العربية الجنوبية . ويظهر أن لها علاقة بالأداة اللحيانية ، التي تكون في العادة هاء ولكن قبل ألف وعين وتظهر بانتظام وكأنها هاء ونون (انظر : Winnett, A study of lihyanic p. 16- 18) وهناك أيضاً بعض الشواهد للهاء والنون قبل الحروف الصامتة الأولى في الكلمات (انظر : Blake, Jaos, lxii, 117.[1]) ويقول نشوان (müller, sudar. stud., p. 18; Land-berg, Dathina, p. 282) إن بعض اليمانيين يستعملون أَنْ بدلاً من أَمْ . والأمثلة على ذلك قد أوردها الهَمْداني في النقوش الحِمْيَرية ، وتقع كلها قبل أصوات صامتة طبقية وحلقية أو مفخّمة مثل[٢] : أَنْخَلْم ، أَنْقُشْم (نوع من الخضراوات الطازجة)[٣] ، أَنهند أي الهند ((Müller, op. Citp. 22 ، أَنْصَريف أي الفضة ، أَنطميم[٤] (ibid., p.17) والجملة التي استشهد بها فلبي Philby من مُرَّة يوجد فيها : رِبْع انْخالي (الرِّبْع الخالي) . والمادة باعتراف الجميع غير كافية كتثبيت أي قاعدة للتعريف . ولا نرى كذلك فيها أية حجة على نقيضها في الحالات التي تظهر فيها أَمْ ، وليس «أنْ» ، قبل تلك النماذج من الأصوات الصامتة . إضافةً إلى جهل النسّاخ المطبق بصيغة الاستعمال الصحيحة ، وتسويتهم للهجاء بين كل

---

(١) يعترض بليك Blake على القاعدة التي تقول : إن من الشذوذ الصوتي في اللغات السامية الجنوبية عدم تشابه النون مع الأصوات الصامتة التالية لها . ولكن النون تتشابه في العربية الجنوبية (Hafner, Altsüdar,: Gr. P.25) وفي اللهجة الحجازية وربما تكون الأخريات مثلها .

(٢) إن البدو المعاصرين في اليمن يسمون الجمل الصغير : انفَريد ، وفي الفصحى . فريد (انظر :Binder, WZKM, xjviii, 96) وربما يغرينا ذلك اعتبار أن أَنفريد مثل أَمْفريد . ولا بد أن تكون الميم شفوية أسنانية مثل حرف fünf الألماني (وفي اللسان مادة فرد ، ناقة فارِدة ، والذكر فارِد ، والفرود من الإبل المنتخبة في المرعى والمشرب) .

(٣) وفي اللسان مادة قشم ، حيث القَشْم الأكل ، والقُشام اسم لما يؤكل ، والقُشامة ما يبقى من الطعام على الخوان ، والقِشْم والقَشْم اللحم المحمّر من شدة النضج ، أو البُسْر الأبيض الذي يؤكل قبل أن يدرك . (المترجم)

(٤) في مادة اللسان مادة طمم . الطميم هي الفرس المسرع . (المترجم)

الكلمات كما فعلوا بالتأكيد مع عدد غير محدود من الشواهد ذات أداة التعريف أل في اللهجة اليمانية .

ومن الممكن أن تكون النون التي تقع قبل أصوات صامتة معيّنة قد استعملت فقط في جزء من منطقة اللهجة ، كما يؤكد نشوان ، بينما الآخرون يستعملون الميم في سائر المنطقة . وهذا في حد ذاته ، بالإضافة إلى حقيقة أننا لا يمكننا أن نفسر بسهولة ظهور النون قبل الأصوات الحلقية كما مثّلنا ، يوحي بأنَّ (أَنْ) كانت الصيغة الأقدم للأداة والتي لأسباب مجهولة لنا حلّت محل أَمْ (مثلما أصبحت مؤخراً أل) ، ولكن لفترة وجيزة على الأقل حافظت أنْ -an التي قبل الأصوات الصامتة على ارتباطها بتلك التي اتخذت خاصة طبقية أو تفخيمية . وأَنْ -an هذه هي البديل لـ «هَنْ» -han اللحيانية كما أن (إِنَّا) عند طيء (هِنَّا) وفي العبرية hinneh هِنيه) . أو كالعربية إنْ - in' والعبرية إمْ -im' مقابل هم hm العربيـة الجنوبية وهين hen الآرامية ومن الواضح أن لها صلة باللاحقة العربية الجنوبية النون n- التي تظهر في بعض النقوش الحضرمية .

t -١٩- ويقرّر ابن مالك (كما ورد في همع الهوامع ٩٧/١ اقتباساً عنه) أنَّ أمْ - am هذه لا تتماثل مع الأصوات الأسنانية[١] والصوامت الصفيرية[٢] بالطريقة التي تتماثل بها أداة التعريف أل في العربية[٣] وهذا مؤيد ببعض الاستشهادات المستقلة التي

---

(١) كالتاء والثاء ، والدال والذال فيقال فيها : أمتعب ، أمثلاثة فلا تدغم لفظاً مع التالي لها . (المترجم)

(٢) كالسين والزاي فيقال فيها : أمسيف ، أمزهر فلا تدغم لفظاً كاللام في أل حيث يقال السيف والمزهر . (المترجم)

(٣) يشير هنا إلى ما جاء في الهمع ٧٩/١ وذلك بعد ما ذكر الخلاف بين اللغويين والنحاة حول أل فمنهم من رأى أنها ثنائية الوضع بمنزلة قد وهل وأن وعن وهكذا ومنهم من رأى أنها اللام فقط والهمزة اجتلبت للوصل ، قال ما نصه : «قال أبو حيان وهذا الخلاف لا يجدي شيئاً ولا ينبغي أن يُتشاغل به وقد تخلفها أم في لغة عُزِيت لطيء وحمير ، قال ابن مالك لمّا كانت اللام تدغم في أربعة عشر حرفاً فيصير المعرّف بها كأنه من المضاعف العين الذي فاؤه همزة جعل أهل اليمن ومن داناهم بدلها ميماً لأن الميم لا تدغم إلا في ميم ، قال بعضهم إن هذه اللغة مختصة بالأسماء التي تدغم لام التعريف في أولها نحو غلام وكتاب بخلاف رجل وناس» يقصد قولنا الْغلام والْكتاب فتظهر اللام ، وأما الرجل والناس فتدغم اللام مع الحرف التالي لها وفي شرح الأشموني ٨٩٢/١ أنه لبجير من عَنَمة الطائي يرى الشارح أن النحاة قد ركبوا هذا البيت من بيتين مع تغيير في صدر أولهما والصواب في الأمر أن ينشد كالتالي : =

تُعْزى للرسول [ﷺ] في قوله : «ليس من إمْبرِ إمْصيام في إمْسَفَر» (مسند ابن حنبل ٤٣٤/٥) عن النمر بن تَوْلب ، وفي الشعر ، قال الجوهري (الصحاح ٨٩٢/٢) إنها لغة حمْيَر ولكن في اللسان ٣٤٧/١٠ وفي أماكن أخرى عُزي إلى بجير بن غنمه أو عَنَمه(١) الطائي :

ذاك خليلي وذو يعاتبني
يرمي ورائي بأمْسَهْم وأمْسَلِمَة(٢)

فضلاً عن الجملة التي قد يقصد بها المحاكاة الساخرة لهذه اللهجة وهي : أمْشَيخُ أمْكُبارَ ضرب رأسه بالعَصْو ، ويمكن أن تقرأ هكذا : بنْعَصْو (انظر : الجمهرة ٢٧٥/١) . وأما ابن هشام (في المغني ٤٧/١) فيقول حكى لنا بعض طلبة اليمن أنه سمع في بلادهم من يقول : «خذ الرُّمح ، واركب امْفَرَس» بإدغام الأداة في الراء للتماثل الصوتي في الرُّمح . وأنها حسب علمه لغة لبعضهم . وقد يكون ذلك من قبيل الإشارة إلى تأثير استعمال أل العربية .

u ٢٠- ومما يثير الدهشة ما قاله البستاني (محيط المحيط ٣٧/١) من أنَّ أمْ هذه استخدمت مرتبطة بالتنوين ، والأمثلة التي أوردها هي : من مْقائِمٌ؟ ومَنْ في مْبانٍ؟ موحياً أنه استقى هذه الأمثلة من مصدر قديم . ويقول كامبفماير Kampffmeyer (ZAMG, liv, 632) إنّ من الصعب على رجل مثل البستاني أن

== وإنّ مَوْلاي ذو يعاتبني لا إحْنَةٌ عنده ولاجَرِمَة
ينصُرُني منك غير معتذر يرمي ورائي بامْسَهْم وامْسَلِمَة

والجدير بالذكر أن هذه اللهجة قد سمعتها من أحد طلابي بجامعة صنعاء من سكان مدينة جِبْله : بلواء إب بقوله : إمْسْجد وإمْدرسة ولكن بكسر الهمزة أي المسجد والمدرسة . وكذلك في منطقة ذباب بلواء تعز أنشدني أحد الطلاب قول شاعرهم :

حنَّان على زعرو حتى امطيور تبكي
وزعرو قضى ستين وامْقلب يبردشي

وزعرو اسم رجل كان شجاعاً على ما يبدو . وامطيور وامقلب أي الطيور والقلب ويبردشي أي لم يبرد قلب زعرو حتى بعد وصوله سن الستين . (المترجم)

(١) وفي رواية البغدادي في شرحه على شواهد شرح الرضي على الشافية : ابن عَنَمة . (المترجم)

(٢) أي يرمي وارئي بالسهم والسَّلِمَه/ والسَّلِمَه بفتح السين وكسر اللام جمعها السَّلِم وهي الحجارة . (المترجم) .

يخترع مثل هذا الشيء .

ولكن مما يبعث على الاستغراب أن كلا الشاهدين سؤالان ، وفي كليهما تأتي الكلمة المنوّنة في الوقف[1] «وربما كان الخبر في أصله أن الكلمات في اللهجة اليمانية تُنوَّن عند الوقف (في جمل الاستفهام) حتى لو كانت معرّفة بأل . ومثل هذا التنوين (وهو ما يحصل من تأنيف (إغنان) للحركة الموقوف عليها) ما هو بالطبع إلاّ ظاهرة صوتية تحدث في الجمل وليست ظاهرة صرفية . ووجدت ظاهرة موازية في لهجة تميم الشرقية[2] وقيس ، انظر (De Goeje in wright, ii, 369c) وهي التي تسمى تنوين الترنُّم[3] . وكما يتضح بجلاء من خلال شروح ابن مالك (التسهيل - ص٧٧) ، والأستراباذي (شرح الكافية ١/١٤) إنه تأنيف (إغنان) يلحق بالأفعال والأسماء في حركة الرويّ المطلق وذلك في الشعر حين ينشد بلا ترنّم أي ترك مدّ حركة الروي عند الإنشاد . وهكذا يصيب التأنيف (الترنّم) الحركات التي تأتي في موقع الوقف ، أي في المواقع التي يُعتاد فيها التسكين ، كما يحدث تماماً مع هاء السَّكت[4] . وشبيه جداً بهذه الإضافة الأنفية في الوقف ما سمع في لهجة العموريين قرب تدمر مثال ذلك بْيُوتَكمْ في بُيُوتَكَ ، وضْرُبُم في ضَرَبُوا .

---

(١) أي في آخر الجملة حيث العرب لا تقف على متحرك بل على ساكن . (المترجم)

(٢) أي الواقعة في شرق الجزيرة العربية . (المترجم)

(٣) هو اللاحق للقوافي المطلقة بدلاً من حرف الإطلاق ، وهو الألف والواو والياء ، وذلك في إنشاء بني تميم . . والذي صرّح به سيبويه . . أنه جيء به لقطع الترنّم ، وأن الترنم هو التغني ، يحصل بأحرف الإطلاق بقبولها لمد الصوت فيها ، فإذا أنشدوا ولم يترنّموا جاؤوا بالنون في مكانها ، ولا يختص هذا التنوين بالاسم» انظر المغني ٣٧٧/١- ٣٧٨ ومن أمثلة الترنّم قول جرير :

أقلّي اللوم عاذل والعتابَنْ وقولي إن أصبت لقد أصابن

(والأصل العتابا وأصابا) وجاء في شرح الكافية للأستراباذي ١٤/١ : «وأما تنوين الترنم فهو في الحقيقة لترك الترنّم . . . عند بني تميم في رويّ مطلق ، وذلك أن الألف والواو والياء في القوافي تصلح للترنم بما فيها من المدّ فيبدل منها التنوين لمناسبته إياها إذا قصد الإشعار بترك الترنّم لخلو التنوين من المد ، وهذا التنوين يلحق الفعل أيضاً والمعَرف باللام» . (المترجم)

(٤) ويستنتج فولرز من هذا التنوين غير المنتظم (غير القياسي) (Volkssprache,p.168) بأن النظام الإعرابي لا معنى له كما هو مطبّق في لهجة تميم . وهذا من الآراء غير المحتملة كرأي Birkeland Pausal former . (ص ١٥) الذي يأخذ من المعلومة نفسها أن تميماً تحتفظ بالتنوين في الوقف بطول أكثر من غيرها .

(انظر : Cantineau, parlers, .p. 18) ويبدو في تلك اللهجة أنه مرتبط بضعف الأصل الاشتقاقي للنون في الوقف (ibid p. 21) وليس من المستبعد أن تشير عبارة البستاني إلى حالة مشابهة في الشؤون المهنية أو التجارية العامة . وقد سمعت تسجيلاً لتلاوة قرآنية يمانية كانت الغنة (الجرس) الأنفية فيها ملحوظة .

٢١v- إن صيغة (عَصُوٌ) للعصا التي وردت في الفقرة ١٩ قد ذكرها ابن دريد (في الجمهرة ٢٧٥/١ ، الاشتقاق ص٣٤) باعتبارها أمراً مألوفاً عند بعض اليمانيين .»وهذا بلا شك عودة إلى الصيغة الأصلية في العربية الفصحى «عَصَو» ، ويعتبر حلاً لاجتماع ثلاث عِلل بالتقليص[1] ، وهو يشبه ما ورد عن الهذليين الذين يقولَون إِنْيُ في إِنى والأصل إِنَي[2] وهو الساعة من الليل . وفي لهجة هذيل عولج لفظ عصا بصورة مختلفة . وعليه فإن ما جرى في «عَصْو» هو تطوير محليٌّ لصيغة عربية شائعة . ولا ندري فيما إذا كان قد حصل مثل هذا التطوير لكلمات أخرى من نفس النوع .

٢٢-w- والفراء في كتابه معاني القرآن (نقلها بيك Orientalia,xv,184 Beck) يقول إن «كذّاباً»[3] في التكذيب وهو مصدر كَذّب ، صيغة يمانية صحيحة ، وهذا يعني أن صيغة ذات أصل يماني قد اعتبرت صحيحة في العربية الفصحى . والبيضاوي يذكر إنها في العادة جائزة ويستعملها على نطاق واسع متكلمون فصحاء . وأما نشوان (في المنتخبات ص ٩٠) واللسان (٢٠١/٢ نقلاً عن الكسائي) فأثبتا أنها لغة يمانية صحيحة . وما دامت قد ذكرت في القرآن الكريم ، في سورة النبأ-الآية ٢٨ (في الفترة المكية الأولى) لا بد أن تكون الصيغة شائعة في مكة ، وربما تكون شائعة على وجه العموم في لهجات غربي الجزيرة العربية . والتصريف الحجازي الخاص يمكن أن يستدل عليه من خلال الخبر الذي جاء في اللسان

---

(١) يقصد قلب الواو ألفاً وفي ذلك اختصار للواو والتنوين والفتحة . (المترجم)

(٢) وقد ورد في اللسان مادة أني :«الإِنْيُ واحد آناء الليل وهي ساعاته . وآناء الليل واحدها إِنْيٌ وإنىً (مثل نِحْي أنحاء ومِعىً- أمعاء) وكذلك أَنيٌ . وقال الأخفش : واحد الإناء إِنْو» وهكذا يكون لفظ إِنْيٌ ليس خاصاً بالهذليين كما أشار المؤلف . (المترجم)

(٣) وذلك في الآيتين ٢٨ ، ٣٥ من سورة النبأ/ في قوله تعالى :﴿وكذّبوا بآياتنا كِذّابا﴾ الآية ٢٨/ ﴿لا يسمعون فيها لغواً ولا كِذابا﴾ الآية-٣٥ .

٢٠١/٢ ومفاده أن عليّاً قد نطقها كِذَّابـاً . بينما عاصم والمدنيون نطقوها كِذَابا[1] وإنها ، في الحقيقة ، هي المثال السامي الأصلي لمصدر الجذر الثاني[2] (انظر : Noldeke, Neue Beitr, p.8) الذي حل في العربية الفصحى محل مصدر الجذر المهمل تَفْعَل (انظر : هومل Hommel :Südar,chrest, p29) والمصدر فِعَّال ما زال استعماله جارياً في وسط اليمن (انظر : Goitien, Jamani,Pxxiii) وفي دَثِينه[3] كذلك (Landberg,Dathina p.536).

x-٢٣- وعبارة محمد بن نشوان (نقلها روسي Rosssi,Rso,xii,249) تعطي هذا المصدر[4] ، كالمصدرين الآخرين الاستعمال الدائم في العامية وهما : فِيعَال للجذر الثالث (دون التقصير الموجود في الفصحى في فِعَال) وتِفْعَال (تقرأ تِفِعَّال) للجذر الخامس (حديثاً تفعَّال) .

y-٢٤-إن الأداة أَمْ- am قد تستعمل في المضارع (الحريري ، درة الغَوَّاص ص١١٤ ، والتاج ١٩٤/٨) والشواهد على ذلك هي : أم نحن نضرب الهام ، أم نحن نطعم الطعام . ومن الصعب اكتشاف مقدار تأثير الأداة ، إن وجد ، على معنى الصيغة . ووفقا لما أورده لاندبيرج (Dathina,p.283,note3) فإن الأداة ما زالت مستخدمة في اليمن ، ومع ذلك لم يذكر في أية وظيفة تستخدم . في وسط اليمن فإنَّ الفتحة - a التي تسبق الحَرْف المضعّف تعيّن صيغة فعل الأمر الشرطي الوشيك الحدوث[5] (انظر Mittwoch, Ausdem jemen,p.54) وكـذلك (Goitein,Jemenica,p.xix). وربما تكون هذه هي أَم- am ، مع تشابه مع الحروف الأولى للفعل وأما كمبفاير (Kampffmeyer,Verbal Partikel,p.36) فيرى أنَّ أم - am هذه أصل للباء التي

---

(١) والخبر كله كما جاء في اللسان مادة كذب : «قال الفراء :خفّفهما علي بن أبي طالب ، وثقّلهما عاصم وأهل المدينة ، وهي لغة يمانية فصيحة . . .وقال أيضاً : كان الكسائي يخفف قوله تعالى : ﴿لا يسمعون فيها لغواً ولا كِذَابا﴾ . (المترجم) .

(٢) يقصد كذب .

(٣) اسم بلدة في جنوب اليمن .

(٤) يقصد المصدر فِعَّال .

(٥) لم يَضرب مثالاً على ذلك .

تضفي معنى الحالية على الفعل المضارع(1) ، في كثير من العاميات العربية . وهذه تأخذ شكل الميم قبل جمع المتكلم . ولدلالة ما ، اختار الحريري جمع المتكلم في المثالين . وبالنسبة لأصل أم- am أجد من الصعب أن أوافق هومل Hommel (Südar, chrest, p.50) على ربطها بـ الرابطة الميناثية «الباء» (انظر : الأمثلة في (Müler, Epigr, Denkm., p.46) ويبدو أن السبيل الوحيد الباقي لأدواتنا هذه هي إمكانية ربطها بإنْ العربية وإمْ العبرية أي إذا . ويبدو أنَّ أدوات الشرط السامية كانت في بدايتها ذات طبيعة توكيدية : انظر hen العبرية (بمعنى انظر) والآرامية (benold) hen (إذا) ، أو ذلك الارتباط الواضح في العربية بين إنْ (بمعنى إذا) وإنَّ بصورتها المخففة إنْ (انظر فصل ١٣ فقرة (g .وإن هناك أداة مصرية مشابهة وهي إر `ir «وتتصدّر الكلام الذي لم يفصل فيه بَعدُ (أي بعد أمّا العربية) ، وتتصدّر كذلك الجملة الشرطية (انظر : Gardiner,Eg.Gram.,150) . وإنه على أية حال لشيء غير عادي أن تكون مثل أداة التأكيد العادية هذه (ويبدو أن هذا ناتج عن قوة امْ- am في جمل الحريري) قد طوّرت وظائف متنوعة شكلية ومؤقتة .

وهناك احتمال آخر وهو أن امْ هذه قد يكون لها صلة بِـ (إمّالا ، أو أُمّالي) التي يستخدمها العامّة قبل صيغة الأمر (أبو حاتم السجستاني في اللسان ٣٥٨/١٠) . وفي الحديث المستشهد به هناك (ولا يوجد في الأعمال الصحيحة)(2) أن النبي [ﷺ] يقول : «إمّا لا فأحسنوا إليه»(3) (وفي اعتقادي أن التعليق(4) في اللسان غير ملائم) . وفي

---

(١) يقصد الباء التي تسبق المضارع في قولنا مثلاً : احنا بنوكل ، أنا بَكتُب ، هو بِسْأل إنت بتسافر كل يوم ، شو بتعمل؟

(٢) يقصد كتب جوامع الأحاديث الصحيحة .

(٣) والخبر برُمّته في اللسان مادة (إمّا لا) كالتالي : «روى أبو الزبير عن جابر : أن النبي صلى الله عليه وسلم ، رأى جملاً نادّاً ، فقال : لمن هذا الجمل؟ فإذا فتية من الأنصار قالوا : استقينا عليه عشرين سنة وبه سخيمة فأردنا أن ننحره فانفلت منا ، فقال : أتبيعونه؟ قالوا : لا ، بل هو لك . فقال : إمّا لا فأحسنوا إليه ، حتى يأتي أجله . . . قال أبو حاتم : العامة ربما قالوا في موضع أفعل ذلك إمّا لا : أفعل ذلك باري وهو فارسي مردد . والعامة تقول أيضاً : أُمّا لي فيضمون الألف خطأ أيضاً قال : والصواب إمّا لا ، غير مُمَال لأن الأدوات لا تُمَال . (المترجم)

(٤) يقصد ما جاء في اللسان من تحليل لـ إمّالاً : «قال أبو منصور : أراد إلا تبيعوه فأحسنوا إليه ، وما صلة ، والمعنى إنْ لا فوكّدت بما ، وإنْ حرف جزاء ههنا» . (المترجم)

سوريا فإن الأداة (عَمّال) أو أَم تستخدم مع المضارع للدلالة على معنى الحال فيه» (انظر: (Driver, Gram, p.114) . ولا يوجد تفسير مقبول لها . ولعلها مأخوذة عن الأصل أَمّا لا! وعلى أي حال يَبدو أن أَمْ بالنسبة لـ أمّا لا مثل أَمْ بالنسبة لـ أَمّال .

z-٢٥- إن المجموعة التالية من الملامح المنحولة على اللهجة اليمانية ذات أهمية للدلالة على الطريقة التي كانت تُزيَّف فيها المادة بآراء معدّة سلفاً . ويستشهد نشوان (المنتخبات ص١١٥) ببيت من الشعر هو :

ما زال شيبان شديداً حَبَصُهْ[1]

حتى أتاه قِرنُهُ فوقَصُهْ

وقال نشوان إن وَقَصُهْ من وَقَصَهُ صيغة خاطئة استعملها بعض اليمانيين . وإنه لأمر عاديٌّ تماماً في العاميّة الحديثة أن تكون صيغة فَعَلَ قد فقدت حركتها الأخيرة[2] . وحَبَصُهْ المرفوعة من حَبَصَهُ بالإضافة إلى إجازتها في الشعر القديم ، هي عاميّة شائعة أيضاً . ويمكننا كذلك أن نطلع هنا على مثال من الشعر العاميِّ اليماني القديم ، الذي عزاه الشنقيطي (٢٠٨/٢) إلى امرأة من عبد القيس ، إحدى قبائل شرق الجزيرة العربية ، ويذكر الأزهري (في التصريح ، اقتبسها هُول (Howell,iv,805) إنها لرجل من لَخْم . وقبيلة لَخْم هذه أقامت على شاطيء الفرات منذ قديم الزمن ، والأرجح أنها تكلمت لهجة شرقية . ولكنهم ادّعوا أنها من أصل يماني . وعليه اعتبر نشوان أو مصدره لغتهم يمانية . والأرجح أن تكون هذه ظاهرة لهجية شرقية من أجل أن كثيراً من اللهجات قد ورثتها على نحو يوافق القول إن لدينا هنا ميلاً واضحاً- للوقف يسمى النَّقْل ، الذي كان أنموذجاً للهجات الشرقية ، (انظر : المادة في Birkeland, Pausalformen, p.55,60) ولهجة الأَزْد في اليمن لها طريقتها المختلفة في التعامل مع هذه الصيغ .

aa-٢٦- إن أداة الوصل كانت «ذو» ، دون تحديد للعدد والجنس (نشوان ، المنتخبات ص٣٩) . وقد وُجِد شاهد أقدم قليلاً من شاهد نشوان في كتاب بهاء الدين الجَنَدي : أخبار القرامطة في اليمن في تاريخ اليمن ط H.c.kay

---

(١) في اللسان مادتا حَبَصَ ، وَقَصَ الرواية : هَبَصُه وليس حَبَصُهْ والهَبَص هو النشاط والعجلة ، ووَقَص العنق كسرها ودقّها وأما ما حَبَصص فمعناها عَدَا عَدْواً شديداً . (المترجم)

(٢) أي سُكِّن .

لندن ،١٨٩٢ ، ص١٤٧ التي تتعلق بأحـداث أواخر القرن الثالث الهجري/التاسع الميـلادي) حيـث تقول امرأة : ذو بُدّ من ذي حكم الأمير . وذي هذه ما زالت مستعملة في المنطقة بين ذَمار ويريم (انظر : Rosi, san'a, p.23-Rso, xviii, 303) وفي غرب حضرموت (Barth, Pronominal bildung p.159) وهي كذلك مستعملة في المغرب حيث التأثير اليماني قوي . وفي أجزاء ، أخرى من اليمن قد حلّ محلها لفظ الذي الفصيح ، التي اعتبرت قديماً بقدر ما هُذَليّه . ولكن الصيغة المحلية قد تأثرت إلى حد ما بـ «الذي» حتى إنها أصبحت ثابتة في دلالتها على الجنس والعدد (Mittwoch, Aus. dem Jemen, p.59/ Landberg,Dathina,p.408) والصيغة الثابتة ترد أيضاً في النصوص الحجازية (انظر : البخاري ، الدّيات ، ص٢٢) «قالوا للذي وُجِد فيهم» (وكذلك تفسير الطبري) .

والمفسرون المسلمون كالبيضاوي مثلاً يعترفون بهذا الاستعمال في «خُضْتُم كالذي خاضوا» (٦٩-سورة التوبة) . ويمكن قراءة الآية بوضع «ما» بدلاً من «الذي» كما فعل الزمخشري ، ولكن المفسرين لم يجدوا في استعمال «الذي» للجمع أمراً مستغرباً . وقد يكون في ذلك رخصة لنا إذا اعتبرناه دليلاً على استعمال «ذي» اسماً موصولاً في الحجاز أيضاً في وقت ليس بعيداً . وطيء القبيلة الغربية في شمال الجزيرة استعملت «ذو» مقابل الصيغة العبرية المهجورة «زو» ، وهناك بعض الأدلة على أن استعمال «ذو» كان ، في وقت ما ، جارياً في عُمَان (انظر : Brokelmann,GVG,I,325) ؛ وعليه فإن استعمال «ذو» في وسط غرب الجزيرة وجنوبها كان ثانوياً . وقد يكون ذلك للخلط بينها وبين اسم إشارة المذكر ذي (انظر فصل ٧ ، t, u) أو لتأثير العربية الجنوبية . ولا نعرف حركات الذال في العربية الجنوبية . وفي الإثيوبية زَ- za ، ولكن في المهرية دِ- di ، ودي- de انظر : (Maltzan, ZDMG, xxviii, 266) ، وقد احتفظ في الإثيوبية بالصيغة مع الكسرة ففي zi'a (زِيءَ) بمعنى إنْ ، والأمهرية ، «يِ» أيْ : الذي ، مَنْ . (انظر : الخريطة رقم ٢٠) .

٢٧-bb- والنص المستشهد به من بهاء الجَنَدي يتضمن كذلك كلمة دو duالنافية التي أكّد الهَمْداني (استشهد بها مولر Müler, süar, studien, pp.19-21) أنها حميرية . يكون النفي قرب تعز ، في جنوب اليمن ، باستعمال دو ، dou ، ودأ -da' (Rossi, Rso, xvii,471) . في نقوش العربية الجنوبية وردت أداة كُتبت d'- دأ في (CIH,541) (CIH,540,Lin66,and in لسنة ٥٤٣ بعد الميلاد ، السطر ٥٠ . واعتبرها رودوكناكس Rhodokanakis وكونتي روسي Conti Rossi في

(chrest, p.124) بمعنى (الآن أو قبل الآن) ولكن بريتوريوس Praetorius اعتبرها في (ZDMG, Iiii, 16) أداة نفي . وإن ظهور الكلمة فقط مكتوبة في العربية الجنوبية في أيامها الأخيرة يمكن أن يشير إلى أنها قد دخلتها من اللغة الحِمْيَرية المنطوق بها . وليس من المستبعد أن بعض الملامح الأخرى من السبئية المتأخرة أن نجد لها تفسيراً من هذا الجانب . والكلمة الآنفة الذكر التي رفضها مولر رفضاً باتاً يمكن أن تنتمي إلى الموروث من الحقبة السامية-الحامية . والشاهد على ذلك أداة النفي di- دِ المستعملة في سِدَمو ، إحدى اللغات الكوشية في جنوب إثيوبيا .(Cerulli,Studi Etiopici,ii,Roma,1938p.77)

cc-٢٨- إن الحرف «حتى» قد نُطِق في اليمن مُمالاً أي حَتّي (انظر : السيوطي ، الجمع ٢٣/٢) . وبغض النظر عن كون هذا المصدر الوحيد متأخراً فإنه من الصعب استخلاص نتيجة من هذا الخبر . وكما سنرى فإن تطور (حتى) في العربية الغربية كان لافتاً للنظر من ناحية ثانية . والصيغة الحجازية بالنظر إلى هجائها يجب أن تكون حَتّيْ . وأما عَتّى «عَتّيْ» الهذلية فتنم عن الخلط بينها وبين عَدَ(يْ) التي يجب أن تكون قد وجدت في غرب الجزيرة العربية . ونجد في السبئية أولاً صيغة عَدْ-d' وفي النصوص المتأخرة عَدْيْ .dy-'dai' ربما نشأ هذا بتأثير من حَتّيْ العربية . هل يمكننا اعتبار حَتّي اليمانية بدورها نتيجة لتأثير الصيغة السبئية القديمة ، التي ربما كانت عَدِي -'de'؟ انظر للسريانية دَي adī .

الفصل الخامس

حِمْيَر

a- ١ – إن الفترة ما بين نشأة حِمْيَر إلى سيطرة العربية الجنوبية مازال يكتنفها الغموض . حتى اسمهم القديم ما زال غير متفق عليه : حيث الكتّاب الهومريون اليونان واللاتين يذكرون حُمير Humair ، بينما العربُ لا يعرفون إلاّ القليل من المعلومات عن حِمْير (التي تبدو وكأنها قد قامت بعد مِدْيَن) . أول من ذكرها بلِني Pliny (١٦١/٤) باعتبارها أحد الشعوب التي شملتها حملة أوليس جالوس Aelius Gallus العسكرية (٢٥ ق . م) ووجدها أكبر شعوب جنوب الجزيرة العربية[١] ، وقد جعل كلوديوس بطليموس Claudius ptolemaeus مساكنهم (في القرن الثاني بعد الميلاد) في المكان المسمى اليوم محمية[٢] عدن وجنوب اليمن . إن كتّاب نقوش حصن الغراب (٥٢٥ بعد الميلاد) يصفون هذه البلاد بأنها أرض حِمْيَر ، و ملكها بأنه ملك حِمْيَر ، بأنهم حميريون وأرحبيون . ويدّعي أبرهة (٥٤٣ بعد الميلاد) بأنه الوريث الشرعي لحكّام سبأ دون أي ذكر لِحِمْيَر (CIH,541,Lin 6.7) سوى أن جيشه كان مكوّناً من الأحباش والحِمْيَريين (السطر ٧٥) . وبالنسبة لكتّاب العرب فإنهم يعتبرون كل عربي جنوبي حِمْيَرياً ، دون شك لأنه في أثناء فترة انتشار الإسلام كان هذا التعبير جارياً بين أهل اليمن . وعليه فإن من الطبيعي أن نعتبر كلام العرب المتعلّق بحمير وكأنه إشارة إلى عرب جنوب الجزيرة .

---

(١) واعتماداً على فلبي (JRAS,1945,p125) فإن أقدم نقش ذكرت فيه حمير هو CHI,314 تحت اسم الشريحة يَخْضُب قبل ١١٥ ق .م بقليل حين استولى الهمدانيون في سبأ وذو زيدان على الحكم بالقوة (انظر :-Hart-man, Arabische, Frage, p.148) ومن الغريب حقاً أنه لم توجد نقوش تخص الحميريين منذ ذلك الوقت ، مع أن بلاد حمير القديمة أسهل المناطق اليمنية التي يمكن الوصول إليها .

(٢) ظهر الأصل الإنجليزي لهذا الكتاب سنة ١٩٥٠م حيث كانت عدن وما جاورها تحت الاستعمار البريطاني ولكن المنطقة أخذت استقلالها في الستينيات وأصبحت تسمى جمهورية اليمن الديمقراطية ، ثم توحّدت مع اليمن الشمالي سنة ١٩٩٠م ، كما هو معروف ، فأصبحت البلاد اليمنية كلها شمالاً وجنوباً ، الجمهورية اليمنية . (المترجم)

b- ٢ - ولذلك عندما نجد الهمداني (٣٣٤هـ/٩٤٦م) يستشهد بالنقوش الحميرية التي تحمل شبهاً بالعربية الجنوبية ، لا يمكننا اعتبارها إلاّ أنها ملفّقة وهي بلا شك كذلك . والهمداني يستطيع قراءة النقش العربي الجنوبي في حدود معينة ، ولكن يبدو أنه لا يعرف سوى أبسط الحقائق عن قواعدها ، أو مقدّمة عامة عن تركيبها ونظام الصياغة فيها . ومن أجل ذلك ، لا يمكن تصديق ما يفعله بالكلمات التي يستخرجها من النقوش - كيف يمكننا أن نتصوّر أن يجد المعنى الصحيح للكلمات التالية وغيرها مثل : طِيبْ بمعنى الذَّهَبْ (الشهري تيب) وحج[1] بمعنى مثيل؟! لا بَد أنّه يستقي معلوماته من مصادر شفوية ، من اللغة المنطوقة في عصره وفي بيئته . وكيف يمكننا أيضاً أن نوضح استخدامه للتراكيب النحوية كصيغ المفرد المتكلم ، التي تتوافق مع الحبشية والعربية الجنوبية ، مع أنها لا توجد في النقوش أبداً ، إنها اللغة الدارجة في عصره ، التي كانت تسمى الحميرية من قِبَل المتكلمين بها ، ولم يكن مفهوماً بجلاء لدى العرب ما ذهب إليه الهمداني من أنها اللغة التي كان يؤلف بها المسنديون القدماء . ويخوّلنا ذلك أن نعتبر نصوصه وثائق لهذه اللغة[2] . وإنّ الفحص الدقيق لنصوص الهمداني سيرينا أنها كانت في الأساس لهجة عربية من النمط اليماني ، ولكن ببعض الملامح المهجورة ، وبأكبر قدر من الكلمات المقترضة من العربية الجنوبية . كل ذلك يشير إلى الشعب الذي كان يعيش في تلك المنطقة لفترة طويلة من الزمن ، من المحتمل أن يكونوا العرب الذين جاء ذكرهم سابقاً في النقوش السبئية القديمة ممتزجة ببقايا لهجة الفلاحين العربية الجنوبية .

c- ٣ - وبالنسبة للهمداني فإن الحميرية كانت حية ولغة شائعة ، وقد عرض ، بما لا يقبل الشك ، وصفاً للحالة اللغوية لمناحي الحياة في البلاد (في صفة جزيرة العرب ص ٤٣١-٦٣١) حيث قال :

لغات سكان شبه الجزيرة العربية :الشِّحْر والأَسْعاء لا ينطقون العربية الفصيحة .

---

١) أما نشوان في المنتخبات ص٩٢ يذكر هِنْجْ بمعنى مثيل أو نظير باعتبارها كلمة حميرية .

٢) وأول اقتراح متردد في هذا الاتجاه قد جاء من مولر (Südarabische stodien) وأما لندبيرج(Arabica,v,III) فيبدي رأيه عن طبيعة الحميرية بأنها بالفعل هي نفسها اللغة المحتج لها هنا ، ويؤكد أهمية عنصر الامتزاج والتشابك بصورة أكبر .

والمهريون غُتْم(١) يشاكلون العجم . وأما أهل حضرموت فهم ليسوا بفصحاء وربما كان فيهم الفصيح ، وأفصحهم كندة وهمدان وبعض الصَّدِف(٢) . وسَرومُذحج ، ومأرب ، وبَيْحَان وحَرِيب يتكلمون الفصحى . وتندر اللغة الرديئة في كلامهم . وسرو حمير وجَعدة ليسوا بفصحاء وفي كلامهم شيء من التَّحْمير ، ويجرون في كلامهم ويحذفون فيقولون يابنْ مْعَمّ في يابن العم وسِمَعْ في اسْمَعْ . وفي لحج وأبْيَن ودثينة يتكلمون بلغة أفصح . وأفصحهم العامريون من كندة والأوديون . وأما أهل عدن فلغتهم مولّدة رديئة وإن في بعضهم نُوكاً(٣) وحماقة إلاّ من تأدّب منهم . ولا بأس بلغة بني مجيد وبني واقد والأشعر . وفي المعَافِر ينطقون في سافلتها لهجة فيها غُتْمة ، وفي علياها أفصح من ذلك . والسكاسك وسَط ، وأما منطقة الكَلاَع فلغة نَجْدها(٤) فصيحة جداً مع عسرة من اللسان الحميري . وفي سراتها تعقُّد(٥) . وإن لغة سَخلان وَجَيْشان(٦) ووراخ وَحضِر والصُّهَيْب وبدر قريبة

---

١) الغُتْم : هو النطق بلكنة أعجمية . (المترجم)

(٢) وهي قبيلة من كندة ، حازت فضيلة السبق بالهجرة والجهاد أيام الفتح الإسلامي (انظر هامش ١ ص١٦٦ من كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني) . (المترجم)

(٣) النُّوك : بضم النون وفتحها الحُمقْ . (المترجم)

(٤) معنى السراة المنطقة الجبلية وبالنجد الأماكن المرتفعة ويبدو في قراءة المؤلف للنص الأصلي تناقض فكيف يقول : السكاسك لغتهم وسطية ، أي يفصلها عن النص الأصلي الذي يليها وهو : إن الأرض المرتفعة في بلد الكلاع لغتها ممتازة ثم يقول بعدها التلال المرتفعة يقصد السراة في لغتهم تعقّد؟! أَعْتَقِدُ أن قراءة النص في صفة جزيرة العرب ص٢٤٨ لا تؤدي إلى هذا الفهم فالنص دون علامات ترقيم هو : «والسكاسك وسط بلد الكلاع نجدية مثيل مع عسرة من اللسان الحميري سراتهم فيهم تعقُّد» ، وعليه فالهمداني يريد أن يقول والله أعلم ، أن السكاسك تقع جغرافياً وسط بلاد الكلاع ولغتها تماثل أهل نجد مع شيء من الحميرية ومن يسكن منهم في التلال المرتفعة أو الجبال وهم أهل السراة ففي لسانهم تعقيد» وقد يقصد أيضاً إن السكاسك لغتهم وسط بين الفصاحة وغيرها ، وبلد الكلاع مرتفعة (نجدية) وتماثل في لغتها السكاسك ؛ لأنه يقول أي الهمداني نجدية مثيل أي مماثلة للسكاسك ، خاصة أن مصطلح نجد قد ورد عنده بمعنى الأرض المرتفعة مثل قوله بعد ذلك عن سراة مذحج ، ونجدها مثل رداع . (المترجم)

(٥) أي صعبة الفهم . (المترجم)

(٦) في صفة الجزيرة : حيشان بالحاء . (المترجم)

من لغة سَرْو حمْيَر . يَحضب[١] ورُعَيْن أفصح من جُبْلان . وفي لهجة جُبْلان تعقّد . وسادت[٢] الحميرية من حقل قَتاب إلى ذَمار . وأهل سراة مَذْحج مثل رَدْمان وقَرَن ونَجْدُها مثل رداع وإسبيل وكومان والحدا وقائفة ودقرار فصحاء وأهالي خولانَ العالية فصحاء . وإنَّ أهل سَحْمَر[٣] ، وقَرْد ، والجَبْلة[٣] ، ومُلْح ، وعليا لحج من الحَمْض ، والعُتْمة ، ووَتْيَح ، وسِمْحْ ، وأنس وألْهان تعد لغتهم وسطاً في الفصاحة وإلى اللُّكنه أقرب . وحَراز ، والأخروج ، وشُمّ ، وماضح[٤] . والأحبوب ، والجحادب[٥] ، وشرف أقيان ، والطَّرْف وواضعْ ، والمغْلَل خليط من متوسط بين الفصاحة واللكنة ، وبينها ما هو أدخل في الحميرية المتعقدّة . إن بلد الأشعر وعَك وحَكَم بن سعد في وادي تهامة لا بأس بلغتهم إلاّ من سكن منهم القرى . وحاشد من بني همدان الذين يسكنون سراة همدان . إلى جانب عُذَر وهِنْوَم[٦] وحَجور فصحاء . ويوجد غُتْم في لغة غيرهم مثل القُدَم والجَبَر ، والمنطقة المرتفعة من همدان هي البَوْن الذي يشمل المشرق ، والخَشَب تتكلم عربية مخلوطة بحميرية . أما ظاهر همدان النجدي أي النواحي الواقعة على الأطراف فلغتهم أقرب إلى الفصاحة . وأهل خَيْوان فصحاء وفيهم حميرية كثيرة إلى صَعْدة . وبلد سفيان بن أَرحب فصحاء إلاّ في مثل قولهم : أمْ رَجُل ، وقيِّد بعيراك في بعيريك (انظر فصل ٧- f) ، ورأيت أخواك (أختيك أو أخويك) . واستخدام الأداة أم بدلاً من أل موجود أيضاً في أشعر وَعكْ وبعض حكَمَ في تِهامة . وعُذَر مَطِرَه ، ونهْم ، ومُرْهِبه ، وذيبان ، وسكان الرَّحْبة من بلحارث فصحاء . على أن صَناف[٧] في الجوف الأعلى دون ذلك في الفصاحة . ولا بأس بفصاحة خرفان وأثافِت . وسكان

---

(١) وفي صفة الجزيرة يَحْصب بالصاد ، ويظهر أن الكاتب تابع مولر في ملاحظته حيث لاحظ أنها يحضِب بالضاد . (المترجم)

(٢) في زمن الهمداني . (المترجم)

(٣) عند الهمداني : سَحَمُر ، والحبله وليس سَحْمر والجبلة . (المترجم)

(٤) عند الهمداني : ماظخ ، وليس ماضحاً . (المترجم)

(٥) عند الهمداني : الحجادب بالحاء أولاً . (المترجم)

(٦) عند الهمداني : هَنْوَم بفتح الهاء وليس كسرها . (المترجم)

(٧) عند الهمداني ضَيَاف وليس صَناقاً . (المترجم)

الجوف فصحاء ، إلاّ من خالطهم من جيرانهم التهاميين .

وكذلك نهِم الشمالي ، ونعمان مرْهبة وظاهر بني عَليّان[1] وظاهر سفيان وشاكر فصحاء . وإن بلد وادعَة بنو حرب أهل إمالة في جميع كلامهم (انظر فصل ٤ فقرة h) ، وبنو سعد أفصح . ومن ذمار إلى صنعاء متوسط ، وهو بلد ذي جُرَة . ويوجد بقايا من العربية المحضة في صنعاء ، وإن نبذاً من كلامهم يعود لحمير ، فمدينة صنعاء مختلفة اللغات واللهجات لكل فيها لغة ولكن الذين يسكنون على جانب شَعوب يتكلمون لهجة مختلفة عن الآخرين والحِميرية المحضة في شبام أقيان ، والمصانع ، وتُخْلى . وأهل نجد خَولان صعْدةَ فصحاء . وأهل قدّها وغورها غُتْم غير فصحاء . وتسود الفصاحة في المناطق الممتدّة من العِرض في وادِعةَ إلى جنب فيام فزَبيد فبني الحارث فما اتصل ببلد شاكر من نجران إلى أرض يام ، فأرض سنحان ، فأرض نهد ، وبني أسامة ، فعنز ، فخثعم ، فهلال ، فعامر بن ربيعة ، فسراة الحجر ، فدَوْس ، فغامد ، فيشْكُر ، ففهم ، فثقيف ، فبجيلة ، فبنو علي ، غير أن أسافل سروات هذه القبائل ما بين سراة خَوْلان والطائف دون أعاليها في الفصاحة . وأما العروض ففيها الفصاحة ما خلا قراها ، وينطبق هذا الأمر على الحجاز فنجد السفلى ، فإلى الشام ، والى ديار مضر ، وديار ربيعة ، فيها الفصاحة إلا في قراها .

وليس واضحاً تماماً على أي مقياس اعتمد الهمداني في تمييز الفصيح من غير الفصيح . فمعظم اللهجات التي يذكرها غير معروفة في صيغتها الحاضرة . واللهجة الدارجة في دثينة ، كما وصفها كومت دي لندبيرج ، بعيدة تماماً عن العربية الأدبية . مع أن الهمداني قد اعتبرها فصيحة . ولهجة حضرموت التي صنفها في أدنى درجات الفصاحة إنها اليوم لا تختلف أكثر من لهجة دثينة عن العربية الأدبية . ولا يلزم على ذلك أنه قد حدث في زمن الهمداني ، ما دام محتملاً أن التعريب قد نتج عنه بعض التقدم منذ ذلك الوقت ، بالنظر إلى القادمين الجدد من الصحراء ، والى ما تركه تعليم المسلمين من آثار خلال ثلاثة عشر قرناً .

d- ٤ – والموقف العام في بداية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي فيمكن تلخيصه بالآتي :

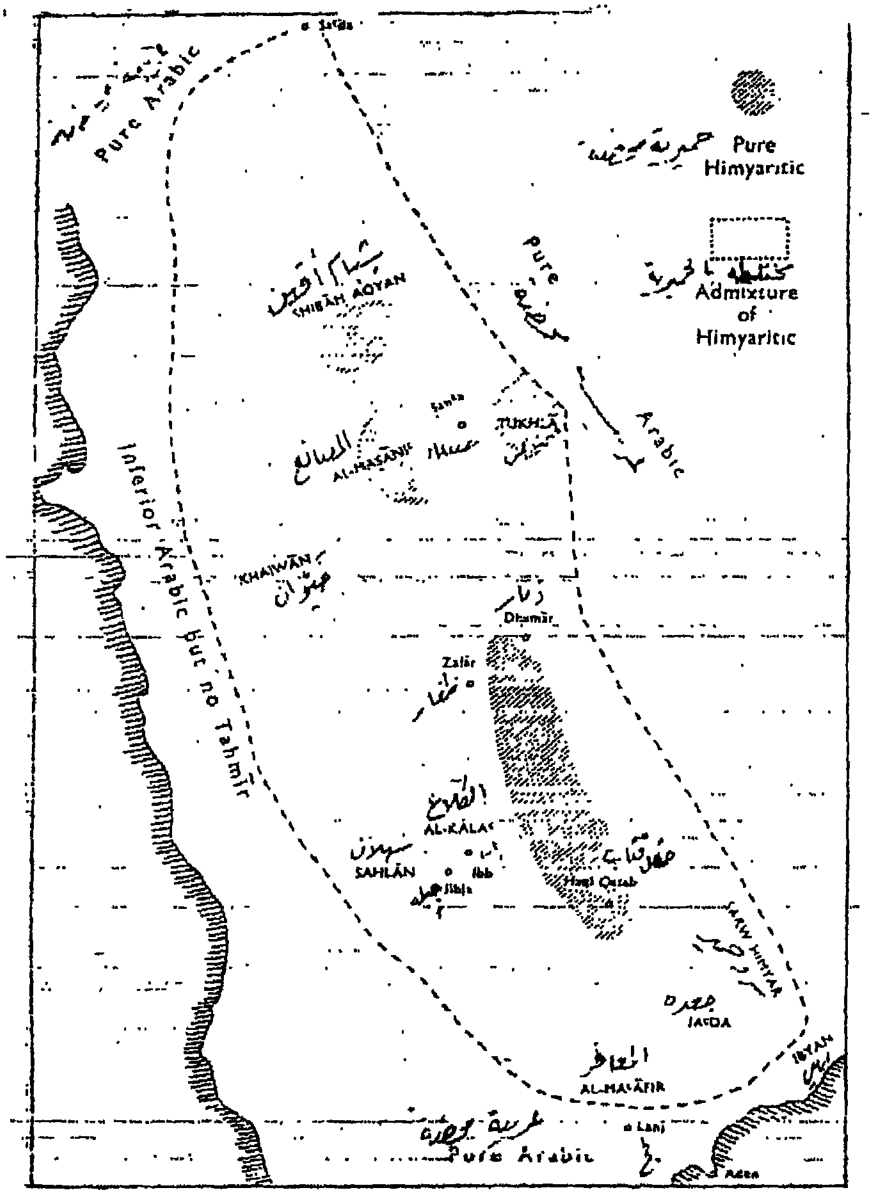
العربية الفصيحة ، أعني اللغة القريبة من لغة البدو في وسط الجزيرة ، كانت لغة المناطق العالية (النجود) الواقعة في السراة وفي مناطق قليلة أخرى ، خاصة أقصى

---

(١) عند الهمداني : عَلْيان . (المترجم)

الجنوب . والمناطق المتصلة بالنجود ، أعني أعالي السروات ومنحدراتها الغربية ، قد وصف الهمداني اللهجات فيها بأنها متوسطة أو خليطي . ومن خلال السياق كله قد أصبح معلوماً لدينا أن بعض اللهجات قد اختلطت بالحميرية . وبعض المناطق وُصفت لهجتهم بالغُتْم . وما يمكن أن نستنتجه من ذكر المهرية بين اللهجات أنها لهجات عربية جنوبية . ومما يلاحظ أن الهمداني لم يعقد مقارنة بينها وبين الحمْيَرية . وختاماً فإن هناك مناطق ظهرت آثار التحمير فيها بوضوح أو كان فيها تعقّد أو أنها معقّدة ، أعني أن فيها إيقاعاً وتنغيماً حميرياً ، وكذلك هناك مناطق تسودها حميرية محضة . والأخيرة تركزت في منطقتين محدّدتين بشكل واضح : منطقة الجبال الوسطى حول صنعاء ، والسروات الجنوبية . وتجد توضيحاً لهذا التوزيع على الخريطة رقم ٤ . ويمكننا أن نتبين بسهولة العوامل التي تحكمها وهي : أن سكان الجبال من المزارعين يتكلمون بالحميرية ، والبدو يتكلمون بالعربية الفصحى . إلى الغرب من المناطق الناطقة بالحميرية حزام عريض اختلطت فيه العربية بالحميرية مع الأكثرية للأخيرة في القرى . وهذا هو الجزء من البلاد ، الذي كانت تسوده الحميرية سابقاً . وقبل القرن الرابع الهجري بقليل ازداد العنصر العربي بحيث تعرّب معه الناطقون بالحميرية .

e– ٥ – وهكذا أصبح لدينا في اليمن مجموعتان متميّزتان من الناطقين بالعربية ، بغَض النظر تماماً عن البدو في الشرق . وأول المجموعتين وأقدمها دون شك وهي المتمثّلة بالحميريين ومن خضع لهم من سكان المناطق بلغتهم المختلطة- سواء أكانت لغتهم الأصلية مشابهة لغة الحميريين أو مختلفة . . . . . ، والمجموعة الأخرى مكوّنة من العرب الذين يتكلمون لهجات من نمط العربية الغربية ، وهم الذين عاشوا بدواً أو أشباه بدو في المناطق النجدية ، حيث يبدو أنهم حافظوا على اتصالهم الوثيق بالسكان القدماء . وكل الدلائل تشير إلى أن المجموعة الثانية ما هي إلاّ موجة بدوية حديثة من الشمال . وأكثر الأوقات احتمالاً لقدومهم هي الفترة الإسلامية المبكّرة ، التي تمت خلالها هجرة عدد كبير من العرب اليمانيين إلى البلاد المفتوحة ، مما وفّر مجالاً للقادمين الجدد وبعض السكان في الحزام المختلط يحملون أسماء قبائل تنتمي إلى شمال اليمن . مثل همدان ، ولكن من الواضح أن الهمداني كان يتكلم أفْضَل من القبائل الأخرى في معظم الأحوال ، وكأن سكان هذه المناطق لم يكن لهم تنظيم قبلي من أي نوع . وقد تشكّل هذا الانطباع بتأثير



خريطة رقم (٤) : مناطق الكلام الحميري في العصر الهمداني – فصل ٥ – فقرة d

معلومات أخرى تُظْهِرُ أن البلاد قد ازدحمت بجماعات انشقت عن قبائلها ؛ ولا يمكننا من خلال المعلومات التي بين أيدينا الآن أن نقول ما إذا كان هؤلاء العرب المهاجرون قد انتقلوا فقط من الأراضي الفقيرة في شمال اليمن إلى الجنوب الغني ، أم إنَّهم قد جاؤوا من شمال أبعد ، من الحجاز أو وسط الجزيرة . وإنه من الجدير بالملاحظة ، من ناحية ثانية ، أن وجهة هذه الهجرة كانت معاكسة لهجرة العرب المفترضة تقليديا ألا وهي هجرة القبائل اليمانية إلى جميع أنحاء الجزيرة العربية . بعد انهيار سد مأرب . ولم تقف إحدى الهجرتين حائلاً دون الأخرى . بل يمكننا القول أن هجرة الأجيال الأخيرة كانت محتملة بسبب الفراغ الذي أحدثه النزوح الأول عن البلاد . والحجة التي تساق إزاء قبول العرب التقليدي لذلك (الأمر) يمكن أن تكمن في عدم تحديد علماء الأنساب لملامح لهجات القبائل التي تعتبر يمانية مقارنة بالقبائل المضرية في تلك الفترة نفسها .

f- ٦ - لم يكن الطور الحميري القديم أقل اختلاطاً من الطور اليماني المتأخر . وقد قيل سابقاً يمكن أن يكونا متشابهين مع العربية المذكورة في النقوش السبئية ، التي امتزجت تدريجياً بالمختزن من العربية الجنوبية الخالصة ، ويمكننا أن نلاحظ على المناطق المبيَّنة على الخريطة ، باعتبارها مراكز للحميرية الخالصة ، أن هناك تماثلاً ،على نحو ما ، مع جوهر الثقافة العربية الجنوبية (انظر : خريطة مواطن الحميرية في النقوش المكتشفة في Beiträge zur Arabistik وقد حررها Hartmann ليبزج ١٩٤٤ ، ص٥٧) . ومن أين جاء هؤلاء العرب ، وما علاقتهم بالقبائل العربية الجنوبية؟! لا نملك جواباً على ذلك . وكلامهم العربي الأصلي فيه بعض الشبه بالعربية الجنوبية أكثر من اللهجات الشرقية . وهذا الانطباع إما أن يكون ناتجاً عن السمات المهجورة لكليهما أو نتيجة تأثير العربية الجنوبية في الحميرية . إذا كانت مثل هذه الملامح ، كالكاف التي تلحق بفعل المفرد التام[1] ، أصلية في كلام العرب الحميري فإن لغتهم تكون في الواقع مختلفة جداً عن العربية

(١) يقصد قولهم : قُلْكُ لك في قُلتُ لك ، أي إبدال التاء بالكاف (المترجم)

الجنوبية[١] .

g– ٧ – إن معظم المراكز التي تتكلم الحميرية لا تقع ضمن المناطق التي حدّدها كتاب اليونان واللاتين لبلاد حِمير . ومن المؤكد بعد استقرار سيطرة الحميريين أنه قد انضوى تحت لوائهم شعوب كثيرة وألحقت بحِمْيَر من الشعوب التي كانت تنتمي لمجموعات أخرى . ولكن ماذا عن البلاد الأصلية لحِمْيَر؟ وهل كان أهلها حميريين أم عرباً جنوبيين خلَّصاً؟ وإننا لا نجني الكثير من حقيقة أن ملوكهم قد استخدموا السبئية في نقوشهم ، وقد فعل ذلك أيضاً ملوك الجعز في أثيوبيا . ومثل هذا الإجراء كان عادياً تماماً في الشرق (انظر : أيضاً بروكلمان في GVG,i ,29). إن الجزء الجنوبي من الأراضي الحميرية القديمة اعتبره الهمداني منطقة عربية خالصة والباقي بما فيه العاصمة ظفار في المنطقة التي تسودها لغة مختلطة . وربما يمكننا أن نستنتج بعض الدلالة من تمييز أبرهة بين الأحباش والحميريين من جهة ، وبين عرب السهول والجبال من جِهَة أخرى (انظر : معنا CIH541,line 8) ، ولكن التعبيرات التي ترد مع ألقاب الملوك لا تعني سوى القليل غالباً ويمكن أن تكون مقتبسة من ألقاب سلفهم[٢] . وعلى كل حال من المحتمل تماماً أن بعض العرب لم يَرقْ لهم ذلك الخليط الذي تكوَّن منه مواطنو الدولة الحميرية المتأخرة . وأكثر من ذلك فإن النقوش السبئية ليس فيها ما يشعرنا بأن الحميريين كانوا ، بأي حال ، أجانب ، بل جاء ذكرهم بالطريقة نفسها التي ذكرت بها الشعوب العربية الجنوبية الأخرى ففي CIH,350 سمّاهم المؤلف شعباً ، تماماً كما سمّى قبيلته التي ينتمي إليها وهي حاشد . وقد تكون الطبقة العربية الجنوبية في الدولة الحميرية قليلة جداً في الواقع في حين كانت الغالبية من السكان خليطاً في وضع أشبه بالحميريين أيام الهمداني .

h– ٨ – إنّنا نمتلك نصين حميريين قصيرين ، عدا النقوش المنحولة عند الهمداني . أحدهما

---

(١) القصيدة الحميرية وشروحها (انظر : Hartmann,Arab,Frag,p.319) عُدَّت القبائل التالية من كهلان ، القبيلة الشقيقة لحِمْيَر : جُذَمَ ، لخم ، طيء ، أشعر ، مذحج ، هَمْدان ، بجيلة ، خثعم ، أزد . وهذه القائمة قد تحتوي على أسماء بعض المجموعات التي لها ارتباط وثيق بالعربية الخاضعة لحمير . وهذا يفسّر المكانة الخاصة لقبيلة طيء . والقبائل الشمالية لا بد أنها قد تعربت عن طريق الهجرة الأخيرة .

(٢) كالألقاب التي تخص شرْحَبئل ، يَعْفُر في (.CIH,540).

جملة قالتها في ذمار والدة وَهْب بن منبّه قبل ولادته سنة ٤٣هـ/٦٥٤-٦٥٥م (عن تاريخ صنعاء لعبد الله عباس الرازي ، واقتبسها لاندبيرج في كتابه العربية١١٢/٥) . وهي : رَأَيْتُ بنحلم كولدكُ ابناً من طيب[1] .

i- ٩ - والنص الثاني مقطوعة شعرية قصيرة كان يغنيها جنود يزيد الأول عند حصارهم مكة ٢٧-٣٧هـ ، وقد وردت في مصدرين انفصالهما ظاهر ، في البلاذري (تحقيق أهلوارد ص٨٤) وعند أبي زيد (النوادر ص ١٠٥) وقد اقتبست في الأعمال المتأخرة (انظر أيضاً : Noldke,Beitr,Zpoe sied. Alten Ara- ber,1864,P.12;ZDMG xxxviii,413 Kampffmeyer, ibid,1iv,622) ويقرر أبو زيد أن قائل الأبيات كان حِمْيَرياً . وفي بلاد الشام ، كان العنصر اليماني على وجه الخصوص قوياً . (انظر : Kampffmeyer, MSOS,iii,2,p.80f and (spren- ger. Alte Geogr, Arabiens,p.295 ولسنا بحاجة إلى اعتبار كل ما جاء في الأبيات حِمْيَرياً خالصاً ، فإنه من الواضح أن بعضها عربي فصيح والأبيات هي :

يا ابنَ الزبير طالما عَصَيْكا
وطالما عَنَّيْكَنَا (وفي نص آخر عَنَّيْتَنَا) إليكا
لتحزننّ بالذي أَتَيْكا
لنضربَنْ بِسَيْفنا قَفَيْكا

والأبيات معرض غني لخصائص الحميرية ، مع أخرى غيرها سنعالجها في الفقرات التالية . حتى إذا لم نجد شيئاً سوى أنها محاكاة ساخرة للكلام الحميري ، فإن قيمتها ستظل باقية لنا من حيث أنها عرضت لنا ما أخذه العرب في الاعتبار حتى تكون مماثلة للحميرية .

k- ١٠ - والنقوش التي صنعها الهمداني في المجلد العاشر من الإكليل وعند مولر في (Burgen und schlosser" and "studient") وبعضها في أجزاء من (Répertoire d'épigraphic Sémitique) إلى جانب ذلك الأخبار التي يوردها اللغويون عن قواعد الحميرية ومفرداتها . وتقييمها غير سهل دائماً ، لأن بعضها يتكرر في مصادر أخرى باعتباره يمانياً أكثر من كونه حميرياً .

---

(١) وردت الكلمة في الحديث الشريف (صحيح مسلم ٢٩٧/٣) ولم تكن مفهومة لدى الشراح جولد تسيهر . (Muth, stuient,ii,243)

في الوقت الذي لا نشك في أنهما يحظيان بنفس الشيوع ، فإنه يداخلنا شك بأن اللغويين المحليين كثيراً ما يصفون ألفاظاً بأنها حميرية ليضفوا عليها هالة من العراقة . وقد نتمكن يوماً من العثور على المجلد السابع من الإكليل الذي عالج فيه اللغة الحميرية .

l- ١١ - بالرغم من إدراكنا بأن الحميرية ، من خلال الوثائق التي بين أيدينا ، تشبه العربية إلاّ أنّ العرب يعتبرونها غامضة تماماً . فإن ابن سلام (في طبقات الشعراء ص٤) يقول : «إن اللغة الحميرية ليست لغتنا ، ولا تشبه مفرداتها مفردات العربية» . وفي عام ٣٧٥هـ/٩٨٥م يخبرنا المقدسي (في أحسن التقاسيم ص٩٦) أنه : «يوجد في منطقة حمير قبيلة عربية كلامها غير مفهوم» . والمثل العربي يقول : «من دخل ظفار تَحَمَّر» إشارة إلى الحكاية التي حصلت مع الأعرابي الذي فهم ثِبْ بمعنى اقفز وليس بمعنى اجلس ، فلقي مصرعه (الهمداني ، الإكليل ، ص٩٣ وما بعدها) .

ويقررها ابن جني (في الخصائص ٣٩٢/١) باعتبار الأمر حقيقة واقعة وهو «إن لغة حمير وما شابهها يختلفان تماماً عن لغة ربيعة ومُضَر ، وقد يُدخل بعضهم شيئاً منها إلى عربيتنا وليس له فصاحتها[1] فيساء الظن به» . ولا هُوَ ولا الفارسي يستطيعان أن يخرجا بأية فائدة من النص المكتوب بلهجة حوريت (وقد يكون هذا الموضع فيما بين النهرين في العراق ، انظر البكري ص٩٧) ، وهو النص الذي لم يذكره لسوء الحظ .

m- ١٢ - ازدرى الناس الحميرية باعتبارها علامة مميِّزة للطمطمانية . وقد اختلف في تفسير هذه اللفظة فهي «صورة من الكلام أشبه بكلام العجم» (انظر : أردبيلي في طبعة دي ساسي (Chrest.gram.p.118) وابن يعيش المفصل ص١٢٤٦ ، ابن عبد ربه ، العقد ٢٩٤/١) . وهي مرة أخرى «الألفاظ المنكرة المشبهة بكلام العجم» (القاموس المحيط) وأما ابن سيده (في المخصص١٢٢/٢) فيفسرها ببساطة بأنها أعجمية . وقد

---

١) والنص بلفظه وسياقه الدقيق في الخصائص ٢٨،٢٧/٢ طبعة دار الهدى كما يلي : « فاقوى القياسين أن يُقبل من شُهرت، فصاحته ما يورده . . . .فإن لم تأخذ بها دخل عليك الشك في لغة مَن تستفصحه ولا تنكر شيئاً من لغته مخافة أن يكون فيها بعض ما يخفي عليك فيعترض الشك على يقينك . . .ويكفي من هذا ما تعلمه من بُعْد لغة حِمْير من لغة ابني نزار . . .فإذا كان كذلك جاز جوازاً قريباً كثيراً أن يدخل من هذه اللغة في لغتنا وإن لم يكن لها فصاحتنا» وهكذا يكون المؤلف قد ذكر النص بمضمونه لا بلفظه . (المترجم)

استخدم عنترة كلمة طِمْطِم باعتبارها يمانية[1] . (ط العناني ص٢١٢) . وهي فارسية أيضاً (انظر : المرجع السابق ٢/٢٧) . وعند عمران بن حطّان الحبشي . حبشية (الأغاني ١٥٦/١٦ ، ١٢/٢١) . ومن خلال معناها يمكن مقارنتها بكلمة المشناة العبرية طِمْطِيم (بمعنى يغلق) . وقد تعني طِمْطِيم كذلك «الحمق والغباء» . وبناء على ذلك ربما كانت «طِمْطِم» تعني في الأصل الأحمق أو الأبله وبعد ذلك صارت تعني الغُتْم وعدم الفصاحة . وبالنسبة للغويين فإن هذا المصطلح العام غامض ، لذلك نجد الثعالبي (فقه اللغة ص٧٠١) يحصره في صفة واحدة وهي استعمال الأداة (أم)[2] .

١٣ - وقد نجد دلالة أخرى في التعبير «معقّد» الذي أطلقه الهمداني واصفاً به الحميرية نفسها واللهجات المتأثرة بها . ويبدو أنه يقصد المعنى نفسه بقوله إن أهالي سَرو حمير يجرّون في كلامهم . والجرّ بوجه عام ناتج عن الإعراب ، ومن المحتمل أن يكون ذلك من ملامح العربية الغربية كذلك . ولكن العربية الجنوبية لا بدّ أن يكون فيها الجَرُّ من الصفات المميّزة والواضحة بحيث يبرز أوائل المقاطع وأواخرها في المنائية واللهجات الأخرى (انظر : Rhodokanakis, Studien,i ,12.56) وهذا هو أحد الملامح البارزة الملحوظة في الحميرية حتى بالنسبة لليماني مثل الهمداني . n-

١٤ - وهنا كذلك يجدر بنا أن نذكر سِمَتين عامتين أخريين من هذا النوع ، ولا تعزى أيّ منهما بشكل خاص إلى الحميرية ، لكن كليهما يبدو أن لها علاقة بها . فالسيوطي (في المزهر ٤٣١/١) ينسب إلى العربية اليمانية بوجه عام ما يسمى o-

---

(١) يقصد قول عنترة :

تأوي له حِزَق النَّعام كأنّهـا حِزَقٌ يمانية لأعجم طِمْطِمِ

ورواية اللسان مادة حزق :

تأوي له حِزَق النَّعام كما أوت قُلُصٌ يمانية لأعجم طِمْطِمِ

ورواية الجوهري في الصحاح :

تأوي له قُلُص النعام كما أوت حِزَقٌ يمانية لأعجم طِمْطِمِ

والحِزَق هي الجماعات أو الفرق . (المترجم)

(٢) يقصد قوله «الطمطمانية ، تعرض في لغة حمير ، كقولهم : طاب امهواء -يريدون طاب الهواء . (المترجم)

بالشنْشنة[١] وهي جعل الكاف شيناً كما في لبَّيْشَ في لبيّك . وهذا لَيس تغييراً مباشراً للكاف بعد الكسرة كما يحدث في العربية الشرقية (انظر : Barth,WZKM,xxiv,28 ff) ولكنه تغيير غير مشروط للكاف إلى شين وليس تش ، وهو شائع في العربية الجنوبية المعاصرة (انظر Les lan,WZKM,xliv,211) والكاف الأخيرة في الكلمات تصير شيئاً في بعض الأحوال في عامية حضرموت مثل عليش في عَلَيْك (Malt-zan,ZDMG,xxvii,250) وفي الواقع فإن هذا التغيير الصوتي يحتمل أنه لم يقع قط في اليمن . ويعزوها المسعودي (في مروج الذهب ،ط بايبردي مينارد ٣٣٣/١) إلى بلدة شِحْر في حضرموت[٢] ، التي يسكن حولها في أيامنا هذه ناطقون بالعربية الجنوبية . إنهم يقولون : هل لشِ (في لَكِ) فيما قلت لي وقلتُ لَشْ (لكَ) أن تجعل الذي معي في الذي مَعَشْ (معك) . والجمل التي ذكرها المسعودي تشبه المأخوذة من الحياة الواقعية ، ولكنها بتركيبها هذا ليست أصلية . ويذكر السيوطي (اقتباس أنستاسي ، في المشرق ٥٣٢/٦) سمة لهجية سمّاها فشفشة شحْر ، التي تجعلها تماثل استعمال الشين بدلاً من الكاف . ومع ذلك يبدو أنّ الشنْشنَة والفشفشة ليستا واضحتين في دلالتهما على مثل هذا الإبدال الصوتي . ولا نستطيع أن نفعل شيئاً إزاء الشنْشِنَة إلاّ أنْ نقارنها بالشنْشنة (أي الحفيف والخَشخَشة) أما الفشفشة فتعني البعثرة ، وربما كانت تعني الغمغمة والجمجمة[٣] . وأرى أنها لا تعني شيئاً سوى الملمح الآتي[٤] .

---

(١) وهي موجودة في اليمن في وقتنا الحاضر حيث سمعت أحدهم في تعز يسأل طفلة صغيرة كانت تبكي قائلاً : مالِشْ .

وقد ذكر لي أحد طلابي في الجامعة شيئاً من أغنية لحجية يقول فيها :

يا مرحبا بِشْ وبَهْلِش وبالجمل اللي رجل بش

أي يا مرحّبابِكْ وبهلِكْ وبالجمل اللي رحل بِكْ . (المترجم)

(٢) واضح أن الكاتب هنا يفصل بين شطري اليمن حيث يرى أن حضرموت خارج نطاق اليمن حسبما هو مستفاد من كلامه . وهو غير صحيح طبعاً . (المترجم)

(٣) أي الكلام بسرعة دون إبانة . (المترجم)

(٤) قد يكون على حق لأن القاموس واللسان لم يذكرها . (المترجم)

p- ١٥ - من الملامح المميّزة للغة شِحْر وعُمَان ، اللخلخانية (الثعالبي ، فقه اللغة ، ص١٠٧) . وقد فسّرت بقولهم «مشا الله» بدلاً من ما شاء الله . سوى أنه قد أتى ذكرها في العقد الفريد ١/٢٩٤ حيث قال إنها في تغلب ولم يفسرها وهذه الصورة من الحذف يمكن سماعها في أية عامية دارجة ، ومن النادر أن تجذب الانتباه . والتعبير يشير إلى شيء ما أكثر من كونه أمراً طبيعياً عادياً . واليماني ابن دريد (عن المخصص ٢/١٢٣) يجعلها خاصة بالعرب المتوطنين الذين يسعوْن للفت الأنظار فيتظاهرون بالحديث كالبدو . وفي قصة يرويها المبرد في الكامل[١] ص ٣٦٤ ، حيث عُزِيت هذه السمة اللهجية إلى العراق ، ولكن لم يورد لها تفسيراً . وأما أبو عبيدة (٢١٠هـ/٨٢٥م) فيجعلها مرادفة للعجمة (اللسان ٤/٢٠) . والأمر نفسه موجود في القاموس[٢] ، وأضاف ، رجل لخلخاني : غير فصيح ، ورد ، في اللسان(٤/٢٠) بيت من الشعر البَعيْث فيه : بنو اللخلخانيات[٣] التي يبدو أنها تعني أبناء نساء أجنبيات . مهما يكن من أمر فإنّ : (لخّ في الكلام) تعني : إذا جاء به ملتبِساً . وفي المشناة العبرية فإن (لَخْلخ) تعني يجعل الشيء رطباً وخَضِلاً . وربما لا يعني هذا الأمر شيئاً سوى إشارة إلى التباس الأصوات الصامتة والأصوات الهسيسية[٤] الماثعة في اللغات العربية الجنوبية ، التي كانت من نصيب لغة الطيور في العربية اليمانية (انظر : Thomas, Four Strange Tongues,p.7) وليس من السهل معرفة انطباق هذا الوصف على لغة أهل عُمان .

q- ١٦ - في كثير من مصادرنا استعمال الأداة أم قد عُزي بوجه خاص للغة حِمْيَر . ويرد كذلك في نقوش الهمداني وفيما قالته أم وَهْب[٥] . ولكن وجود الأداة نفسها في لهجة طيء يمنعنا من افتراض أنّ أم قد وجدت أصلاً في الحميرية ثم انتشرت بعد ذلك في اللهجات العربية . ويجب أن نبقى في انتظار المزيد من توضيح علاقة

(١) انظر الفقرة ١١- i من الفصل الثالث حيث أوردت الرواية كاملة هناك . (المترجم).

(٢) يقصد أن اللخلخانية تعني العجمة . (المترجم)

(٣) يقصد البيت : سيتركها إنْ سلّم اللهُ أمرها   بنو اللخلخانيات وهي رتُوع . (المترجم)

(٤) كصوت السين ، وهي من أنواع الأصوات الصفيرية . (المترجم)

(٥) وهب بن منبة وما قالته أمه : رأيتُ بِنِحْلَم كولدكَ ابناً من طِيب . (المترجم) . انظر ص ١٥ / سطر ٣ .

العنصر العربي في الحميرية بالنسبة للعربية الغربية . على كل حال ، فكما أن هَنْ- han كانت مستعملة في العربية اللحيانية البدائية الأصلية فإن ورودها في الحميرية لا يشكل برهاناً على وجود الخصيصة الأخيرة في العربية الغربية .

ر- ١٧ - إن الفعل الماضي التام مع ضميري المفرد المتكلم والمخاطب ينتهي بالكاف بدلاً من التاء ، مثل الأثيوبية والعربية الجنوبية المعاصرة (انظر : من أجل العربية الجنوبية (Leslau,JAOS, 1xiii,7) . وفي قول أم وهب بن مُنَبِّه نجد : وَلَدْكُ ، ورأَيْكُ . ويشبهها في النقوش ، حَسَّنْك (الإكليل ص ٢٦) ، بَهَلْكُ أي تَكلمتُ ، انظر في الأثيوبية بَهْلَ Behla (ZDMG,xliv,191) وأما بالنسبة لضمير المخاطب فقد ورد مثالان في المقطوعة الشعرية وهما : عَصَيْكا وأَتَيْكا إذا كانت بمعنى أنت أَتيْتَ وليس بمعنى أتى إليكَ ؛ مثل هذه التراكيب ما زال استعمالها جارياً في أيامنا هذه في الجانب اليماني ، وأول من سمعها هناك فون مالتزان Von Maltzan (ZDMG,xxv,197/xxvii,245) حيث وجد في أيامنا لواحق في آخر الأفعال (هكذا) العربية الجنوبية القديمة في رَيْمَة بين اليافعي ، والحَوْشي والصبيحي والقميشي والذّيابي . والأمثلة التي يضربها هي كُنْكْ أي كنتُ ، قلكُ لَكَ (أي قلتُ لك) ، كُنْكَ (أي كنتَ) وكنكُ (كنتم) ، كونَنْ (كنّا) انظر الفقرة .ا وقد سمع من اليافعي : أخذ كِيس أي أخذتها (مع السين كما في المهرية) . وأما لندبيرج (في دثينة ص١٩٢) . فقد أنكر ذلك كله بشدة ، حيث ذكر أنه قضى عدة ساعات في رَيْمه ولم يسمع مثل هذه التراكيب . ومع ذلك فإن روسي Rossi (Ros,xvii,258) فيؤكد بجلاء وجود مثل هذه التراكيب في منطقة الرَّيْمة . وقد سمعها كلها على طول المنحدرات الغربية للسراة (المرجع السابق ص٢٦١) ، أي إنها لهجة متداولة في المنطقة التي امتدت إليها الحميرية في القرن الرابع . وقد أخبرني د . سيرجنت Serjeant في رسالة تكرّم بإرسالها إلي أنه قد لاحظ وجود اللاحقة «الكاف» في آخر الماضي في منطقتي الصبيحي ويريم كذلك . وإن بقاء مثل هذه التراكيب ، مع مغايرتها للتراكيب العربية التي نعرفها في مناطق أخرى ، يشكل دليلاً قوياً على صحة نظريتنا في اللغة الحميرية . والمثال الدال على الطريقة التي تعامل بها اللغويون المتأخرون مع اللهجات القديمة هو الخبر الذي جاء في اللسان (٣٣٠/٢٠) عن هذه التراكيب ، حيث قال في بساطة : إن بعض العرب يبدلون أحياناً التاء «كافاً» .

s– ١٨ – هل كانت اللواحق في الحميرية مقترضة من العربية الجنوبية؟ إنه من النادر أن يكون مثل هذه العناصر الصرفية الأساسية دخيلاً وفي الواقع ، فإن كون– كُ ، ضميراً للمتكلم ، أقدم صيغة ساميَّة أمكن التحقق منها ، يجب أن تكون قد وجدت في اللغة التي انبثقت منها العربية أيضاً ، وإن الاحتفاظ بها في الحميرية ربما يكون راجعاً إلى سِمَة قديمة في تلك اللغة ، بحيث تم انفصالها عن المنطقة العربية قبل أن تحل اللاحقة كُ محل –تُ . ولكن –كَ ، والدالة على الجمع–كن ليست بالتأكيد إلاّ تطوّراً ثانوياً شاذاً للعربية الجنوبية والإثيوبية[(١)] . وإننا لا نعرف على وجه الدقة في أي مكان بدأت مثل هذه الاستعاضة القياسية ، ولكنها مثل معظم التغيرات اللغوية ، لا بد أنها قد انتشرت من مكان ما ، ولا بد أن يكون ميدان ذلك جنوب الجزيرة العربية ، حيث رأينا العرب الجنوبيين قد امتزجوا بغيرهم من العرب منذ قديم الزمن . والتجديدات اللغوبة لا تلتزم دائماً بالحدود اللغوية : فاللغات المتقاربة جداً غالباً ما تمر بتغيُّراتٍ متشابهة ، والمثال على ذلك اللغات البلقانية (انظر : k.Sandfeld,Linguistique Balkanique, Paris,1930) إن كَ ، و–كُن اللاحقتين في العربية الجنوبية والحميرية يمكن أن يكونا دليلاً على (التغير اللغوي Sprachgemeinschaft) في اليمن أكثر من كونهما دخيلين .

t– ١٩ – وبالنسبة لجمع المتكلم مع الماضي التام ، نجد في أحد نقوش الهمداني صيغة (حيْو أن) أي حيينا (مولر Südar, studien, p. 17) وكيفما قرأناها ، فإنها دليل على أن الهمداني يريد أن يخبرنا أن اللاحقة ليس فيها مدّ طويل مثل –نا العربية . وقد سمعها فون مالتزان - Von .Maltzan كُنَنْ ، وقد ترجمها كُنّا (ZDMG, xxvii, 245) وهذا يجب أن يكون موافقاً لصيغة الهمداني ، التي يمكن قراءتها بعد ذلك ، حَيْوَن (فالألف يمكن أن تدل على أن الفتحة في محل غير مألوف) . ولكن مالتزان Maltzan أخطأ أيضاً في ترجمة الصيغة بصورة مباشرة مقدماً كُنْكُ .
وبما أن روسيّ (Rossi, RSO, xvii, 259) يذكر لفظ سارين[(٢)] لجمع المؤنث الغائب (وهذه الصيغة أو التركيب العادي الجاري استعماله في جميع أنحاء اليمن) وسرنا

---

(١) يجب التأكيد على أنه لا يوجد في نقوش العربية الجنوبية صيغ دالة على المتكلم والمخاطب . ولكننا نفترض فقط وجود صيغ–الكاف في العربية الجنوبية لأنها وجدت في الأثيوبية وفي لهجات العربية الجنوبية المعاصرة .

(٢) أي سِرنَ . (المترجم)

لجمع المتكلم ، علينا أن نتعامل بشك مع الخبر الذي نقله مالتزان Maltzan . ربما حصل تقصير للصيغة – نَ عند الهمداني كالأثيوبية ، على أن يتمّ تفسير الألف بصورة أخرى ، وقد تكونَ قد اختلط أمرها بالصيغة المهرية غَلُوقَنِ ghalõqen .

u- ٢٠ – وهكذا يوجد بقايا لها اعتبار من اللغة الحميرية القديمة . وإنَّ البحث المستفيض في المنطقة ، مع تركيز على لغة القبيلة التي تدّعي اليوم أنها حميرية ، قد يعطينا معلومات صافية مفيدة . ويؤكد لندبيرج Landberg أن اللهجة الدارجة في إِب[١] وجِبْلة ، الواقعتين في جنوب ظفار القديمة ما زالت تحتفظ بكثير من عناصر العربية الجنوبية (العربية ١١/٥- v-21- ,Arabica,v) .

v- ٢١ – مـن الواضـح أن العرب الشماليين قد اطلعوا وعرفوا الحضارة العربية الجنوبية من حِمْيَر . والكلمات العربية الجنوبية الموجودة في القرآن الكريم ، وغيره قد مَرَّت عبر الحميرية أولاً ، فحصل فيها تغييرات مؤثرة . ودور مثل هذه الكلمات في تحديد حركات تراكيب العربية الجنوبية مشكوك في أمره أيضاً . ومن ناحية أخرى ، فإن كثيراً من الكلمات في العربية ، مما يعتبر دخيلاً بوجه عام من الإثيوبية ، قد تكون في الحقيقة من الحميرية . وكذلك قد تحمل بعض الكلمات الآرامية الأصيلة محتـوى دينيـاً مثل كلمة التابوت وما ذلك إلاّ لقوة اليهودية والمسيحية بين الحميريين . ويبدو أن اللغة الحميرية كانت معروفة في مكة بالرغم مما يحمله اسمها من الغموض ، وقد يكون ذلك عائداً إلى الصلات التجارية . والنبي ﷺ كان يجب أن ينطق الكلمات اليمنية (لندبيرج ، دثينة ، ص٢٨٢) وقد سبق لنا أن ذكرنا ما قاله الرسول [ﷺ] باللهجة اليمانية (الحميرية) بشأن الصيام[٢] . وفي حديث زيد بن ثابت (اللسان١٠٢/٦٠) : كنت مع رسول الله [ﷺ] وهو يملي عليّ كتاباً . . . فدخل رجل فقال له : انْطُ . . . أي اسْكُتْ بلغة حمير . قال ابن الأعرابي (ت٢٣٢هـ) : «لقد شرّف رسولُ الله [ﷺ] اللغة الحميرية» .

بالطبع ، بعض هذه الحكايات من ابتكار اليمانيين المتحمسين لوطنهم ولكن الكلمات اليمانية والعربية الجنوبية صحيحة ، وترينا أن المكيين ، إن لم يكن محمد [ﷺ] شخصياً ،

(١) إن في كلامه كثيراً من الصحة ففيهما سمعت : قُلْكُ لك (في إِبْ) ، وفي جِبْلَة : امْدرسة ، امْسجد . (المترجم)

(٢) يقصد قوله « ﷺ » : «ليسَ من امْبِرِّ امصيامُ في امسَفَر» . (المترجم)

قد عرفوا الكثير عن اليمن . ويبدو أن المفردات اليمانية أكثر تكراراً في السور المكية منها في السور المدنية ولا بد أن يتناسب هذا الوصف مع الوضع القائم . حيث انقطع اتصال الرسول [ﷺ] في المدينة باليمانيين[١]! وإن ما عرفه عن التوراة وغيرها إنما هو عن طريق[٢] اليهود في المدينة الذين كان مركزهم الروحي طبرية (Tibrias) وليس ظفاراً .

(١) إن هذا وهم من الكاتب ، فأهل المدينة كانت غالبيتهم من الأوس والخزرج وهم يمانيون ، وهل كانت كذلك علاقة اليمانيين التجارية مع أهل مكة فقط؟! وكذلك ما توهمه قائم على افتراض أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد نسي ما عرفه في مكة! (المترجم) . كما ان في قوله ادّعاءً بأنّ النبي إنما كان يضعُ القرآن من عنده . وإلاّ فكيف .

(٢) وإن هذا تجاوز للحقيقة لأنّ ما جاء به الرسول عليه السلام عن التوراة أو غيرها إنما هو من عند الله عز وجل بما ورد في القرآن الكريم . والدليل على ذلك إن السور التي تحمل أسماء الأنبياء وأخبارهم هي سور مكية مثل : يونس ، هود ، يوسف ، إبراهيم ، الكهف ، طه ، الأنبياء ، يس ، نوح . (المترجم)

الفصل السادس

الأَزْد

a- ١ – في الوقت الذي كانت فيه اللهجات اليمانية تذكر على وجه من التخصيص والتفصيل فإنه نادراً ما كانت تذكر لهجة الأزد . حتى الأزدي ابن دريد ، مع فخره بأجداده ، نادراً ما كان يذكر معلومات تخص لهجته . حتى المعلومات القليلة التي نحصل عليها على نحو محدّد تضع لهجة الأزد بمعزل عن اللهجات اليمانية المحلية الأخرى . ومازال غير ممكن لنا أن نتبين الاتجاه الذي تشير إليه هذه الأمور غير المألوفة .

b- ٢ – وهناك مشكلة خاصة تتمثل في وجود قبيلتين للأزد هما : أزد السراة (أزد شنوءة) وأزد عُمان واللهجة العمانية المعاصرة تماثل تلك التي في اليمن . وما زالت لدينا فرصة لأن نستخرج منها ما تبقّى من اللهجة اليمانية المركزية القديمة وليس لدينا إلا قدر ضئيل من المعلومات عن اللهجة العُمانية في العصور الإسلامية المبكّرة . ولدينا ثلاث كلمات مشتركة بين اللهجتين العمانية واليمانية هي : العِنَب بمعنى الخمر (انظر بالنسبة للهجة اليمانية : أبا حنيفة في التاج ٤٠٠/١ ، وبالنسبة لِعُمان (انظر جفري Jeffery, Materials, p. 49) ، والخمر[1] بمعنى العِنَب (بالنسبة لليمن انظر أبا حنيفة في التاج ١٨٧/٣ ، وبالنسبة لِعُمان : الضحّاك في الإتقان للسيوطي ص٣١٠ ، وكذلك الرسالة لأبي عبيدة ص١٤٩) . وكذلك «فَتَح» (نشوان ، المنتخبات ، ص٢٨) . والكلمات العمانية التي سجلها بلاو ,ZDMG (xxvii, 319) ليست بذات فائدة لنا هنا ؛ إلاّ أن هناك واحدة تلفت النظر إلى شبه من نوع ما بين لهجة أزد شنوءة ولغة بعض أهل عُمان . وبعض المعلومات عن الأزد قد يكون فيها إشارة لِعُمان ولكننا أخطأنا وجعلناها خاصة بأزد شنوءة .

---

(١) ربما تكون كلمة «خمر» ذات أصل آرامي (جفري ، المفردات الأجنبية ص١٢٥) Jeffery, Foreign Yocatoulary, p.125 فالكلمتان الأوليان مشكوك فيهما نوعاً ما ، ولكن الثالثة قد حظيت باهتمام كبير ، لأنها تستعمل في معنى واحد في العربية الجنوبية والأثيوبية ، ويجب أن تكون قد دخلت اللهجة العمانية من اليمن .

c- ٣ - والأزد (منطقة يمانية) جعلناها ضمن اللهجات التي تستعمل أنطى بدلاً من أعطى .

d- ٤ - ولم يذكرها أبو زيد (اللسان ١٤/١)[١] ضمن اللهجات التي تسهل الهمزة . وأعتَقدُ أنه لا يمكننا أنْ نعلق أية أهمية على هذا التسهيل ، ويحتمل أن أبا زيد قد اعتَبَرها جزءاً من اليمن .

e- ٥ - ويقال في اللهجة عِسْق[٢] لعنقود البَلَح من النوع الرديء (الجمهرة ٣١/٣ ، MS. K من كتاب العين للخليل بن أحمد) : ويمكن مقارنتها بالكلمة الشائعة عند العرب وهي (العِذْق) . ولا بد أن يقع للذال هنا إبدال بصوت صفيري هو الزاي كما يحدث في الأثيوبية ، والعبرية والأكدية . علاوة على المماثلة بين صوتي الزاي والقاف[٣] . ويستشهد ابن دريد من اللهجة نفسها بكلمة مِعْذار (الحِجاب) بالذال (الجمهرة ٣٠٨/٢ ، الاشتقاق ص١٣٦) . وهذا دليل مشكوك فيه ، وقد نسب نشوان (المنتخبات ص٧٠) والضحَّاك (في الإتقان ص٣١٠) الكلمة إلى اليمن حيث احتفظت بالذال ، وما زالت (انظر : Goitein, Jemenica, p. xv) كما هو الحال كذلك في عُمان انظر : (Reinhardt, p. 4). إن هجاء الكلمة مع الذال في لهجة الأزد ربما يعود إلى أصلها الاشتقاقي . ولا نستطيع تشخيص القضية عن طريق مثال واحد هو عِسْق ، لأنه يمكن أن يكون تغيّرها مباشراً . وأخيراً علينا أن نلجأ إلى احتمال أنْ تكون عِسْق من جذر آخر وأن التشابه بينها وبين عِذْق

---

(١) يقصد ما جاء في اللسان ٢٦/١ ، ط . دار المعارف : «قال أبو زيد الأنصاري : أهل الحجاز وهُذَيْل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون » أي يسهّلون الهمزة . (المترجم)

(٢) عنقود من التمر . (المترجم)

(٣) لم يبيّن جهة التماثل بينهما ، ولا ندري ماذا يقصد ذلك ، فالقاف صوت لهوي القاف مجهور (انظر سر الصناعة ٢٧٧/١) أي من أقصى اللسان ، وصوت الزاي أسناني لثوي مجهور صفيري . إلاّ إذا كان يعني ما يلحظ من تفخيم فيهما وكأن الزاي محوّلة عن ظاء وليس عن ذال . (المترجم) . يقول ابن جني في سرّ الصناعة في (حرف الزاي) ١٩٥/١« إن الزاي حرفٌ مجهور ، يكون أصلاً وبدلاً زائداً ، فإذا كان أصلاً وقع فاءً وعيناً ولاماً . .» ١٠ هـ .

ويقول في حرف القاف ١ :٢٧٧ : «القاق حرف مجهور يكون أصلاً لا بدلاً ولا زائداً ، فإذا كان أصلاً وقع فاءً وعيناً ولاماً . . .» ١٠ هـ .

عرضي . وفي اللسان (٢١/٢٢١) العَسَق هو العُرْجون الرديء ، وهي أسَدية . ويداخلنا شك قَوي أن الأَسَدية محرّفة عن الأزْدية (انظر في أمر هذا الخلط بينها (Freytag, Einführung p. 76)وبعد ذلك مباشرة ينقل اللسان عن تهذيب الأزهري : العَسَق عرجون النخل ، والعَسَق الظلمة كالغَسَق . وكذلك الغَسق هو زوان القمح ، وإنني أتساءل لِمَ لا تكون هذه هي عِسْق الأزدية ؟! وقد مرّت بمرحلة تغيرت فيها الغين إلى عين . (انظر : رودوكناكس Rhodokanakis ، ظفار ، ٧٦/٢) . وسنرى التعقيدات التي تنشأ عن أية محاولة للتقييم الصوتي أو النحوي للمعلومات المعجمية .

f- ٦ - وهناك صعوبة أخرى تتمثل في اعتبار عِسْق تطوراً صوتياً خالصاً لِعِذْق اعتماداً على التماثل ، الذي يقتضي تطور الزاي إلى السين قبل القاف . وكما سنرى (في فصل ١١/ فقرة a) فإن هناك سبباً وجيهاً للاعتقاد بأن القاف في اللهجات العربية الغربية صوت مجهور ، كما هي الحال الآن في اليمن (انظر : Rossi, RSO , xvii, 235 Goitein, Jemenica p. xiv/ . (Rhodokanikis, Dhofar ii/77/) وفي اللهجة الأزدية ، يبدو أن لهذا الفونيم مصيراً مختلفاً تماماً . فالتبريزي (في شرح الحماسة ص ٢٤٤) يخبرنا بأن أزد شنوءة يقولون في الاسم قُعْصُوص ، جُعْصوصاً . إن التغوير[١] الذي يحصل للقاف بلفظها تش أو تس قبل الحركات الأمامية[٢] شائع في لهجات بدو الجزيرة العربية (انظر : سوسين ، ديوان ١٩٥/٣ ، (Socin, Diwan, iii, 195) ولكن ذلك لا ينطبق على مثالنا حيث القاف متلوّة بالضمة . وتغيير القاف إلى جيم لا أعرف له مثيلاً غير مشروط ، وأعني به ما يحصل في القبائل العمانية التي تقع على الساحل[٣] .(Jayakar, BrasB, 1902, p. 653) وقد بقيت تنطق القاف جيماً في منطقة الأزد . وبعض سكان الحديدة وما جاورها ينطقونها كذلك في بعض الكلمات مثل : جَعَادَة في قعادة أي

---

(١) أي تحويلها إلى صوت حنكي ، وهذا الأمر مشهور في الكاف وليس في القاف كما ذكر المؤلف . (المترجم)

(٢) حسب نظام دانيال جونز فإن هناك ثماني علل رئيسية في الإنجليزية حسب حركة اللسان عند نطقها العلل الأمامية وهي التي يتجه فيها وسط اللسان نحو الطبق الصلب (الغار) مثل I كما في Sit

(٣) يبدو أن الكاتب لم يطلع على لهجة عرب الخليج في أيامنا هذه فإنهم يكثرون من نطق القاف جيماً حيث يقولون مثلاً في صدق صدج (صجْ) . (المترجم)

السرير، والجادري للاسم القبلي قادري (انظر : Rossi, RSO, xvii, 464) وفي زبيد نزوع إلى نطق القاف جيماً كما في جْلَيْلات في قليلات . ويمكننا أن نستنتج من ذلك أن الاستعمال اللهجي القديم قد اختفى بتأثير من ضغوط أشكال الكلام المجاورة . وهناك شاهد آخر قديم على تغوير القاف هو لفظ «قات» وهو النبات الذي يُمضَغ في اليمن، الذي ظهر في التاريخ الإثيوبي العامْدَ صيون Amda Seyon بلفظ Cat تشات (أي كات)،(14th, cent. Ed. Perruchon, JA, 1889, p. 282, 106) ويمكننا أن نفترض أن المهاجرين العرب إلى أثيوبيا قد أتوها بكثرة من المناطق الساحلية في اليمن . إن مثل هذا التصوّر دليل مدهش على الصلة بين قبيلتي الأَزْد . وإنه من الجدير بالملاحظة أن هذا النطق الحنكي للقاف محصور في بدو وسط الجزيرة وفروعهم في سوريا (Cuntineau, Parlers, P. 33 Seq.) وسنشير في مناسبة أخرى إلى الصلات اللغوية مع مجموعة القبائل العربية الغربية . إنه من المحتمل جداً أن التغيير الذي يتم دون شرط في اللهجة الأزدية قد سبقه طور حصل فيه تغيير قبل الحركات الإمامية فقط . وقد وجد كانتينو (Parlers, p. 39/Horan. 123) لدى بدو حوران المتوطنين حديثاً، نزوعاً إلى تحويل النطق الحنكي للكاف والقاف إلى تغيير مطلق دون شروط، اقصد إن ذلك لا يحصل في المفرد ديتش (في ديك) فقط بل في الجمع أيضاً يقال ديوتش (بدلا من ديوك) عند البدو[١] .

وقد تكون الظروف الاجتماعية للأزد مشابهة لظروف البدو مما نتج عنه اضطرابٌ مماثلٌ في التطور الصوتي .

g- ٧ – وقد أخبر الأخفش (الأوسط ٢٢١هـ/٨٣٦م) أن أزد السراة لم يحتفظوا عند الوقف بالألف فقط في حالة النصب، ولكن أيضاً في حالتي الرفع والجر حيث يقولون : هذا زيدُو، وهذا عَمْرُو (انظر سيبويه ٣٠٧/٢[٢]، ابن يعيش ص١٢٧١) . في حالة النصب، لا تنطق في أي أسلوب من أساليب القراءة العربية في أيامنا هذه

---

(١) والحقيقة أن نطق الكاف نطقاً مزجياً حنكياً أي تش ch دون شرط ليس خاصاً ببدو حوران وإنما هو شائع في الأردن، وفي فلسطين وفي منطقة الخليج العربي . (المترجم)

(٢) في الكتاب ١٦٧/١، ط هارون : «وزعم أبو الخطاب أنّ أزد السراة يقولون : هذا زيدُو، وهذا عمرُو ومررت بزيدي وبعمري، جعلوه قياساً واحداً، فأثبتوا الياء والواو كما أثبتوا الألف» . (المترجم)

الفتحة الطويلة ، وقد أفاد النحاة أن ربيعة تقف على المنصوب بلا ألف[١] في بلاد ما بين النهرين (انظر : الأزهري : تمرين الطلاب ص٢٧ ، والسيوطي في البهجة ص١٧ ، ولا شك في اعتمادها على رأي ابن مالك الذي جاء في البيت التاسع والسبعين من الألفية وقد يحدث ذلك[٢] في سياق الكلام مع حركات الإعراب الأخرى في لهجة تميم في نجد واليمامة (نقله ابن مالك عن أبي عمرو . وقد أورده السيوطي في جمع الجوامع ٥٤/١ ، وانظر دليلاً آخر على ذلك عند نولدكه Zur Grammatik, p. 9) والرسم القرآني ، الذي يعكس بالتأكيد لهجة الحجاز في وقته ، يرينا أن تنوين الأسماء المُنكّرة المنصوبة يُنطق ألفاً في الوقف . ولهجة الأزد حدث فيها الشيء نفسه في حالتي تنوين الرفع والجر فإنهما تنطقان في الوقف ضمة وكسرة طويلتين[٣] . وهذا الأمر له ارتباط واضح بطريقة النقوش النبطية في رسم الأعلام العربية سواء أكانت مصروفة أم غير مصروفة ، ومهما كانت حالتها الإعرابية ، وسواء اتصلت بها تاء التأنيث أم لا ، كانت تنتهي بالواو . (كانتينو-النبط ١٦٥/٢) . والمثال على ذلك في وقت مبكر جداً نِهِمْيَهْ ٦/٦ حيث ورد اسم الأمير العربي جشم مكتوباً جَشْمُو في سياق وثيقة رسمية ، كتبت أولاً ودون شك بالآرامية[٤] . يمكن أن يكون الاسم العربي جُشَم ؛ وبناء عليه منع من الصرف .

---

(١) في المصدر السابق في الهامش (ناقلاً عن نسخ أخرى) : «وزعم أبو الحسن أنّ ناساً يقولون : «رأيت زيد ، فلا يثبتون ألفاً ، يجرونه مجرى المرفوع والمجرور» ، وعلق هارون والمعروف أن هذا لغة ربيعة وقال ابن جني في الخصائص ٩٧/٢ حكاها أبو الحسن وأبو عبيدة وقطرب وأكثر الكوفيين ،وابن مالك في التسهيل ٣٢٨ يقول : «ونسبت إلى قبيلة ربيعة» . ومن شواهدها :

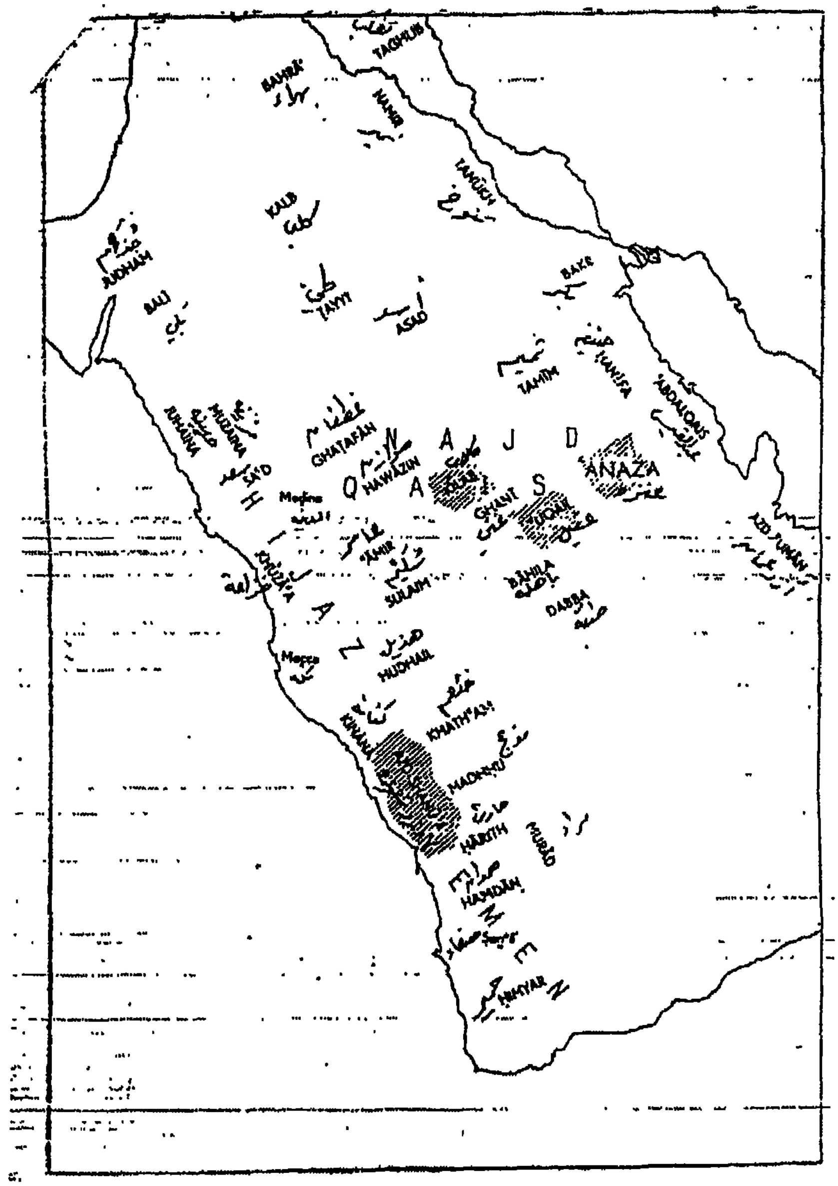
ألا حبذا غنم وحسن حديثها   لقد تركت قلبي بها هائماً دَنِفْ

ومنهم من يرى أن الوقف بالتسكين في الحالات الثلاث عند ربيعة . (المترجم)

(٢) أي حذف حركة الإعراب . (المترجم)

(٣) أي يقال فيها الذي قيل في : زيدو ، وزيدي . (المترجم)

(٤) ويستشهد باور وليندر بمثالين آخرين ليسا مقبولين وهما : بوخرو وهي ليست إلاّ بو خورو (الابن البكر) ، والآخر موليخو الذي يجب أن يقرأ مَلُوخي ، وهما على كل حال من الأسماء اليهودية . Bauer and Leander, Histor., Gram., p.525



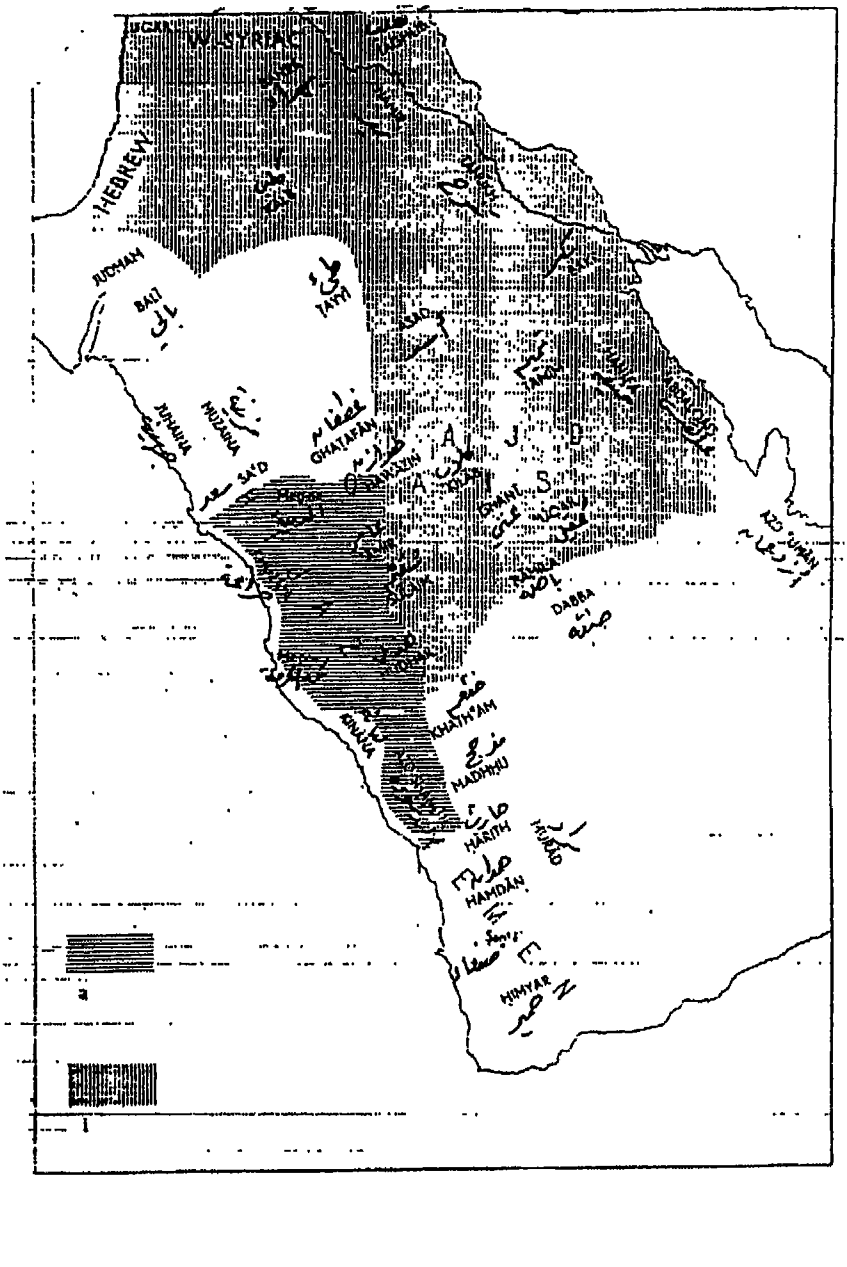
خريطة رقم (٥) ضمير الهاء المتصل مع المفرد المذكر - فصل ٦ - فقرة h

وكتابة الأسماء العربية بالواو قد نشأت في وقت مبكر من منتصف القرن الخامس قبل الميلاد . ولنا أن نتصور احتمال الاحتفاظ بهذا الأمر حتى وقت متأخر باعتباره تقليداً متبعاً وليس طريقة مستحدثة في كتابة العربية الحديثة . وفي أكثر النقوش العربية قدماً على الإطلاق في الحِجْر عام ٧٦٢ بعد الميلاد (انظر : ZASS, xxii. 194/Rev. Bibl., 1908, p242/270 Comptes Rendus AC. d. inscr., 1908, p. 270) نجد : كعبو ، عبد مناتو (ممنوعاً من الصرف مجروراً) ، الحجرو وربما حسب قراءة Chabot قبرو (في حالة الرفع) ، والقبرو (حسب Lidzbarski تقرأ في الموضعين قبوراً) ، ولكن (حرث) أي حارثةُ ولقص (وكلاهما في حالة الجر) ، وهذا النقش مهم على وجه الخصوص لأن فيه سطراً من الثمودية : إن لقيض بنت عبد مناه (مقابل لقص برت عبد مناتو في الكتابة النبطية) . ولا أستطيع أن أغالب شعوراً بأن هناك تناقضاً بالنسبة للواو[1] وبعد ستين سنة وفي نقش النِّمارة ٣٢٨ بعد الميلاد (Lidzbarski, Ephemeris, ii, 34) ومن العربية الفصحى نجد أسماء مصروفة قد انتهت بالواو مثل : عَمْرو ، نزار ، مَعَدّ ، مَحَاج ، ومع ذلك فهي ليست في وضعها الصحيح ؛ ولكن الاسم المصروف شمّر ، والمعرفة «القيس» لا ينتهيان بالواو . ويمكننا ، على ذلك ، أن نفترض أنه ، في الفترة ما بين سنتي ٤٠٠ق . م-٣٠٠م ، قد حدث تغيّر في التعامل مع حركات الإعراب . يمكن أن نشبهه بظهور منع الصرف والاختلاف بين المعارف والنكرات من الأسماء . وقد انعكس ذلك في اختلاف الرسم ، وهو الخلاف الذي ما زال قائماً بين : عَمْرو أي عَمْروٌ ، وعَمْر أي عَمْرُو . ولكن لما كانت الواو في عَمْرو لا تنطق وإنما هي علامة اصطلاحية لشيء لم يُعَبَّر عنه بالواو في أي نص آخر ، فإن الاختلاف الملاحظ في نقش النمارة قد يعبّر عن شيء ما مختلف تماماً عما يوحي به الرسم .

وعدم تمثيلها للضمة الطويلة واضح من خلال ورودها في أواخر الأسماء المجرورة والمنصوبة . ولكنها في فترة تاريخية ما ، عندما استقرّت في الكتابة كان للواو قيمة صوتية ، أعني الضمة الطويلة في حالة الرفع ، سواء في الوقف أو في وصل الكلام . ويرى بروكلمان

---

(١) ويمكن ملاحظة تناقض بشبه أقل في النقوش السورية انظر (Pognon, Inscr.Sem,i , paris. 1907) حيث نجد كلمات تنتهي بالواو مثل : مَعْنُو ، شريدو ، مُقيمو (٢٧٣) ، رخْبو (٢٠١م) . والاسمان الأخيران مؤنثان وعليه يجب أن يكونا ممنوعين من الصرف وفي مجموعة من النصوص الأخرى نجد كلمة وائل قد كتبت دون واو مع أنها تنتهي بالواو مثل نقوش سيناء ، ولتوضيح مثل هذه الفوضى أحد الأسماء هو وائل بر موترو . وبالمناسبة فإن مَعْنُو في التدمرية دون واو . انظر نولدكه (Noldeke, ZASS., xxi, 153).



خريطة رقم (٦) فتح حرف المضارعة – فصل ٦ – فقرة أ

(GVG, i, 460) أن حركات الإعراب كانت توابع صوتية لوصل الكلام ، وفي مكان آخر (من المرجع السابق ٨٣/١) يزعم أن الفتحة في حالة النصب قد مُدّت في الوقف . والمفهوم الشامل لهذه «التوابع الصوتية» أي الحركات قد هُجِر في وقتنا الحاضر . (انظر Cantineau, BSL, xxxviii, 148. وقد ازداد وضوحاً أن أشكال الوقف غالباً ما تمثل مرحلة قديمة في اللغة أكثر من أشكال وصل الكلام . والحركات الطويلة لا بد أن يكون قد حدث لها تقصير مع التنوين ، مما يمكنها أن تشترك في تكوين المقطع المقفل[1] ، وفي حالة الإضافة كذلك ، حيث تتبعها غالباً ال التعريف ، فإنها تشترك أيضاً في المقطع المقفل . وعملية التقصير هذه تسبق الكلمات المعرّفة بأل . وآخر شيء يكون تقصير الحركات أو حذفها نهائياً في الوقف . وعليه فإن لهجة الأزد تمثل حالة مهجورة ، وهو أمر قد انتهى تماماً في الصحراء السورية قبل ٨٢٣م . كما أن العربية تجعل انتماء لهجة النبط ولغة امرىء القيس في النَّمارا إلى مرحلة استقلال اللهجات العربية ، مثل الثمودية الموجودة في نقش الحِجْر . وهذا الشبه يمكن أن يقودنا إلى الحدس بأن الموقع الخاص للهجة الأزد في اليمن يعود إلى كونها تنتمي إلى مرحلة استقلال العربية . وهكذا من المحتمل أن تكون الأزد من نفس مجموعات العرب الذين استقروا مبكراً مثل حِمْيَر . وصلة النسب التي تربط الاثنتين (انظر الملاحظة في الفصل الخامس فقرة (f) يمكن أنَ تتضمن جانباً من الحقيقة . وفي اللهجة الدارجة في الوقت الحاضر على أرض الأزد القديمة ، في الحديدة وجزء من تهامة ما زالوا ينطقون الأسماء في حالة التنكير والضمة على آخرها حيث يقولون بُرٌّ (القمح) ، والمعرّف يقولون فيه البُرْ دون الضمة[2] (انظر: Rossi, ROS, xvii, 465, p. 264-/Landberg, Langue arabe, p. 14,).

---

(١) هو المقطع الذي ينتهي بصامت أو أكثر (أي ص ح ص) مثل لَمْ (لْ+فتحة+مْ) في حال وصل الكلام/وأما في وقف الكلام مع التنوين يكون المقطع طويلاً مقفلاً بصامتين (أي ص ح ص ص) مثل : بَحْرٌ التي يوقف عليها بَحْرْ . (المترجم)

(٢) وفي محافظه البيضاء من شمال اليمن ، ومحافظه أَبْيَن في جنوبها يقولون كذلك بِرْ بدلاً من ابن فيقال ، هذا ناصر بر محمد وفي الترحيب على سبيل المثال أهلاً ببر أحمد . (المترجم)

h- ٨ - إن الضمير الهاء حين يكون متصلاً ، فإنه في لهجة الأزد يحدث له تقصير[١] في وصل الكلام (ابن جني في اللسان ٣٦٧/١٠) ويصلح في هذا المقام بيتان من الشعر أوردهما ابن دريد شاهدين على ألفاظ أزدية . حيث استشهد بالنسبة لِمطْو (الصاحب) بالبيت التالي :

فبتُّ لدى البيت العتيق أُخيلُهُ
ومطْواي مشتاقان لهْ أرقان

(في اللسان فَظَلْتُ)[٢] ، (الجمهرة ١١٨/٣) . ويقول ابن دُرَيد إن هذه هي لهجته[٣] . واسم الشاعر في كتاب الجمهرة المطبوع هو يَعلى بن الأحول اليشْكُري ، وفي الأغاني ١١١/٩١ (اختفى موضع الشاهد الذي جاء من أجله : من شوق له) ذُكر أنه يشكري . ويشكر بن عمرو صلته حميمة بكِنانة . وشاهد آخر مجهول القائل يتعلق بلفظ فومه أي السنبلة (الجمهرة ١٦٠/٣ من كتاب المجاز لأبي عبيدة) :

وقال ربيئُهُمْ[٤] لمّا أتانا
بكفِّه فومةٌ أو فومتان

ويضيف ابن دريد أن الهاء في كَفِّه ساكنة (خُفِّفَت) ، وهذه هي لهجته . وعلى النقيض من الشعر المتقدّم ، حيث وجود «لهُ» يُخل بالوزن ، ولا ضرورة للتقصير هنا ، والمحافظة عليه ليس إلاّ تقليداً . إن تقصير الحركة وحذفها مع الضمير المتصل الهاء

---

(١) يقصد حذف الواو (الضمة الطويلة) وبقاء الضمة القصيرة كما في (كأنه) من الشاهد الذي أورده الكتاب ١١/١ وابن جني في الخصائص ١٢٧/١ وهو للشّماخ في وصفه لحمار الوحش الهائج :

له زَجَلٌ كأنَّهُ صوت حادٍ إذا طلب الوسيقة أو زميرُ

حيث كان أصل كأنهُ (كأنهو) . (المترجم)

(٢) وكذلك في كتاب الخصائص ١٢٨/١ : (على أن أبا الحسن حكى أن سكون الهاء في هذا النحو لغة لأزد السراة) . (المترجم)

(٣) أي هذه لهجة الشاعر ، وهو يعلى الأحول الأزدي وفي خزانة الأدب ٤٠١/٢ (بنو عقيل وبنو كلاب يجوّزون تسكين الهاء من نحولَهْ) . (المترجم)

(٤) أوردها المؤلف ربيعهم ولكنها كما في اللسان مادة فوم ربيئهم وقد ترجمها المؤلف على أساس أنها ربيئهم . ويبدو أن ربيعهم خطأ مطبعي بين العين والهمزة . (المترجم)

(. . . ـهُ) بعد حركة قصيرة على عكس القواعد في العربية التي فصّل القول فيها فيشـــر (Fis- cher (Haupt Memorial Volume, p. 402 ولكنه يبدو على اتفاق مع قواعد الآرامية المبكرة التي أقرها كانتينو (BSL, xxxviii, 152) والأزد ، على أيّ حال ، لم تكن هي الوحيدة في هذا الأمر . وليست هي الوحيدة التي تتكلم بهذا الشكل بل القراء الجيدون للقرآن الكريم يقرؤون بهما : حمزة الكوفي وأبو عمرو ، وأبو جعفر القارىء المدني (١٣٠هـ/٧٤٨م ، اللسان ٣٦٨/٢٠) ، والكسائي (٨٠٥/١٨٩) يستشهد بها باعتبارها لغة مستعملة في قبيلتي عقيل وكلاب في نجد واليمامة ، فمن يتكلمون إحدى لهجات شرق الجزيرة (اللسان ٣٦٧/٢٠ ، والأستراباذي ، شرح الكافية ١١/٢)[١] وسيبويه يستشهد ببيت من الشعر (٣١٣/٢) يهجو عَنَزَةَ[٢] التي عاشت فيما بعد ، في اليمامة (الهمداني ، صفة جزيرة العرب : ١٧٢،١٦٢) والآن تعيش في بادية الشام ، التي ما زالت هذه الخصوصية فيها (انظر الخريطة رقم ٥) . لا نستطيع أن نقلل من شأن القراءات القرآنية ، خاصة أنها من القراءات المشهورة للقراء الكوفيين ؛ مما يدل على أن ما يحدث مع الهاء المتصلة كان معروفاً في أماكن أخرى في غرب الجزيرة . إن الحركات في لهجة لخم أو عبد القيس ، المنسوبة خطأ إلـى اليمـن ، ترينا أن في لهجات شرق الجزيرة الأخرى كانت حركة الضمير المتصل هي - ü (h) في مقابل ō (h) - الموجودة الآن في معظم اللهجات الدارجة و : ü- (üh)- المهجورة في العبرية[٣] .

ولا يوجد أساس واضح يمكننا الاعتماد عليه في إدراك تفاصيل حركة الهاء . فإننا لا نعرف حركة الضمير المتصل في العربية بعد استقلالها عن اللغة السامية الأم ، أي قبل أن

(١) وقد جاء في الكافية ١١/٢ : «وبنو عقيل وكلاب يجوّزون حذف الوصل أي الواو والياء بعد المتحرك اختياراً مع إبقاء ضمة الهاء كسرتها نحو : به وغلامه ويجوّزون لزيادة تسكين الهاء أيضاً . . . » . (المترجم)

(٢) والبيت لزياد الأعجم الشاعر الأموي من بني عامر ، وبالولاء من عبد القيس . وهو :

عجبتُ والدهرُ كثيرٌ عَجَبُهْ من عَنَزِيٍّ سبَّني لم أضربُهْ (المترجم)

(٣) يقصد ضم ما قبل الهاء بإلقاء حركة الهاء على ما قبلها ، وقد حلّت هذه الحركة محل الهاء في اللهجات العربية المعاصرة وقد وقع مثل ذلك في العبرية أيضاً حيث لا يظهر من الهاء المضمومة الدالة على الغائب سوى ضمة ممالة (انظر بين العربية ولهجاتها والعبرية ص ٩٩ للدكتور محمد بحر عبد المجيد) . كتابُو في كتابَهُ (انظر اللهجات وأسلوب دراستها ص ٧٨) . وهذه الظاهرة اللهجية موجودة في كل اللهجات العربية المعاصرة . (المترجم)

تصبح لغة أدبية ، (Proto-Arabic) ولكنها مبعثرة في عدة أجزاء من الجزيرة العربية وكأنه لا صلة بينها . والأماكن التي تُقَصّر فيها الحركة توحي بأنها من بقايا مناطق كانت موحدة أو مترابطة الأجزاء سابقاً . وخارج الجزيرة العربية لا تجد إلاّ مثالاً واحداً مؤكداً في الآرامية التي تطوّرت فيها – ë h عن – ih (انظر Bauer-Leander,Garmm.d. Bible. Aram,p. 78) وقد نشأ ذلك من جرّاء كون الهاء في حالة الإضافة التي كانت تنتهي قديماً بالكسرة ، وهو ما نعرفه في نقوش الكتابة المسمارية (انظر الفقرة ٦٠ في Gordon, Afo, xii, 114) [١] وهناك حركة شبيهة جداً بالحركة الآرامية -e المتطورة عن – ih في لهجة فلاحي سوريا وفلسطين (Driver, Grammar, p. 28) وأمّا فتح ما قبل الهاء فهو نموذج شائع غالباً في المناطق التي كان التأثير اليماني فيها قوياً (كالعراق وغرب شمال إفريقيا) ، وفي بعض أجزاء اليمن (Barth, Pronominal bildung, p. 50). ومن الملامح التي لها دلالة تاريخية أكثر من الذي نحقق فيه الآن ، التمييز في لهجات معيّنة بين حركتين في أسلوبين مختلفين . إن لهجة ظفار الدارجة في جنوب اليمن يشيع فيها استخدام فتح ما قبل الهاء غالباً في النثر ، وأما ضم ما قبل الهاء ففي شعرها القياسي البدائي (Rhodokanakis, Dhofar, ii, 107). وفي نجد على عكس ذلك يضم ما قبل الهاء في النثر ، ويفتح ما قبلها في الشعر (Socin, Di- .wan, ii, 148e).[٢]

i– ٩ – إنّ حروف المضارعة تُفتح (كما هو الحال في العربية الفصحى) في لهجات الحجاز مع بعض أعجاز هوازن ، وأزد السراة ، وبعض هُذَيل ، بينما لهجات قيس وتميم وأسد وربيعة وعامة العرب يكسرون حروف المضارعة (وهي الظاهرة المسماة التلتلة) ، إلاّ إذا كان حرف المضارعة ياء فإنها تفتح[٣] (أبو عمرو في اللسان ٢٨٣/٢٠ ، انظر الخريطة رقم ٦) . . . ومصادر أخرى تحصر فتح حروف المضارعة في الحجاز . وقال أبو زيد (في اللسان المصدر السابق) يجب كسر حروف المضارعة في كل الأمثال التي قالتها العرب . وفي العبرية أيضاً يكسرون حروف المضارعة ،

---

(١) وهناك وجهة نظر أخرى مختلفة في أصل الصيغة الآرامية من وضع بروكلمان (GVG,i,312)

(٢) ومن المحتمل اعتبار أن– -ih -ah يمثلان الجر والنصب ولا تؤخذ العربية الدارجة في الحسبان (-uh -oh و-) (حتى مع الوضوح السماعي للهاء) ، والعبرية (h) ō- باعتبارها ممثلة للرفع u+h- أكثر من كونه تقصيراً للفتحة والهاء والضمة ، كما قال بروكلمان (انظر أيضاً : Bauer- Leander, Histor. Gram.p.226)

(٣) استثقالاً للكسرة على الياء ومنهم من قال كراهة (انظر : المحتسب لابن جني ٢٢٦/١) . (المترجم)

وفي الآرامية الغربية ، وفي الأوغاريتية . وفي لهجات قضاعة ، التي تقع على تخوم الكنعانية يكسرون ياء المضارعة ، ومن المنطقي الاعتقاد بأنّ الالتزام والتفريق بين حركات حروف المضارعة في المضارع بنوعيه[1] قد ظهر بصورة غير رئيسية في منطقة شكلت طوقاً ثم أخذت تتسرب منتشرة في منطقة قضاعة ومنها إلى لهجات شرق الجزيرة ووسطها (انظر : مقال المؤلف في مجلة الدراسات اليهودية ٢٦/١) إن فتح حروف المضارعة موروث في العربية منذ القِدَم ، وإن احتفاظ لهجة الأزد يدل على قدمها ، ولا يدلّ بالضرورة على أصلها باعتبارها من لهجات غرب الجزيرة العربية . وتجدر الملاحظة هنا أنّ إبعاد اليمن من القائمة لا يعني بالضرورة كسر حروف المضارعة فيها . لا نملك دليلاً أيضاً ، ولكن يُحتمل أنها عُدَّت ضمن لهجات غرب الجزيرة . وإن إسقاط لهجة طيء ، من ناحية أخرى ، قد يعني أنّ هذه اللهجة التي تقع على حدود قضاعة ، قد أثبتت كسر المضارعة . ويبدو أنها اخترقت هي الأخرى خلال القرون الوسطى ، ولكن نشوء هذا الأمر في معظم اللهجات ، ظل خافياً لأسباب صوتية . وتحتاج هذه النقطة إلى مزيد من التحقيق .

k- ١٠ - ولدينا تعزيز آخر على فتح حرف المضارعة في لهجة الأزد . ففي سياق الحديث عن ورود قراءة أخرى بكسر نون المضارعة في نِستعين (٤-الفاتحة) . وقد نقل السيوطي (في المزهر ١٥٢/١ عن فقه اللغة لابن فارس) أن فتح نون المضارعة لم يستخدم إلا في قريش وأسد . وقد ذُكِرت لهجة أسد بوضوح ضمن الذين يكسرون حروف المضارعة ، ليس في قائمة أبي عمرو فقط ، ولكن الفراء نفسه ذكر ذلك (نقله ابن فارس ، الصاحبي ص٢٣ ، ١٩) وكذلك ابن هشام في بانت سعاد ص٩٧ ، والمفضليات ص٢٠) . وينبغي علينا هنا وبوضوح أن نقرأها الأزد بدلاً من أسد .

l- ١١ - والتلتلة معروفة في العربية الفصحى ، وأعني بذلك إِخال . وذلك مستعمل في اللهجات العربية ، يقول أبو ذأيب الهذلي (المفضّليات ٣٢١)

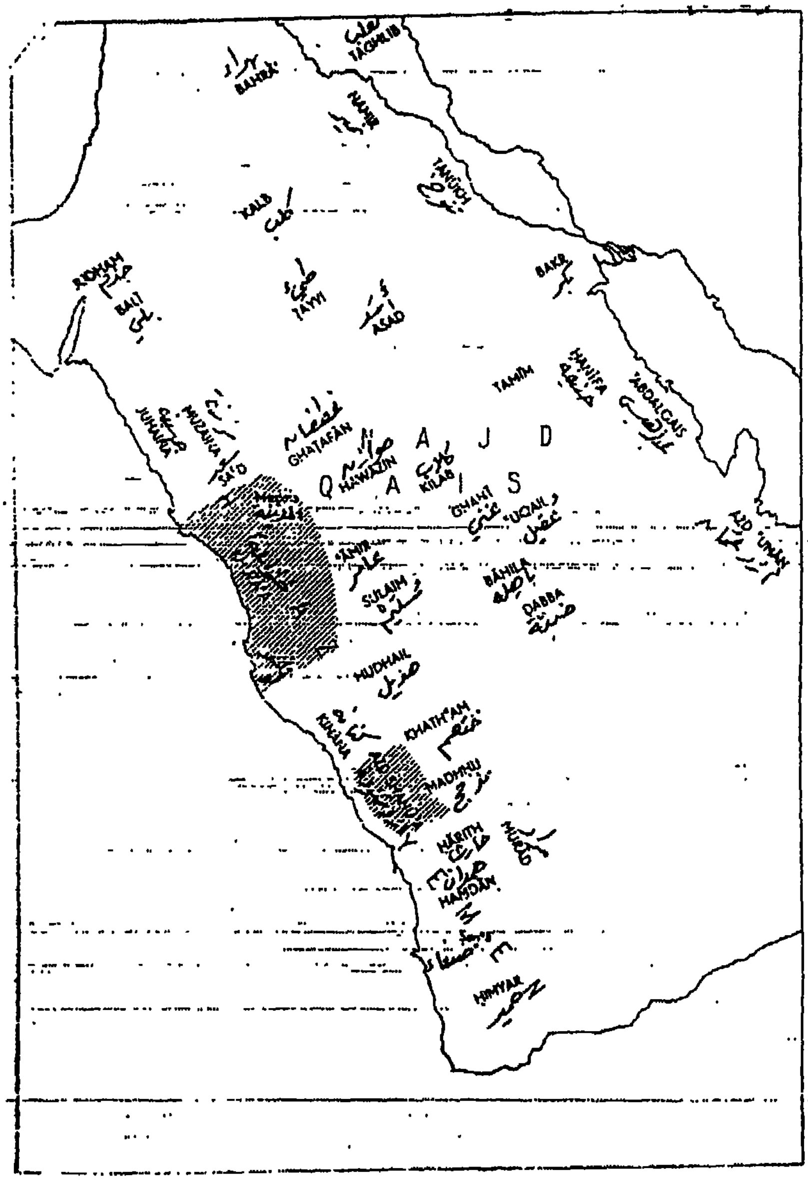
فغبرتُ بعرهم بعيشٍ ناحِبٍ   وإخاك أني لاحقٌ مستتْبعُ

وطيء ، ومن المحتمل ألاّ تكونَ من قبيل التلتلة أبداً ، بل لها أصل آخر . ولهجة أسد هي الوحيدة التي استعملت أَخال (ابن هشام ، بانت سعاد ص٦٩ ، المرزوقي

---

(١) يقصد ما يفتح فيه حرف المضارعة ، كذلك ما يكسر فيه الحرف نفسه . (المترجم)

في التاج ٣١٣/٧ ، المصباح ص٢٧٧) . بما أن قبيلة أسد تنتمي إلى المنطقة التي تسودها التلتلة ، من الصعب أن تستعمل صورة أخرى غيرها . ولنا أن نشك أنه قد حصل تصحيف حلّت فيه أسد محل الأزد . وهذا أكثر الأمور احتمالاً ، لأنه يوجد أشكال أخرى من أَخال لها صلة بالحجاز . وسواء اعتبرنا أَخال شكلاً مبتدعاً قياساً على صيغة مضارعية أو شكلاً قديماً ، فإن الجمع بين الأزد وقريش له دلالة جغرافية ، وإنَّ استعمال هذيل وطيء للصورة العربية الشائعة من إِخال ، على صورة ما ، سيجعل الموقف في غرب الجزيرة العربية ، بناء عليه ، صعباً معقداً . (انظر الخريطة رقم ٧) .



خريطة رقم (٧) - أخال من إخال

الفصـل السـابـع

شمـال اليمن

a- ١ - إن اللهجات في شمـال اليمن ، فيما نسميه اليوم تهامة وعسيراً يشيع فيها كثير من الملامح ؛ مما يجعلها تشكل مجموعة محدَّدة المعالم ، تتميَّز عن وسط اليمن وجنوبها ، وعن مجموعة هُذَيْل - الحجاز وشمالهما ، بالرغم من صلاتها الوثيقة بهما معاً . وفي الواقع ، فإننا سنرى عند معالجة لهجة الحجاز ، أن اللغويين غالباً ما يعزون ملامح اللهجة الحجازية ، (المكية) إلى لهجة كنانة . وعليه فإنه يمكننا أن نفترض أنَّ اليمانيين في الشمال هم إحدى مجموعات غرب الجزيرة العربية ، وأنهم وصلوا حديثاً إلى تلك المناطق (التي يمكن أن يكون لسكانها السابقين علاقات بالأزد) ويمكن أن يكون له ارتباط بالعنصر العربي الذي نعرفه بأنه يشكل الجزء غير الحميري من سكان مناطق التحمير ، أو شبه اللهجات الحميرية . ويذكر الهمداني في كتابه صفة الجزيرة مجموعات متناثرة من القبائل اليمانية الشمالية جنوباً حتى حضرموت . في الواقع ، فإن وجود بعض الملامح ، الموصوفة في هذا الفصل ، في اللهجة المعاصرة في حضرموت يوحي بأن السكان العرب لتلك المنطقة قد جاءهم مَدَد وتعزيز من الموجة نفسها التي جاءت بالقبائل اليمانية الشمالية . ومن ناحية أخرى ، فإنّ ملامح معيَّنة شائعة في شمال اليمن وطيء تظهر أن القبائل اليمانية الشمالية قد هاجرت هناك قبل الفترة التي تعرضت فيها لهجات هُذَيْل والحجاز في وسط غرب الجزيرة إلى التأثير المشرقي .

b- ٢ - وأكثر قوائم القبائل اكتمالاً في هذه المجموعة (انظر fالآتية) تذكر : كنانة ، حارثْ ، خَثْعَم ، همدان ، عنبر ، هُجيم ، زُبيد ، مُراد ، عُذْره ، والأربع الأُوَل فقط تذكر بصورة متواترة ، وهذا لا يعني عند ذكر قبيلة أو اثنتين في النقطة المبحوثةأأن هذا الأمر لا ينطبق عليها كلها . وعلى الأرجح كذلك أن تشير بعض المعلومات المعطاة عن اليمن أو بعض اليمانيين إلى هذه المجموعة فقط . ومراجع ما قبل الإسلام حول هذه القبائل نادرة وغير وثيقة .

إن أبناء همدان الذين لعبوا دوراً مهماً في التاريخ السبئي ، لم يكن لهم بالتأكيد علاقة مباشرة بالقبيلة العربية (انظر : .Hartmann, Arab, Frage, p. 264) وذو همدان المذكورة في

نقوش أبرهة ٣٤٥م . (CIH, 541, Line, 85) قد تكون الوحيدة التي تشبه الأخيرة[١] .

ومن المحتمل ، بطريقة ما ، أن عرب همدان قد أخذوا اسمهم من شعب جنوب الجزيرة العربية ، كما أن عرب حِمْيَر قد أخذوا اسمهم من هومريتيا Homeritae. وفي قطعة ممتعة في أخبار الأرحبي المختارة اقتبسها مولر (Muller, Sab., Denkm äter, p.38, note, 1) تخبرنا أن همدان ، حين كانوا بدواً يعيشون في خيام الشعر ، قد سكنوا المرتفعات وحاربوا ملوك حمير (وربما زعماء قبيلة همدان العربية الجنوبية) حتى نجحوا في استيطان الجوف . وفي رسالة الأسقف سوريا في بيت أرشم ، يعود لعام ٥٢٤م ، إن اسم ملك نجران آنئذ قد ذكر على أنه حارث بَرْكعب (طبعة جويدي ، روما ، ١٨٨١ ، من ص٩–ص٢٠ ، ملاحظة ٣) الذي يعتبر بوجه عام إشارة مبكرة إلى قبيلة حارث . وفي جلاسر Glaser (100A, Line9) حرثو قد عدت من بين أقسام دثينة المختلفة . جرومان :Grohmann (Rhodokanakis, Altsab, Texte, p. 181) يشبهها بمجموعة صغيرة من رجال قبيلة الحارث في المنطقة التي ذكرها الهمداني (الجزيرة ٨١) . وهذه المجموعة القبلية قد حافظت على بقائها لأكثر من ألف عام! ولكن حرثو في (Glaser 1000A) شعب مستوطن ، ويسكنون البلدان والوديان التي تفلح ، ومن الممكن ألا يكون لهم أية صلة مع بَلْحارث .

c– ٣ – وكل ما نعلمه عن الفونيمات الصامتة في هذه المنطقة عبارة عن ملاحظة للجمحي (ديوان هُذَيْل ٣٧/١) تقول إن كنانة مثل هُذَيْل قالوا : يازعهم بدلاً من وازِعَهُم[٢] . وسيتم مناقشة هذه الكلمة بصورة أوسع في مكانها فيما بعد (انظر فصل ٨/ فقرة (k) ولا يمكننا أن نقول أيضاً ما إذا كانت لهجة كنانة تشترك في تغييرات أخرى متأثرة بأشباه العلل في لهجة هذيل .

d– ٤ – تقول الحارث بَقَى في بَقِي (اللسان ٨١/ص٨٥)[٣] . وفَنَى في فَنِيَ (اللسان ٢٣/٢٠ ، وفي النص تحريف)[٤] . وهكذا غيَّروا الياء والكسرة السابقة عليها

---

(١) أي تشبه همدان المعروفة . (المترجم)

(٢) قد جاء في اللسان مادة وزع : (قول خصيب الضَّمري .

لما رأيت بني عمرو ويازِعَهُمْ ‏ ‏ ‏ ‏ أيقنت أني لهم في هذه قَوَدُ

وقال السكري : ولغتهم جعل الواو ياء) . (المترجم)

(٣) وقد نسبت فيه لطيء في ط دار المعارف : مادة بقي . (المترجم)

(٤) وهو في اللسان ط دار المعارف مادة فني : (فَنَى يفْنَى نادر وقيل هي لغة بَلْحارث بن كعب . .) . (المترجم)

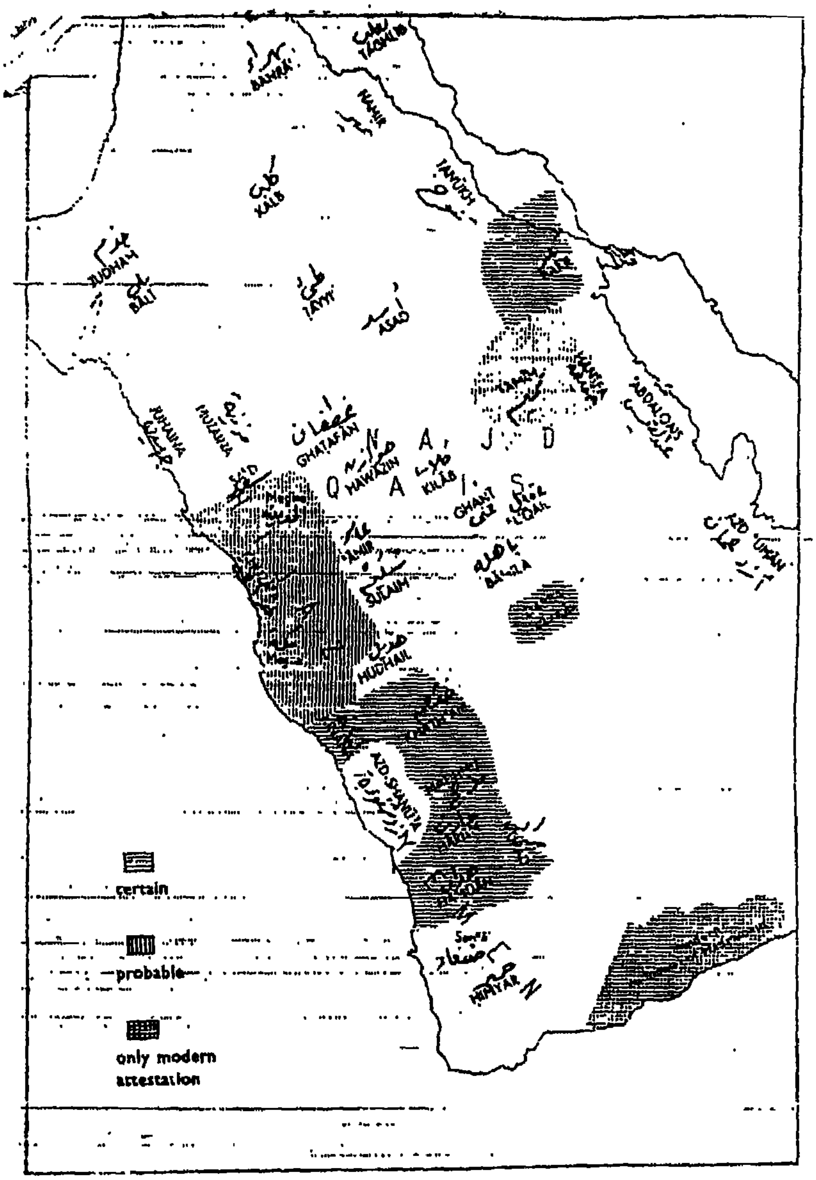
والفتحة اللاحقة لها إلى ألف مفتوح ما قبلها (أي iya > ā) مثل طيء . وهذا ، بالرغم من أن هذه الأفعال لها معاملة مختلفة في الحجاز ، يحتمل أن يكون تطوراً قديماً في اللهجة العربية الغربية القديمة مشتركاً مع الكنعانية (انظر : Melilah, ii, 247).

e- ٥ - وحسبما جاء في نوادر أبي زيد (ص ٥٨) وفي الصاحبي لابن فارس (ص ٢٠) أنهم في لهجة الحرث يخففون آيْ[١] إلى ألف (ā- فتحة طويلة) التي تنطق ألفاً أي فتحة طويلة أو ألفاً مُمالة ، ولكن يجب أن يكون مفهوماً وضوح الفرق بينها وبين إمالة هذه العلة المركبة إمالة شديدة نحو الكسرة . وهو الأمر الذي يحصل عادة في اللهجات الدارجة . والأمثلة على ذلك «علاها» في عليها ، «والسلام علاكم» في عليكم . ويستشهد الخليل بصيغ لهجية ، دون أن يعيّن مصدرها ، (وقد اقتبسها الأستراباذي في شرح الكافية ١٢٤/٢) وهي إلاك في اليك ، ولداك في لديك ، وعلاك في عليك . ولهجة حضرموت المعاصرة تخفف الياء الساكنة المفتوح ما قبلها (اَيْ= ai) بإمالة فتحة فاء الكلمة إمالة شديدة نحو الكسر مثل : إِيْضَا في أَيْضاً ، وعِيْن في عَيْن (لندبيرج ، العربية ٨٣/٣ (Arabica)[٢] ، ومما يتصل بهذا وله دلالة أن لهجة اليهود المعاصرة في وسط اليمن ، وهي إحدى اللهجات العربية المعاصرة القليلة التي احتفظت بالياء الساكنة المفتوح ما قبلها ، وفي الوقت نفسه يخففونها أحياناً بقلبها فتحة قصيرة أو فتحة طويلة[٣] ، وعلى سبيل المثال : وَان في أين ، وعان في عَيْن (الحرف) ، وما إلَك في إليك (جويتَيْن ، Goitein, Jemenica, p. xvii) وقد ظهر في العبرية أيضاً ياء ساكنة مفتوح ما قبلها aiفي مقابل الكسرة الممالة ē مثل : ما في تل العمارنة giezi في العبرية qayis ، وفي الوقت نفسه توجد بعض الصيغ التي حصل فيها تخفيف للياء الساكنة المفتوح ما قبلها (ai) إلى فتحة طويلة ā

(١) أيْ يقلبون الياء الساكنة إذا انفتح ما قبلها (aiوهي ما يصطلح على تسميتها diphthong العلة المركبة) ألفاً . (المترجم)

(٢) وحسبما ذكر هارتمان (OLZ, xii, 28) أن هذا التغيير منتظم في لهجة جبال النصيرية في سوريا . (وفيما أعلم فإن هذا التغيير يحصل في اللهجات العربية الحديثة كلها بوجه عام) .

(٣) أي قد تقلب فتحة أو ألفاً . (المترجم)



خريطة رقم (٨) احتفاظ المثنى بحالة الرفع (بالألف) دائماً

وقـد تكون هذه ، كـمـا يرى باور (Bauer-Leander, Histor. Gramm. P. 202) وليندر Leander ، أبنية لهجية ، ولكن بالمقارنة مع لهجة يهود اليمن يمكننا أن نفترض أن التخفيف إلى الألف[1] قد حدث عفوياً في ظروف لم يمكن التحقق منها بعد . وفي الآرامية اليهودية في فلسطين احتفظ غالباً بالياء الساكنة المفتوح ما قبلها ai ، في مقابل الكثير مما يحصل في اللهجات الآرامية الأخرى من تخفيفها إلى الألف[2] (انظر : الأمثلة في (Dalman, Gramm. P. 90) وعليه ليس من الضروري أن نعتبر (علاها) في الآرامية الترجومية من قبيل المماثلة كما فعل كانتينو (Cantineau, BSL, xxxviii, 160, note, 1) وفي الواقع فإن لدينا شكلاً يتطابق بدقة مع شواهد لهجة الحارث . وفي لهجة الحارث ، أيضاً ، ليس كل ياء مفتوح ما قبلها ai يحصل لها تخفيف . وقد تكون صيغة كِلَيْ التي سنذكرها لاحقاً (في الفقرة ٩) واحدة من التي تنطق حقاً دون تخفيف . ولم نجد في مكان ما أية معلومات مباشرة في هذه الأيام في حضرموت على نطاق أوسع . وستتضمنها القصيدة موضوع المناقشة في الفقرة ٨ الآتية ، ويبدو أنها ليست خاصة بلهجة الحارث .

f- ٦ - إن المثنى في شمال اليمن له صورة واحدة في حالة الرفع وحالات الانحراف الأخرى ، أعني الألف والنون المكسورة ، وتحذف النون عند الإضافة . وأقدم معلومة عن هذا تأتينا من الفراء (ت ٢٠٧هـ/٨٢٢م) في معاني القرآن (اقتبسها بيك. (Beck, Orientalia, xv181 الذي سمعها من رجل من الأَسْد (ويجب أن تكون بلا شك الأزد ، لأن «أَسَداً» لا تستعمل معها أداة التعريف أل) ويستشهد ببيت من الشعر لحارثي مجهول (وهو البيت الذي يبدأ بكلمة أَطْرَقَ[3] في الفقرة ٨ الآتية) . ولم يذكر أبو زيد (في النوادر ص ٥٨) سوى الحارث[4] ، وكذلك

---

(١) أو الفتحة الطويلة ā . (المترجم)

(٢) أو الفتحة الطويلة ā . (المترجم)

(٣) يقصد البيت :

وأَطْرَقَ إطراق الشجاع ولو رأى مَساغاً لناباه الشجاع لصمّما

(٤) في المصادر العربية تذكر الحارث كما في النوادر ١٦٩ ، ٢٥٩ ، وفي شرح الكافية ١٧٢/٢ ، الحرث ، (المترجم)

الأخفش (في المغني لابن هشام ٣٧/١) وابن مالك (في التسهيل ص٣) ، والأستراباذي (في شرح الكافية ١٧٢/٢) وأضاف في اللسان (١٦/١٧٢) كنانة . وفي صفة جزيرة العرب للهمداني (ص١٣٥) وفي جمع الجوامع (٢١/١) ، وفي الإتقان ص١٩٢ للسيوطي ، الحارث وكنانة خَثْعَم . وأوفى قائمة في جمع الجوامع ٤٠/١ حيث عزاها بالإضافة إلى ما جاء في الفقرة ٢ من هذا الفصل إلى لهجات تقع في شرق الجزيرة مثل بكر بن وائل وبطون من ربيعة . ومثل هذه الحالة تظهر في شعر لجرير التميمي (اللسان ٣٥/١٢) .

g- ٧ - ومعاملة المثنى معاملة المفرد في جميع الحالات قد ورد عن بعض القبائل الأخرى ، التي تقرن النون بحركة أخرى غير الكسرة وهي الفتحة الطويلة (الأشموني ١٧/١ شرح الكافية ١٧٢/٢) ، أو ينهونه بالحركات الإعرابية كالاسم المصروف نحو : رَجُلانِ ، رجلانَ ، أو بالتنوين . . . الخ ، وكما هو مفترض فإن بعض العرب تفعل الشيء نفسه مع جمع المذكر السالم (الصبان ٧١/١) . وبناء على ما ذكره هُول Howel (٢٦/٤) فقد عزا ابن عقيل هذه الصورة إلى ضبّة في شمال غرب الرُّبع الخالي ، ولفظ ضبّة غير موجود في النص المطبوع لابن عقيل . وإذا كان تمركز الصيغة صحيحاً فإننا نكون قد حصلنا على منطقة لامتداد المثنى الذي يعامل معاملة المفرد تقطع حدود مجموعة هذه اللهجة (انظر : الخريطة رقم ٨) . وأكثر من ذلك فإنه من غير المحتمل وجود الألف والنون المكسورة في المثنى المنحرف عن صيغته الصحيحة في الحجاز (انظر : الفقرة ١٣) بالرغم من أن الدليل هناك غير حاسم .

من بين اللهجات المعاصرة ، إن لهجة حضرموت هي الوحيدة التي تستعمل الألف والنون ، في جميع الحالات الإعرابية بالطبع ، وليس من الواضح تماماً ما إذا كانت الحركة ألفاً خالصة أو حركة مائلة نحو الكسرة التي تبدو وكأنها صورة مخففة من الياء المفتوح ما قبلها (انظر : لندبيرج ، حضرموت ، ص٣٥٢)[1] . إن الانتشار الواسع للمثنى الذي يُعامل معاملة المفرد يحول دون فكرة أن هذا الأمر ليس إلاّ مجرد استبدال صوتي للألف والنون المكسورة من الياء المفتوح ما قبلها والنون المكسورة في حالتي النصب والجر ، بل إنها

(١) المثال الذي سجله لندبيرج من اللهجة هو أَيدان idan (يدان ، مقبضان) على الأقل في بعض النصوص يُحتفظ بـ «من "ai من العامية الخاصة التي أخذ منها لندبيرج صيغته .

توافق إلى حد ما رأي كيـــلا :Z. syntax in verbaler Abhanging keit stehenden Kaila) Nomens, Helsingfors, 1906, p.10, etc.) الذي يقول إن التمييز بين حالات الإعراب في المثنى وجمع المذكر السالم في اللغات السامية إنما هو طريقة جديدة متأخرة في الأداء . (انظر : عكس هذا الرأي : كمبفاير Kampffmeyer :ZDMG, liv, 657 وكذلك كوني La catégorie du duel, Bruxelles, 1931, p. 13) وبالنسبة للغات السامية الجنوبية فإن ذلك ثابت للعربية الجنوبية (انظر : بروكلمان : GVG, i, 457) . إن استعمال الياء المفتوح ما قبلها والنون المكسورة لحالتي النصب والجر في المثنى هي طريقة جديدة نسبياً على العربية ، تغلغلت إلى غرب الجزيرة وشرقها عن طريق بادية الشام وهو الطريق الطبيعي لمثل هذا الأمر ، ولكنها تصل إلى لهجات نائية معينة فيهما كليهما[1] . إنَّ وجود مثل هذه المناطق غير المتصلة من الاستعمالات القديمة على حدود منطقة لغوية ما هو ظاهرة معروفة تماماً في علم اللغة الجغرافي .

h- ٨ - ولهذا فإن خير ما يثبت صحة هذه الخصوصية للهجة شمال اليمن ، هو ما نملكه من الشواهد . يستشهد الفراء بعبارة سمعها : هذا خط يدا أخي أعرفه (انظر : Orientalia, xv, 181) ويستشهد كذلك بشعر مجهول القائل (في الأشموني ٧١/١) :

فـأطرق إطراق الشـجـاع ولـــو رأى
مَسـاغـاً لناباهُ الشـجـاعُ لصـمّـمـا[2]

ذكر (ناباه) في نابَيْه . وهذا البيت لشاعر من شرق الجزيرة العربية وهو المتلمِّس (I, 14, ed. Vollers, Beitr, z. Ass., v, p. 170) والأزهري استشهد به (في التاج ٩٦٣/٣١) بقوله ، إن الفراء قد استشهد به على اعتبار أنه يمثل بعض لهجات العرب القديمة . وهذا يؤيد ما ذهب إليه السيوطي من أن هذا أحد ملامح لهجات شرق الجزيرة العربية أيضاً . وهناك بيت آخر استشهد به الفراء (سيبويه ٧٢/١ ، الزجاجي ، الجمل ص٣٦ ومراجع أخرى) :

---

(١) غرب الجزيرة وشرقها . (المترجم)

(٢) البيت للمتلمِّس وهو جرير بن عبد العزى (الديوان/ص٢) وليس مجهول القائل ، وقد ذكره المؤلف فيما بعد (انظر : ابن يعيش ١٢٨/٣ ، الأشموني ٥٩/١ ط محيي الدين) والشجاع : نوع من الأفاعي ، وصمَّم : بمعنى عضَّ . وقال في الأشموني : «في المثنى لغة أخرى وهي لزوم الألف رفعاً ونصباً وجراً وهي لغة الحارث بن كعب ، وقبائل أخرى» . (المترجم)

إذا مِتُّ كـان الناسُ صنفـان : شـامــتٌ
وآخَـرُ مُـثْنٍ بالذي كنتُ أصنَـــــعُ(١)

وفيما أعلم فإن استعمال (صنفان) في (صنفين) لم يناقش على أساس أنه شكل من الأشكال اللهجية في كل ما تلاه من مناقشات . والشاهد الثالث بيت استشهد به ابن عقيل ، على افتراض أنه منسوب لضبة :

أعـرف منهـا الجـيـدَ والعـينانـــا
ومنْخَـرَيْنِ أشـبـهـا ظَـبـيـانــــا(٢)

حيث ذكر (عينانا) بدلاً من (عينين) ، مع احتمال أن يكون في الأصل (منخران)(٣) بدلاً من (منخريْن) . وقد استشهد ابن فارس (الصاحبي ص٢٠) ببيت آخر مجهول القائل : وفيه بين أذناه بدلاً من بين أذنيه(٤) . وأخيراً توجد سلسلة من الأبيات الشعرية تعتبر المعبّر الحقيقي عن إحدى مميزات لهجات شمال اليمن ، ويحتمل أن يكون قد تم وضعها من قبل المحاكاة الساخرة لهذه اللهجات . ويبدو أن الخليل (١٧٥هـ/٧٩١م) مصدرها الأول ، الذي يستشهد بها فقط على أساس أنها أنموذج للهجة مجموعة غير معينة من العرب . وقد عزاها بعد ذلك أبو زيد (في النوادر ص٨٥) إلى اليمانيين ، والجوهري (الصحاح ٥٢٢/٢) إلى لهجة الحارث ، وفي مكان آخر عزاها لرؤبة ، من قبيلة ضَبّة . ولا تتضمن الأبيات ما يجعل نسبتها إلى ضبة شيئاً متعذراً . وحينما سأل أبو حاتم أبا عبيدة (٢١٠هـ/٨٢٥م) عنها أجاب الأخير : انْقُطْ عَلَيْه (وكأنه مشكوك فيه) ، هذا من قول المفضَّل (اللسان ٣٢٢/١٩) حتى ولو كانت من ابتداعه ، فإن للأبيات قيمة تتمثل في أنه اعتبرها (وهو الذي مات ١٧٠هـ/٧٨٧م) من الملامح البارزة للّهجة موضوع الدرس . وبما أنه هو نفسه من ضبّة ؛ فإنَّ

(١) قائله : العجير بن عبد الله السلولي . (المترجم)

(٢) الحقيقة إن ابن عقيل لم ينسبه لأحد بل قال : وقد قيل إنه مصنوع ولا يحتج به . (شرح ابن عقيل ٧٢/٧١ ط محمد محي الدين ، ط٢) . (المترجم)

(٣) والرواية في نوادر أبي زيد ص ١٦٨ط ؛ دار الشرق (منخران) وليس منخرين وهو الذي نسبه لرجل من ضبة وهو ثقة كما أخبر سيبويه ، وهو ما يؤيد احتمال المؤلف . (المترجم)

(٤) يقصد البيت :

تزوّد منا بين أذناه طعنة دعته إلى هابي التراب عقيم

انظر : شرح المفصل ١٢٨/٣ ، واللسان مادة هبا وينسبه لهوبر الحارثي ، وهابي التراب ما ارتفع ودقَّ . (المترجم)

من المحتمل أن تشير إلى لغة تلك القبيلة . والخارج عن المألوف تجده في أكثر من مكان . وعليه فإنني سأذكر هنا ما يتاح الاستفادة منه ، والاختلافات بين قوسين :

أيٌّ قَلُوص راكب تراها (قلوص راكباً)
شالوا عَلاهُنَّ فَشُلَّ عَلاَهَا (طاروا فَطِرِ)
واشدُدْ بمثنَيْ حَقَبٍ حِقْواها[١]

ناجيةً وناجياً أباها (نادية ونادياً)[٢]
إنّ أباها وأبا أباها
قد بلغا في المجد غايتاها

i- ٩ - إن (كلا) في العربية الفصحى ، لا تتغير إذا أضيفت إلى اسم ظاهر[٣] ، ولكنها تتغير إلى (كِلَيْ) حين تضاف إلى الضمير[٤] في حالتي النصب والجر . وفي لهجة كنانة ، بناء على ما أورده الفراء ، (في أدب الكاتب لابن قتيبة ص٢٨٥ ، ط فينا) فإنها حين تضاف إلى الاسم وفي حالة جرها تتغير إلى (كِلَي) أيضاً ، ولكنها تبقى في حالة النصب (كلا) . ولكن ابن مالك (في التسهيل ٣ ، وانظر كذلك شرح الكافية للأستراباذي ٣٢/١ ، والسيوطي في جمع الجوامع ٤١/١) يقرر أن (كِلَيْ)[٥] كانت تستعمل في حالتي الجر والنصب ، ولكن يبدو أن هذا من قبيل

---

(١) في اللسان مادة علا : حَقْواها (والحَقْوهو الخاصرة) بفتح الحاء وليس بكسرها كما وردت عن المؤلف والأمران جائزان . (المترجم)

(٢) يذكر أن نادية ونادياً قد جاءت في الصحاح (استشهد بها فريتاج Einführung, p. 79: Freytag) وقد ذكر البيت شاهداً على أن لهجة عامر تغيّر الدال جيماً . (ولكنها في اللسان نادية ونادياً أيضاً على أنها لغة بلحارث بن كعب . والأبيات تنسب في النوادر ص٢٥٩ لبعض أهل اليمن ونسبها الجوهري لرؤبة ، وتنسب في مواطن أخرى لأبي النجم العجلي والقلوص هي الفتيَّةُ من الإبل والناجية هي الناقة السريعة ، والحَقَب : الحزام) . (المترجم)

(٣) حيث يقال : كلا الطالبين حضر . (المترجم)

(٤) فيقال في حالتي النصب والجر : رأيتهما كليهما ، ومررت بهما كليهما . (المترجم)

(٥) ولا يوجد في المصدرين اللذين أشار إليهما (وهما : شرح الكافية ، والجَمْع) ما يدل على تقرير ابن مالك هذا . (المترجم)

التنظيم المنهجي الذي كان ابن مالك مغرماً به عند معالجته للمواد اللهجية . ويبدو أن هذا يتعارض مع كل ما قيل في الفقرة الأخيرة عن المثنى في هذه اللهجات ، ولكن في حالة ما إذا اعتبر أحدهم كلا (كلانِ) صيغة حقيقية للمثنى (بروكلمان GVG, i, 456/ii, 254) علـى أي حـال ، فـإن سيبويـه قد سبق أن وصل فـي تحليلـه لهـا إلـى أنهـا مفـرد صيغـة فِعَـال . وابن هشام (في المغني ١٧٢/١) يقول : إنها مفردة لفظاً ومُثَنَّاةٌ معنى . وهي في اللغة الأوجاريتية مفردة كِلأَت Kil'at (Gordon, Grammar, p. 34) ولكنهـا في المؤابيـة تدل على المثنى فـيـقـال : كلئْي هشْـوح Kl'y h'swh أي كـلا الخـزانين (Mesha' 23) ، وفي العبرية Kil'ayyim (كْلأَييم- نوعان) وتنتهي بعلامة التثنية الملحقة بها ، كما في الاثيوبية كِلْئي[1] Kel'e والجذر كلء Kl' (يكبح ، يقيِّد) ، ويبدو أن المعنى الأول للكلمة هو النِّير . وصيغة فِعال العادية منها هي كِلاءٌ ، التي أصبحت في معظم اللهجـات كِـلا(ء) من خـلال الخلط بين الألف الممـدودة والألف المقـصـورة . والتركيب المجرور لها كان كِلائي Kilā'i ، والمنصوب كِلاءَ : .Kilā'a في لهجة غرب الجزيرة العربية ، حيث تسهَّل الهمزة تصبح الصيغة كِلَيْ وكِلاَ أي الصيغتين الكنانيَّتَيْن . إن العلة المزدوجة ، في أصلها الجديد ، قد حوفظ عليها هنا ، حتى الياء المفتوح ما قبلها ai الأقدم يمكن أن تكون قد حصل لها تخفيف . (انظر : فقرة ٥ السابقة) وقد يكون لهذه الألفاظ امتداد أوسع ، له اعتباره أكثر مما تظهره استشهاداتُنا . حيث في الغالب ما تمثل أو ترمز إلى لهجة مكة والحجاز . إن نطق كِلَي قبل الأسماء مرهون بصورتها المكتوبة ، وغالباً ما نجد كَلى بدلاً من كلا (Wright, ii, 214 B) ، ومن ناحية أخرى ، فإن بعض العرب يثبتون الألف في «كلا» في كل الأحوال حتى في حال إضافتها إلى الضمائر (الأستراباذي ، شرح الكافية ٣٢/١ ، عن المغنى ولكن من طبعة أخرى غير الطبعة التي بحوزتي) . وهذه اللهجات هي التي ثبت فيها اللفظ بالألف المقصورة بشكل راسخ . وبما أن (كلى) بالألف المقصورة يجب أن تكون في العادة بالألف (كلا) وليس بالياء المفتوح ما قبلها ai وذلك حين وقوعها مضافة في العربية الفصحى ، فإنه يمكن أن

---

(١) وفي الإثيوبية كلمتان أخريان تنتهيان بما تنتهي هذه الكلمة وهما : (haquë) أي السنام) ، (edē-hu يده) وهما كلمتان مفردتان لفظاً ولكن يبدو أن لهما دلالة المثنى ، ولكنهما خصصا للمفرد بعد إلغاء المثنى .

ترجع (كِلَيْ) قبل وقوعها مضافة إلى كلائي ، Kila'i في جميع اللهجات العربية (ربما عن طريق انتشار لهجات غرب الجزيرة) ، وقد احتفظ بها خلال وجودها في وسط الكلمة ، بينما الصيغة المعتمدة قبل الأسماء تتغيَّر على غرار ما تتغير به الأسماء العادية في غير لهجات غرب الجزيرة .

k- ١٠ - في لهجة سفيان بن أرحب ، وهي بطن من همدان منازلهم بين خَيْوان وصعدة ، يسمع السامع التعبير : رأيت أخواك (الهمداني ، صفة جزيرة العرب ص١٣٤) . وهذا يفسح المجال أمام تفسيرين . إذا اعتبرنا (أخواك) مثنى الأخ ، لدينا شاهد آخر للمثنى بالألف في حالتي النصب والجر ، في حين أن هناك مثلاً آخر قد ذكر في البيت نفسه (انظر : الفقرة ٧) . ترى ما الذي دعا الهمداني أن يلاحظ هذا الاستعمال الشائع في شمال اليمن فقط ناسباً إياه إلى مجموعة مغمورة من البدو؟! لم نستطع معرفة ذلك . ولكنه من المحتمل أيضاً أن تكون (أخواك) جمعاً لأخت : سادة مسد أخواتك . وسنرى (في الفصل الرابع عشر-الفقرة الأخيرة) أنهم في طيء يسقطون التاء من جمع المؤنث السالم في الوقف ، وإن هناك صوراً مشابهة ما زالت جارية على الألسنة في نجد وسوريا . ولا بد أن يكون الحذف قد ذهب بعيداً بصورة لا بأس بها بين بني سفيان ، منذ أن كان إسقاط التاء متاحاً ليس فقط في وصل الكلام ولكن قبل اللواحق ، والخبر كله فيه لبس وغموض شديد بالنسبة لنا يصعب معه إدراك أي قيمة فيه .

l- ١١ - واعتماداً على ما ذكره ابن يعيش (ص٦٢) من أن قبيلة الحارث تستخدم (أبا) وعند تنكيره يقال (أباً) بدلاً من (أب وأبو) الخ . وابن هشام (في المغني ١٨١/١) يذكر هذا باعتباره شكلاً استعمله بعض العرب ، الذين يقولون أيضاً (أخا) في الأخ . إن الأمثلة قد ذكرت في قطعة الشعر المستشهد بها في الفقرة ٨ وفي المثل : مُكْرَه أخاك لا بطلٌ (الميداني ط فريتاج ٦٩٩/٢ ، وط بولاق ٢٢٨/٢)[١] . وأما نولدكه (ZDMG, xlix, 321) فينكر أن تكون (أبا) من مبتكرات النحاة ، وإن صيغاً مشابهة في نماذج مختلفة من العربية الدارجة يذكرها مواطنون يمانيون . ففي حضرموت يُقال (با) في (أبو) (Landberg, Arabica, iii,81) ، والصيغة نفسها

(١) وفي كلتا الطبعتين يُوجد أخوك ، وأما (أخاك) فهي من ابتداع النحويين . (المترجم)

شائعة في الفارسية ، حيث أنه مستفاد ، دون ريب ، من العرب الذين هاجروا في وقت مبكر . وفي تلمسان نجد (خاي) أي أخي إلى جانب (بوي) أي أبي (انظر : بروكلمان (GVG, i, 331) وفي فلسطين يسمع السامع عند الانفعال (يابَييٌ)[(١)] ، وهذا يشبه ما يقال في وسط اليمن (يا أَبَه) (Goitein, Jemenica, p. 104) و(أبا) الأثيوبية باعتبارها لقباً إكليركياً قد تكون مقترضة من الآرامية ، ولكن المهرية فيها abāyye (أبايٌ) أي البابا ، و abāt (أبات) أي الأب . والصورة الاسمية الأخيرة توحي بأنّ (يا أبتِ) التي جاءت في القرآن الكريم قد تطورّت هي الأخرى من (أبا) . وفي المشناة العبرية (أَبّا) أي أبي ، و(إمّا) أي أمي ، وكلتاهما تستعمل في النداء ، وأسماء عادية (فقد جاء على سبيل المثال في : San hedrin, iii, 2 نِئِمان عَلَـيْ أَبّـا ne'emān 'alai 'abbā (إنني أثق في أبي) ونِئِمـان عَلَيء ابهيـخـا ne'emān 'alai 'ābīkhā) إنني أثق في أبيك) . وإنه من الصعب التصديق أن هذه الكلمة المألوفة قد أخذت من الآرامية (حيث أبّا تستعمل عند التوكيد)[(٢)] . ولدينا الآن صيغ النداء العربية المألوفة بالألف (Wright, ii, 87D) وتمثل غالباً النداء في السامية الأولى . وبما أن الألف غالباً ما تذكر في الحالات التي تتضمن ضمير المتكلم كان مفهوماً أن تكون مرادفة لضمير المفرد المتكلم ، وتستعمل أحيانا لأداء معنى غير النداء . والمثال على ذلك بيت شعر مجهول القائل الذي يحتوي على الكلمات الآتية :

«ثم آوي إلى أمّـا» (العيني ٤/٤٢٧ وفي مواطن أخرى) . ويرى باور وليندر (Bauer and leander, Histor. Gramm. p. 450) أن الحركات الطويلة[(٣)] في إعراب أب . . . الخ كان قد أقيم على قياس خاطىء على (أبا) ، باعتبار أنها في حالة النصب .

m– ١٢ – إن التوسع في الثنائي الجذور بالألف سيكون له امتداد أوسع ، للخروج من لفظي «يدا» (انظر : وربما الاثيوبية إدِيكَ -dĕka') ودَمًا ، قال به سيبويه (واستشهد به

(١) بالباء المفخمة والياء المشدّدة وليست ياء واحدة .

(٢) حقاً في الإنجليزية يقول طلاب المدارس Pater الأب والأتراك Peder. وكلتا الكلمتين من لغتين مختلفتين وتوظفان للتهذيب والتعليم . مما يعني أنه لم يكن للآرامية علاقة بالعبرية ، ولكن كان لها علاقة بالعبرية الحديثة في العصور المتأخرة .

(٣) أي الإعراب بالحروف . (المترجم)

الأستراباذي ، شرح الكافية ٢/٥٧١(*) ، بحكم أنهما تختصان بلهجة معينة : ويمكننا أيضاً دون تدقيق أن نذكر لهجة أخرى مختلفة في أب وأخ ، ولسوء الحظ مرة أخرى لم يذكر موطنها : أبٌّ (ابن مالك في التسهيل ، نقلها لين Lane ص٤) . وأخٌّ (ابن الكلبي في الجمهرة ١/١٥) . وهذه تذكرنا بحالة التوكيد الآرامية أبٌّ – 'abba: (انظر أيضاً ألفاظ المشناه العبرية المستشهد بها آنفاً) وبالكلمة العبرية ، أخيم > أَخِّيم . (انظر : Bauer-Leander, Hist. Gram. p. 615) .

m– ١٣ – إنَّ همدان تقول بدلاً من هُوَ وهِيَ : هُوٌّ ، هيٌّ بالحركة الطويلة[1] (ابن مالك في التسهيل ص٨ ، الأستراباذي ، شرح الكافية ٢/١٠ وما بعدها) ، (انظر نولدكه Zur Gramm. p. 13) . ومن شواهد شعرية نعلم أن هذه الصيغ تستعمل في أكثر من منقطة متسعة .

وإن أشكالاً من نمط هُوَّ وهِيَّ شائعة في كثير من اللهجات الدارجة المعاصرة (وعلى سبيل المثال في سوريا ، (انظر Driver, Grammar, P. 25) وليس من الواضح تماماً على أيِّ أساس قد حلّت هذه محل هُوْ ، وهِيْ– hû- hî ، ومستعملة في كثير من اللهجات الدارجة ، ومن بينها لهجة وسط اليمن (Mittwoch, Aus dem Jemen P. 52. 58). ومن ناحية أخرى يبدو أن هناك صلة محدّدة بين : هوُوَ ، وهِيِيَ وبين هُوءَ ، وهِئَ في لهجات دارجة معينة (العراق ، دثينة ، انظر : (Barth, Pronominalbildung, p. 1) من العربية الجنوبية ، ومن الأثيوبية الأولى (البدائية) (انظر : Brockelmann, GVG, i, 303) والعبرية . ويحتار المرء ما إذا كانت الصيغة التي تنطق كما في اللهجة العربية الغربية ، ليست هُوءَ بحذف الهمزة منها . (انظر فصل ١١– فقرة bb).

o– ١٤ – إن (مِلْ) المخففة من «مِنَ الـ» (أو من الـ– انظر فصل ١٤– فقرة gg) تذكر بكثرة في الشعر في جميع جهات الجزيرة العربية (Brocklemann, GVG ,i, 263; Schwarz,

---

(١) يقول في شرح الكافية ٢/١٠ : «ويشدّدهما همدان» أي ينطقان هُوَّ وهِيَّ في همدان ، ولكن المؤلف رابين يتبعهما بقوله بالحركة الطويلة أي يقصد هُوَ كما رسمها hûwa ، وهِيَ كما رسمها hîya وكتبتها أيضاً 'huwwa ، و hiyya فكأنه محتار والأولى الأخذ بما جاء في شرح الكافية . (المترجم)

(*) يُقْتَدُ البيت الذي يقول (صاحبه مجهول) :

كأطوم فقدت برغزها   أعقبتها النسِ منه عدما

فقدته فأتت تطْلُبُـــه   فإذا هي بعظام ودَمـــا   (الخزانة ٧/٤٩١ ، ٤٩٣) .

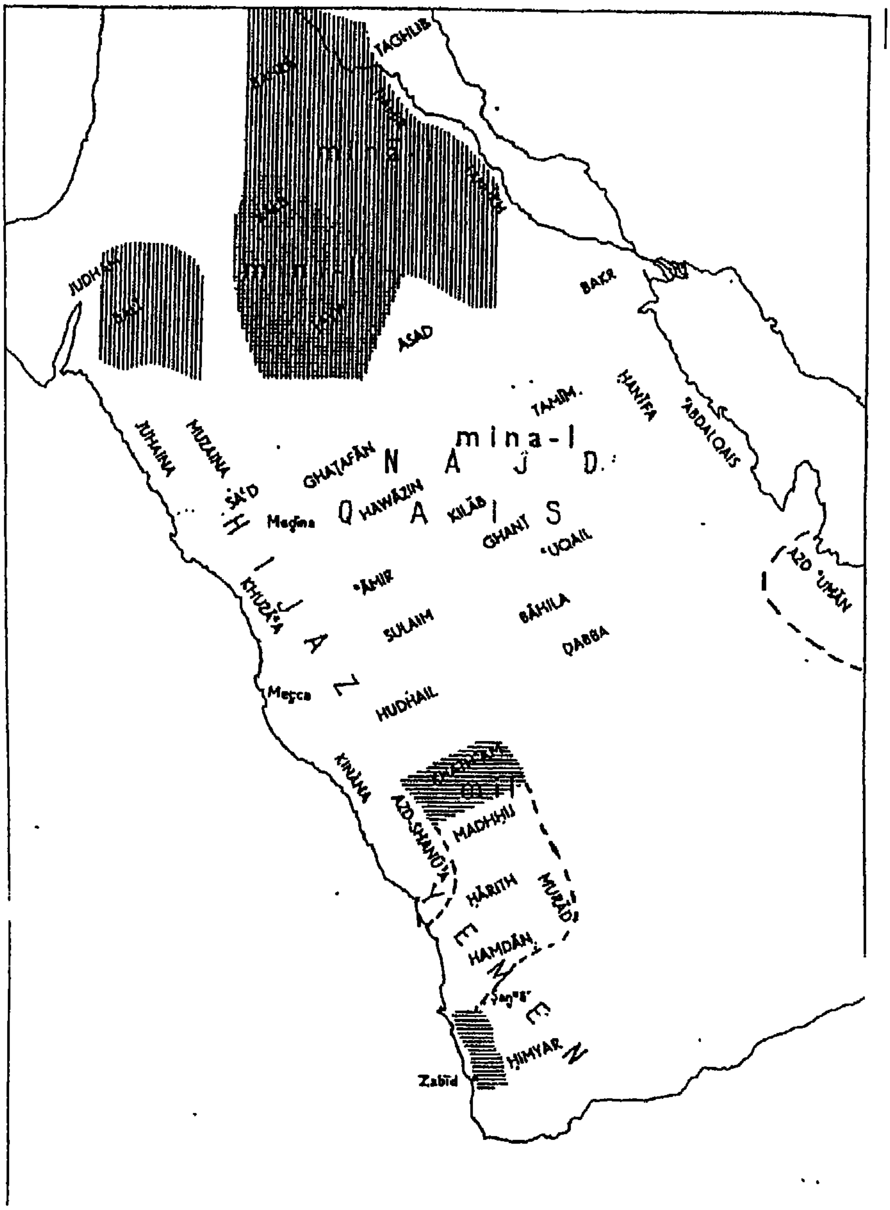
(Umar,iv, 111 ، (واللســـان ٢١٣/٧١) يذكرها باعتبارها شكلاً سائغاً وجائزاً دون الرجوع إلى لهجة ما . على كل حال ، فإن الرافعي (تاريخ آداب العرب ١٣٩/١) يقول ، دون ذكر المصدر ، أن هذا التخفيف كان خاصاً بلهجات خثعم وزُبَيْد . وربما كـانـــوا يستعملونها في هذه المناطق في النثر أيضاً . وهذه الصيغة نادرة في اللهجات النادرة ، ولكن نطقها يحدث في عُمان (Reinhardt, P.101) وفي حلب (Driver, Grammar, P.214) وكان التأثير اليماني قوياً في سوريا ، ولعُمان روابط لغوية متينة مع تهامة اليمن ، وهكذا يتوافق خبر الرافعي مع البقايا المعاصرة . والاستعمال الشعري الشائع لـ (مِلْ) يحتاج إلى توضيح . إن لفظ «مِنَا» في مِنْ ، تُعزى إلى قضـاعة (اللحياني في اللسان ٣١١/١٧) .

واللفظ العربي الشائع لِمِنْ قبل أداة التعريف هو (مِنَ-لْ) ، ولكنه قد اشتهر عن طيء وكلـــب أنهـــا قـد استخـدما بدلاً منها «مِنِ- ل» (اللسان ، السابق نفسه) ويبـدو أننا سنواجه بصورتـين من اللفظ في منطقتين : أحدهمـا ينتهـي بحركـة أصلية مُسلَّم بها دون تخفيف ، والأخـرى قبـل ألـف الوصل حيث تأخذ الحركة الحيادية مثل الكلمات التي تنتهي بأصوات صامتة ، وفي الوقت نفسه تسلم من التخفيف ، مثل مِنْ العبريـة[١] (Gesenius, Gram mar, 1026) والصور الجارية الاستعمال قد تمركزت تقريباً في الجهات المتقابلة في الجزيرة العربية ؛ والمنطقة المتداخلة لا تستخدم فيها الصورة المخفَّفة إلاّ في الشعر ، الشاهد الفصيح في علم اللغة الجغرافي ، ولسنا بعيدين ، خاصة بالنظر إلى الصلة العبرية ، عن اعتبار الصورة المخففة ، عديمة الحركة ، صورة عربية غربية . وسنعثر على حالات أخرى مشابهة للنون في الحجاز . ويذكر أبو اسحق (الزجّاج في اللسان ٣١٢/١٧) عَلْ في عَن-ال كتخفيف محتمل آخر . وهذا يقل نوعاً ما ، سريانه في النصوص (انظر : الخريطة رقم ٩) .

p- ١٥ - في النص نفسه ، وربما من المصدر نفسه ، يخبرنا الرافعي أن تخفيف على إلى عَل ، على نفس القدر من الشيوع في الشعر ، ويقع ذلك في لهجة الحارث ، وعلى النقيض من (مِلْ) فإن عَلْ هي القاعدة في اللهجات الدارجة أينما كان (انظر : Fisher, ZDMG, Iviii, 797; Brockelmann, GVG,I,263,497) ولكنهـا[٢] في

(١) وقد احتفظت الأثيوبيّة بالصورتين هما : مِنّ وام ، والصورة الأخيرة تجعل الإنسان في حيرة إذا ما كانت صورة اللفظ في العربية الجنوبية أ هي حقاً م أمْ مِنْ .

(٢) أي الصورة المخففة من عَلى . (المترجم)



خريطة رقم (٩) مِنْ قبل ال التعريف

لهجتين فقط تكون سبباً في استحداث حرف جر جديد هو (عَ) من على : في عُـمـان (Driver, Grammar,p.214) وفي سـوريا (Reinhardt, p. 94 seq) وهمـا اللهجتان اللتان احتفظتا بـ (مِلْ) وهذا مرة أخرى يؤيد خبر الرافعي . وبالطبع فإن سبب ظهور (عَلْ) وانتشارها بشكل واسع ، مختلف تماماً عما هو الحال في مِلْ . إنه النزعة إلى التيسير والتسهيل (Brockelmann, GVG,I,97) .[1]

q- ١٦ - إنهم في كنانة يقـولون نِعِمْ بدلاً مـن نَعَمْ (ابن مـالك في التـسـهـيل ٦٨ ، الزمخشري ، المفصل ، ص١٤٥ وما بعدها) وفي اللسان (٦٩/١٦) حكاية عنها ، وهي عن رجل من خثعم[2] . واللفظ بهذا الشكل كان شائعاً في لهجة غرب الجزيرة ، وقد عُزيت لهذيل والحجاز . وهناك شعور قوي بأنها صيغة صحيحة للهجة غرب الجزيرة حتى إن الكسائي قد قرأ بها (السيوطي ، الجمع٧٦/٢)[3] . وهذه بالطبع صيغة أقدم (انظر : نِعْمَ < نَعِمَ ، والعبرية نَعيموُ) . وقد احتفظ في لهجة غرب الجزيرة نظراً لغياب روح التوافق الحركي (انظر : الفصل العاشر-الفقرة ٦) .

r- ١٧ - وفـي حدود علمي ، لم يُذْكَر تفسير حقيقي مُرْضٍ للعبارات الظرفية من نوع ذات يوم ، ذا صباح في تعدد هذا النوع من العبارات ، (انظر اللسان ٣٤٥/٢٠ ، ٣٤٧) . ومن الجدير بالملاحظة إزاءها أن (ذا) وأمثالها لا تأثير لها في المعنى ، والعبارات تصبح مرادفة لكلمة (يوماً) ، الخ . وشبيه بهذا نستطيع أن نذكر : على ذاتِ حِدَته أو من ذي حِدَته بدلاً من على حدته . وأرى أن ذا ومثيلاتها هنا أدوات إشارية ، متصلة بـ (ذَا) المستخدمة في الاستفهام[4] (في العبرية زه- -Gesenius, Grammar, 136c Zeh) وهي على أي حـال في ذهن المتكلم العربي لا ترتبط بذا التي بمعنى هذا بل بذي التي بمعنى صاحب . وبناء على ما ذكره سيبويه (٩٥/١) من أن لهجة خثعم تصرفت في (ذا) كالاسم (ذو) . وقد

(١) اعتماداً على هارتمان (Hartmann,OLZ,ix,578) فإن عَ قد ذكرت في نقش النمارة في (عَ كدي ، السطر الثاني) .

(٢) لعله يقصد ما جاء في اللسان مادة نعم : «في حديث قتادة عن رجل من خثعم قال : دفعت إلى (النبي صلى الله عليه وسلم) وهو بمنى فقلت : أنت الذي تزعم أنّك نبي؟ فقال : نَعِم وكسر العين هي لغة في نَعَم بالفتح التي للجواب» . (المترجم)

(٣) حيث جاء فيه : «وكسر عينها (أي نعم) مع فتح النون لغة لكنانة وبها قرأ الكسائي» . (المترجم)

(٤) لعله يقصد المستعملة مع ما في (ماذا) . (المترجم)

خرج بهذه النتيجة من بيت شعر لرجل من خثعم هو أنس بن مدرك (أو مدركة ، انظر (Schawahid-indices p.20) ، أونُهَيْك ، (انظر سيبويه كما استشهد به في اللسان ٣/٣٢٣) :

عَـزَمْتُ على إقـامـة ذي صـبـــاح
لأمْـر مـا يُسَـوَّدُ مـــن يســـود[١]

ويفسره سيبويه : «عزمت على أن أقيم ذات صباح قبل الإغارة ، لأن السيّد لا يسوّد إلاّ لأمر عظيم» . ولكن إذا عوّلنا أدنى تعويل على النص[٢] فإن «ذات صباح» تكون من الغموض بحيث يقصُر الشعر عن أداء أي معنى ، وإنما المقصود هو «ذلك الصباح» . أعني ذلك اليوم الذي كانت ستحدث فيه المعركة ، وعليه يجب أن تكون (ذي) اسم إشارة للمذكر ، مثل (ذا) في العبرية الأدبية . وهنا لا بد من تدخّل أداة التعريف المطلوبة في العربية[٣] .

s- ١٨ – للاهتمام بالمظهر النحوي أولاً فإن لدينا نظيراً من لهجة ظفار الدارجة في جنوب اليمن . وهناك الإشارة لكلا الجنسين يكون عادة باستعمال ذي استعمالاً مزدوجاً مع انضمام أل التعريف : الشّغل ذي (Rhodokanakis, Dhofar,ii,108) وعند الإشارة لـ «هذا» فإن هناك صيغة للمذكر هي ، ذِي[٤] . وقد وردت هذه في نصوص رودوكناكس مرتين لتكون وصفاً ، وفي المرتين كانت قبل الأسماء ودون الأداة[٥] : مرة قبل اسم نكرة في ذِ مْكان (Rhodokanakis,I,95,line 3) ، والأخرى قبل اسم علم كما في : مِنْ ذِي جفجيف إِتّ ذي لوجيل ، أي من

(١) في الكتاب : لشيء ما وليس لأمر ما . (المترجم)

(٢) ويرى البروفسور جب أن تترجم : عزمت على الخروج في غارة صباحية ، وحرفياً ، ذلك الصباح) ، وإذا كانت هذه الترجمة مقبولة فإن ما يتلوها من مناقشة لا قيمة لها . وعلى أي حال ، وبغض النظر عن أفكار سيبويه ، وعلى افتراض أن معنى أقام هو أدى (في مثل أقام الصلاة) فإن هذا المعنى مقترض من الاستعمال اليهودي (حِيقيم ميصْواه) أي يؤدي وصيته وكذلك السريانية (أقيم شلاما) أي ألقِ السلام . وإذا كان البيت غير مصنوع فإنه من الصعب التصديق أن بدو اليمن قد اقترضوه فقط بل طوّروا استعماله أيضاً .

(٣) يقصد أنه لا بد من إدخال «أل» على كلمة الصباح عند استعمالها بعد ذلك لأنه لا يقال في العربية في مثل هذا السياق : ذلك صباح (المترجم)

(٤) أي بالكسرة الطويلة الممالة . (المترجم)

(٥) أي الأسماء دون الأداة . (المترجم)

جفجيف إلى الأوجيل (المرجع السابق ٩٦/١ص١٢) والحالة الثانية فإنها بوضوح تشبه استعمال (زِه) قبل الأعلام في العبرية الإنجيلية ، وهناك شاهد له تراكيب مشابهة يذكر في حديث المهدي المنتظر ، في محاولة للتنبؤ بكونه يمانياً : «يطلع عليكم رجل من ذي يمن ، على وجهه مَسْحةٌ من ذي ملاكٍ» ولا يعني لي سوى أن رجلاً سيظهر لكم من اليمن ، وسيكون على وجهه مسحة من ملاك . ودعنا نسجل ملاحظة وهي أنه ليس تركيباً عربياً جنوبياً : والتعبير العبري الجنوبي (dhn bytn ذ بيتٍ) يماثل تماماً ، باستثناء ترتيب الكلمات ، التركيب العبري الإنجيلي : (hab-bayith haz-zeh هالبيت هازِه) ، (أي هذا البيت) في حين أن كل الحالات التي نوقشت تطابق تماماً عبرية المشناة bayith zeh (هذا البيت) .

وهناك دليل في المشناة العبرية على زه proclitic (دون تدخل أداة التعريف) ، بالرغم من أن المسألة ما زال مشكوكاً فيها نوعاً ما (الأمثلة في Segal, Grammar, p.201) وعلى كل حال فإن وجود التركيب الإشاري دون أداة التعريف في اللهجة الكنعانية ، وفي العربية الغربية الجنوبية كليهما هو بوضوح أمر عرضي . ولا يوجد في النصوص الحجازية حالات من هذا التركيب قبل النكرات من الأسماء ، ولكن يمكن أن تضاف (ذي) في الشعر الحجازي إلى أي اسم علم ، وغالباً ما تتقدم التركيبات النحوية الشاذة (Schwarz, Umar,iv,145) اعتماداً على الأزهري (في التاج ٤٣٦/١٠) فإن (ذوء - dhu') ، (وهكذا) ، التي لا طائل تحتها كانت جارية على لسان قيس وجيرانها . في اللسان ٣٤٤/٢٠ نعرف أن ذا الرُّمّة الشاعر قد ذكرها في لهجته المحلية حيث قال : قبّح الله ذا فا . وعديّ كانت تعتبر من بين تميم ، ولكنها أقامت بعيداً غرب الجزء الرئيسي من تلك القبيلة . وهكذا يبدو لنا أنه من الممكن أن نجمع كل هذه المعلومات المتناثرة المتباعدة بقولنا إنه لا يقال في العربية الغربية : هذا البيت بل ذي بيتُ أو ذي بيتٌ (انظر : الخريطة رقم ١٠) .

t- ١٩ - إن (زه) العبرية وَ(دِين) den الآرامية يوحيان بالأصل السامي ذِي(١) . ولا بد أنها صارت في لهجة شرق الجزيرة ذا ، مثل (نِير ner) العبرية التي صارت ناراً (انظر : الفصل العاشر الفقرة ٦٢) ، وهذا يعلل تماماً التركيب العربي العادي . وفي بعض

---

(١) بالكسرة الطويلة الممالة . (المترجم)

اللهجات العربية ، لم تُعيَّن لسوء الحظ ، تُنْطَق ذا ممالة ذِي (انظر : سيبويه ٢٨٩/٢ ، الزمخشري ، المفصل١٦٠) والطريقة التي قدّمت بها العبارة في المصادر توحي بأنها لهجات لا إمالة فيها بوجه عام ، وبناء عليه فإن اللهجات العربية الغربية تحتمل هذا الأمر كذلك ، (انظر : الفصل العاشر ، الفقرة ١٦) . واللهجات الدارجة التي لديها مثل : ذِي[1] للمذكر هي التي غالباً ما توافق اللهجة اليمانية : تلمسان ، مصر ، عُمان واللهجات اليمانية مثل لهجتي ظفار ودثينة . وفي اللهجات ذات الإمالة الشديدة فإنّ ذا لم تتأثر بذلك ، والمثال على ذلك (دَ) المالطية (انظر : Brokelmann,GVG,i ,318, Barth, Pronominalbildung,p.116) ونظرياً ، بناء عليه ، فإنّ (ذي) في أمثلتنا يمكن أن تكون هناك محاولة لكتابتها ذِ[2] . وعليه فإن اسم الموصول في اللهجة اليمانية ذي ، وفي طيء ذو (انظر : الفصل الرابع ، الفقرة ٢٦) توحي بأنه كان هنا اسم إشارة هو ذي واختلط بالاسم الموصول من حيث الشكل ، وقد حدث الأمر نفسه في العبرية حيث المقارنة بين اسم الموصول زو- Zu واسم الإشارة زه Zeh (وللمؤنث زو- Zo بالإمالة) قادت إلى توظيف الأخيرة في قطع كثيرة في الإنجيل بدلاً من الأولى . وزِي[3] Ze الإثيوبية ، دون أدنى جهد يمكن أن يكون قد حدث لها تقصير عن ذِي[4] ، بالإضافة إلى ذي[5] .

u- ٢٠ - ويمكن أن يكون هناك تعزيز لاسم الإشارة اليماني ذي (ذِ) وذلك في حديث آخر عن المهدي (اللسان ٣٣٨/٢٠) حيث قيل بأنه : (قرشي يمانٍ ليس من ذي ولا ذو) ، والشرح الذي قدّمه اللسان[6] أن (ذو) ترمز إلى البيت الملكي في حمير ، أي الأسماء مثل : (ذو يزن ، وذو رُعَيْن) ، وهذا يعني أنه ترك (ذي) دون شرح . وهنا

---

(١) بالكسرة الطويلة الممالة . (المترجم)

(٢) بالكسرة القصيرة . (المترجم)

(٣) بالكسرة المخطوفة .(المترجم)

(٤) بالكسرة الطويلة الممالة . (المترجم)

(٥) بالكسرة الطويلة غير الممالة . (المترجم)

(٦) فقد جاء في اللسان مادة ذا ، بعد العبارة : «أي ليس نسبه نسب أذواء اليمن وهم ملوك حِمْيَر» . (المترجم)

عليّ أن أَقْتَرِحَ أن الجزء الثاني من الجملة يعني أنه لن يكون من هذه تماماً ولا من تلك تماماً . وذو قد تكون يمانية حقيقية ، وأن ذي التي بمعنى ذي قد تباينت واختلفت عن ذي التي بمعنى ذو أو أن يكون قد حدث خطأ في رواية الحديث . وربما فهم من التعبير أنه يعني من ناحية ما : أنه ليس من هؤلاء الذي يقولون ذي (أي اليمانيين) ، ولا من هؤلاء الذين يقولون ذو(أي طيء) ، على اعتبار أن ذي قد اعتبرت اسماً موصولاً (انظر : الفصل الرابع ، الفقرة ٢٦) .

v- ٢١ - إذا كان تحليلنا صحيحاً ، فإن أحكام سيبويه تعتبر مثلاً صادقاً على موطن الضعف عند اللغويين العرب في طريقتهم في فهم اللهجات . ومع ذلك ، فإنَّ ابن مالك (التسهيل٣٦) يخرج باستنتاج حقيقي مذهل من كلمات سيبويه وهو : أن خثعماً وحدها دون العرب ، لم تستخدم ذا وذات في مثل تركيب : ذات يوم . وهذا هو الخبر الوحيد فيما أعلم الذي يؤكد أن تركيباً ما لم يكن موجوداً في لهجة معينة . إنه يفترض مسبقاً تحقيقاً مفصلاً وكأنه لم يُتَعهَّد ، ولم يتولّ أمره أحد من قبل .

w- ٢٢ - ولا أدري ماذا أصنع بالخبر (استشهد به أنيس : اللهجات ص ٩٩ دون ذكر المصدر) الذي يقول إن الحارث تقول في مثنى اسم الموصول وجمعه : اللذا الّلذَيْ بدلاً من (اللذانِ والّلذَيْنِ) . وآخرون يعزون هذا الملمح إلى بعض ربيعة . وهناك شاهدان ، وكلاهما في المثنى ، للأخطل التغلبي ، والفرزدق التميمي . يمكن أن يمثلا ترخيص هذا الأمر في الشعر (انظر : (Wright, Grammar,ii,379C) وفي الحارث ، إذا كان الخبر صحيحاً ، فإن الصيغتين يمكن أن يكونا من قبيل المجال الذي تنتقل فيه الصيغ في غرب الجزيرة بين الذي والذين .

x- ٢٣ - واعتماداً على الصفّار (نقله ابن عقيل ص١٢١) بأن في لهجة الحارث يتطابق الفعل مع فاعله في الإفراد والتثنية والجمع (في اللغة التي يسميها النحاة لغة أكلوني البراغيث ، (انظر رايت ، ٤٩٢/٢ C) . والتركيب نفسه يستخدم في الحجاز وطيء وإنها لغة نموذجية لغرب الجزيرة العربية .

y- ٢٤ - إن الجزم بلو ، وهو أمر نادر جداً (Reckendorf, Syntax,P.497) اعتبره بعضهم أحد المظاهر اللهجية (ابن مالك ، التسهيل ، كما استشهد به في الخزانة ٥٢٢/٤ ، والسيوطي ، الجمع ٦/٢) . من الشواهد القليلة ، يستشهد ببيت من قصيدة معزوّة في الحماسة لامرأة من قبيلة الحارث (الحماسة ص ٤٩٦ - البيت الأول) ، والآخر :

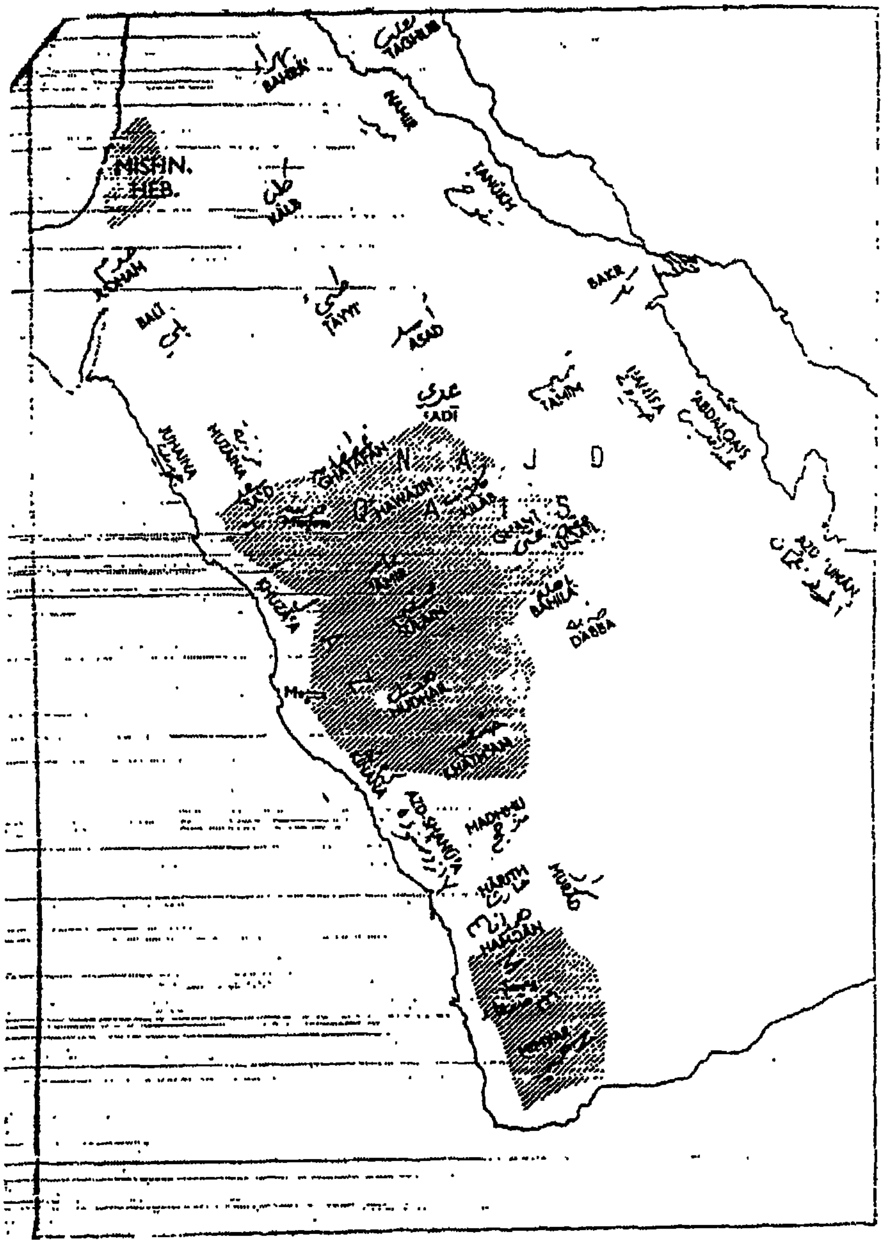
تَمَّت فؤادك لو يُحزِنْك ما صَنَعَتْ
إحدى نساءِ بني ذَهلِ بن شيبانا[1]

(الخزانة ، السابق ، الشنقيطي ،٨١/٢) ، والبيت بوضوح من قصيدة فخر ببني شيبان ، أي من أصل يماني : وهذا يمكن أن يخوّلنا ، ولو مؤقتاً ، أن نعتبره استعمالاً يمانياً شمالياً . وبما أن لو تأتي في الأصل للتمني (Brockelmann,GVG,ii,31) هناك احتمال ما أن الجزم بها أمر قديم ، وإن لم يكن أصلياً ، في العربية ، والاستعمال اليماني في الشمال (أم هي لغة غرب الجزيرة بصورة عامة؟) أمر مهجور . إنّ الاستعمال العربي العادي ، في الواقع ، هو أن يرفع ما بعدها ، وهو أمر يحتاج للشرح .

---

(١) وفي رواية أخرى : تامت بمعنى تيَّمت . انظر المغني دار الفكر١/٣٠٠ . وقائله لقيط بن زرارة . والبيت الآخر الذي ينسب لامرأة حارثية هو:

لو يَشأْ طار ذو ميْعة لاحق الآ طال نَهْد ذو خُصَلْ .=



خريطة رقم (١٠) استعمال اسماء الاشارة دون ال (S/V)

الفصل الثامن

هُذَيل

a- ١ - مع أن هذيلاً كانت قبيلة كبيرة ، إلاّ أن دورها كان صغيراً في الأحداث السياسية والثقافية في القرون الإسلامية الأولى : ولكن لهجتهم نالت عناية كبيرة من اللغويين . وقد بقي ديوان شعرهم دون أشعار سائر القبائل ، مع أنهم لم يقدموا شعراء من الطبقة الأولى . وقدَ ألّف ابن جني كتاباً خاصاً بأشعار هُذَيْل (الخصائص ١/١٣٠) وقد ضاع لسوء الحظ(١) . ودون شك كان اهتمامه الأول منصباً على اللغة : ولهذيل صيت هو أنها ، بصورة خاصة ، تتكلم لغة عربية سليمة فصيحة (انظر : في الفصل الثالث ، الفقرتين ٨ ، ٩) . وفي الحقيقة ، يبدو أن لهجتهم قد تأثرت بلهجات شرق الجزيرة بصورة أكبر من أية لهجة في غرب الجزيرة . وهذا يشير إلى الاتصال غير المحدود بشرق الجزيرة . ووجود شعر هُذَيْل الجاهلي ، غير المشكوك فيه ، بالعربية الفصحى يصبّ في الاتجاه نفسه . وكان من الطبيعي أن يغلب على لغة القصائد طابَع لهجة شرق الجزيرة العربية ، وجلبتْ مهارتُهم في استعمالها الشهرة اللغويةَ لهذيل . وفي الوقت نفسه تشرَّبت اللغة اليومية للقبيلة ملامح من اللهجات الدارجة في قبائل شرق الجزيرة ، مما أعطى لهجة هُذَيْل وضعاً خاصاً في غرب الجزيرة العربية .

b- ٢ - واعتبار لهجة هُذَيْل ضمن لهجات غرب الجزيرة . أمر طبيعي وأساسيّ لا شك فيه ؛ ليس لأنها تشارك لهجات غرب الجزيرة في معظم ملامحها فقط ، ولكن لأن ملامحها المعروفة تتناسب تماماً مع موقعها الجغرافي بين شمال اليمن والحجاز . هذا إلى جانب الملامح النحوية التي ستكون موضوعاً للبحث والدراسة في هذا الفصل ، مع بعض المقارنات المعجمية مثل : أَوّاب عند هُذَيْل وكنانة وقيس (أبو عبيد ، الرسالة ص١٥٦) ؛ والثاقب عند هُذَيْل (الرسالة ص١٥٥ ، والإتقان ص٣١١) وكنانة (الرسالة ص١٦٢) ، والجَدَث عند هُذَيْل (الرسالة ص١٥٥ ،

(١) لم يَطبع الكتاب بل طبع محققاً في بغداد سنة ١٩٦٢ واسمه : التمام في تفسير أشعار هذيل ، حيث شرح فيه لثلاثة وخمسين شاعراً . (المترجم)

الإتقان ص٣١١) وتهامة (المصباح ص١٤٤) في مقابل جَدَف في نجد (المصباح) أو قيس أو تميم (شرح ديوان الخنساء، بيروت ١٨٩٠، ص ٢٣٠)؛ خَرَص عند هُذَيْل وكنانة وقيس (الرسالة، ص١٥٧، الإتقان ص٣١١)، انظر في العبرية ربما: حارَص لاشون (Exod,xi,7)؛ فَوْر، أي الوجوه[1]، في القبائل نفسها (الرسالة ص١٤٣)؛ رَجَا، رَجًّى «يخيف» عند هُذَيْل (الرسالة ١٥٧,١٥١)، هذيل، كنانة وخزاعة (السجستاني، الأضداد، ٨١)، تهامة (البيضاوي٣٧/٢)؛ وعُسْل جمعاً لعَسَل عند هُذَيْل وكنانة وخزاعة (ياقوت، المعجم، ٦٥٥/٣).

c- ٣ - إن صيغة نَعِمْ في نَعَم كان استعمالها جارياً في لهجتي هُذَيْل وكنانة (القسطلاني ٢٠٤/٤)، إنها صيغة عامة في غرب الجزيرة (انظر: الفصل السابع، فقرة ١٦، والفصل العاشر فقرة ١٠). ووجودها هنا يبرهن، على أية حال، على أن لهجة هُذَيْل لم تتأثر بالنزعة الشرقية[2] نحو التوافق الحركي. أما الاقتباسات الصوتية ستتم مناقشتها بصورة كاملة (في الفصل العاشر من الفقرات ٦-١٤). [3]

d- ٤ - ولم تتبع لهجة هُذَيْل ما يحدث في شرق الجزيرة من إسقاط الحركات القصيرة غير المشدّدة في جموع الإناث من الأسماء الثلاثية المفردة المؤنثة الصحيحة العين الساكنة غير المضعّفة من طراز فَعْله، تُقْحِم اللغةُ الفصحى فتحة فيقال: فَعَلات[4]، وذلك إذا لم يكن الحرف الثاني الأصلي واواً أو ياءً (انظر: رايت wright,I,193) ولهجة هُذَيْل هي الأخرى تقحم هذه الفتحة فيقال مثلاً: جَوَزات من جَوْزة (ابن مالك، التسهيل: ٦، الزمخشري، المفصَّل: ٧٧، الفائق ٤٣/١ وما بعدها). ولكن السيوطي (الجمع ٢٣/١) يقول إن محل هذه اللغة هي الأسماء وليس الصفات. والأمثلة المعتمدة تشير إلى الأسماء فقط. وأحدها في بيت من الشعر قاله شاعر هذلي حيث يوصف فيه ذكر النعام بأنه أبو (أو أخو)

---

(١) كما في قولهم: جاءوا من فَوْرِهم أي من وجههم (اللسان مادة فور). (المترجم)

(٢) أي التي تحصل في لهجات شرق الجزيرة العربية. (المترجم)

(٣) ويستشهد سيبويه ٤٥٨/٢ بقول أبي الخطّاب إن نَعِمْ في نَعَم هي لهجة هذلية. وهي صيغة هذلية نادرة كالشاهد على لسان طرفة الذي هو من قبيلة بكر الواقعة في شرق الجزيرة. (وأبو الخطّاب هو الاخفش الأكبر)

(٤) مثل جَفْنة يقال فيها جَفَنات، وأجاز النحاة مثل هذا الأمر في مضموم الفاء ومكسورها أيضاً حيث يقال في غُرفة وسِدره: غُرُفات وسِدِرات. (المترجم)

بَيَضات[1] (جمعاً لبيضه ، الأستراباذي ، شرح الكافية ١٩٠/٢ ، اللسان ٣٩٣/٨) . والمثال الآخر في قراءة قرآنية للأعمش الكوفي (الآية ٥٨- من سورة النور) : «ثلاث عَوَرات»[2] في عَوْرات ، حيث يقول الزمخشري (في الكشاف ٩٦٠/) إنها في لهجة هذيل . وهذا ، بالطبع ، يجب ألاّ يؤخذ على أن الزمخشري قد اعتبرها قراءة هذلية ، ولكنها وافقت ما يعرفه من الاستعمال الهذلي ويصرّح ابن خالويه (البديع١٠٣) إن قراءة الأعمش تساير لهجة تميم . ونعرف عن طريق الزمخشري (المفصّل ٧٧) والفراء (الآيتان ٦/٧- من سورة الرعد)[3] أن قبيلة تميم تسقط الفتحة في صيغ مثل : جَمَرات ، حيث ينطقونها جَمْرات . وربما استخلص ابن خالويه هذه النتيجة عن أصول الأعمش القبلية ، أو الأكثر احتمالاً ، أن يكون أحد مصادره قد خلط بين هُذَيْل وقبيلة حنظلة القريبة من تميم . وسنواجه أمثلة أخرى وقع لها الخلط نفسه . وليس من الواضح ما إذا كان في اللهجة أيضاً فتحة في نطق الجموع التي على وزن فِعْلَة ، وفُعْلَة . ويقول الأستراباذي (في شرح الكافية ١٨٩/٢) . إنّ العِيْر تجمع على عِيَرات ، وقد استعمل عند غير هذيل[4] . ولا بد أنه يعني أن هذا الجمع عن هُذَيْل وغيرها . يؤكد اللحياني (اللسان ٥٩/١٦) في معرض تعليقه على قراءة نعْمات (نعَمات ، نِعِمات) في الآية ٣١ من سورة لقمان[5] وإن نعمات من لغة أهل الحجاز . وعليه يجب أن تكون قراءة نعَمات لغة هُذَيْل وسائر قبائل غرب الجزيرة العربية . ما دام أنه يمكننا أن نفترض

---

(١) والبيت بتمامه :

أبو بَيَضات رائحٌ متأوّب رفيق بمسح المنكِبَيْنِ سَبوحُ . (المترجم)

(٢) والآية الكريمة طويلة : « . . .ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عَوَرات لكم . .» ، ورقمها في السورة ٥٨ وليس ٥٧ كما أوردها المؤلف . (المترجم)

(٣) (ولا يوجد فيهما كلمة (جمرات) وإنما فيها كلمة مَثُلات في قوله تعالى : « . . . . وقد خلت من قبلهم المَثُلاتُ . .» في الآية رقم ٦ ، ولا ينطبق عليها كلامه . (المترجم)

(٤) (ويقول عند هذا الجمع : «شاذ عند غير هُذَيْل» انظر شرح الكافية ٩١/٢٠ط بيروت . (المترجم) .

(٥) (يقصد قوله تعالى : ﴿ألم ترَ أن الفُلْك تجري في البحر بنعمة الله . . .﴾ وعليه فهي ليست نعمات وإنما مفردها ، ولكن اللحياني حكى قراءتها عن بعضهم بالجمع بفتح العين وكسرها ، قائلاً : الإتْباعُ لأهل الحجاز . (المترجم)

أنَّ نعْمات هي صيغة شرقية[1] . من الواضح ، على أي حال ، أنَّ حركا
في هذه الجموع قديمة جداً في العربية ولكنَّها فقدت بعض مدّها في الص
حتى أصبحت من العربية الفصحى القياسية ، وفقدت مدّها كله في
شرق الجزيرة العربية . وهي في العبرية من الأمور العادية (mlakoth
ووجدت في الآرامية القديمة كما في rugaze التي هي جمع rugza
العقاب) في نص آرامي مكتوب بالمسمارية (انظر : Afo,xii,114/64,ı
وفي الآرامية المتأخرة قد سقطت الحركات كما في عربية شرق الجزيرة ،
السابق يمكن تبيُّنه من خلال الاحتكاك غير المنتظم ((rock, GVG,i,439
أيضاً بعض الأمثلة في الإثيوبية . وهنا ، وكما هو في أي مكان ، تبره
غرب الجزيرة العربية على أنها أكثر محافظةً من لهجات شرق الجزيرة ، و
موقعا وسطاً بينها وبين العربية الفصحى القياسية .

e– ٥ – ومثال آخر على احتفاظ لهجة هُذَيْل بالحركة القصيرة غير المشدَّدة ه
الهذلية في ابْن (ابن دريد ، الاشتقاق ، ١٠٨) ، فإن كسرة الحَشو تلفظ
اللهجات السامية التي توجد فيها هذه الكلمة (وقد ذكـ
بروكلمان في GVG,I,332) ، وأضف الأمورية بِنَ–أَمٌ Bina-ammi) كما
Bauer في Ostkanaanaer,P.15 وفي المنائية : (bhn=binu ابْن– بِنُ) .
المبدوء بها يصعب نطقها ، وهي في الواقع ليست كذلك ، في مثل
التي في الكلمة الفصيحة (اِبْـنُ) ، وهي سائغة صوتياً .
(Volkssprache,p.17) يعتبر (ابْن) صيغة عربية أصيلة . والكسرة في ا
كلمة ابنِ هي حركة لوصل الكلام مثل تلك Segdates العبرية . وهذا يـ
نظريته التي ترى أن حركات الإعراب قد اختفت من العربية في إحدى
المبكرة . ومثل هذه الحركات التي لوصل الكلام في الواقع مألوفة في لهـ
المعاصرة (Shouck Hurgronje, Mekkanische spricfi worterP.99) وال
الدارجة الأخرى . وهناك صورة أخرى مشابهة تماماً لذلك في هذيل ، بال
إعراب ، سارية في لهجة نجد المعاصرة(Socin,Diwan,ii,108)ولكن لا يـ

---

(١) أي خاصة بلهجات شرق الجزيرة العربية . (المترجم)

(٢) في اللسان ٢١٧/١٤ عزيت لابن هرمة (١٥٠هـ–٧٦٧م) وهو من هُذَيْل أو كنانة (انظر : الأغاني ٤/

دليل على استغناء لهجة هُذَيْل القديمة عن الإعراب ، ويمكننا ، على الأصح ، أن نعتبر (اِبنْ) حالة وسطى بين (اْبنُ) الشرقية (بحيث تكون في الغالب غير مهموزة ، وقد أسقطت حركتها تمشياً مع القانون الصوتي في شرق الجزيرة) وبين (بِنُ) الغربية . ووجود مثل هذا هو ما يجب أن نقيم عليه الدليل[1] .

f- ٦ - إن افتقاد التوافق الحركي وإسقاط الحركات من المعالم التي تميّز لهجة هُذَيْل باعتبارها إحدى لهجات غرب الجزيرة العربية مهما كانت طبيعة تأثير اللهجات الشرقية عليها ، فإنه من المؤكد لن يغيّر من نهجها الأساسي الذي سارت عليه بانتظام متواتر (انظر : الفصل العاشر ، الفقرة ١٢٥) .

g- ٧ - لقد عدّ أبو زيد[2] (اللسان ١/١٤) في قائمته هذيلاً ، ضمن اللهجات التي تسهّل الهمزة (انظر : الخريطة رقم ١٥) . وقد أُيِّد ذلك بألفاظ مختلفة استشهد بها من اللهجة ، بما سنذكره عند مناقشة هذه الظاهرة في لهجة الحجاز (انظر : الفصل ١١ ، فقرة ١١ وما بعدها) .

h- ٨ -إن الواو المضمومة المبدوء بها تتحوّل في لهجة هُذَيْل إلى همزة مضمومة وكذلك الواو المكسورة إلى همزة مكسورة[3] وليس لدي سوى أمثلة قليلة على القانون الأول[4] مثل : أسادة في وُسادة (ابن دريد ، الجمهرة ٢/٢٦٧) ، وأما فريتاج (Freytag, Einführung, p.83) فيستشهد ببيتين من الشعر من ديوان هُذَيْل يتضمنان : أُشْك في وُشْك (السرعة) .

وأُدْ في وُد ، وأُبَي المدني في مخطوطته قال أُجُوههم في وجوههم في الآية ٦٠/ سورة

---

(١) والصورة المشابهة تماماً كلمة ابِنْتٌ ، اِبنْتٌ في لهجة دارجة قديمة في بِنْت وابْنةٌ ذكرها الحريري في درة الغوّاص . طبعة ثوربيك Thorbecke ص ١١٨) .

(٢) حيث جاء في اللسان : «قال أبو زيد : أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون» أي لا يهمزون .(المترجم)

(٣) مع أن الألفاظ مكتوبة بالهمزة في المراجع العربية ، إلاّ أنني لم أضع لها علامة تدل عليها ، لأن السبب في تغيير الصوت فيها كلها هو حذف الهمزة أو إسقاطها .

(٤)يقصد تحويل الواو الحركة بالضم إلى همزة مضمومة .(المترجم)

الزمر[1] (Jeffery, Materials,p.161) وأمثلة تحويل الياء المكسورة إلى همزة مكسورة كثيرة مثل : إِشاح في وِشاح (ابن دريد ، الاشتقاق ، ص٣٠١ ، الجمهرة ١٦١/٢) ، إِلْد في وِلْد وإِعاءَ في وِعَاء ، إِقاء في وِقَاء (كلها في كتاب القلب لابن السكيت ، ص٥٧) ، والتغيير نفسه قد حصل أيضاً عند الشاعر الحجازي النابغة[2] (انظر : اللسان ٢٦/٢٠ ، ١٩٠/١) حيث إِضَاء بدل من وِضَاء ، وفي بيت من الشعر[3] رواه ابن الأعرابي في اللسان ٤٥٨/٩) وفيه إِجدان في وِجْدان ، وأخيراً الكلمة العربية الشائعة إِرْث في وِرْث .

i- ٩ - إن تغيير (وُ) إلى (أُ) ناتج بالطبع عن اختفاء الهمزة . حيث الضمة[4] كأنها على سطح ناعم منزلق منحدر مساوية عملياً للواو المضمومة ، لكون الواو ليست سوى ضمة في مركز غير مقطعي[5] . وعليه فإذا سقطت الهمزة (دائماً أو تكراراً) فإن الاختلاف بين حرفي العلة لا يكون إلاّ في وعي المتكلم . وقد حدث ذلك في كثير من اللهجات العربية الدارجة (انظر : Brockelmann,GVG,i,187) متساوقاً مع تفشيٍّ الابتداء بالعلل (الصوائت) فيها (المرجع السابق ٤٥/١) . ويلاحظ كانتينو (parlers, p.42) أن لهجة البدو في سوريا قد احتفظت الهمزة بمركزها في بداية الكلمات مثل : إِذِن في أُذْن ، أُذفر في أظفر ، ولم تُسمع الهمزة في الكلمات التي يبدأ بالضمة المتحوّلة عن الواو المكسورة مثل : أُصِل في وِصِل (والعربية الأدبية وَصَل) ، وأُلاد في وِلاد . ومعالجة كانتينو للهمزة غير مرضية ، كما يعترف هو نفسه ، ولكن الملاحظة قد تكون صحيحة لدرجة كافية : الهمزة الأصلية[6]

---

(١) يقصد الآية الكريمة : «ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مُسْوَدة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين» . (المترجم)

(٢) في قوله : فهنَّ إِضاءٌ صافيات الغلائلِ . والوِضاء هي الحسان . (المترجم)

(٣) وهو : وآخر ملتاثٌ يجرُّ كساءه نفى عنه إجدانُ الرَّقين المَلاويا .

(٤) هي في الحقيقة ليست ضمة عند النطق وإنما تنطق همزة مضمومة . (المترجم)

(٥) وغير المقطعي هو نوع من الأصوات يمثل العنصر الساكن أو الصامت في تركيب المقطع . (المترجم)

(٦) لم أجد أفضل من هذه الكلمة لأضعها مقابل كلمة Etymological لأن أفضل مصطلح عربي يقابل Etymology هو علم أصول الألفاظ وليس الاشتقاق أو التصريف وفي دائرة المعارف البريطانية ، ط١٥ ، المجلد ٣ ص٩٨٤ Etymology . هو العلم الذي يعنى بتاريخ الكلمة وجوهرها المشتمل على أصلها واشتقاقها . . . . .(المترجم)

اختيارية . ولكنها تظهر بصورة طبيعية عندما يكون في الكلام حرص وأناة ، بينما (خاصة عند الحرص والأناة في الكلام) لا تظهر في تلك الحالات التي تحتفظ فيها القرابة في الأصل ببقاء الواو حية (أصِل في واصِل ، أُلاد في وَلَد) . ونستطيع في الواقع أن نعمل تجربة عكسية ؛ فالكلمة المقترضة أُقيّة قد نطقها بنو عامر في لهجتهم قرب المدينة وُقِيَّة (القسطلاني ٣٦/٤)[١] . ويمكن حدوث ذلك فقط عند عدم نطق همزة أُقية .

k- ١٠ - إن تغيير الواو المكسورة إلى كسرة مناقض لنزعة اللهجات الدارجة المعاصرة التي تغيّر الواو المضمومة إلى ضمة (Brockelmann,GVG, i,187) وهذا الأمر مفهوم فقط عند افتراض أن الواو المكسورة قد تغيرت أولاً إلى ياء مكسورة ، وعلى المبدأ نفسه الذي تغيرت فيه الواو المضمومة إلى ضمة تغيرت الياء المكسورة . على كل حال ليس لدينا عبارة أو أمثلة للبرهنة على تحوّل الياء المكسورة إلى كسرة في لهجتنا . في عبارة ابن جني عن التغييرات الجائزة عموماً (انظر : لاحقاً) ، وقد استبعد على وجه الخصوص تغير الياء المكسورة إلى كسرة . وربما اعتبر ، لسبب غير معروف ، أكثر عامية من التغييرين[٢] الآخرين[٣] . إن تغيير الواو المبدوء بها إلى ياء قد وجد فقط في اللغة السامية الشمالية الغربية (الكنعانية ، الآرامية ، الأوغاريتية) . لا يتم هذا الأمر ، على وجه العموم ، قبل الكسرة فقط . وبالطبع أيضاً ربما يكون التغير الصوتي من الواو المكسورة إلى الياء المكسورة قد بدأ مرهوناً بشروط ولكنه انتشر بعد ذلك عن طريق القياس . والسؤال هو هل جرى أيضاً في لهجة هُذَيْل تغيير الواو إلى ياء قبل الحركات الأخرى؟ والشاهد الوحيد على ذلك هو (يازِعَهُم) في وازعهم في قصيدة لحُصَيْب[٤] الضمْري (ديوان هُذَيْل ٧٣/١) ،

(١) في اللسان (٢٨٤/٢٠) ، والتاج (٣٩٧/١٠) وردت لغة عامية بدلاً من لغة عامرية ، ومن أسلوب التاج المميّز نفهم أنّ اللهجة لا تعني العامية . وهذا الارتباك ليس نادراً .

(٢) ويقصد تغيير الواو المكسورة إلى ضمة ، والواو المضمومة إلى ضمة . (المترجم)

(٣) ويمكن ملاحظة حالة مماثلة في أسلوب قراءة العربية المعاصرة حيث يخفف المتكلمون الياء المفتوح ما قبلها إلى كسرة مُمَالة (مثل بَيْت : بِيْت) وأنهم في الغالب يمسكون عن تحويل الواو المفتوح ما قبلها إلى ضمة ممالة .

(٤) في اللسان مادة وزع ، لحصيب بالخاء والبيت هو :

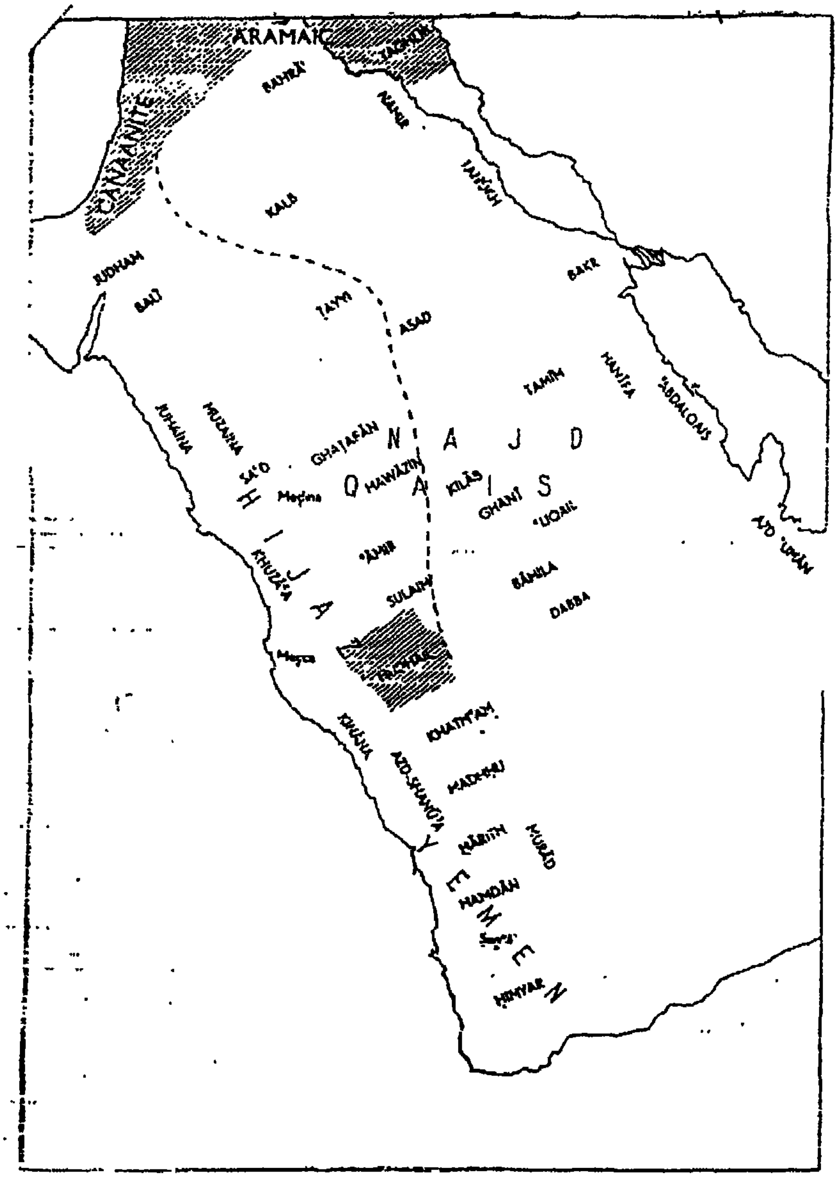
لما رأيت بني عمرو ويازِعهم   أيقنت أنيٌ لهم في هذه قَوَدُ .

ويصرح السكري بجلاء بأنها لهجة هذلية . والجمحي في معرض تعليقه على القطعة يقول إنها لهجة كنانة . وغالباً قد تمثل كنانة اللهجة الغربية بوجه عام أو اللهجة الحجازية . والشاهد الواحد غير كاف لتقرير الحالة والفصل فيها ، ولكنه يجعل من المحتمل أن تغيير الواو إلى ياء كان أوسع انتشاراً مما تسمح به عبارات اللغويين(١) .

ا- ١١ - الأمثلة الحجازية المستشهد بها آنفاً ، بالرغم من قلّتها ، فإنها توحي بأن التغيرات الصوتية التي ناقشناها هي عربية غربية عموماً . والأساس الصوتي لها- ولا يقال بالضرورة- مشروط أينما وجد باختفاء الهمزة . والصورة بالنسبة للتطوّرات في الكنعانية لافتة للنظر . وتلفظ وُ (أي حرف العطف الواو) في العبرية ضمة ، وياء المضارع المكسورة في الفعل المسند للغائب المذكر كانت تنطق في العصور الوسطى كسرة (انظر : أيضاً في العربية اسحق من العبرية يصحاق) ، وتوحي بعض التهجئات في نصوص العهد الجديد بالخلط الواضح بين الياء المكسورة والهمزة المكسورة (انظر : Bergsträsser, Hebr.Gramm,i,104) وتغيير الواو إلى ياء قد ذُكِر آنفاً . وسيكون من دواعي العجب إذا حدثت سلسلة التغييرات الصوتية نفسها في السامية الشمالية الغربية ولهجة هُذَيْل دون أي تدخل من التواصل الجغرافي وإن انطباعنا يقوى إلى حد بعيد عندما نجد اللغويين يؤكدون أن تغيير الواو المضمومة إلى ضمة ، والواو المكسورة إلى كسرة (ولكن ليس الياء المكسورة إلى كسرة) أمر صحيح في العربية الأدبية (ابن جني اقتبسه الأشموني ٢٢٢/٤ ، أبو العلاء المعري رسالة الملائكة ، ط كراشكُفسكي ، ص٦) . والمرادي (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) كما في حاشية الصبان (على شرح الأشموني ، المرجع السابق) يقرر أنه قد قرأ في كتاب ما أن التغيير قد نشأ في لهجة هذيل . وهذا يثبت إلى أيّ مدًى كانت مقبولة على أنها صحيحة لدى النحاة . وفي حقيقة الأمر نادراً ما نجد أمثلة من أبنية هُذَيْل في العربية الفصحى العادية . وعليه يمكن ألاّ تكون وجهة نظر اللغويين مبنية على ملاحظة الاستعمال في اللغة الأدبية ؛ وبما أنه يجب أن يكون لها أساس ما ، يمكننا التماسه في معرفتهم أن مجموعة كبيرة من اللهجات المهمّة ،

---

(١) في العبرية والأوجاريتية كلتيهما بعض الكلمات لم تتغير فيهما الواو إلى ياء وهذا النقص في القانون الصوتي غير شائع باعتباره ظاهرة في علم اللغة الجغرافي .



خريطة رقم (١١) تغيير الواو والياء إلى ضمة وكسرة

ومن ضمنها مجموعة اللهجات الغربية ، قد اشتركت في هذا القانون الصوتي . ومن المؤكد أنه لا يوجد دليل على الرأي الذي ينافح عنه فولرز (Volks-sprache,p.43f) من أن التغيير الصوتي كان نهجاً عاماً في العربية ، وليس عاماً في الساميّة . إنه يخص منطقة محددة من الساميّة ، أعني السامية الشمالية الغربية بالإضافة إلى العربية الغربية . إنه إلى حد ما مطابق لمصير الياء في الأكّدية ، ولكن تطوّر الواو في تلك اللغة مختلف تماماً . العربية الشرقية ، والعربية الجنوبية والإثيوبية تبقي على الواو والياء كليهما في جميع الحالات ؛ والأمهرية وحدها هي التي بلغت في تطور مشابه ما حصل في اللغات الشمالية الغربية Praetorius, Amhar,) sprache,p.48).

m- ١٢ - وإن لهجة ما غير معيّنة (ربما شرقية) تغيّر الياء المفتوحة والواو المفتوحة إلى همزة مفتوحة[١] ، ويتكرر ما يحدث للواو (وإلى حد ما الياء كما في أُومُ : يُوْم) في الأكدية (Brockelmann,GVG,i,139) ولدينا أَرَقان في يَرَقان (الصحاح ٦٧/٢) وأَلب في يَلَب[٢] (ابن المظفر في اللسان ٢١٠/١) وأَد في يَدْ (اللسان ٣٠٣/٢٠)[٣] ، وفي حالتين أخريين نجد هذا التغيير في الفصحى : أَناة وهي في الأصل وَناة (المرأة الفاترة الهمّة) وفي الجمع الذي يسمى به أسماء في وَسماء (المرأة الجميلة) وهذا تجاه مناقض لما يحدث في لهجة هذيل .

n- ١٣ - وفي لهجة ما غير معيّنة يُقال أَبِيْنَاءُ في «أَبْيِنَاءُ» جمع بَيِّن (عن سيبويه في المخصص ١١٢/٢) . وهذا تغيير مشابه ولكنه خلال الكلمة . ومن المشكوك فيه أن يكون لمثل هذا الأمر شأن في الظاهرة الهذلية .

o- ١٤ - وابن مسعود الهُذلي قد قرأ الآية ٣٥- في سورة يوسف عتّى حينٍ في : حتى

---

(١) يكتبها المؤلف - a ولكنها في اللسان مادة يد قال : وقالوا قطع الله أَدَيْهِ ، يريدون يديه . . . . وقد يجوز أن ذلك لغة . . .وحكى ابن جني عن أبي علي : قطع أَدَهُ» وعليه رسمت همزة مفتوحة وليست فتحة كما رسمها رابين . وفي بعض اللهجات العاميّة المعاصرة يحصل مثل هذا الإبدال فيقال : إِدِيه أي يَدَيْه . (المترجم)

(٢) قيل هي الدروع ، وقيل هي جلود يُخْرَزُ بعضها إلى بعض وتلبس على الرؤوس كالبَيْض . ومفردها يَلَبَة .

(٣) ويجعل فريتاج (ص٨٩) أَدْ لهجة لحيانية أحد أحياء هُذَيْل كما يرى . وربما يعود هذا التغيير إلى مراحل متأخرة من استقلال العربية عن السامية ، ولم أتتبع مصدر فريتاج وربما تعود أَدْ إلى بنية سامية مستقلة دون الياء انظر الكنعانية badiu أي في يده (العمارنة ٣٥ ، ٢٤٥) (والأوجاريتية bd في يدِ . .) وفي الإثيوبية إِد .

حين . (Jeffery, Materials,p.44, etc.) وقد عزاها الشرّاح والنحاة إلى لهجة هُذَيْل (ابن جني ، المحتسب ص٢٣ ، ابن مالك التسهيل ص٧٥ ، البيضاوي ٤٦٠/١ . . الخ) . وتعتبر بعض المراجع المتأخرة جعل الحاء عيناً قاعدة عامة في لهجة هُذَيْل (السيوطي ، المزهر١/١٣٣ ، العِنْطابي ، قاموس ترك١/٢٨٤) ، وتعطي أمثلة قليلة أخرى غير عتى حين . واليازجي (في مؤتمر الاستشراق السابع٢/٧٧) ، من ناحية ثانية ، يذكر لنا جملة كاملة في لهجة هذيل : «اللَّعْم الأَعْمَر أَعسَنُ من اللّعم الأبيض» أي اللحم الأحمر أحسن من اللحم الأبيض . وبما أنّ اليازجي لا يسمى مراجعه ، مع حريته في ذكر الأمثلة التي ليس لها مكان ، فليس في إمكاننا إلاّ أن نتعامل معها بريبة .

ويشبه السيوطي جعل الحاء عيناً بفحفحة هُذَيْل التي ذكرتها بعض المصنّفات . وتعني الكلمة البُحّة في الصوت . والرحّالة في الجزيرة العربية يلفتون النظر إلى استمرار هذه الفحفحة بين البدو ، كتتابع الصباح النّديّ (انظر لذلك :Guarmani, Northern Nejd,p.22) ولكن من الصعب أن نتبيّن أثر ذلك على جعل الحاء عيناً في الواقع فإن السيوطي نفسه يقول في مكان آخر بأن مصطلح فحفحة يشير إلى جعل الهاء (وليس الحاء) عيناً في لهجة هُذَيْل (عن الاقتراح ، استشهد بها برافمان Materlialien, p.42) ولم أعثر على ذِكْر آخر لمثل هذا التغيير . على أية حال فإنه من غير المحتمل غالباً أن تطلق الفحفحة على ظاهرة أخرى غير مألوفة في اللهجة . والشاهد الذي في متناولنا لحتى حين لا يكفي دليلاً على وجود قانون صوتي عام ، كالذي تتسع له الشروح الأخرى . ولم نعلم في أي مكان آخر أن ابن مسعود قد قرأ عتّى في حتى ، في أي موطن آخر من القرآن الكريم . وفي حالتنا يمكن أن تعود العين إلى المخالفة[1] الصوتية (هذا رأي برجستراسر في GQ,iii.68) . ومن ناحية ثانية ، فإن كل شقيقاتها من اللغات توجد فيها عين في كلمة حتى : العربية الجنوبية عد 'd وعدي 'dy (انظر : الفصل الرابع- الفقرة ٢٨) ، وفي العبرية : عَد ، عاذي ، الخ ؛ ومع ذلك ربما لا يكون لحتى أية صلة اشتقاقية بـ:عَدَ (يْ) 'ad(ai) (انظرBrockelmann,GVG,ii,417) والعربية الغربية ، ولو لسبب جغرافي فقط ، ينبغي أن تكون قد استخدمت عَدّي 'adai في

---

(١) هي تعديل الصوت الموجود في سلسلة الكلام بتأثير صوتي مجاور ، ولكنه تعديل عكسي يؤدي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين» (انظر : دراسة الصوت اللغوي- د . أحمد مختار عمر ط١ ، عالم الكتب١٣٩٦-١٩٧٦م :ص٣٢٩) . (المترجم)

وقت ما . وصيغة هُذَيْل من ثمَّ لا بد أن تكون في منزلة وسطى بين الاثنتين . وفي الحقيقة فإن في لهجة ظفار الدارجة في أيامنا في جنوب اليمن صورة مشابهة وهي إِتَّى . ويرى فولرز (ZASS.,xxii,226) إن في هذه تشابهاً مع لفظ هذيل ؛ ومع ذلك فإن في ذلك عقبة تتمثل في أن لهجة ظفار لا تجعل مكان العين ألفاً في موطن آخر (انظر : Rhodokanakis,Dhafar,ii,76) وربما تكون إِتَّى في منزلة متوسطة بين حتى وشقيقتها الإثيوبية إِسْكَ . وقد لا تحصر صيغة عتّى في هذيل ، ولكن يبدو أن استعمالها جارٍ في جنوب الحجاز أيضاً . بناء على ما نقله اللسان (٢٥٣/١٩ ، دون ذكر المصدر) فإنها كانت مستعملة أيضاً في الطائف .

p– ١٥ – وعن ابن هشام (المغني٢/٢٥) أن ابن مسعود كان يقرأ في القرآن الكريم «نَحم» في نعم[١] . وهذا يعارض الأخبار التي تقول إن هذيلاً قالت نَعِم في نعَم (انظر : الفقرة الثالثة السابقة) . على أي حال ، ليست هذه هي الحالة الأولى التي يقرأ فيها ابن مسعود العين حاءً . وقد رأى الفراء ما كتبه ابن مسعود في مخطوطته الآية٩[٢] في سورة العاديات : بُحْثِرَ في بُعْثِر . وقد سمع الفراء القراءة نفسها من أحد بني أسد (انظر : Beck,orientalia,xv,182) وفي مثل هذه الحالة قد يرجع نطق الحاء إلى المماثلة مع الصوت المهموس الثاء . وضم أسد إلى هذه الحالة يجعلها أكثر احتمالاً ، خاصة أنه لدى تميم ، وهي قبيلة شرقية أخرى ، مثل هذه الصيغ نحو مَحُم في معهُم (و«مَعْ» الشرقية في «مَعَ» سيبويه ٤٦٢/٢) أَحْدْ في أَعْهَدْ[٣] (ابن خالويه ، البديع ص١٢٥) . ولكن ذلك لا يوضح قولهم «نَحَم» . وهناك عبارة متأخرة مأثورة هي أن جعل العين حاء كان أحد مميزات لهجة سعد بن بكر ، شمال المدينة (انظر : الفصل الحادي عشر الفقرة ٤) . ولو استشهد لها بدليل أفضل لكان يمكننا أن نرى فيها نطقاً مدنياً محلياً من الذي اختاره ابن مسعود في قراءته . على كل حال ، يجب أن نكون على حذر من السقوط في خطأ ما افترضه فولرز من أن قراء القرآن الكريم قد حمّلوا تلاوتهم شيئاً من ملامح لهجاتهم

(١) ولم ترد مثل هذه القراءة باسمه في كتاب جفري Materials .

(٢) يقصد الآية الكريمة : «أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور» . (المترجم)

(٣) بالرغم من شكوك المؤلف فإنه يرى أن هذه هي القراءة الصحيحة وليس «أَحُدْ» التي أدخل عليها تنقيحه ، التي يجب أن تكون في تميم «إِحُدْ» (الفصل السادس/ فقرة ٩)ويحيى بن وثاب الكوفي قرأها : «إِعْهَدْ» .

الخاصة . والذي قصدوا إليه إمّا أن يكون موافقاً للطريقة التي صدرت بها الكلمات من فم النبي [ﷺ] أو موافقاً لوجه من وجوه العربية الصحيحة[١] . والنزعة الأخيرة ، وهي خاصة بقراء العراق ، كانت هي السبب في تبني بعض سمات اللهجات الشرقية[٢] في قراءاتهم . وقراءة ابن مسعود لا تبدي انحيازاً لهجياً ، وأي شذوذ نحوي فيها لا يمكن أن يعزى إلاّ لحقيقة واحدة هي أنه قد عاش هو ومن أَخذ عنهم النص قبل عصر التقعيد النحوي .

q- ١٦ - وعليه فإنه لا يوجد تفسير حقيقي لجعل الحاء عيناً في لهجة هذيل . وهناك بعض الأمثلة فيها مثل هذا الإبدال في أقصى الشمال . في قليل من أسماء الأماكن الفلسطينية تظهر العين بدلاً من الحاء العبرية أو الآرامية مثل : بيت عـور[٣] في بيت حـورون ، وعَصُر في حاصور ، وَزَنُوع في زانوح (انظر : .Kampffmeyer,ZDPV,xv,25) وعَمْتا (في شمال الأردن) في حَمْتان[٤] . . .الخ . وهناك أيضاً ، نوعاً ما ، بعض الحالات التي لا شك فيها تتحوَّل فيها الهمزة في أول الكلمة إلى عين في مثل الأسماء التالية : عسقلان في أشكلون ، كفرعانا في أونو[٥] (انظر : كمبفاير ، المرجع السابق ص١٤) . والتغيير الأخير ينتمي ، بلا ريب ، إلى لهجات شرق الجزيرة العربية . تميم ، وأسد ، وقيس (المشرقية) ، وعُقيل قد ذكرت في هذا الخصوص (الفراء في اللسان ١٦٨/١٧) وقضاعة أيضاً (الثعالبي ، فقه اللغة ص١٠٧)[٦] . والأخيرة لها أهمية خاصة ، لأن قضاعة قد تاخمت فلسطين لقرون . وليس من الواضح تماماً كيف تأثرت تلك

---

(١) لم يذكر الشرط الثالث للقراءة الصحيحة وهو موافقة القراءة للرسم العثماني . (المترجم)

(٢) أي لهجات قبائل شرق الجزيرة العربية . (المترجم)

(٣) هي إحدى قرى فلسطين في منطقة رام الله وهي قسمان : بيت عور التحتا وبيت عور الفوقا وكأنه يجعل الأصل في الاسم عبرياً وليس عربياً . (المترجم)

(٤) ما أظنه يريد سوى ما يقال في الأردن وفلسطين للحماة : عمّة فتُنادى يا عمتي . (المترجم)

(٥) ويصر هنا أيضاً على أن (أشكلون وكفر أونو الاسمان العبريان لهاتين المدينتين العربيتين هما الأصل ، وليس الاسمان العَرَبيّان» . (المترجم)

(٦) وما جاء فيه عن جعل العين همزة قوله في ط دار مكتبة الحياة «العنعنة تعرض في لغة تميم وهي إبدالهم العين من الهمزة كقولهم ظننت عَنك ذاهب أي أنك ذاهب» وأتى بشاهد لذي الرُّمة ولم يذكر قضاعة . (المترجم)

اللهجات بالتغيير الصوتي . وبناء على ما أورده السيوطي (في المزهر١/١٣٣) فإن التغيير الصوتي قد أصاب كل همزة مَبْدوء بها ، وأما في الأشموني (٤/٢١٢) فإن بعض هذا التغيير قد أصاب كل همزة متبوعة بحركة . وهناك على أية حال ، بعض أمثلة التغيير في المعاجم ، ومع ذلك لم يورد النحاة أمثلة عدا : عَنْ وعنَّ (حيث العين في شرق الجزيرة قد يكون لها أصل آخر غير الأصل الصوتي)[١] في كلام السكان الآراميين المحليين تنطق الحاء كما تنطق الألف (الهمزة) (Dalman,Gramm.p,57) ؛ حيث يمكن أن ترجع العين في هذه الأسماء إلى تخليق مثل هذه الألفات (الهمزات) في لهجات عرب شرق الجزيرة . وعلى أية حال ، إن انتشار الخلط بين الأصوات الحلقية في الآرامية المحلية يوحي أن الأمر يعود إلى التماثل الصوتي أكثر من كونه مصادفة . وقد توجد حالات أخرى ، على قدر مساوٍ لسابقتها من الشك ، في كلمات مسجلة في النص التلمودي كما استعمل في الجزيرة العربية . وهذه الكلمات كما يرى كوهين (A.Cohen,JQR,iii,228) مأخوذة من كلام اليهود الآرامي ممن عاشوا شمال الحجاز ، ولكنه يحتوي على كلمات مقترضة من العربية . في التلمود الفلسطيني (سَنْهدرين١٠/٢) طُعْم المدراش[٢] بما يفيد أنهم كانوا في الجزيرة العربية يقولون عَتَر في حَتَر (أي حفر) . حَتَر في العربية الأدبية لا تفيد هذا المعنى[٣] ، مما يوجب أن تكون بصورة ما ، صيغة محلية ، وهو ما لا نستطيع أن نقول فيه شيئاً[٤] وشبيه بذلك ، ما جاء في التَّنْحُوما ، ترومـاه الفصل السابع ، من أنهم كانوا في

---

(١) يقول د . إبراهيم أنيس (في اللهجات ص٧) أن سكان البوادي المصرية يغيرون الهمزة عيناً ، ولكنه لم يعيّن السياق الذي يرد فيه هذا التغيير ، واللغويون العرب يطلقون على جعل الهمزة عيناً ، عنعنة تميم ، ولكن الأمر أكثر من كونه أحد الملامح العامة للهجة تميم (انظر : فصل١٤ ، فقرة ٦) . حيث الفعل عنعن يعني يئن ، وينوح ، وعليه فإن هذا الاسم يشير إلى بعض التنغيم الخاص . (وفي اللهجات المعاصرة تقلب الهمزة عيناً في قولهم لع في لأ وسعال في سؤال في ريف فلسطين ، وفي صعيد مصر) . (المترجم)

(٢) هو التفسير اليهودي التقليدي للتوراة

(٣) ومعنى الكلمة الحقيقي ينفذ (كما في العبرية) ويتضح من التعبير حَتَرهُ (حدّق فيه وتفرّس) ، مختصرة من قولهم : حَتَره بعينيه . قارن ذلك بما يتكرر من خيال في الشعر العربي بقولهم إن عَيْنَي المحبوبة تطلق سهاماً ، وفي المصرية القديمة يقال : سْت Sit أي يطلق أو يحملق .

(٤) ويحتمل أن يكون الفعل عبرياً مشتقاً من لفظ المشناه (عَتَر) أي المذراة .

الجزيرة العربية يقولون في «يسرق» «قَبْحَع» . ويجعل كوهين (المصدر السابق ص٢٣٣) هذا مشتقاً من «قبّح» العربية ، ولكن ذلك لا يعني سوى اعتباره كريهاً ومؤذياً . حتى «قُبِّح» لا يمكن أن تحمل معنى السرقة في العربية العاديّة . ولا تسعفنا كذلك «قَبَعَ» العربية ، بالرغم من اشتقاقها من المعنى نفسه . ولا حاجة بنا للبحث عن أصلها العربي . وفي التلمود البابلي روش هشاناه (Rōsh Hashānāh,f.2a-b) قَبْحعان (اللص) وهي كلمة لم تكن مفهومة تماماً في ذلك الحين . وكلمة «قَبْحَع» قريبة من الكلمة العربية «قَبَض» ، ويمكن أن تكون اللهجة العربية السورية الدارجة قد احتفظت بـ «قَبْع» بمعنى قَلَع وسحب . ولا يمكننا اعتبار أي من الحالتين حجة[1] . والحالة الوحيدة التي تُجْعَل فيها الحاء عيناً حقيقية وذلك حين يخاطب الفلسطيني بَرْقَبّارا البابلي ربٌ حيًا ويقول له هازلاً عيًا[2] مستهزئاً بالنطق الآرامي البابلي (التلمود البابلي : .Kêrîthōth,8 a)

r- ١٧ - إن مصير الأصوات الحلقية في لهجة هُذَيْل غير واضح البتّة . وكل ما نعرفه عنها أنها ربما تكون قد فقدت بشكل كبير النطق الحلقي الواضح ، فالهمزة صارت ألفاً ، والحاءُ هاءً ، كما في اللهجة اليمانية المعاصرة في الجنوب ، واللهجة الحجازية القديمة في الشمال (انظر : الفصل ١١ ، الفقرتان ٥ ، ٦ منه) . والدلالة الأكيدة على ضعف نطق الحروف الحلقية يمكن تبينُّها في غياب تأثير هذه الحروف في الحركات المصاحبة ، وستقابلنا حالات مثل هذه في الحجاز (انظر : الفصل العاشر الفقرة ٧ وما بعدها) . وبالنسبة لهذيل ليس لدي سوى حِقْو في حَقْو ، أي الخاصرة أو العورة (التاج١٠/٩٥) . وإذا كان للكلمة صلة بـ «حِقْ» العبرية فإن الكسر فيها هو الأصل (Barth, Etym., Studien, p.61) ، ولكن هَوْبت Houbt (AJSL,xxvı,227) يقرن الكلمة العبرية بكلمة «خاق» أي الفَرْج العربية . وكلا الافتراضين في الصيغة يصعب الاقتناع به ، لأن البنية العبرية تشير إلى حِيق haiq (Baur-leander,Hist, Gramm.,p.22) [3] على كلّ حال . انظر الحالات (في الفصل العاشر-الفقرة ٩) حيث تجد الكسر في اللهجات النجدية مقابل الفتح في اللهجات الغربية .

---

(١) أي حجة على جعل الحاء عيناً . (المترجم)

(٢) أي بدلاً من «حيًا» بجعله الحاء عيناً . (المترجم)

(٣) على أية حال فإن الكلمتين الإثيوبيتين haquê, hauqê بالفتح أيضاً .

١٨ - إنَّ غياب التأثير الكامل للأصوات الصامتة الشفوية[1] مسؤول عن الاختلاف بين إمْ الهذلية وأم في الفصحى (في الأغاني ، ١٢/ص٤٣ ، في الجمهرة ٢٠/١ ذكرت على أساس أنها صورة لهجية دون الإشارة لهذيل) . إن صيغة إمْ يمْ مستعملة في عدة لهجات عربية دارجة ، وهذا يدل على أنها لم تكن محصورة قديماً في لهجة هذيل . واللهجة الدارجة في وسط اليمن تستعمل «أمْ» في أيامنا هذه (Goitein, Jemenica,p.28) . ولكن هذا ، كغيره من ملامح تلك اللهجة ، يمكن أن يكون قد طرأ عليها بعد الإسلام . وربما يتوجب علينا أن نعارض إمْ العربية الغربية والكنعانية بـ «أمْ» العربية الشرقية والآرامية والأكّدية (وأوم في المشناة العبرية مصطلح فني وتقني ويحتمل أن تكون مقترضة) باعتبارها إحدى الصيغ البديلة في السامية الأولى . –s

١٩ - تقول هُذَيْل عَصَيٌّ بدلاً من عصايَ ، وشبيه بذلك أيضاً قَفَيٌّ ، وهُدَيٌّ وهَوَيٌّ ، وأقدم شاهد على ذلك هو ابن حبيب (ت٢٤٥هـ/٨٥٩م ؛ في اللسان ٢٤٩/٢٠ ، انظر أيضاً الزمخشري ، المفصّل ص٤٤ ، والتبريزي ، شرح الحماسة ص٢٢ ، والبيضاوي ٥٩٣/١ ، وابن عقيل ص٣٥٤) . والصيغة موجودة في بيت شعر لأبي ذؤيب[2] (ديوان هذيل٢/٧ ، ١) ولكنها ليست محصورة في تلك اللهجة . ويصرح عيسى بن عمر (ت ١٤٩هـ) بأنها لهجة قرشية ، وهي شائعة في القراءات القرآنية . وقد قرأ النحوي البصري ابن أبي اسحق الحضرمي (ت١١٧هـ/٧٣٥م) «عَصَيّ»[3] في الآية ١٨ من سورة طه ، من «مَحْيَيَّ»[4] في الآية ١٦٢ من سورة الأنعام . وقرأ الحسن البصريّ وآخرون «يا بُشْرَيَّ» في الآية ١٩ من سورة –t

---

(١) كالباء والميم مثلاً . (المترجم)

(٢) يقصد قوله :

سبقوا هَوَيَّ واعنقوا لِهَواهم   فَتُخُرِّمُوا ولكلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ

وفي اللسان مادة هوى : قال ابن حبيب : هَوَيَّ لغة هُذَيْل وكذلك تقول قَفَيَّ وعَصَيَّ . (المترجم)

(٣) ذكر المؤلف أنها في الآية ١٩ وهي في الحقيقة في الآية ١٨ ونصها كاملاً : «قال هي عصاي أتَوَكَّأ عليها وأهشُّ بها على غنمي ، ولي فيها مآرب أخرى» .(المترجم)

(٤) ونص الآية الكريمة كاملاً :» قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العاملين» .

يوسف[١] . الأصحُ أن يقول المؤلِّف «القراءة المتواترة . .» لأن القراءة المذكورة ليست خاطئة ، وإنما هي قراأة شاذة (انظر المحتسب ٣٣٦/١ فيها(بشرى) وبعضهم قرأ (هُدَيَّ) في الآية ٣٨ من سورة البقرة[٢] . وهذه القراءة في مخطوطة سمرقند (انظر JAOS,1xii,183) ويخبرنا الزمخشري (الكشاف ص٦٤٦) أن أهل السراة على زمانه (توفي في مكة ٥٣٨هـ/١١٤٣م) كانوا يقولون في الصلاة : يا سيِّدي ومَوْلَيَّ وهذه الصيغ تنتمي إلى المثال الحميري قَفَيْكَ (انظر : الفصل الخامس-الفقرة ٩) والى اللفظين الغربيين[٣] لبيِّكَ ، وسَعْدَيْكَ . والياء المفتوح ما قبلها القديمة التي تنتهي بها الأسماء في السامية الأولى ، قد احتفظ بها هنا كما هو الحال في العربية الفصحى في : عليك وعليٌّ . . .الخ (انظر : .Sarauw,ZASS,xxi,40) في اللهجات التي تقع خارج دائرة اللهجات العربية الغربية أصبحت الياء المفتوح ما قبلها التي تنتهي بها الأسماء وحروف الجر ، بناء على قانون صوتي ، مميزاً لتلك اللهجات ، وعلاوة على ذلك فإن الكسرة الممالة في بداية الكلمات ، مع الكسرة الطويلة السامية الشائعة ، قد اتحدت مع الفتحة الطويلة الممالة بقوة : وقد امتدت الفتحة الطويلة بصورتها التامة في الأسماء عن طريق المحاكاة إلى الصيغ المضافة إلى الضمائر ، بينما في حروف الجر احتفظت الصيغ الملتحق بها ضمير بإعلالها القديم[٤] . وربما يرجع الخلاف إلى أن حروف الجر لا تأتي منفردة[٥] أبداً في نهاية الجمل ، ثم إن التغيير قد انتقل إلى صيغها المنفردة ، بالمحاكاة بعد وجودها لبعض الوقت في الأسماء . احتفظت

---

(١) ونص الآية الكريمة كاملاً : ﴿وجاءت سيّارةً فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه ، قال يا بشراي هذا غلام ، وأسرُّوه بضاعةً ، والله عليم بما يعملون﴾ .(المترجم) . . . هذه قرأة أهل المدينة وأهل البصرة كما نصَّ على ذلك القرطبي في تفسيره ١٠١/٩ ، وقرأ أهل الكوفة (يا بشرى) وهم (عاصم وحمزة والكائي وخلف) .

(٢) ونص الآية الكريمة كاملاً : ﴿قلنا اهبطوا منها جميعاً فإمّا يأتينكم مني هدى ، فمن تَبِعَ هُداي فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾ .(المترجم)

(٣) أي إلى غرب الجزيرة العربية . (المترجم)

(٤) لعله يقصد هنا قلب الألف ياء في حروف الجر حين تتصل بالضمائر فيقال في : «على» عليك ، عليه . . .الخ ، بينما في الأسماء مثل فتى أو عصا يقال فتاك وعصاك دون قلب الألف (الفتحة الطويلة) ياء ولعله أيضاً يقصد باللواحق الضمائر التي تضاف إليها الأسماء . (المترجم)

(٥) أي دون أن تتصل بضمير . (المترجم)

اللهجات العربية الغربية بالياء المفتوح ما قبلها منفردة في نهاية الجمل (انظر الفصل العاشر . الفقرة ٢٨) ، وعليه فلا أساس لإدخال الفتحة الطويلة (الألف) في الصيغ المضافة . وعلينا كذلك أن نفترض أنه لم يُقَل في العربية الغربية سوى عَصَيٌّ وعَصَيْكَ ، بل عَصَيْهوُ أيضاً . .الخ . (انظر : الفصل العاشر – فقرة ٦) وإنَّ حالات الاختلاف في الإعلال في نصوص العربية الغربية طبعاً وبلا جدال ، تعارض هذا ؛ وذلك إما لأنها دليل على التقيُّد التام بالعربية الفصحى من قبل المؤلفين ، أو أنها جاءت كذلك نتيجة لما حدث لها من تصحيح متأخر . إذْ وجدنا في قصيدة لأحد بني الحارث (الحماسة ، ص٢٢ ، البيت ٢) صيغة «هَوايَ»[١] ، فإن ذلك يمكن أن يكون برهاناً على تغيير الياء المفتوح ما قبلها إلى ألف ، الخاص بتلك القبيلة (انظر : الفصل السابع الفقرة الخامسة) . والأستراباذي مُحِقٌّ بلا شك في ملاحظته أن مثل هذا التغيير لا يحصل في المثنى حيث هُذَيْل تقول عَصَيَّ ولكنها في المثنى تقول خليلاي (شرح الكافية ٢٩٤/١)[٢] . وملاحظاته نادراً ما تعتبر ضرورية ، ولكن لأجل وجهة النظر التي يتبناها النحاة العرب (على سبيل المثال ابن مالك في التسهيل ص٦١) من أنه كان في عَصَيٌّ ما يشبه الألف . مما يعني بالطبع التأثير في كل ألف على الطريقة نفسها[٣] .

٢٠ – وكان أصل الكلمات مثل عَصَيٌّ وقفيٌّ في لهجة هُذَيْل بناء على ما أورده ابن دريد (في الجمهرة ٤٨٨/٣) هو عَصاً وقفاً ، تماماً كما هي في العربية الفصحى .

---

(١) لعله يقصد البيت : هواي مع الرُّكب اليمانين مُصعدُ جَنِيب وجثماني بمكة مُوثَق

وهو في الحماسة ٦٣/١ لجعفر بن عُلْبَة الحارثي .

(٢) يقصد ما أورده الأستراباذي : «والألف تثبت في اللغة المشهورة الفصيحة للتثنية كانت كمسلماي أو لاكفتاي ، وهذيل تجيز قلب الألف التي ليست للتثنية ياء . . . .» وقد جاء في الشعر قلب الألف ياء مع الإضافة إلى كاف الضمير قال :

يا ابن الزبير طالما عصيكا

وطالما عنيتنا اليكا

لنضربن بسيفنا قفيكا (المترجم)

(٣) واللغويون العرب يرون ، بالطبع ، أن الفتحة الطويلة مؤلفة من الفتحة والألف كما أن الضمة الطويلة مكونة من الواو المدية والضمة .

v- ٢١ - والموقف معقد إلى حدّ ما بسبب أن بعض الأسماء الآنفة الذكر من ذوات الأصول الثلاثة بالواو . وبالرغم من أن قفا وعصاً يكتبان بالألف ، إلاّ أن الفعل الذي تنتمي إليه قفاً هو قفا يقفو ومن عصاً لدينا عَصَوْتُ (بمعنى ضربته بالعصا) . وفي اللهجة اليمانية كانت «عَصْوٌ» (انظر : الفصل الرابع - الفقرة ٢١) . وهناك ، مع ذلك ، أيضاً الفعلان ، عَصَيْتُ ، وعَصيتُ اللذان يصنفهما المعجميون ، تكلفاً ، من باب عَصَوْتُ . عَصَيْتُ لغة في عَصَوْتُ في رأي ابن سيده (اللسان ٢٤٩/١٩) . وهذا خلط عربي شائع بين الواو والياء في الكلمات ذات الأصل الثلاثي وعلى العكس من ذلك فإن إِنَى[١] الشائعة (بالياء) وهي الساعة من الليل كانت في لهجة ما إِنْوٌ (ابن الأعرابي في اللسان ٥٢/١٨) . ويمكننا اعتبار (عَصْوٌ) لهجة يمانية .

w- ٢٢ - ويبدو أن المثال (عَصَيٌ) ليس هو الوحيد الذي عومل معاملة هذه الأسماء . وإنيٌ الآنفة الذكر تظهر بصورة أخرى هي إِنْيٌ في بيت من الشعر للمتنخّل الهذلي[٢] (ابن ولاّد ، المقصور والممدود ص٧ ، واللسان ، السابق نفسه) . هذا يماثل (عَصْوٌ) اليمانية . وقد افترض مقدماً إنها إِنَيٌ وربما كانت ميزة لبعض هُذَيْل وقد قيل إن الجمع أناء هو لهجة هذلية (أبو عبيدة الرسالة : ص١٤٣ ، السيوطي ، الإتقان : ص٣١١) .

x- ٢٣ - وقد قرأ ابن عامر الدمشقي (من أصل يماني) ، وعاصم الكوفي (من أَسد) وحمزة

---

(١) وجمعها آناء ، ومفرد آناء قد يكون إنيٌ على مثل مِعيً وأمعاء ، وقد يأتي إِنْيٌ مثل نِحْيٌ وأنحاء (انظر : اللسان مادة أنى) . وانشد ابن الأعرابي شاهداً على الإِنَى :

أَتَمَّتْ حملها في نصف شَهْرٍ   وحملُ الحاملات إِنىً طويلُ

وقال الأخفش : واحد الآناء إِنْوٌ . (المترجم)

(٢) يقصد البيت :

السالكُ الثُغْر مَخشياً مواردُه   بكلّ إِنْيٍ قضاه الليل يُنتَعلُ

وأنشده الجوهري برواية أخرى هي :

حُلوٌ ومُرٌّ كعطف القدْح مِرَّتُهُ   في كلّ إِنْيٍ قضاه الليلُ ينتعلُ

وقال ابن الأنباري : واحد آناء الليل على ثلاثة أوجه : إِنْيٌ بسكون النون ، وإِنيٌ بكسر الألف وأَنيٌ بفتح الألف .(انظر اللسان مادة أنى) . (المترجم)

(من تَيْم) الآية ١٠٥ من سورة هود : «يومَ يأتِ»[١] (البيضاوي ١/٤٤٧) . ومن غير الممكن اعتبار «يأْتِ» مجزومة ويذكر الزمخشري (الكشاف ، ص ٦٣٢) إن مثل هذه الصيغ تتكرر في لهجة هُذَيْل[٢] . وفي الحقيقة فإنّ تقصير الكسرة الطويلة في نهاية الكلمة هو سمة ثابتة للّهجة الحجازية ، ومن المحتمل أن يكون ذلك سمة للهجات غرب الجزيرة العربية كلها ، ومؤثرة في لهجتي أسد وقيس أيضاً (انظر : الفصل العاشر- الفقرة ٣٢ ، الخريطة رقم١٣) .

٢٤ - وفي لهجة هذيل ، على النقيض من لهجتي : اليمن (الفصل الرابع الفقرة ٦٢) وطيء (الفصل ١٤ ، الفقرة ٢١) يستخدمون اسم الموصول العربي الشائع «الذي» . وقد ذكرت صيغة «الَّذ» مرتين[٣] ، في بيت من الشعر لشاعر هذلي مجهول (ديوان هُذَيْل ١/٢٨٧) ، وفي بيت آخر لشاعر هذلي مجهول أيضاً (اللسان ٢٠/ص٣٤٢ ، الخزانة ٢/٤٩٨) . ويقول الليث (اللسان ، السابق نفسه) إن هذه الصيغة قد استعملها بعض العرب ، ولكن الأندلسي (في شرح الكافية

(١) يقصد الآية الكريمة : «يوم يأتِ لا تَكَلَّمُ نفسٌ إلاّ بإذنه فمنهم شقي وسعيد» . (المترجم)

(٢) في بيت الشعر الذي يحتوي على : اشْتَرْ لنا سويقاً (مجهول القائل ، ابن يعيش ص١٣٢٠/الحموي ، شرح شواهد الكشاف ص٩٥) في اشْتَرِ ، ولا علاقة لسقوط الكسرة فيها في الظاهرة التي نحن بصدد مناقشتها . وقد قيل إنها صيغة تميمية . وما لدينا هنا هو امتصاص كسرة الراء . ومن المشكوك فيه حصر هذا في لهجة ما . وقد قرأ ابن كثير ، وابن عامر ، ويعقوب وأبو بكر أعني قراء حجازيين معروفين ، وتابعيهم ، «أرْنا» في «أَرِنا» من الآية ٢٩ في سورة فصلت (انظر : البيضاوي) . وقرأ التميمي أبو عمرو الذي ولد في مكة وعاش في البصرة في الآية ٢٠ من سورة المُلْك : ينصرْكم في يَنصُرُكم وفي الآية ١٠٩من سورة الأنعام يُشْعرْكم في يشعرُكُم ، وفي الآية ٦٧ من سورة البقرة : يأمُرْكم في يأمُرُكم (الشنقيطي ٢/٨١) . وتعزى ظاهرة مشابهة إلى لهجة تميم ، تحدث في المائعة كالميم والنون كما في يعلّمْهم ويَلعَنْهم (انظر : ابن جني ، المحتسب ، ص٢٣) .

(٣) لعله يعني البيتين التاليين :

والَّذ لا شاء لكنت صخرا   أو جبلاً أصمّ مشمخرا

كاللَّذ تزبّى زبْيَة فاصطيدا

(الزبية هو الحفرة وجمعها الزّبى) في المثل : (بلغ السيل الزبى) . (المترجم)

للأستراباذي ٤٠/٢) ينكر ذلك ، ويرى أن ذلك من قبيل الضرورة الشعرية[1] ، ونعرف أن الضرورة الشعرية غالباً ما تعكس استعمالاً مهجوراً أو لهجياً . والعلاقة بين الذي والَّذ كالعلاقة نفسها بين hallāzeh هلازه (أي هذه) العبرية الإنجيلية (Gen,xxiv,65,xxxvii,19,both JE) وبين - hallāz هلاز الأكثر تكراراً وألفة . وبارث (Barth, Pronom, p.158) يحاول أن يبرهن أنّ «الّذ» هي الصيغة الأقدم ، وترجع الذي إلى تأثير التي . ولكن في لهجات غرب الجزيرة ، كما في لهجة هذيل ، يمكن تعليل «الّذ» بما يحدث من تقصير أو حذف للكسرة الطويلة في لهجات غرب الجزيرة العربية . وقد استخدمت صيغة الذي في الحجاز أيضاً (انظر : الفصل ١٢ ، الفقرة ٩) ، وربما تكون موضوعاً للتقصير نفسه هناك .

z- ٢٥ - ولدينا صيغتا جمع للذ(ي) . فابن عقيل (ص٣٩) والأستراباذي (في شرح الكافية ٤٠/٢) يريان أن هذيلاً تستخدم «اللذون» في حالة الرفع (في مقابل الذين المستخدمة في الفصحى في الأحوال الإعرابية الثلاث) . ويذكر الزمخشري (المفصل ص٥٦) على أساس أنه ليس لهجة خاصة . ويقول ابن هشام (بانت سعاد ص٨١) إما عُقيل أو هُذَيْل تستعمل «اللذون» ، وتستعمل هُذَيْل «اللاّؤونَ» ويبدو أن المادة يفصل فيها الشاهد المعزوُ إلى العقيلي أبي حرب الأعلَم (انظر : Schaw-Indices,p.53,b5) ، الذي يحتوي على «اللذون» ، وأما عدم ذكر (اللاؤون) فيعني أنها كانت مستعملة في لهجة هذيل . ويؤكد أبو حيان (في شرحه على التسهيل لابن مالك ، واقتبسه الشنقيطي ٥٨/١) ، أن (اللاؤون) ، الحالة المحّرفة عنها اللائين ، كانت مستعملة في حيٍّ من هذيل ؛ بالرغم من أن الشاهد (Shaw-Ind. 52,b.6) قد استشهد به الفراء (اللسان ٣٤٢/٢٠) وآخرون دون الإشارة لهذيل . وهذا يشبه بدقة «اللائي» المستعملة جمعاً في الحجاز (انظر : الفصل ٢١-الفقرة٩) . ومِنَ الممكن أن تكون اللاؤون مرحلة انتقال من اللائي العربية الغربية إلى الذين العربية الفصحى .

aa- ٢٦ - في تعميم أبي عمرو عن حركة حرف المضارعة (انظر : الفصل ٦-فقرة ٩ ، الخريطة رقم ٦) من أن جزءاً من هُذَيْل يفتح حرف المضارعة كالحجازيين ، وجزءاً

---

(١) بقوله حسبما جاء في شرح الكافية ٤٠/٢ : «الوجوه الثلاثة (يقصد في الذي) أي تشديد الياء وحذفها ساكنا ما قبلها أو مكسوراً يجوز أن تكون لضرورة الشعر لا أنها لغات» . (المترجم)

آخر يكسرونه مثل لهجات شرق الجزيرة . وهذا يصوّر الموقف الخاص لهذه اللهجة . وما كان منها مكسور حرف المضارعة ، مما يعتبر حديث الأصل في شرق الجزيرة ، قد تغلغل إلى منطقة هُذَيْل أيام أبي عمرو (ت١٥٤هـ) ، أو استعمل متزامناً مع الصيغ القديمة . والمثال الوحيد على كسر حرف المضارعة في هذه اللهجة ، هو مثال ، بأي شكل ، غير صحيح . ويستشهد الأصمعي (الأضداد ، ص٢٥ ، وانظر : اللسان ٣٨٦/١) ببيت من الشعر لدكين بن رجاء الفقيمي (ت١٠٥هـ انظر :ياقوت : الإرشاد ٢٠٠/٤) فيه كلمة :نِرْبَبُهُ[1] في نَرُبُّهُ . ويُذْكر هنا إن كسرة حرف المضارعة جاءت موافقة للهجة هذيل . وفُقَيْم . مع ذلك ، من عشائر حنظلة ، وعليه يكون انتماؤها إلى تميم ، ومن المحتمل أن ذكر هُذَيْل كان من خطأ الناسخ . وما يستحق الاهتمام فعلاً في الكلمة ليس حرف المضارعة فيها ، ولكن في فك تضعيف المضارع السالم الذي يُذكِّر بما يحدث في العربية الجنوبية المعاصرة والإثيوبية ، وكذلك بالمضارع السالم المجزوم في اللهجة الحجازية (انظر : الفصل ١٢-الفقرة٢٤) .

وتوجد صيغة مشابهة في أحد الأحاديث المشكوك[2] في أصلها : لِما يَعْرُرُك ، أي يلحق عاراً بك ، (الزمخشري ، الفائق ٦٧/٢ ، اللسان ٢٣٢/٦) . وربما كان استعمالها سارياً في بعض اللهجات ، ما دامت الضرورة الشعرية قد سمحت لها (رايت ٣٧٨/٢ wright,ii,378) .

bb- ٢٧ – فيما يتعلق بـ «إخال» فإن المرزوقي (كما جاء في التاج ٣١٣/٧) يقول بأن هذه صيغة عربية عامة مصدرها لهجة طيء . وقد استشهد بها فريتاج (Einführung,P.82 Freytag) قائلاً إن استعمال إخال قد بدأ في هذيل ، ومن ثمَّ انتقلت إلى طيء ، وبعدها شاعت سائر اللهجات الأخرى . ولدينا إشارة أخرى للمرزوقي أن أسداً فقط هي التي تقول أَخال ، وقد زعم أن هذه الصيغة للأزد

---

(١) وقد جاءت الكلمة في شطرين من هذا البيت ذكره صاحب اللسان في مادة وريب : كان لنا وهو فُلُوٌّ نِرْبَبُهُ .

(٢) في اللسان مادة عرر : «وفي حديث عمر ، أن أبا بكر أعطاه سيفاً محلّى ، فنزع عمر الحلية وأتاه بها ، وقال أتيتك بهذا لِما يَعْرُرُك من أمور الناس ، قال ابن الأثير : الأصل فيها يعرّك ، ففك الإدغام ولا يجيء مثل هذا الاتساع إلاّ في الشعر ، وقال أبو عبيد : عندي لما يعروك بالواو ، أي لما ينوبك من أمر الناس ، قال أبو منصور : لو كان من العَرّ لقال لما يَعُرُّك» . (المترجم)

(انظر: الفصل ٦، الفقرة١١) وتُنْطَق كذلك في الحجاز (انظر: الفصل١٢/ الفقرة-١٥). ولا يحتمل أن تكون الكلمة حالة من حالات الأفعال الناقصة في لهجة شرقي الجزيرة المبدوءة بالكسرة، ولكنها مستقلة تماماً. ويضرب فولرز (ZASS., xvii, 308) أمثلة متنوعة ومختلفة مبدوءة بهمزة قبل صوت حلقي صحيح أو حنجري متبوعاً بالألف في المقطع الذي يليه نحو: إخوان، إحدى (مؤنث أحَدَ). ويمكن شرح هذه الحالات كلها بطريقة أخرى أيضاً ولكن باعتبارها أنموذجاً لإخال. والكلمة، بمعاملتها وكأنها كلمة معترضة، نُطِقت بلا نبر أو نبر ضعيف، عدا تعرضها لتأثير الميول الصوتية. ومن غير الممكن معرفة ما تعنيه تماماً عبارة المرزوقي، ولكن يبدو أنها تلمّح إلى وجودها في هُذَيْل وطيء، مقارنة باللهجات المجاورة.

cc- ٢٨ - واستخدمت متى في لهجة هُذَيْل (أو بالأحرى الصيغة العربية الغربية مِتي بالإمالة) باعتبارها حرف جر (ابن مالك، التسهيل الوجه ٥٨أ، ابن هشام، المغني-٢/٢١، الأصمعي والفراء في اللسان ١٠/٣٦٤... الخ) حسب اللغويين إنها مرادفة للباء[1] ووسْط ومِنْ ويتضح معنى الوَسْط في الشاهد الذي ساقه أبو زيد: «وضعته متى كمّي»؛ حتى ابن هشام يقول إن «متى» كانت في لهجات أخرى[2]، اسماً مرادفاً للوسط. ويبدو كل ذلك خيالاً أو وهماً. وتدل في الشواهد المقتبسة من شعراء هُذَيْل على أنها بمعنى «مِن»: أبو ذؤيب (xi,8) «من الأعماق»[3]، وأبو المثلّم (V.3): «من خاصرتيها-جوانبها»، وفي رواية أخرى

---

(١) في المراجع التي ذكرها لم ترد بمعنى الباء وإنما بمعنى في وقد جاء في اللسان مادة متى: وضعته متى كمّي، أي: في كمي. (المترجم)

(٢) لم يشر الكاتب إلى مصدره، ولكن في المغني الذي اعتمد عليه ذكر أنها قد تأتي مرادفة للوسط ولكن لم ينص بقوله: «في لهجات أخرى». (المترجم)

(٣) يقصد في بيت الشعر:

شَرِبْن بماء البحر ثم ترفَّعت   متى لجج خُضْرٍ لهن نئيج

أي من لجج. هذه رواية اللسان مادة متى والمغني ١/١١١، والنَّئيج: المرُّ السريع الصوت. (المترجم)

«لدى» . وساعدة بن جؤية (ix,6) : يبرق من سَحاب ثقيل(١) . وفي شاهد مجهول القائل في اللسان : سُكْر من خمرة(٢) . وهذا يشجّعنا على أن نقارن متى هذه بحرف الجر الزمني المساوي لها ، الغريب في العبرية مِدَي middê (مَدي) بمعنى منذ أو من . . . إلى . وإن استعمالاته في تراكيب مختلفة تحيط معالجته بالشكوك . فمن غير الممكن ربط «مِدي» بـ «كَذَا» بمعنى كاف لِـ ، أو لدرجة . . . الخ ؛ لأنه لا أثر لمعنى كاف يمكن أن يكتشفَ فيه .

dd– ٢٩ – بناء على ما ذكره الفراء (في اللسان١٠/٣٥٠) إنَّ بعض العرب تستعمل : «إذا» بمعنى–إذ ذاكَ ، كآز 'az العبرية ، إنه لفظ مهجور منذ افترض أنَّ الاصطلاح المركب «حينئذ» وأمثاله هو الاستخدام المبكّر لـ«إذ» في أنحاء الجزيرة العربية كلها (قائمة نولدكه ، Zur Grammatik p. 63) والأمثلة الوحيدة المقبولة جاءت من شعراء هذيل : أبو ذؤيب (ed. Hell, xvii,2) ، وساعدة بن عجلان ، (ديوان هُذَيْل xxvii,13) . واستعمال هُذَيْل أيضاً بناء على ما ذكره الفراء ، إن تركيب «إذ» لم يكن معروفاً أينما كان . أو آنئذ جاءت في بيت شعر لدخيل بن حرام الهذلي (الديوان : ١٢٤ ، ١١) . ربما تكون الورطة في اعتبار (أوان) كلمة هذلية أو عربية غربية .

ee– ٣٠ – في تفسير الآية الرابعة من سورة «الطارق» : (إن كلُّ نفس لَمّا عليها حافظٌ) كان الفراء متردداً نوعاً ما فيما ذكره من أنّ هذيلاً تجعل بعد «إنْ» النافية لّما بدلاً من إلاّ (orientalia, xv,214)(٣) وسنناقش تركيب : إن كل . . . لّما مؤخراً في (13e) .

(١) يقصد بيت الشعر :

أَخْيَلَ برقاً متى حابٍ له زَجَلٌ — إذا تَفَتَّرَ من تَوْماضِهِ حَلَجا . (المترجم)

وأَخْيَلَ : مضارع يخال ، والحابي : السحاب الثقيل فكأنه يحبو . انظر اللسان مادة متى ، وفي ديوان الهذليين ٢٠٩/٢ . (المترجم)

(٢) يقصد البيت الذي جاء في اللسان مادة «متى» :

إذا أقول صحا قلبي أُتيح له — سُكْرٌ متى قهوةٍ سارت إلى الرّاسِ . (المترجم)

(٣) وعبارة الفراء في تفسيره ٢٥٤/٣ : «قرأها العوام (لّما) وخففها بعضهم ، الكسائي كان يخففها . ولا نعرف جهة التثقيل ، ونرى أنها لغة في هذيل ، يجعلون إلاّ مع إن المخففة لّما ولا يجاوزون ذلك ، كأنه قال ما كل نفس إلاّ عليها حافظ» والحقيقة التي تتبادر من قراءة العبارة أن الفراء قد شكك في تثقيل لّما وعزا هذا التثقيل إلى لهجة هُذَيْل دون تردد ، كما يفهم من عبارة المؤلف . (المترجم)

وتصـريح الفـراء لا يسـاعـد في شـرحـهـا ، ولكن يمكن أن نؤسس عليـه بعض الخصائص الحقيقية للهجة هذيل ، لم تكن مفهومة حقاً بشكلها الصحيح .

ff– ٣١ – لقد سبَّبَ تركيبُ «أمّا أنت بَراً فاقترب» إشكالات كبيرة للنحاة العرب . ورفضه فيشر (ZDMG, Ixiii, 597602) على اعتبار أنه من اختراع اللغويين أو تلفيقهم . ولا يستطيع المرء أن يفهم تماماً السبب الذي حدى باللغويين أن يخترعوا لأنفسهم مثل هذا الصداع . ولا يوجد سوى شاهدين ، أحدهما :

إمّـا أقـمت وإمّـا أنت مـرتحـلاً
فـالله يكلأ مـا تأتي ومـا تـذر[١]

ويُعْزَى إلى هُذَلي (Schawahid-Indices 90, b, I). والآخر[٢] قيل إنه للسلمي عباس ابن مرداس ، ولكن في طبعة المفصل لبروكلمان (ص٣٤ ، سطر ٨) ذُكِر إنه لهُذلي . وهذا العزو في الخزانة (٨١/٢) منسوب إلى أحد شارحي كتاب المفَصَّل . ومهما كان الأمر خطأً أو صواباً فإنه يدل على تقليد اتُّبع في عزو هذا التركيب إلى لهجة هذيل . ولا يوجد ، طبعاً ، سبب إنكار وجوده . إنها تتناسب مع حالة النصب بعد أما[٣] في اللهجات الغربية (انظر : 13cc وما بعدها) . ويكون من المغزى ربطه بإما بمعنى إذ[٤] في اللهجات العربية الغربية (13 oo) بالتساوي مع شاهدنا الأول .

---

(١) انظر : شرح المفصَّل ٩٨/٢ ، ٩٩ وقال الشاهد فيه : إمّا أقمت بكسر الهمزة . . . فمن رواه كنت كسر إما في الأول والثاني لظهور الفعل معهما ، ومن رواه وأما أنت كسر أما الأولى لظهور الفعل معها وفتح الثانية لحذف الفعل ، ويعزى في المفصل ، كما جاء في شرح ابن يعيش ، الهذلي . انظر الخزانة كذلك ١٩/٤ (طبعة هارون) . (المترجم)

(٢) وهو : أبا خراشة أمّا أنت ذا نفر   فإن قومي لم تأكلهم الضبُع

انظر شرح المفصل ٩٩/٢ . والخزانة ١٨/٤– طُبعة عبد السلام هارون–مكتبة الخانجي) . (المترجم)

(٣) وقد يكون قصده قولهم : أما علماً فعالم . (المترجم)

(٤) قد يقصد إنها شرطية كقولهم : إما تُكرمْني أكرمْك ، أي إن الشرطية التي دخلت عليها ما . (المترجم)

الفصل التاسع

الحجاز: مقدمة

a- ١ - من الطبيعي جداً أن نكون على اطلاع على اللهجة الحجازية أكثر من أية لهجة أخرى . وليست المعلومات التي نستقيها من مصادرنا عنها أكثر وفرة فحسب ، بل بين أيدينا بعض النصوص التي تحمل بعض ملامحها وإن لم تكتب بها . بل إن هناك خطراً في هذه الوفرة ذاتها ، قد نميل إلى اعتبار أي شذوذ في نص حجازي ، إنما هو نتيجة النسخ الرديء أو تقادم العهد بها ، كما لو كانت لمحة من هذه اللهجة ؛ فقد كان اللغويون الأقدمون عرضة لمثل هذا الخطأ بالذات فقد تغير عدد سكان الحجاز كثيراً في القرون الإسلامية الأولى ؛ وبالتالي فلربما انقرضت اللهجة القديمة من المدن وحلَّ محلها مزيج عامي شبيه بلغة المحادثة السائدة اليوم ، ومما لا شك فيه أن اللغويين يسجّلون ، في الغالب ، كلام معاصريهم في مكة والمدينة كما لو كان لهجة حجازية ، وقد يكون مَردُّ الانطباع ، الذي يتكون لدينا من أن اللهجة الحجازية تميل في كثير من أوجهها إلى لهجة غرب الجزيرة العربية أكثر مما تميل إلى لهجة شرقيها ، إلى مثل هذا النوع من المعلومات ؛ ولا ينطبق على اللغة التي كان يتحدث بها النبي [ﷺ] ، ويعيق أبحاثنا هذه نقص المعلومات الخطير عن كلام أهل الريف الحاليين من الحجازيين الذي قد يكون قد احتفظ بخصائص من اللهجة القديمة .

b- ٢ - كانت كلمة الحجاز (الحاجز) تطلق في باديء الأمر على أي جزء من منطقة الحزام الفاصل بين السهل الساحلي ، أو تهامة ، والأراضي المرتفعة ، أو نجد . ومن الناحية العملية ، كانت هذه الكلمة تعني بلاد الحجاز حول المدينة (انظر : Lammens,L'Arabie occid.,p.300) وقد يكون ما قاله الأصمعي (المعجم لياقوت ، ج٢ ، ص٢٠٥) الذي يفترض أنه مبني على ما ورد من استعمال في الشعر الجاهلي أنموذجاً لما كان شائعاً في فترة ما قبل الإمبراطورية ، فهو يستثني السهل الساحلي ، ولكن يوسّع البلاد في اتجاه الداخل لتشمل مناطق سليم وهلال وجزءاً من هوازن ، وتمتد الحدود الشمالية من النقطة التي تبتعد عندها الحدود بين قبيلتي خُزَاعة وجُهَيْنة عن السهل الساحلي إلى

شَغْب[1] وبدًا ، وهما موقعان في أراضي بَلِي جنوبي تيماء (انظر الجزيرة للهمداني ، ص١٧٠) . وفي العهد الإمبراطوري كانت ولاية الحجاز تضم مكة المكرمة والطائف وبقية تهامة جنوباً حتى حدود هُذَيل (انظر : (Lammens,opcit.,p.302; Noldeke, Beiräge, p.11. ويبدو واضحاً على ضوء مساواة اللغويين الدائمة بين لغة قريش ولغة أهل الحجاز ، أن استخدامهم هذا إنما كان يعني لغة أهل الحجاز[2] . فبدو الداخل كان يُشار إليهم على أنهم من بين أهل الحجاز أحياناً ومن بين قيس أحياناً أخرى .

c- ٣ – ويُنْسَب لقاسم بن معن[3] قوله في الصِّحَاح (ج١ ، ص٣٣) ، بأن لهجتي مكة والمدينة كانتا متطابقتين باستثناء كلمة تابوت ، التي كانت تنطق تابوه في المدينة (انظر : الفصل العاشر ، الفقرة ق) . ويرفض شوارتز (ديوان عمر بن أبي ربيعة ، ج٤ ، ص٩٥ ، الملاحظة رقم٢) هذه العبارة على أنها لا معنى لها لأنها تشير إلى نطق كلمة أجنبية ؛ ولكنَّ هذا هو ما ترمي إليه ملاحظة قاسم بن معن : أي أن هناك اتفاقاً تاماً في الأساسيات . والواقع أن المدينة ذُكِرت وحدها عدة مرات فيما يتعلق بالمعلومات عن اللهجات . وتنسجم عبارة ابن معن تماماً مع نزوع في العصور المتأخرة إلى الإشارة إلى اللهجة الحجازية على أنها هي اللغة العربية الفصحى (انظر : الفصل الثالث ، الفقرة ش ، والفقرة التالية لها) . وبطبيعة الحال كان يعني أن عبارته لا تنطبق لا على الاستعمال في القراءات القرآنية أو التعابير الدينية .

d- ٤ – وفي الحقيقة لابد أن يؤخذ في الاعتبار الاختلاف بين مكة والمدينة ، فضلاً عن ذلك ، فإن كلا منهما ، لم تكن مأهولة بالسكان إلى قُبيل الإسلام بقليل ، ولا بد أنهما كلتيهما كانتا إلى حد ما ، جسماً غريباً في بيئتهما اللغوية . ويحجب تعبير لغة أهل الحجاز كل هذا عن عيوننا . ويعطي تكرار الإتيان على لهجة كنانة فيما

---

(١) ضبطها المؤلف : شغَب بفتح الغين ولكنها في كتاب صفة جزيرة العرب ص٢٨ «شَغْب وبداً» إذ يقول الهمداني : «ولبليٍّ دار بشغْب وبداً بين تيماء والمدينة» . (المترجم) .

(٢) أكثر الآراء غرابة ما عبر عنه بعض أهل الحجاز في اللسان ، ج٢ ، ص٣٣٢ الذي يقولون إن إقليم الخبت يقع «بين المدينة والحجاز» .

(٣) هو القاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الهذلي ، كان عالماً بالحديث والفقه والشعر والنسب ،ت ١٨١هـ أو ١٧٥هـ وهو الأصح كما ذكر ياقوت . (معجم الأدباء ٣/٥-٦) . (المترجم) .

يتعلق بالغريب من لغة القرآن بعض المؤشرات على لغة أهل مكة . أما بالنسبة للمدينة ، فإن مادة مشابهة يبدو أنها مشمولة في المعلومات التي تندرج تحت عنوان العالية الذي يبدو للوهلة الأولى متطابقاً مع عوالي المدينة[١] وهي مجموعة من القرى كانت تقع على بعد ٤-٨ أميال من المدينة في اتجاه نجد (انظر : القسطلاَّني ، ج٤ ، ص٢١٧ ؛ اللسان ، ج ١٩ ، ص٣٢٠) . وقد كانت هناك مجموعة من عشائر هوازن بالقرب من المدينة وتضم عشائر سعد بن بكر وجُشَم بن أبي بكر ونصر بن معاوية التي كانت تدعى أعجاز هوازن أو عُليا هوازن (تفسير الطبري ج١ ، ص٢٣)[٢] وقد نُعبِّر ،بتصرف ، عن المصطلح الأخير بقولنا : «هوازن العالية» ، وعند الجوهري «الصحاح ج٢ ، ص٥٢١) وابن دُريد (الاشتقاق ، ص٣٤)[٣] وياقوت (المعجم ج٣ ، ص٥٩٣) فإن العالية كانت مرادفة للحجاز القديمة كما وصفها الأصمعي (انظر الفقرة «ب») . ويضيف الأزهري (في اللسان ج ١٩ ، ص٣٢٠)[٤] عاليات الحجاز بأنها بلاد واسعة تضم حَرَّة ليلى (من أراضي ذُبيان ؛ ياقوت ج٢ ، ص٢٥٠) وحَرَّة شَوْران (بالقرب من العقيق ، ياقوت ج٢ ، ص٢٤٩) وحَرَّة سُلَيْم (المرجع السابق) . وبالمثل يعرِّف فولرز (انظر : volkssprache:p.6) الإقليم على أساس أنه مثلَّث المدينة -خيبر- عنيزة ، أي الأراضي الواقعة جنوبي وادي الرُّمَّة . بل إن تعريفاً أكثر اتساعاً من ذلك هو ما وضعه أبو علي (اقتبس من ياقوت ، المرجع المذكور أعلاه) الذي يقول إن الإقليم يشمل «كل الأراضي ما بعد وادي الرُّمَّة في اتجاه مكة ، بما فيها قبائل

---

(١) قد ورد في اللسان مادة علا : «والعالية : ما فوق أرض نجد إلى أرض تهامة والى ما وراء مكة ، وهي الحجاز وما والاها ، وفي الحديث ذكر العالية والعوالي . . .وهي أماكن بأعلى أراضي المدينة وأدناها من المدينة على أربعة أميال وأبعدها من جهة نجد ثمانية» . (المترجم) .

(٢) ما جاء في تفسير الطبري ٥٢/١ (ط دار الكتب العلمية ١٩٩٧/٢) قال أبو جعفر والعجز من هوازن : «سعد ابن بكر وجشم بن بكر ونصر بن معاوية ، وثقيف» والأخيرة لم يذكرها المؤلف . (المترجم) .

(٣) في الاشتقاق ص٥٥ : العالية . . .وهي أرْضُ أعلى الحجاز وما يليه . (المترجم)

(٤) والعبارة في اللسان عن الأزهري مادة «علا» : وحَرة ليلى وحَرّة شَوْران وحَرّة سُلَيْم في عالية الحجاز» بعد قوله : «عالية الحجاز . . .وهي بلاد واسعة» . والحَرَّة هي الأرض ذات الحجارة السود النخرة» انظر الإتقان : ص١٣٥ . (المترجم)

عُكل وتيم وجزء من ضبة وعامر كلها وباهلة وجزء من أسَد وعبد الله بن غطفان أي جنوب غربي نجد . أما عند المبَرِّد (انظر الكامل ، ص١٦) فإن المصطلح المذكور يضمُّ ببساطة «قريشاً وجيرانها» أي الحجاز الإمبراطورية . ومن الغريب أن يكون مثل هؤلاء الباحثين الأوائل على هذا القدر من الإبهام فيما يتعلق بهذا المصطلح ، وعلى أية حال ، فلن يجانبنا الصواب إذا اعتبرنا أن هذا المصطلح مساوٍ لمصطلح شمال الحجاز[1] .

e– ٥ – وفي معرض حديثه عن الهمزة (انظر اللسان ج١ ، ص١٤ ، يبدو أن أبا زيد[2] «المتوفى عام ٢١٤هـ/٨٢٩» يرسم حدوداً بين كلام الحجاز وكلام مكة والمدينة عندما يعدِّدُ الناس في الحجاز وهُذَيْل والناس في مكة والمدينة ، ولربما يقصد هنا بمعنى العالية ، الحجاز ويكاد ألا يوجد لدينا أي تسويغ إذا قلنا إن هذا من قبيل التمييز بين كلام المدن وكلام الريف .

f– ٦ – وما نجده في مصادرنا بطبيعة الحال هو مصطلح المدن المقدسة ، وتتمثل الطبيعة المدينية للهجة الحجاز بالكلمات الأعجمية التي ينظر لها على أنها من غريب الكلام عليها مثل كلمة البطريق "atricius" تاج العروس٦ ، ص٢٩٦) وكلمة بَلاَس[3] (المِسْح) "Saddlecloth"من الفارسية (الصحاح ج١ ، ص٤٤٣ ؛ الجمهرة ج١ ، ص٢٨٨ ، وج٣ ، ص٥٠٠) وكلمة فرسيك[4] "Peach" الجمهرة ج٣ ، ص٣٣٨) .

---

(١) كوفلر (WZKM ج٤٨ ص٥٧) يعرِّف العالية بأنها إقليم عاش فيه العديد من شراذم قبائل متفرقة ، ويعزو إلى لغتها (أي العالية) طبيعة مختلطة ، وهذا ما لم يرد في المعلومات التي جمعناها .

(٢)حيث يذكر صاحب اللسان في حرف الهمزة : «وقال أبو زيد : أهل الحجاز وهذيل ، وأهل مكة والمدينة لا ينبرون» . (المترجم)

(٣) في اللسان مادة بلس : قال أبو عبيدة : ومما دخل في كلام العرب من كلام فارس المِسْح تسمية العرب البلاس . . .وأهل المدينة يسمون المِسْح بلاساً وهو فارسي معرب ، وهذا يوضح أن كلمة المسح هي الفارسية وليس البلاس ، كما أراد المؤلف . (المترجم)

(٤) يمثل هذا التعبير الكلمة الآرامية اليهودية الفلسطينية بيرسيقا (Pirsîqa) بيرسقا (Pirseqa) أكثر مما تميل إلى الكلمة السريانية برسايا .(Parsāyā) كما تظهر الكلمات الدخيلة (المترجم : المستعارة من لغات أخرى) شكلاً يوحي أنها أخذت من الآرامية الفلسطينية وليس من آرامية بلاد ما بين النهرين .

g- ٧ - كان الحجازيون فُخُراً بكلامهم الأصلي المحلي ، ويتضح هذا من القصص التي يبدو فيها أشراف قريش وقد أظهروا الغيرة وهم يدافعون عنها ضد الحذلقة المتكلفة (انظر : الفصل العاشر ، الفقرتين h,i) ، التي يظهر فيها أهل المدينة وكأنهم في حالة استنفار وتحدٍّ لنصرة اللغة العربية السليمة (انظر : الفصل الحادي عشر ، الفقرة jj) ومن الواضح أن هذه القصص متحيِّزة النظرة وإنها لا تخلو من قدر ضئيل من الحقيقة إذ ليس مصادفة أن المدرسة الحجازية من قراء القرآن غالباً ما تحافظ على مميّزات اللهجة الحجازية وتحاول إكسابها المزيد من المكانة المرموقة . بعزْوِ مثل هذه القراءات إلى الخلفاء الأوائل . وقد يكون هذا هو آخر أصداء المعركة الخاسرة التي خاضتها لغة غرب الجزيرة ضد المد المتنامي للغة شرق الجزيرة الفصيحة التي يعززها النحويون بتقديمهم للبدو والمجد الذي منحوه للشعر البدوي الجاهلي .

الفصل العاشر

الحجاز-الصوائت

a- ١ - إن من أبرز الاختلافات بين نظام الأصوات في اللهجات الشرقية واللهجة العربية الغربية يظهر في الحركات التي تتغير بتأثير الفونيمات المحيطة بها ،ومن النبر والتشديد ؛ وهي التأثيرات التي تخلو منها العربية الغربية تماماً تقريباً . والأخيرة تحتفظ بالصيغ الكاملة الموجودة في اللغات الشقيقة كالكنعانية والأثيوبية ،وتنحاز العربية الفصحى في هذا الجانب إجمالا إلى العربية الغربية أكثر من اللهجات الشرقية . فمنذ ظهور هذه السمة في الشعر القديم وفي وقت لم يكن فيه أدنى تصور لإمكانية التأثير الحجازي ، يمكننا فقط أن نعزو الاحتفاظ بالحركات تامة إلى سمة مهجورة في العربية الفصحى ، وأن نَردَّ إسقاط الحركات في اللهجات الشرقية إلى تاريخ متأخر نسبياً . وفي الحقيقة إن إسقاط الحركات في العاميّات نادراً ما يحدث بالقدر الذي حدث في اللهجات الشرقية ، حسبما أفاد النحاة ، ومن جانب آخر فإن تأثير الفونيمات المجاورة على الحركات أكثر وضوحاً في العاميّات .

b- ٢ - أُسقِطت في اللهجات الشرقية الكسرة والضمة غير المشدّدتين كالذي حدث في الأمثلة التالية : فَعِل ، فُعُل ، إلى فِعْل وفُعْل (كتاب سيبويه ١٩٨/٢) ، وفَعِل وفَعُل إلى فَعْل (السابق٢٧٧) ، والصيغتان الفعليتان فَعِل إلى فَعْلَ (السابقَ) مثالان في بيت شعر واحد للأخطل (بتحقيق الصالحاني ١٧,٢١٧) ، وفَعُلَ إلى فَعْلَ (Jeffery,R.S.O,xvi,261) ، وفُعِلَ إلى فُعْلَ (الجمهرة ٣٢٩/٢) ، أو إلى فُوعْلَ (ابن مالك ، التسهيل ، ١٣) ، وترينا الحالة الأخيرة تأثير حذف الحركة على ما يسبقها ، أي توافق الحركات مع الحذف اللاحق .

وتطال العملية نفسها نحو : كِلْمَة في كَلِمَة (ابن جني[١] ، الخصائص ٢٥/١) وصُدْقَة في صَدُقَة (المصباح : ص٥١٣) ، وصِيَغ نحو : فِخْذ في فَخِذ (اللسان ٣٧/٥)[٢] ؛ وعَضْدٌ في عَضُدٌ (المخصص ١٦٣/١) ، والكلمتان الأخيرتان لم تُعَدّا من الصيغ اللهجية . وتخلو

---

(١) من الجدير بالذكر أن كِلْمة ، منسوبة لبني تميم في الخصائص . (٢٦/١) . (المترجم) .

(٢) في اللسان مادة فخذ ، كذلك : «قيل : فَخْذٌ وفِخْذٌ أيضاً بكسر الفاء» . (المترجم)

اللهجة الحجازية من كل ذلك تماماً .

وكثيراً ما تُقَدَّم الصيغ ذوات الحركات المكتملة بوجه خاص على أنها تنتمي إلى تلك اللهجة ، حتى لو وردت للكلمة صيغتان في العربية الفصحى نحو : عُنُق في عُنْق (المصباح ص ٦٢٢) ، ضِلَع في ضِلْع (التاج ٤٣٣/٥) ، وصَدُقَه (المصباح ص٥١٣) أو صُدُقَة (الفراء[1] في الآية ٦- سورة الرعد) في صُدْقَة . ويُوْمُ الجُمُعة ، بينما تقول عُقيل جُمَعَة ، وتميم جُمْعَة (الفراء في Orientalia ,xv,186). والصيغة التميمية جاءت في قراءة الأعمش الكوفي ، أما الصيغة الحجازية ففي قراءة القرّاء الحجازيين ، وقراءة عاصم الكوفي . وتكون الصيغة الشرقية في بعض الحالات شائعة في العربية الفصحى ، كما في حالة الحُسُن الحجازية في الحُسْن[2] (البيضاوي ٧٠/١ -قراءة غير مقبولة في الآية ٢/سورة البقرة) . ولا يمكن أن يقال دائماً إن الصيغة الحجازية أقدم والصيغة الشرقية تقدّمت بالحذف . وأما بالنسبة للمثال العربي «مَلِك» والعبري «مَلْك» فإنه يبرهن على أن هناك كمية لا بأس بها من الصيغ الاسمية السامية تتردّد بين المقاطع الأحادية والثنائية .

وللسبب نفسه لا أحد يمكنه الادعاء بأن اللهجة الحجازية قد أقحمت الحركات في الصيغ التي لا تملك مثلها في الأصل . وقد حصل ذلك فعلاً من بعض الشعراء الغربيين طلباً للقياس . (شوارتز ، ديوان عمر ، ١٠٠/٣ وما بعدها) واللهجة المكية الحالية تقدّم مجموعة من الحركات من هذا النوع (Snouk Hurgronie ,Mekkanische sprichworter, p.99) . ربما وجدت النزعة نفسها في اللهجة القديمة مع أنه ليس لدينا برهان على ذلك .

c- ٣ - والحالة الخاصة قد تكون في الجموع التي تتم بزيادة الألف والتاء على المفردة المؤنثة ، وتصوغ اللهجات الشرقية هذه الجموع بزيادة الألف والتاء إلى الجذر . بينما في العربية الغربية يتم بإضافة حركة ، وتتقلب الفصحى في صوغ الجموع على فَعَلات من فَعْلَه مع الامتناع عن تحريك الواو والياء بالفتح في الأجوف ، وعلى

---

(١) والحقيقة أن لفظ «صَدُقَاتِهنّ» قد جاء في الآية ٤ من سورة النساء وهي :«وآتوا النساء صَدُقَاتِهنَّ نِحْلَة» ولكن ما ذكره المؤلف جاء في معاني القرآن للفراء في سياق تفسير الآية ٦ من سورة الرعد حين قال الفراء في قوله تعالى :«وقد خلت من قبلهم المَثُلات» : هي المَثُلات وتميم تقول المُثْلات وكذلك قوله : «وآتوا النساء صَدُقاتِهن» حجازية ، وتميم صُدْقات ، وأهل الحجاز يقولون أعطها صَدُقَتَها ، وتميم تقول : أعطها صُدْقَتها في لغة تميم» (المترجم) .

(٢) في قوله تعالى :«وقولوا للناس حُسْناً» من الآية ٣٨-سورة البقرة . (المترجم) .

فِعْلات وفُعْلات في فِعْلَه وفُعْلَه ، مع قبول فِعِلات وفعَلات . . إلخ من ناحية ثانية . وحيثما بحثت تجد الصيغ الثلاثية المقاطع في لهجة الحجاز ؛ فقد قال الحجازيون : مَثُلات ، وصُدُقات (الفراء في معاني القرآن آية ٦- سورة الرعد) ونعِمات (عن اللحياني في اللسان جـ ١٦/ص٥٩) . وتبدو الصيغتان الأخيرتان بأنهما مميزتان في الحجاز ، ويقال في اللهجات العربية الغربية نعَمات وصُدَقات كما في العبرية (Kebhāsōth from kibhsāh and hōrāhāth from horbāh) (انظر في هذا الفصل الثامن – d) .

d- ٤ – وقد لاحظ أبو عبيدة (d 210-825) عدم الحذف : فأهل الحجاز يفخّمون الكلام كله إلاّ حَرفاً واحداً وهو عَشرة فإنّهم يجزمونه . وأما أهل نجد فيتركون التفخيم في الكلام إلاّ هذا الحرف فإنهم يقولون عَشِرة (عن السيوطي في الإتقان ص٢٢٠)[١] والفخامة[٢] في النحو تعني التوليد الذي يجعل المعنى واضحاً تماماً (الأسترابادي ، شرح الكافية ٥/٢) . وينطبق هذا كذلك على الفتحة التي لم يحدث فيها إمالة[٣] ، وفي اللهجة الحجازية (انظر الفقرة p).

ومن الواضح أن المقصود شئ أكثر من مجرد الاحتفاظ بالحركات وهو الإشارة إلى عملية التثقيل وما يناقضها من تخفيف (الفراء ، معاني القرآن آية ٩- سورة الجمعة مقتبسة من

(١) نقلت الخبر بنصّه عن الإتقان (٢٠٣/١ ط٣ دار الكتب العلمية) . ووجدت في موضع آخر من الكتاب نفسه ٤٩٣/١ قراءة مناقضة في : «اثنتا عشرة عيناً (البقرة-٦٠) :قرىء بسكون الشين وهي لغة تميم ، وكسرها وهي لغة الحجاز ، وفتحها وهي لغة بَلِي» . وقبل هذا النص ينقل السيوطي من معاني التفخيم «تحريك أوساط الكلم بالضم والكسر . . .دون إسكانها ؛ لأنه أشبع لها وأفخم» . وعليه فإن قصد المؤلف بعدم الحذف عدم حذف الحركة أي التحريك .(المترجم) .

(٢) قد يقصد التفخيم . (المترجم) .

(٣) إن مصطلح التفخيم يستعمل مع الصوامت المشدّدة ، ولا يمكنني تحديد قِدَم هذا الاستعمال ولكنْ يبدو أنه مشتق من حقيقة أن ألف التفخيم توجد بانتظام بجوار الصوامت المشدّدة . في العراق ما زال التفخيم يوظف في وصف ألف أواخر الكلمات البغدادية التي هي أشبه بالألف الممالة دون أي مكان آخر .

(Orientalia,xv,186)[1] وهناك عدة درجات من التضعيف والتحييد للحركات المشدّدة قبل حذف الحركة كلياً . وكانت تعطي العلل القصيرة غير المشددة في لهجة الحجاز الصوت نفسه المعطى للمشدّد منها . وعلى هذا النحو تشبه العربية الحجازية الإنجليزية الأمريكية بينما الخطاب النجدي أشبه بالإنجليزية الملكية .

e- ٥ - لسنا بحاجة إلى موافقة وجهة نظر أبي عبيدة بأن عَشْرة تشكل استثناء من القاعدة الحجازية . والصيغة التي يعنيها هي المستخدمة في الأعداد المؤنثة من الأرقام ١١-١٩ . وهنا قال أهل الحجاز «إحدى عَشْرة . . .إلخ ، وتميم وأهل نجد بوجه عام يقولون إحدى عَشِرة (سيبويه ١٧٦/٢ ، الصحاح ٣٦٤/١) وبعض التميميين قالوا إحدى عَشَرة (السيوطي ، المزهر ١٧٥/٢)[2] . وعُدّت الحجازية هي الصيغة الفضلى (الأستراباذي ، شرح الكافية ١٥٠/٢)[3] . والكلمتان : العبرية عِشْري e´srêh' (في البابلية asrõh') والسريانية عسري esrê' تبرز هنا على أنها صيغة سامية الأصل ، وعَشِرة التميمية لها ما تعتمد عليه . والحالة نفسها مع الصيغة التميمية سَمُرة ، والصيغة الحجازية سَمْرة (شجرة الصمغ العربي) (ابن دريد ، الاشتقاق ص ٥٠)[4] .

ويبدو أن العربية الفصحى قد تبنّت الصيغة التميمية ، ومن الجدير بالملاحظة أنه في

---

(١) يقصد ما جاء في معاني القرآن ١٥٦/٣ في قراءة الجمعة حيث قال :«من يوم الجُمْعَة خفّفها الأعمش فقال الجمْعة وثقّلها عاصم وأهل الحجاز» ويفهم التخفيف والتثقيل هنا على ما فهمه المؤلف أي التخفيف نطق الميم في الجمعة بالسكون وهي قراءة الأعمش على لغة تميم ، والجمهور بضم الميم أي تثقيلها وهي قراءة عاصم وغيره على لغة أهل الحجاز (انظر البحر المحيط ٧٦٢/٨ ففيه وضوح أكثر) (المترجم) .

(٢) وما جاء في المزهر ٢٧٥/٢ : «أهل الحجاز يقولون خمس عشْرة خفيفة لا يحركون الشين ، وتميم تثقّل وتكسر الشين ومنهم من يفتحها» وهو ما يناقض ما جاء في الإتقان ٤٩٣/١ في قراءة الآية : «اثنتا عشرة عينا» حيث ذكر السيوطي : «قرىء بسكون الشين وهي لغة تميم ، وكسرها وهي لغة الحجاز ، وفتحها وهي لغة بَلِي» (المترجم) .

(٣) شرح الكافية ١٥٠/٢-١٥١ : «وتميم تكسر شين عَشِرة المركب في المؤنث . . . وأما الحجازيون فيعدلون من حركة الوسط إلى السكون . . . وهي الفصحى» . (المترجم)

(٤) جاء في الاشتقاق ص ١٨/٨٠ : «سَمُرة مشتق من السَّمرُ ، وهو ضرب من العضاهِ ، والعِضاه : كل شجر له شوك ، وأهل الحجاز يقولون : سَمْرة ، وبنو تميم يقولون : سَمُرة» .(المترجم) .

كلتا الحالتين(١) يقترن تغيّر الحركة بالراء، وهو الصوت الصامت الذي يبدو أنه يمارس تأثيراً خاصاً على الحركات في اللهجات الشرقية (انظر: الفصل ١٢ الفقرة k، والملاحظة في الفَصل الثامن من الفقرة (x). وهذه الحالة، بوجه خاص، لها ما يناظرها في الأكدية فإن هناك حركة تحذف في العادة؛ إذا ما تلاها مباشرة مقطع متحرك بحركة قصيرة، دون الفتحة قبل الراء (Geotze,orientalia,xv,233) ويبدو أنه من الصعوبة بمكان نطق الراء مباشرة بعد صوت صامت آخر. ففي المصباح ص ١٠٧٩ ذكر إن كل اسم في لهجة أسد على وزن فُعْل ينطق فُعُلاً، ولكنه اكتفى بضرب أمثلة معينة دون غيرها نحو: عُسْر ونُسْر اللذين أصْبحا (عُسُراً ونُسُراً). وربما يكون في هذا مثال آخر على اقتران التغير الصوتي للحركة بالراء(٢).

f- ٦ - وفي اللهجات الشرقية ملمح آخر وهو التوافق أو الانسجام الحركي مثل التشابه بين الحركات غير المشدّدة والحركات المشدّدة. ففي لهجة تميم تنطق «فُعَالى» صيغة جمع الإناث فَعَالى (ابن خالويه، البديع ص٢٦). وتكثر هذه النزعة فقط مع الصوامت الحنجرية (التي لا تحتاج تعديلاً من أعضاء النطق الفموية) كما في رِئِي التميمية في رائِي (اللحياني في اللسان(٣) ١٠/٢١ ابن قتيبة، أدب الكاتب ص٤٠١) وبِعِير في بَعير (التاج ٥٢/٣). وبشكل عام في فَعِيل (سيبويه ٢٧٤/٢). وفي لهجة أسد تتغيّر (فَ، وَ) قبل الهمزة إلى (فِ، وِ) (الأخفش في بديع ابن خالويه ص ١٧) والأمثلة مع حركات أخرى: أُرُومَة في أَرُومَة (المفضليّات ص ٤٥٢)، والحَصَاد في الحِصاد (السيوطي، المزهر ١٧٦/٢)(٤)،

---

(١) يقصد حالتي: عَشْرة وسَمْرة. (المترجم)

(٢) يورد كوفلر (wzkm,xlviii,260) شاهداً آخر على هذا دون راء، واعني «وَسْمه» الحجازية في «وَسِمه» وكان مصدره اللسان ١٢٣/١٥ الذي جاء فيه على عكس ما قال تماماً أي الوِسمَة، أهل الحجاز يثقّلونها وغيرهم يخففها.

(٣) والرِّئي الجني يراه الإنسان فقد قال اللحياني في اللسان مادة رأى: ... وتميم تقول رِئِي بكسر الهمزة والراء مثل سعِيد وبعِير. (المترجم)

(٤) يجعل كوفلر في (wzkm,xlviii,262) حَصاد صيغة حجازية، وحِصاد من لهجة تميم ويستشهد بعدد من حالات أخرى حجازية على «فَعَال» بينما في تميم: فِعَال، وفُعَال من كتاب أدب الكاتب لابن قتيبة. في مثل هذه المصادر لا تعزى مثل هذه الصيغ إلى قبائل محدّدة، وأما اللسان فلا يذكر الاختلافات اللهجية في مثل هذه الحالات؛ إلا أنّه ذكر رَصاص مقابل رِصاص غير الفصيحة. (جاء في اللسان مادة رصص: في رِصاص والعامة تقوله بكسر الراء). المترجم

والظاهرة الوحيدة من هذا النوع في الفصحى هي التشابه بين الضمائر المتصلة : هـُ ، هُمُ وهُنَّ بعد الكسرة أو الياء[1] . وهذه هي الحالة الوحيدة من المماثلة التقدميّة التي تعرض في العربية الفصحى وهي في لهجة ربيعة أكثر أصالة ووضوحاً ، حيث المماثلة فيها تتخطى الصحيح كما في قولهم : مِنْهِم (سيبويه ٣٢١/٢)[2] . وما حصل مع هُمُ حصل مثله مع «كُمُ» السابق[3] . ومع تواضع هذه الكمية من التناسب الحركي فقد عزّ وجودها في لهجة الحجاز . وهناك من قال بغلامِهُو ، بغلامِهُم إلخ (سيبويه ١٢٣/٢) وقد قرأ قرّاء الحجاز «بهُ وبدارِهُ» الآية ٨١ من سورة القصص[4] (ابن جني ، المحتسب ص٥٧) ويبدو أن لحفص الكوفي (تلميذ عاصم) قراءة على النمط نفسه تماماً (السيوطي ، الجمع ٥٨/١)[5] ، وقد وجد فيها معظم القراء تسوية ما لقراءاتهم ، فحمزة الكوفي (من تيم ، إحدى قبائل العالية) وإن لم يقرأ بها بعد حروف الجر فإنه قرأ بها بعد الأسماء (الأستراباذي ، شرح الكافية ١٢/٢) فيما عدا إذا جاء الضمير قبل همزة الوصل مباشرة . وعليه قرأ «فقال لأهلهُ امكثوا» من الآية ١٠ في سورة طه ، وقرأ بعض القرّاء مع جمع المذكر– هُمُو ، وآخرون هِمُو ، إلاّ أبا عمرو البصري فقرأ هِمْ ،

(١) ينكر بارث في (Pronominalbildung,p.49) أن تكون هذه الحالة من التناغم الحركي ولكنه يعتقد أن– هـِ من قبيل القياس على السامية الأم– هِنَّ . وقد يكون هذا صحيحاً ، ولكنّ الحقيقة التي تبقى أن توزيع اللاحقتين المثالين محكوم بالتناغم أو التوافق الحركي .

(٢) فقد جاء في الكتاب ط هارون ١٩٥/٤-١٩٦ :«فالهاء تكسر إذا كان قبلها ياء أو كسرة . . .واعلم أن قوما من ربيعة يقولون :مِنْهِم ، أتبعوها الكسرة ولم يكن المُسكَّنُ حاجزاً حصيناً عندهم ، وهذه لغة رديئة» . أي أتْبَعوا كسرة الهاء لكسرة الميم مع أن الصامت النونِ بينهما وهذا ما عناه المؤلف بقوله المماثلة تتخطى الصحيح وهو فهم المؤلف لما قاله سيبويه :«لم يكن المُسَكَّن حاجزاً حصيناً» أي الصوت الصحيح الساكن لم يمنع التماثل بين الصائتين (كسرة الميم وكسرة الهاء) .(المترجم) .

(٣) يقصد ما ذكره سيبويه ١٩٧/٤ ط هارون : «وقال ناس من بكر بن وائل : من أحلامكم وبِكِم ، شبهها بالهاء لأنها عَلَم إضمار وقد وقعت بَعْدَ الكسرة ، فأتبع الكسرة الكسرة . . . وهي رديئة جداً» (المترجم) .

(٤) وقد جاء في همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطيْ ٥٨/١-٥٩ : «أما الحجازيون فلغتهم ضم هاء الغائب مطلقاً» ، وبها قرأ حفص «وما أنسانيهُ» ٦٣– الكهف ، و«بما عاهد عليهُ الله» ١٠– الفتح . (المترجم)

(٥) على خلاف ما ذكره الداني (انظر Pretzl,Islamica, vi, 297) .

ووجــدت كل هذه القــراءات في جميع المخطوطات الكوفية ، حيث يستدل أحيانـــا على كلتا القراءتين الحجازية والشرقية بالنُّقَط المختلفة الألـوان. (Nõldeke,GO..Isted.p.328) وقد سمع الكسائي (ت ١٨٩هـ-٨٠٥م) من رجل طاعن بالسن من هوازن صِيَغاً دون توافق حركي (اللسان ٣٦٨/٢٠) . وحرصه على ذكر سِنّه يوحي بأن الجيل الأصغر من القبيلة قد استعمل الصيغ الشرقية .

g- ٧ - إن التأثير اللهوي ، والحلقي ، وتفخيم الصوامت على الحركات المجاورة كان أقوى في اللهجة الشرقية منه في لهجة الحجاز . وبالطبع ليس لدينا وسائل لاكتشاف التغيرات الفونيمية مثل تقصير العلة الطويلة (أو تحول الألف إلى فتحة) «انظر Gairdner,phontics,p.47 سوى تلك التي جرى استبدالها بفونيم حركة مختلف تحت تأثير الصوامت المذكورة . وتحتل العربية الفصحى مركزاً وسطا ، بامتلاكها كلاً من الصيغ الغربية والشرقية ، وغالباً ما يستحيل التحقق معجمياً مّما يمكن اعتبارها الصيغة الفصحى . ومن أجل ذلك سأضرب أمثلة مما يمكن أن نعده حقاً من لهجة الحجاز ومن لهجة تميم . . . .إلخ مفترِضاً أن الصيغ المختارة قد استعملت على كل حال في اللهجة المغايرة حتى وإن لم يذكر هذا بوضوح .

h- ٨ - ويمكننا أن نلاحظ الحالات الآتية : بمجاورة الصوامت اللهوية والحلقية نجد في اللهجات الشرقية الفتحة ، في الوقت الذي نجد فيها الضمة في لهجة الحجاز : عُقْر الدار ، تميم : عَقْر الدار (الأصمعي ، الأضداد ، ص٥ ، ابن السكيت : الأضداد ص١٥٤) . العالية : يَفْرُغُ في يَفْرَغ (المفضّليات : ص٢٨١ ، المبرد ، الكامل : ص٦١) لُحْد ورُفْغ مقابل لَحْد ورَفْغ عند تميم (الرافعي ، التاريخ : ٧٤١/١) ، شُهْد مقابل شَهْد عند تميم (المصباح[1] ، والتاج ٣٩٢/٢) ، الحجاز : جُهْد في جَهْد

---

(١) يقصد المؤلف : أن الألفاظ يُفرغ ولُحد ورُفْغ وشُهْد من ألفاظ العالية ؛ لأن المصباح يذكر في مادة رفْغ : «الرُّفغ أصل الفخذ ، الرُّفْغ بضم الراء في لغة أهل العالية والحجاز . . .وتفتح الراء في لغة تميم» وفي مادة شهد : الشهد فيه لغتان فتح الشين لتميم . . . وضمها لأهل العالية» . (المترجم)

ولم ينقل المؤلف في عزوه صيغتي يفرغ إلى العالية وتميم عن الكامل فالمبرد لم يقل سوى أن : «سنفرُغ وسنفرَغ» من الآية ٣١/سورة الرحمن تُقرأ على وجهين ولم ينسبهما لقبائل العرب ، ولكن نسبتهما مثلاً جاءت في البحرالمحيط١٩٤/٨ بقوله : قرأ الجمهور سنفرُغ بضم الراء وهي لغة أهل الحجاز . . .وبفتح الراء وهي تميمية» . (المترجم)

(المصباح ص١٧٦) ، زُهْو (ظهور الصفرة أو الحمرة على ثمر النخيل) في زَهْو (الصحاح٢/٤٩٠) . يَجْنَح في تميم ، ويَجْنُح في قيس (التاج ٢: ٣٣١/٢) . في بكر : بَخْل في بُخْل (ابن خالويه : البديع ص٢٦) . وفي ضَعْف يقولون ضُعْفاً «في لغة النبي»[ﷺ] (المصباح١٧٦)[١] . واستقيت هذه المعلومة بلاشك من الحديث الذي يُسْنَد لابن عمر الذي قرأ أمام النبي [ﷺ] «ضَعْفاً» في الآية ٥٤ من سورة الروم[٢] ، وصححه النبي [ﷺ] وأبلغه أن يقرأها ضُعْفاً (البيضاوي٢/١١٠) ، ولم يقرأها بالفتح سوى الكوفيين عاصم وحمزة . والفائدة التي نجنيها من النادرة ترينا أن الأساس ، الذي يستند إليه الخلفاء والنبي [ﷺ] نفسه ، هو النطق الحجازي ، وأميل إلى اعتبار (فُقْر في فَقْر)حجازية ، ولكن الليث (في اللسان ٦/٣٦٦) يرفضها ويعدها لغة رديئة (أو لا يمكن أن نقرأها أزدية؟) . وقال أهل تهامة عُضُد في عَضُد وعُجُز في عَجُز (أبو زيد ، اللسان ٣/٢٨٣) . والصيغة الشرقية عَضُد كانت عَضْداً (سيبويه ٢/٢٧٧)[٣] ، على كل حال هناك أمثلة أخرى بعلاقة مناقضة لذلك نحو : زَغْم الحجازية في زَعَم مقابل زُعْم التميمية (يونس في اللسان ١٥/ص١٥٦ ، التاج٨/٣٢٤) . وربما هذه حالة الفتحة فيها تقابل الكسرة (انظر الفصل الآتي) .

i- ٩ - بالنظر إلى الشواهد الكثيرة التي تقابل فيها الضمةُ الفتحةَ ، إنه من المستغرب أننا لا نجدغالباً في اللهجة الحجازية كسرة تقابل الفتحة في اللهجات الشرقية ، بالرغم من تشابه الحالات والظروف ، فقريش تقول : نَعِم في نَعَم كما في هذيل (انظر الفصل ٨ فقرة c) وكنانة (انظر الفصل السابع فقرة q) ، وقد لاحظ رجل من خثعم بأن النبي [ﷺ] قد قال نَعِم . وقد شاع أن الخليفة عمر قد أمر بهذه

---

(١) وما جاء فيه : «الضَّعْف بفتح الضاد في لغة تميم وبضمها في لغة قريش» ولم يذكر صاحب المصباح أنها من لغة النبي(ص) . (المترجم)

(٢) يقصد الآية الكريمة : «الله الذي خلقكم من ضَعْف ثم جعل من بعد ضَعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً . . .» إلخ الآية ٥٤- سورة الروم حيث (قرأ الجمهور بضم الضاد وعاصم وحمزة بالفتح (البحر المحيط٧/١٨٠) . (المترجم)

(٣) وما جاء في : «الضَّعْف بفتح الضاد في لغة تميم وبضمها في لغة قريش» ولم يذكرها صاحب المصباح أنها من لغة النبي (ص) . (المترجم)

الصيغة[1] . وقال بعض ولد الزبير : ما كنت أسمع أشياخ قريش يقولون إلاّ نَعِم بكسر العين (اللسان ٦٩/١٦) . استعملت تميم أَخْذ في أَخَذَ بدلاً من إِخْذ (التاج ٥٥١/٢)[2] . وبالعكس ففي لهجة الحجاز لَحْيَة في لِحْيَة (الزمخشري ، الكشاف ص٨٦٤)[3] .

وهذه من أغرب الحالات المتعددة التي تقابل الكسرة فيها الفتحة مما شاع في لهجة نجد : نِحْي في نَحْي (الخزانة ٢٣/٣) ، وفي تاريخ آداب العرب للرافعي ١٤٧/١ ، نِحْي عُزِيَت لتميم في اللسان ٢١٩/٢٠ ولكن لم يرد فيه سوى أن النُّحي والنِّحي بمعنى الغدير في نجد[4] .

والحِجُّ في الحَجّ (البيضاوي ١٦٧/١ ، والجمهرة ٤٩/١ مع شاهد لجرير التميمي) ، قِرِّي عيناً في قَرِّي ، قرأها بعضهم في القرآن الآية ٦٢ من سورة مريم[5] ، اعتماداً على لهجة نجد (البيضاوي ٩٧٥/١) . ويمكننا أن نضيف إلى هذا أن في لهجات قيس (زِعْم) بينما في الحجاز زَعْم في زَعَم . الفقرة الآنفة الذكر عن (فولرز : Volkssprache ، ص١٥ دون ردها لمرجع) . فولرز (المرجع السابق) ، ونخلص من هذه الأمثلة إلى أن الفتحة القصيرة في لهجة نجد ، عرضة للإمالة بقدر طولها ، وإن الكسرة في كل هذه الكلمات تمثِّل الكسرة الممالة أو الخالصة ، وعلى أية حال ، فإنه يستحيل في كل الأحوال أن تظل الفتحة مرتبطة بالأصوات التي تحول دون الإمالة ، وقياساً على الفونولوجيا السامية يمكن أن تكون الفتحة قد تطوّرت

---

(١) يشير إلى ما جاء في اللسان مادة نعم : «في حديث قتادة عن رجل من خثعم قال : دفعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو بمنى فقلت : أنت الذي تزعم أنك نبي؟ فقال : نَعِم وكسر العين . . . . وقال أبو عثمان النَّهدي : أمرنا أمير المؤمنين عمر ، رضي الله عنه ، بأمر فقلنا : نَعَم فقال : لا تقولوا نَعَم وقولوا نَعِم . . .» المترجم .

(٢) والشاهد اليمني في نفس الظاهرة : قِرْية في قَرْية (الأزهري : اللسان ٣٧/١٠) (انظر العبرية قِرْياه) .

(٣) حيث قال عند تفسير الآية ٩٤ من سورة طه (٨١/٣ ط دار الكتب العلمية) في قوله تعالى : «لا تأخذ بلحيتي . . .إلخ . «قريء بلَحيتي بفتح اللام وهي لغة أهل الحجاز» (المترجم) .

(٤) يشكك المؤلف فيما كتبه الرافعي في عزوه النُّحي لتميم حيث لم يرد ذلك في اللسان ، كذلك لم يرد في اللسان أنّ النُّحي بمعنى الغدير كما أفاد المؤلف بل فيه بمعنى الزِّق وهو ما أكّده الأزهري في اللسان مادة نحي من أن العرب لا تعرف النحي غير الزق . (المترجم) .

(٥) في قوله تعالى : «فكلي واشربي وقرّي عيناً» (المترجم) .

عن الكسرة في الكلمات كلها . مع استحالة أن تكون الكسرة قد تطوّرت من الفتحة ، كذلك من غير الممكن أن نعرف المقصود بأهل نجد ، في هذه الحالة ، أهم قيس أم تميم؟ وإننا بحاجة إلى مزيد من المعلومات تلقي بعض الضوء على هذا التناقض الغريب الذي يظهر عند معالجة الكسرة والضمة(١) .

k- ١٠ - في عدد قليل من الحالات ، نجد الكسرة في اللهجة الحجازية تقابل الضمة في اللهجات الشرقية عندما تجاور الصوامت اللهوية والمفخّمة ، إذا ركبت مع الأصوات الشفوية ، في معظم الأمثلة : مِصْحَف الحجازية في مقابل مُصْحَف التميمية (الجمهرة ٣٦٩/٢ ، ولكن في المرجع السابق ١٦٢/٢ : مُصْحَف قيل إنها من لغة أهل العالية) ، قِذْوَة مقابل قُذْوَة التميمية (اليزيدي ، اقتباس السيوطي ، المزهر ١٧٦/٢) . في الحجاز : قِنْوان ، وكلب : قِنْيان ، وقيس : قُنْوان ، تميم وضبّة : قُنْيان (الفراء ، التاج ٣٤/٥) . قِبْلاً في كنانة مقابل قُبُلاً في تميم (أبو عبيدة ، الرسالة ، ص٥٤١- يؤيد هذه الحقيقة القراءة الكوفية قُبُلاً في الآية ٥٥ من سورة الكهف) . وسُخْرِيًا التميمية قرأ بها نافع في الآية ١١٠-من سورة «المؤمنون»(٢) ، وحمزة والكسائي سِخْرِيًا (أبو عبيدة ، الرسالة ص١٥٦) ، رُضْوان في رِضْوان (يونس ، اقتباس السيوطي ، المزهر ٦٧١/٢) ، قِنْية الحجازية مقابل قُنْوة التميمية (السابق)(٣) . ومع غياب الأصوات اللهوية والمفخّمة وبصحبة الأصوات الحلقية

---

(١) ربما يكون هذا الاختلاف في معالجة الحركتين مبنياً على اختلاف صوتيٍّ موروثٍ بينهما الذي بنى عليه معالجة مختلفة في آخر الكلمة ، حيث يجري تقصير الكسرة الطويلة وليس الضمة الطويلة (انظر فصل II)

(٢) يقصد قوله تعالى : «فاتخذتموهم سِخْرِياً . .» (المترجم) .

(٣) إن التبادل بين الواو والياء ، والضمة والكسرة في قُنوه وقُنْوان ، لوضوح ترابطهما والأمر نفسه في كُلْيَه ، في اللهجة اليمنية كُلْوَة (اللسان ٩٤/١٠) ، والأخيرة هي الصيغة الشائعة في اللهجة السورية . إن نطقها كِلْوه ، على عكس ما يحذر منه ابن السكيت (ت٢٤٣هـ/٨٧٥م) ، (اللسان ، السابق نفسه) في فلسطين وحوران (كانتينو ، حوران ، ص٥١١) ، والمقابلة الأصلية بينهما : كُلْوَه : كِلْيَه . ولكن إلى أي اللهجات تنتمي الصيغتان (انظر أيضاً الفصل II فقرة .(k).

نجد في الحجازية : عِدْوَه ، عِشْوة ، إِسْوَة مقابل ضمها في التميمية[١] (المرجع السابق) . ومن ناحية أخرى عُزِيت عُدْوه في التاج (٢٣٦/١٠) إلى قريش ، وعِدوه إلى قيس . مع الصوت الشفوي والراء : مِرْيَة في الحجاز مقابل مُرْيَة في تميم (أبو عبيد ، الرسالة ، ص١٥٤ ، يونس في المزهر ١٧٦/٢ ، في القرآن الآية ١٧- سورة هود ، قرأها القراء المقبولة قراءتهم مِرْية .

l- ١١ - وبعكس ذلك ، توجد أمثلة قليلة في اللهجة الحجازية بالضمة ، مقابل الفتحة في الفصحى : لُمَه في لَمَه (ابن سيده من الحجْري ، استشهد بها التاج ٣٣٢/١٠) ، سُمّ في سَمّ (يونس في التاج ٣٤٥/٨) ، انظر سَمّ العبرية والآرامية . وهذه النزعة إلى تحويل الفتحة ضمة بجوار الحروف الشفوية ، نطقت أكثر إلى حد بعيد في النماذج الآرامية الفلسطينية (انظر Dalmann,Grammatik, p.89, Noldeke, ZDMG, xxii,455; Id., Mandeiche Gramm.p.17) ، وفي عامية ظفار في جنوب اليمن(Rhodokanakis, Dhafar, ii,94)[٢].

وكما أنه في تلك الاصطلاحات ، لم تتأثر الكسرة بالحروف الشفوية في الحجاز- راجع الأمثلة التي وردت في الفصل السابق k ، وهكذا تتناقض مع اللهجات الشرقية ليس بفعل التأثير القوي للحروف الشفوية ، ولكن بتأثيرها الأضعف . ومما يعزز هذا الأمر الاحتفاظ بـ «إم» مقابل أُمّ في لهجة هذيل (انظر : الفصل الثامن من فقرة s) . وفي الواقع فإن كلمة سَمّ يمكن أن تكون كلمة مقترضة في العربية (Fronkel, Fremdworter, p.262) وليس

---

(١) والمعلومة بتمامها في المزهر ٢٧٧/٢ : «أهل الحجاز تركته بتلك العَدوة وأوطأته عَشوة ولي بك إسوة وقِدوة وتميم تضم أوائل الأربعة» لم يذكر السيوطي الكسر في عدوة وعشوة ، كما أن الكلمة التي جاءت عند رابين هي عِسْوة 'iswa' وليس إسوة كما هي عند السيوطي ، الذي قد يكون من قبيل الخطأ المطبعي في الأصل الإنجليزي . وعليه ربما يكون هذا التخليط مقصوداً ، ولم يأت عفواً من المؤلف ، ليطوِّع الأمثلة قصراً لما طرحه من أفكار . ومما يلاحظ كذلك أنه ذكر قدوة في مثل سابق لأن فيها صوتاً شفوياً ولم يذكر عدوة وعشوة وأسوة وفيها أصوات شفوية لكي يفردها بعلومة مع العين الحلقية . (المترجم) .

(٢) في لهجة قضاعة سِمْ (الاسم) تقال سُمْ (اللحياني في اللسان ١٢٦/١٩) انظر : شُمْ الآرامية الفلسطينية . ويبدو أنها استعملت في الشرق أيضاً ، منذ أن سجل استعمال أُسمْ في المرجع السابق ويجب أن ترد لهجة عمرو بن تميم إلى سُمُ .

مستبعداً أن تكون الضمة قد جاءت مع الكلمة من اللهجات الآرامية الفلسطينية[1] . لاحظ أن العالية هي المنطقة الأقرب إلى منطقة سكنى اليهود في الجزيرة العربية ، التي تتكلم بهذه الصيغة . ويمكن أن تكون اللهجات الأخرى قد اقترضت الكلمة من السريانية .

على أية حال فإن هذه الأمثلة النادرة لا تعطي فرصة للافتراض مع شوارتز (عمر ٤/١٠١) أن هذه اللهجة تنزع إلى حدٍ ما لجهر الحركات . لا علم لي بأمثلة أخرى لها مثل هذه النزعة . وفي الحقيقة فإن اللهجات الشرقية تحتفظ باستدارة الشفتين عند نطق الضمة الطويلة ، بتأثير فعّال من الواو المجهورة ، ولكن الحجازية لا يحصل فيها ذلك (انظر فصل ١٢- الفقرتين (t,u) . والحالة الوحيدة في اللهجة الحجازية لا يمكن تفسيرها بتأثير الأصوات المحيطة هي : ذُكْر في ذِكْر مصدر ذَكَر ، استشهد بها سيبويه دون تعليق ولكنه قال إنها حجازية عن ثابت ، عن الأحمر (في التاج ٣/٢٢٧) .

m- ١٢ - إن الاختلاف بين اللهجات الشرقية والحجازية ناشيء بوضوح من الاختلاف في الإيقاع[2] . ففي الشرق للمقطع وحدة محدّدة ، بحيث تؤثر بعض العناصر في بعضها الآخر ، وبالمثل توجد في الكلمة قوة تسبب اختصار أو اكتمال الحذف في بعض الحركات . وبهذا تقف العربية الشرقية إلى جانب لغات كالإنجليزية والألمانية والروسية ، ففي هذه اللغات نمط من النطق يدعى النبر الزفيري أو النبر اللهجي[3] . وفي اللغات السامية يوجد مثل هذا النبر في العبرية ،والآرامية ،

---

(١) وكأنّ اليهود الذين سكنوا المدينة وما حولها كانوا يتكلمون الآرامية ولا يريد أن يعترف أن كلمة «سم» سامية الأصل أي من اللغة السامية الأم ، وأنها ملك مشترك لجميع اللغات ؛ أقصد اللهجات التي تفرعت عنها . (المترجم) .

(٢) لقد وصل أنيس (في كتابه اللهجات : ص٥٦) من دراسة عن مماثلة الصوامت ، إلى نتيجة مشابهة وهي أن العربية الحجازية كانت تنطق بصورة أكثر بطئاً وأناة ، إن الإجادة والتفصُّح في إيقاع النبر غير الزفيري يعطى بالطبع الانطباع بالبطء وعليه ستناقش الأسماء المختصرة مؤخّراً . ومن الواضح أن النبر ليس في سرعة النطق التي تتسبب في ظاهرتي المماثلة والحذف .

(٣) يثبت مييه (La method comparative: p,88-q) أن اللغات التي لا تُنْبَرُ فيها الفتحة تعامل بصورة مختلفة عن الضمة غير المنبورة ، أو الكسرة ذات النبر الطويل ، على ألا يكون حاداً ، وهذا ينطبق بالطبع على العربية الشرقية وكثير من العاميات ، ولست أدري علامَ اعتمد مييه في خبره هذا ، على أي حال إن فكرتنا عن النبر محدودة جداً ، بحيث يكون الاختلاف لفظياً .

ووُجِد في اللغة المصرية القديمة أنه مطابق لعامية عربية بعينها وهي اللهجة السورية .

وعلى العكس من ذلك ، لا يسمع مثل هذا النمط من النبر الزفيري في الفرنسية ، والإنجليزية الأمريكية واللغات الهندية ، والأمهرية . وفي اللغات التي اعتادت على هذا النبر اللهجي ، فإن الانطباع الأول بأن النبر فيها مطرد التغيير ، مذ ظهور النبر الزفيري الخفيف على المقاطع بفعل عوامل التفخيم وتوازن الجملة . حتى حذف الحركات لم يكن شائعاً في بعض اللغات دون النبر الزفيري ؛ ولكنه اختياريٌ ويمكن أن يؤثر في أي مقطع من الكلمة ، وإن الانطباع العام عند سماعه مختلف ومتنوع في مثل هذه اللغات ، وفي بعض الحالات كما في الفرنسية والأمهرية ، يبدو النطق غالباً مخلخلاً ومتقطعاً ، وفي لغات أخرى كالإنجليزية الأمريكية واضحاً جلياً ، ولا يمكن نبره بشكل كاف ، بحيث يصبح الأمر مزاجياً ، وقد وُوْجِهْنا بنقد شديد ؛ لأننا لم نحقق معالجة بالطريقة الصّوتية الحديثة .

إن التحوُّلَ من نظام فِي النبرِ إلى نظام آخر غَيْرُ شائع على الإطلاق . ومازالت الفرنسية ترينا دليلاً واضحاً من التأثيرات في فترة من النبر الزفيري القوي التي خلّفت في وقت مبكر انعدام النبر الزفيري في اللاتينية ؛ وفي الإنجليزية الأمريكية والإنجليزية البريطانية لدينا مثال من أنظمة مختلفة في لهجتين شقيقتين متلازمتين .

n- ١٢ - إن المعلومات عن النبر في العربية ضئيلة ، وقد أسس النظام الذي أقيم عليه النبر في العربية على يدي العلماء الأوروبيين (wright,i,27) على أساس من النبر في اللهجة السورية ، وهو نظام مختلف استخدم في مصر ، أقيم على العامية على نحو مشوّش ومعقّد وغير مباشر .

لم يلاحظ في القراءات القرآنية نبر الألفاظ ، وإن كانت تُشَدّد المقاطع من وقت لآخر (Mayer,Lambert,JA,1897,iii,407) . عندما تقرأ في العربية الأدبية في المغرب تلاحظ أن هناك شكلاً محدداً من التقطيع ، ويظهر تركيز على المقطع الأخير ، لكي يبرز الصوت بشكل أدق .

يمكن أن نفترض أن القراءات القرآنية قد احتفظت ببعض الآثار من النطق الحجازي ، ويعزز ذلك إلى أبْعَدِ مدىً ، وجود نمط من النبر في بعض عاميات العربية الغربية السابقة الذكر . في زنجبار ، النبر يؤدي إلى ضعف في الكلمة ، بما يستدعي عدم الانتباه إليها .

وشبيه بذلك في لهجة تدمر شبه البدوية التي لا تظهر فيها آثار النبر بوضوح إلى حد يمكننا القول معه إنه غير موجود . (كانتينو ، تدمر ص ١٠٣) .

إن البحث الدؤوب الذي قام به فيرث أستاذ علم الأصوات في جامعة لندن بمساعدة أحد تلاميذه المصريين ، قاده ،كما تلطف بإخباري ، إلى نتيجة مفادها أنه ليس في العامية القاهريّة نبر زفيري ، وإن كان فيها تميّز نحوي ، وفيها حذف معتاد في الحركات ، همس الحركات . . . إلخ خاصة في حديث النساء السريع ، ويمكن أن تؤثر هذه النساء في الصوائت الطويلة المنبورة بالإضافة إلى الصوائت القصيرة وغير المنبورة ، ولكن هذا التوافق الغريب بين النبر غير الزفيري والحذف الاختياري قد حظي بالوصف الدقيق من جويتين Goitein في معالجته للنبر اليهودي في وسط اليمن(١) : (Jemenica,p.17) يعتمد النبر في الكلمة ، بشكل كبير على إيقاع الجملة ، والتوكيد حسب وظيفتها في الجملة ، والقاعدة الأساسية التي يمكن تحديدها هي أن النبر يتراجع قدر الإمكان من نهاية الكلمة أو وحدة النبر . . .

يقول أشخاص بأعينهم مرة حسدوا ، ومرة أخرى احْسدوا ، وفي إحدى المناسبات : حُصْمَه ، وفي أخرى احْصَمَه ، أو خَشَّبَه واخْشَبَه(٢) . من الواضح أن التغير البدائي في النبر لا يسبب حذف الحركات ، ولكن على العكس فإن النزوع إلى حذف الحركات القصيرة يؤدي إلى حد بعيد ، إلى اختلاف وتنويع النبر في الصيغ المتشابهة نحوياً بتأثير التشديد أو إيقاع الجملة . وهذا الأمر ليس خاصاً باليمنية اليهودية ، وترينا عبارة روسّي وبتفصيل أقل (صنعاء ص٨) : يعتمد موقع النبر على التشديد في أثناء النطق ، وعلى موقع الكلمة في الجملة ، وعلى التشديد الذي يحصل في الكلمة . وكلام أهل ظفار مُقَطّع يبدأ من الأمام ويتراجع إلى الخلف (Rhodokanakis, Dhafar, ii, 67) حذف الحركة الاختياري أمر معتاد عليه (المرجع السابق ٩٥-٩٦) . ويبدو أن هذه الطريقة المتقطعة الفردية المزاجية مغايرة للطريقة الحِمْيَرية في الحديث في العصور القديمة ، التي توصف على عكس ذلك بأنها معقّدة ويجب أن نقول التقعّر (أي الإجادة والتفصُّح) . هذا التقعّر المزاجي إنه لدليل في العامية العدنية كذلك . وقد ذكر كانتينو وصفاً دالاً على هذا النمط من الإيقاع الأخير في

---

(١) المؤلف يشغله كثيراً إثبات الوجود اليهودي اللغوي المختلف عما حوله وهو ينضم بهذا إلى فئة من المستشرقين تتبّعت أصحاب الديانات الأخرى في الأوساط الإسلامية كلهجة المسيحيين في العراق/بغداد مثلاً واليهود في اليمن وكأنهم ليسوا عرباً أو يتكلمون العربية بمواصفات مختلفة عن ليسوا بإخوانهم وإنما (جيرانهم) العرب المسلمين وهو محض افتراء . (المترجم) .

(٢) لاحظ في هذه العامية أن الحركة محذوفة قبل النبر ولكن ليس كما في اللهجات الشرقية القديمة حيث تتبع الحركة النبر .

لهجة حوران ، حيث يتعلق الأمر بلهجة نادرة الاستعمال ، وتحديد مكانها ليس سهلاً ، عدا أن ترديد النبر فيها أقل . (حوران ص١٨٤ وفيه وصف أكثر تفصيلاً ص١٩٠) .

وفيما بعد فقدت لهجة حوران الكسرة والضمة غير المنبورتين ، وفي حالات كثيرة الفتحة ، وهي من هذه الناحية أشبه باللهجات البدوية المجاورة التي تحتوي على نبر زفيري قوي (Cantineau, Parlers, i,67) ويبدو أن هذا الوضع يشير إلى الامتزاج اللغوي في الماضي .

٥- ١٦ - ويبدو أن المقصود بهذا التقعُّر ما يطلق عليه اصطلاح «غمغمة قريش» (التاج ٩/ص٦) . ويفسّره المبرد في (الكامل ص٤٦٣) بقوله : «أن تسمع الصوت ولا يتبيّن لك تقطيع الحروف» . في بيت شعر[1] للشاعر الهذلي عبد مناف بن رَبَع (اللسان ١٤٣/٥١) يستخدم في العادة ، لتمتمة الكاهن المسيحي في صَلاته . وهي ، بلا شك ، لها علاقة بغمغيم gamgem العبرية المشناوية كما في ميغَمْغيم وقوريء mêghamgêm wê-qōre' (Bab. Talm. Berakhoth, 226) إنه يقرأ بسرعة بدون نطق واضح» . يحتمل في اللهجات العربية الغربية أنَّ الصوامت لم تكن تنطق بالقوة نفسها كما في اللهجات العربية الشرقية ، ولكن الوصف قد يتطلب أيضاً نمطاً من الإيقاع يفتقر إلى ما يميّزه من جبل أو واد .

في رواية اللهجات العربية المختلفة (فصل٣ ، فقرة ا) يعزو الكامل واللسان الغمغمة إلى قضاعة ، التزاماً بنقاء الكلام في مَكةَ ، ويبدو أن لغة قضاعة قد تميَّزت بسمة العجعجة . وهي التي اعتبرت من قبيل الشذوذ (الأشموني ٢١١/٤) ، إذ تبدل الياء بعد العين

---

(١) البيت كما جاء في اللسان مادة غمغم لعبد مناف بن رِبْع الهذلي وليس رَبَعاً كما ضبطه المؤلف ، والبيت على ما يبدو ليس له علاقة بغمغمة القس أو الكاهن المسيحي في صلاته إلا إذا أساء المؤلف فهم النص أو لم يقرأْهُ بدقة ، فالوصف للقِسِيِّ أي الأقواس وليس للقَسِّ أو القساوسة إذ يقول الشاعر :

وللقِسِيِّ أزاميلٌ وغمغمةٌ   حِسُّ الجنوب تسوق الماءَ والبَرَدا .

فالشاعر يشبه أصوات القسي (فالأزامل أو الأزاميل هي الأصوات المختلطة - اللسان مادة زمل) بصوت ريح الجنوب التي تحمل المطر والبَرَد . وللبيت رواية أخرى في مادة زمل يبدو أن المؤلف تغاضى عنها لأنها ينقصها لفظ الغمغمة ، والرواية الأخرى :

وللقِسِيِّ أهازيجٌ وأزمَلَةٌ   حِسُّ الجنوبِ تسوق الماء والبَـــرَدا (المترجم) .

جيماً[1] .

ولكن هذا التغير الصوتي ينسب في مكان آخر إلى طيء . ويمكن أن يكونا معاً من قبيل التلفيق (انظر فصل ١٤ فقرة m) . فالفعل عَجَّ يَعني ينحدر[2] والفعل عَجْعَج مرادف لغمغم لتخصصه بالثيران ؛ وعليه فإنه على الأرجح اسم آخر للتقعُّر نفسه ، مما يجعله غير محصور في اللهجات العربية الغربية . ويمكننا أن نخرج بالاستنتاج نفسه من اصطلاح «تضجّع» الخاص بلهجة قيس (ابن جني ، الخصائص ١/١١٤) ، الذي يبدو أنه يعني شيئاً مثل : الكسل وبطء النطق ، مما يعني أنه صورة من التقعُّر ، وعجرفية ضَبَّة (المرجع السابق) ربما تنتمي إلى نوع آخر من الوصف الصوتي . وقد فسَّرها ابن سيده (في اللسان ١١/١٣٩) بالتقعُّر ، وهو مصطلح يشير إلى سلوك متقعر أو متشدِّق في الكلام (انظر (Dozy, JA, 1869, ii, 172-3). .

p– ١٧ – ويبدو أننا بهذا نستطيع إلى حد ما أن نقيم حكماً مفاده أن العربية الغربية لا تشتمل على نبر زفيري ، وهذه السِّمة لحقت بالعامية المحلية الآن في مناطق اللهجات العربية الغربية ، وإلى بعض العاميات خارج الجزيرة العربية المرتبطة بالعربية الغربية ، كما يظهر لنا في العربية المغربية ، وإن كان الأمر ليس على إطلاقه . وهناك اهتمام بالتأثيرات اللهجية التي تظهر في العربية الفصحى إلى جانب العربية الغربية[3] . وعليه يمكننا أن نفترض أنه ليس في اللهجات التي أقيمت عليها ، نبر زفيري أيضاً ، وإنّ ما نجده في اللهجات الشرقية من نبر لهجي قوي لا بدّ أنها اكتسبته أخيراً نسبياً . وإن البحث عن أسباب هذا التغيير لهذا السلوك المتواتر يمكن أن يلقي الضوء على جذور تلك اللهجات ؛ ربما يشير إلى الحالة بين الفرنسية والتيوتونية[4] ، حيث فسِّرت التغييرات المشابهة بأنها من قبيل المزج اللغوي .

---

(١) فقد جاء في اللسان مادة عجج : «والعجعجة في قضاعة . . .يحوّلون الياء جيماً مع العين يقولون هذا راعجّ خرج مَعج أي راعي خرج معي كما قال الراجز :
خالي لقيط وأبو علج   المطعمان اللحم بالعشجّ (المترجم) .

(٢) لم يرد هذا المعنى في لسان العرب مطلقاً (مادة عج) ، ولكنه ذكر أنه بمعنى : رفع صوته وصَاح . (المترجم)

(٣) إن مفهوم النبر لم يكن معروفاً لدى النحاة العرب (انظر : شاده في محاضرة عن سيبويه ، ص٨٢) .

(٤) الشعب التيوتوني شعب جرماني قديم . (المترجم)

q– ١٨ – إن الفتحة الطويلة تمثِّل في العربية الفصحى ثلاثة صوائت في السامية الأم : الألف (الألف الآرامية ، الضمة الطويلة العبرية ، ê «الألف الممالة» العبرية وآخرها تمثل الحركة المزدوجة ai (في العبرية ai,eh ، وفي الأثيوبية ê–) . وما زالت هذه الحركات في لهجة الحجاز غير محدّدة ، فالألف القديمة ، كما في شرق الجزيرة ، لم تكن تُمال (سيبويه ٢٧٩/٢ ، ٢٨٢) .

إن رواة الحديث الحجازيين يحتجون لاستعمالاتهم بالحديث «نزل القرآن بالتفخيم» (السيوطي ، الإتقان : ص٢٢٠) وفي الواقع فإن عاصماً الكوفي ، ولم يكن حجازياً ، هو الذي كان ينأى بالألف عن الإمالة ، في حين تُعْزَى الإمالة بكثرة إلى تلميذه الكوفي حمزة وهو من قبيلة تيم الغربية (ابن يعيش ، ص١٢٥٢)[١] . والفتحة الطويلة التي وصفت في المصادر بأنها ألف خالصة (دون إمالة) (الداني ، اقتباس السيوطي ، الإتقان ص٢١٦) ، وقد يقال له التفخيم أو الفخامة (اللسان ٣٦٥/٢٠) . وبهذا لا يعني التفخيم أكثر من النطق الواضح والجلي والمتميِّز . (انظر الفقرة d السابقة) . وقد صنَّف الداني[٢] التفخيم إلى متوسط وشديد ويصف الجزري الأخير بأنه نهاية فَتْح الشخص فمه بذلك الحرف وقد سُمع في بلاد فارس خاصة في خراسان ، وقد ذكر بأنها قراءة ممنوعة ، ولكن هناك حالة واحدة من التفخيم الشديد ، أو كما يسميها مكي (النهاية ص٣١) ألف التفخيم ، ولم تكن مقبولة فقط ، بل كان يشار إليها في المخطوطات بكتابتها واواً بدلاً من الألف . وهي الألف الملحقة بصيغة الأسماء المؤنثة التي تنتهي بما يقال له في العربية بالألف والتاء المربوطة ، منذ رُسِمت

---

(١) إن أكثر من عالج الإمالة في اللهجات الشرقية هو جرونيرت ، وكان اعتماده بشكل كبير على السيوطي ، انظر كذلك Pretzl,Islamica,vi,318-25 (التجويد الأدبي القديم)

(٢) فقد جاء في الإتقان ط ١٩٩/١ المكتبة العلمية : «وأما الفتح فهو فتح القارىء فاه بلفظ الحرف ويقال له التفخيم وهو شديد ومتوسط» والعبارة في النشر أوضح ٢٩/٢–٣٠ : «والفتح هنا عبارة عن فتح القارىء لفيه بلفظ الحرف وهو فيما بعده ألف أظهر ويقال له أيضاً التفخيم ، وينقسم إلى فتح شديد ، وفتح متوسط ، فالشديد هو نهاية فتح الشخص فمه بذلك الحرف ، ولا يجوز في القرآن ، بل هو معدوم في لغة العرب وإنما يوجد في لفظ عجم الفرس ولاسيما أهل خراسان . . . وهو ممنوع في القراءة كما نص عليه أئمتنا وهذا هو التفخيم المحض– وممن نبه عليه أبو عمرو الداني . .» (المترجم)

الكلمات العربية وكأنها في وقف مطلق[(١)] ، حيث تختفي التاء ، ويعبّر عنها بالصائت الواو بحيث يكون منبوراً في آخر الكلمة . وقائمة الأسماء التي رُسِمت كذلك في القرآن الكريم هي الأسماء التي تحتوي على ألف قبل علامة التأنيث التي تنتهي بها ، وهي : الصلاة[(٢)] (الصلوة)[(٣)] ، الحياة (الحيوة[(٤)]) ، الزكاة[(٥)] (الزكوة) ، النجاة (النجوة[(٦)]) ، الغداة (الغدوة[(٧)]) ، مشكاة (مشكوة)[(٨)] ، مناة (منوة)[(٩)] ، ويجب أن يضاف إليها الربا (الربو[(١٠)])[(١١)] . وكلها ترسم بالواو (صلوه إلخ) في معظم المخطوطات القديمة ، والأعمال التي كتبت بالرسم القرآني ، ولكنها في بعض المخطوطات الكوفية كتبت ألفاً (GQ,iii,41) وهو الرسم الذي أصْبَحَ معتاداً عليه في العربية مؤخراً . ولم تترك روايات كتب التجويد شكاً بأن المقطع الأخير قد نُطِق في هذه الكلمات ضمة طويلة وليس ضمة ممالة . يقول مكي (المرجع السابق) إنه صوت بين الألف والواو المدِّيّة ويقارنه بالألف مع الصوامت المشدّدة[(١٢)] ، يعني

---

(١) في هذا المبدأ انظر : نولدكه (Biertage.p.7) ، وفيشر (Haupt Memorial,vol, (p402 note 1 و -Islam ica,iii,52).

(٢) في الأمثلة الآتية الهاء تمثل التاء المربوطة .

(٣) في مثل : ٣-البقرة ، ٨٣-البقرة ، ٧٨-الحج وغيرها .

(٤) ٨٥-البقرة وكذلك الآية٨٦ وغيرها .

(٥) ١١٠-البقرة ، ٧٨-الحج ، ٤-المؤمنون وغيرها .

(٦) ٤١-غافر .

(٧) ٥٢-الأنعام ، ٢٨-الكهف .

(٨) ٣٥-النور .

(٩) ٢٠-النجم .

(١٠) ويقول الزمخشري ثانية في الكشاف (ص١٧٩) إن الخط يمثل نطق الذين قالوا «ربّا» بالتفخيم في المفصل ص١٦٠ ينصح في الألف بالإمالة . (المترجم)

(١١) وردت ثلاث مرات في ٢٧٥- البقرة .

(١٢) والنص في كتاب «الكشف عن وجوه القراءات السبع» لمكي بن أبي طالب : ٢٠٦/١ : «فإن وقع قبل هاء التأنيث ألف منقلبة عن واو ، فلا سبيل إلى الإمالة نحو الزكاة والصلاة ، وعلة ذلك أنك لو أملت ما قبل هاء التأنيث في هذا لأملت الألف ، ولم تقدر على امالة الألف حتى تميل الفتحة التي قبلها نحو الكسرة فيخرج الأمر إلى حكم ذوات الواو وذلك غير مروي عن أحد ، ويصير إلى إمالة ألف منقلبة عن واو ثالثة وهذا غير جائز . . .» . (المترجم)

أنه تقريباً مثل الصامت الإنجليزي في كلمة what (انظر : Gairdner,phonetics,p.42).

ولا داعــي للتـفـكـيـر بــأن هنــاك كلمـات أخـرى يجب أن تعـامل في الوقت نفسـه مـعـامـلــة مـخـتلفة نحو : غَزَاة ، رَجَاة ، إذا وردت في القرآن الكريم (هذه وجـهـة نظر بارت : Nominalbildung,p.409) منذ عُـدَّت بعض الكلمـات غـريبـة ، لا نسـتطيع أن نجـادل بأن الضمة الطويلة الممالة ō تمثل صوتاً أجنبياً في صلاة ، زكاة ، حياة ، ومشكاة ، (من الآرامية : صلوثا sêlōthā وزاكوثا zākûthā ، حَيُوثا hayûthā[1] ، والإثيوبية مـاسكوت maskōt[2] على التوالي)[3] ، خاصة أن هذه الألفاظ قد عوملت في غير القرآن معاملة متماثلة تماماً .

قرأ الكسائي الكوفي مشكاةبالإمالة (البيضاوي : ٢/٣٢) ، والزمخشري يقضي بإمالة الربا (المفـصّل : ص١٦٠) . في الرسم القـرآني تكتب ألفـاً وليـسـت واواً ، حين يلتـصـق بالكلمات لاحقة ما : يمكننا أن نستدل على أن الألف ā كانت تنطق بعد ذلك بصورة أقل كالضمة الطويلة الممالة ō .

r – ١٩ – يبـقى للنقـاش البـحث عن الأسـاس الذي أتاح لهـذه الضـمـة الطويلة الممـالة ō أن

---

(١) (سرو) Sarauw في (Zass,xxi,43) ينكر أنْ تكون الكلمة مقترضة ، مهما كان مستوى حياة العرب ويمكننا أن ندير المناقشة نفسها حول existباعتبارها كلمة أنجلوساكسونية . الكلمات العربية المحلية كانت : «عُمْر» و«عَيْــش» . فــي الواقع إن كلمة حَيَوان مشتقة من الجمع من الكلمة الآرامية نفسها (حَيُوثا hayutha أو حيوْثا hewtha) بمعنى الحياة المعيشة .

(٢) الاستنتاج لنولدكه :(New Beitrage.p,51) ولست سعيداً مطلقاً به ، ولكن أفترض أن الكلمة الإثيوبية مقترضة من العربية الحجازية ، والحجازيون أخذوها من آرامية يهود الجزيرة العربية الذين استخدموا ماسكيث (maskîth (Ezek,viii,12 بالمعنى نفسه . وفي الترجوم نجد فجوة السرير في غرفة النوم ترجمة لـ hadrey maskîthā وعليه فإن maskîth تعني الفجوة ومن ثمّ المشكاة . إن استعمال الكلمات العبرية بإشارة غير مباشرة يبدو أنها مألوفة من اليدش ، والعربية اليهودية اليمنية .

(٣) ورد في المعرّب للجواليقي ص٤١٩ عن كلمة صلوات التي وردت في الآية ٤٠ من سورة الحج «وصلوات» هي كنائس اليهود وهي بالعبرانية صَلُوتا ويذكر المحقق في الهامش : «قال الزمخشري . . . ، هي كلمة معربة أصلها بالعبرية صلوثا» وينقل عن اللسان مادة صلا : «روى ابن عباس أيضاً أنها عبرية» ، وأما المحقق فيرى «إن كانت معرّبة فهي من السريانية بيث صَلُوثا أي بيت الصلاة ويطلق على المعبد» . كل ما ذكر يدل على أن الكلمة سامية الأصل ونطقتها اللغات المتفرعة وهي التي كانت بمثابة لهجات للسامية الأم ، كل بطريقتها فنطقت في العربية صلوات ، وفي العبرية والسريانية صَلُوث وعليه فهي ليست معرّبة عن السريانية أو الآرامية أو العبرية . (المترجم) .

تقف بإزاء فونيم الفتحة الطويلة ā . فالكلمات الشقيقة لهذا النوع من جذور ثالثها الواو ، ويؤكد برافمان Bravmann (Orientalia,ix,51) بأنها على مثال : فَعْوَه ، وعليه «وَ» تتحول إلى ضمة ممالة طويلة ō أحياناً ، وتبقى أحياناً كلمة أخرى ككلمة نَجْوَى[1] في القرآن . ولكنّ هذا يعني إيراد قياس غير ضروري للفوضى الصوتية . وأكثر من هذا علينا أن نتوقع وجود مثال فُعَاه وفِعاه ، ما دام مثالا فُعْوَه وفِعْوَه يترددان كثيراً ، في نهاية الأمر ، إذا تحوّلت وَ- waإلى ضمة طويلة ō علينا أن نتوقع الأمر نفسه قبل اللواحق ، أو أن تبقى كما هي (وَ) في الموقع نفسه . وعلينا ، لذلك ، أن نتكتم على وجهة النظر القديمة التي ترى في هذه الأسماء ، الصيغ الأصلية لفِعَوَه (Barth, loc, cit,Brockelmann, GVG, i,349) لا يوجد في العربية أسماء على مثال فَعَوَه : كان الثُلحَرْف[2] يختصر في جميع مواقعه بالفتحة الطويلة ā ، في لهجة الحجاز وغيرها . وهو ما يوازي تماماً في الإنجليزية الجنوبية par في power .

ولا يوجد في لهجة الحجاز الفونيم- ō منفصلاً ، وإنّ رسم الواو منفردة يمثل المواقع المتنوعة للفونيم ā (أي منبورة في آخر الكلمة) حيث تنطق أشبه بالضمة الطويلة ū أكثر من أي موقع آخر ، وبلا قصد يتوافق هذا مع الحالات التي تطوّرت فيها الفتحة الطويلة ā عن الصيغة القديمة awa. إذا نطقت الألف ضمة طويلة مُمَالة (ā مثل ō) ، في هذا الموقع البارز على وجه الخصوص لا بد أن تكون في الأساس حركة خلفية كما في father الإنجليزية ، على الأرجح إنها تمال نحو ō (الضمة الطويلة الممالة) ، على الأقل في الموقع الأخير . وكذلك في المقاطع المنبورة غير الأخيرة . وإثبات ذلك قد جاء من عبارة لابن منظور (ت٧١١هـ-١١٣١م)[3] في اللسان (٣٧٤/١٤) : تفخيم الحروف مناقض للإمالة ، وألف التفخيم صوت بين الفتحة الطويلة والضمة الطويلة التي تسمع أحياناً في : سَلُومُن عليكُم ، وقُوْمَ زيدٌ (السلام عليكم ، وقام زيدٌ) . ومن أجل هذا كتبت الصلاة والزكاة والحياة بالواو ،

---

(١) وهي ما ارتفع من الأرض فلم يَعْلُه السيل (اللسان مادة نجا) في الآيات ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٣ - وغيرها من المجادلة . (المترجم) .

(٢) أي الأحرف الثلاثة التي تصوِّر صوتاً واحداً كما في الإنجليزية . eau- beauty (المترجم)

(٣) إنه لمن المستغرب أنّ مؤلف اللسان يذكر نفسه بالاسم ، ولا أعرِفُ شخصاً آخر بهذا الاسم . ويبدو أن اسم عائلة الفراء فيها اسم ابن منظور . ولكن ما الداعي إلى زجّ هذا الرجل المشهور فجأة بهذه الطريقة المستورة .

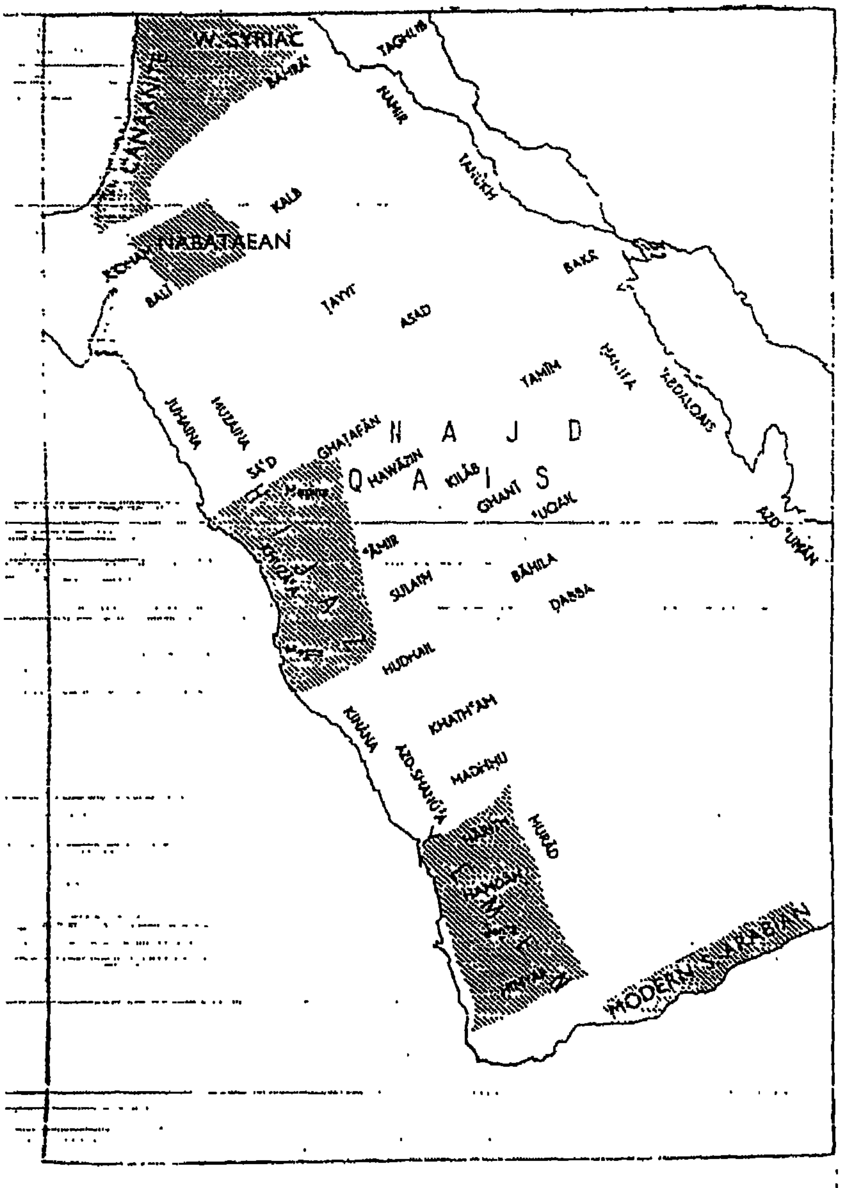
لأن الألف (الفتحة الطويلة) في هذه الكلمات تمال نحو الضمة الطويلة ، وابن منظور هنا يصف استعمالاً في عصره ، تماماً كالذي حدث مع قراء القرآن ، أو لأنه كان قاضياً في طرابلس في شمال إفريقيا ، قد سمع مثل هذا النطق في عامية مشابهة لما ينطق في ريف مالطا (انظر : Brock elmann,GVG.i,124).

s– ٢٠ – إن الضمة الطويلة الممالة ō باعتبارها صورة ممثلة للألف (الفتحة الطويلة) في بعض اللغات الجنوبية العربية الحديثة وعلاقتها المحتملة مع العربية الغربية قد نوقشت في الفصل الرابع فقرة e بالنسبة للشمال فقد عرفنا جيداً تغيير الألف المنبورة إلى الضمـــة الطويلة في كنعانية تل العمارنة ، وفي العبرية ، والفينيقية (انظر Bergsträsser, Hebr Gramm.,I,143) تنطق الألف ضمـــة طويلة ممالة في السريانية الغربية ، ويحدث تغيير في مَدٍّ نبر الفتحة فتصبح ضمة طويلة ممالة أثناء قراءة العبرية في شمالي فلسطين بين ١٠٠–٣٥٠ بعد الميلاد (المرجع السابق ، ص٥٩)[1] . ويحصل التبادل نفسه في اللغة المصرية (انظر : sethe,ZDMG,lxxvi,167,Gardiner,Grammar,p.427)[2] ، أما بالنسبة لنطق الألف القديم ، في شمال العربية الغربية ، بصورة ضمة طويلة ممالة فقد تطوّر ؛ بالنظر إلى أن عدداً من الأسماء السورية والفلسطينية التي تحوّل فيها الصوت الأجنبي ō إلى الألف العربية (إن في قائمة Fraenkel,Fremdworter,pxvii زاد سليمان= شيلَمُون Shelemon في السريانية) . لقد قام المواطنون العرب في حديثهم بدمج الضمة الممالة الطويلة بألفهم المنبورة ، بينما عرب آخرون ، وقد أدركوا أن هذه الضمة الطويلة الممالة في تلك اللهجة تماثل ألفهم ، قاموا بإبدال

---

(١) حسب كاله (Cairo,Geni3a,p.52) فإن تغيير القامص (في العربية الألف والفتحة الطويلة) إلى ضمة ممالة قد حدث في العبرية الفلسطينية في الوقت نفسه الذي حدث الأمر نفسه في السريانية الغربية . وكلاهما في القرنين السابع والثامن الميلاديين ، وهذا التاريخ إذا كان صحيحاً فإنه سيتلاءم بصورة أفضل مع النظرية التي تقول بالأصل العربي للتغيير الصوتي .

(٢) لا يُمْكِنُ بالطبع الاحتفاظ إلى مدى بعيد بنظرية بريتاريوس (ZDMG,liv,369) التي ترى أن هناك تبادلاً بين الألف والضمة الطويلة الممالة في الكنعانية ؛ لعدم وجود مادة متاحة من غير السامية ، وإذا كان وجود المادة ضرورياً من أجل تعليل التغييرات الصوتية ؛ يجب أن نفترض حالة من حالات العربية الشرقية مسبوقة بالفتحة .



الخريطة رقم ١٢

المواقع التي رسمت فيها الألف واواً مدية (ضمة طويلة ممالة) (الفصل العاشر- الفقرة s

الأخيرة بالأولى .

ما زالت الفتحة الطويلة (الألف) تنطق ضمة طويلة ممالة في بعض أجزاء شمال فلسطين , (Bergstrasser sprachtlas,p.22) وفي جبال شمال سوريا (Littmann, Volkspoesie, p.8). وربما أن عرب هذه المناطق قد غيَّروا إلى حد بعيد ومنذ العصور الإسلامية المبكرة في أثناء هجرتهم من البادية ، ذلك النُّطق الذي يبدو أنَّه انتشر على نطاق واسع في القرون الأولى . مما يجعلني أفكر بجدية فيما إذا كانت التغيرات الصوتية في العبرية المتأخرة والسريانية التي ذكرت آنفاً ، قد حدثت بتأثير التزايد المستمر من السكان العرب . إن بدايات مدينة إدسًا[١] كما هو معروف جيِّداً متصلة تماماً بالعناصر العربية . وبالقرب من الحجاز فإننا نجد الواو حيث يجب أن توجد الألف ā في النقوش النبطية ، في كل من الأسماء العربية والألفاظ الآرامية الخالصة (Cantineau, Le Nabateen,i,48) الأمر الذي يمكن أن نتتبعه كلما ظهرت الواو (الضمة الطويلة الممالة) مكان الألف ā (خاصة قبل النون) في لهجات الآرامية الغربية الأخرى (Dalmann,Gramm,p.89,175) وقد اعتبر جويدي (Revue Biblique N.S.Vii,425) هذه التغيرات بأنها انعكاسات للغة النبطيين العرب ، وربطها بألف التفخيم الحجازية . وهؤلاء العرب ، بالطبع ، تكلموا بما يجب أن نطلق عليه لهجة ما قبل العربية Proto-Arabic. في نقوش ما قبل العربية Proto-Arabic خاصة ، حيث لم تكن تكتب الصوائت الطويلة في خطها ، لا يوجد دليل على وجود الألف ، ولكننا قد نجد هجاء استثنائياً كما في الكلمة الثمودية mnwt «مناة» (Ryckmans Nomw Propreo,i,19) والصفوية slwm «سلام» (Dussaud-Macler,No11) باعتبارها أدلة على أن من نطق الألف واواً مدية طويلة لم يكن مستغرباً منه في تلك اللهجات[٢] .

---

(١) مدينة إدسًا : تقع في الجنوب الشرقي لتركيا سكنها قبل الميلاد الحثيون والآراميون والآشوريون . وكانت بعد الميلاد عاصمة لدولة الرها وانطلق منها المبشرون باعتبارها كانت مركز الكنيسة الشرقية . وفتحها العرب ٦٣٧م ، وتوالى على حكمها بعد العرب ، عباسيين وأمويين ، الصليبيون والأيوبيون والمماليك والعثمانيون . . .(المترجم) .

(٢) إن أقدم شاهد للألف المنبورة ضمة طويلة ممالة في لهجة عربية قد يكون اسم كاهن مدْيَن-يثْرو ، والد زوجة موسى ، وإذا كان حقاً هو يثْرى أحد أسماء الإسماعيليين تكون لهجة مَدْيَن قد اجتازت هذا التغيير الصوتي ، الذي حدث في العربية الغربية الشمالية في الوقت الذي حدث في الكنعانية .

إن رسم الضمة الممالة الطويلة ō واواً هو بالطبع ، من خطِّ الكتاب الآراميين ، وبالنسبة للنبطيين العرب كانت الضمة الطويلة الممالة ō جزءاً من فونيم الألف ā . وقد حدث مثل هذا في الواو آخر الأسماء (الفصل السادس الفقرة g) حيث قام الكتّاب العرب بتقليده في لغتهم ، ولكنه استبعد أخيراً بعد أن وقف النظام الكتابي العربي واستقر على قدميه . إن الاحتفاظ بالواو المصطنعة في الكلمات الخاضعة لبحثنا هنا ، ربما لا يعود تماماً لخصوصية صوت الألف في هذه الكلمات ، بل يمكن رده إلى الحقبة التي كان فيها استخدام الألف للتعبير عن الفتحة الطويلة في وسط الكلمة غير معروف . واحتُفظ بالواو باعتبارها وسيلة كافية لتمييز الكلمات التي تنتهي بالألف والهاء āh- عن علامة التأنيث العادية التي تأتي في أواخر الكلمات[١] . ومما يعزز هذا أن كلمة صلاة لم ترسم في المخطوطات ، فيما أعلم ، على الشكل : صَلَهْ[٢] .

t- ٢٠ - إن الكلمات الآرامية المقترضة : حياة ، صلاة ، وزكاة لافتة للنظر من جانب آخر : فالنهايات الآرامية : أوثا- ûthā دون إمالة ، أوثا- ōthā بالإمالة ، تمثلها في الكلمات النهاية : آه- āh- بينما تمثيلها العادي في العربية يكون بـ أوت ût- بالتاء العادية في كلمات دالة على الذكورة[٣] . (انظر,Fleischer, Kleiner schriften) I,172 seq.. وقد عُرِّبَت هذه الكلمات تماماً ، وقد يستدل على أصْلِها من المحيط الاجتماعي عن طريق الاتصال المباشر بالناطقين بالآرامية ، الذي يفترض أن

---

(١) قد يقصد أن مثل زكوة وصلوة كتبت بالواو للتعبير عن الألف ، لكي لا تلتبس بالكلمات التي تنتهي بهاء التأنيث المسبوقة بالألف نحو : حصاة ، فتاة . (المترجم) .

(٢) يمكننا أن نستعمل هذه الخصوصية الحجازية أيضاً لبيان أن قيُّوم مشتقة من الآرامية «قيّام» . ويجب أن يتخذ من الرسم القرآني «قيوم» دليلاً على ذلك . إن تذكّر هذا يمكن أن يكون قد جاء في خبر عن الفراء في معاني القرآن ١/ ١٩٠) من أن «الحي القيوم» آية ٢/آل عمران . قراءة عامة ، وقرأها عمر بن الخطاب وابن مسعود «القيَّام» وقد اعتبرت الصيغتان حجازيتين صحيحتين ولكن «قيّاماً» أكثر شيوعاً . وقد يكون محتملاً أن اللهجة الآرامية التي أخذت منها الصيغة ، قد أحدثت فيها تغييراً شفوياً فنطقت الألف ضمة طويلة أو أنها نطقت ألفاً طويلة بصورة ضمة طويلة ممالة كما يفعل اليهود اليمنيون في أيامنا هذه .

ويلاحظ أن المؤلف قد ذكر أن اللفظ قد ورد في الآية ٢١ من سورة آل عمران وهي في الآية الثانية) . (المترجم) .

(٣) قد يقصد كلمات مثل : ملكوت ، طاغوت ، جَبَروت مما سيذكره فيما بعد . (المترجم)

يكون المدينة ، ويحتمل ألا تمثل هذه الكلمات الصيغ التي تنتهي بـ ûthā أوثا على الإطلاق . ولكنها الضمة الطويلة-û- تمثل الوضع الأقدم مطلقاً -Baur) Leander,Bible.Aram.,p.244,Dalman,Gramm.p 194) الذي بقي حياً في كلام يهود الحجاز[1] مدة طالت أكثر من أي مكان آخر ، فغالباً ما تحتفظ الجاليات بالألفاظ المهجورة . إن صيغاً مثل : زكُوا zakku (دون إمالة) وصَلُوة salō (بالإمالة) لها وقع في آذان عرب الحجاز شبيه بالكلمات المحلية نحو : نَجُوة= بمعنى نجاة . وهناك وسيلة أخرى لتكييف هذه الكلمات مع النماذج العربية ، بإمكانية ردها إلى الأصل المطلق ، الذي يمكن أن تمثله : مَلَكوَة «ملكوت» ، (ملخوثا– malkhûthā) ، وجَبَرُوه «جبروت» (في السريانية -gabhrûthā بمعنى العنف) .

u- ٢٢ – لقد نشأت مشكلة خاصة مع الربا ، وهي لا تناظر ribbitha الآرامية اليهودية . ولا rebhîthā السريانية ، ولا rbhāyā السريانية وتختلف عن الصيغ الأخرى موضع البحث لعدم انتهائها بعلامة تأنيث ، يقول القسطلاّني (٢٦/٤) إن بعضهم قال رِماء في رِبا ، وهل يمكن أن يكون قد حصل خلط في العربية بين رِبي ribî من رِبِّيثا ribbîthā (المرابّاه) ، ورمَاه ramāhمن رِمْيُوثا ramyûthā (الخداع) ، وربما يعود هذا إلى الاستعمال الواسع لكلمة رِبا العربية ؛ لما لها من دلالة على أي نوع من البيع غير الشرعي (ابن حجر- فتح الباري ١٢٧/٤) .

v- ٢٣ – إن النتائج تجرنا إلى البحث في كلمة تابوه[2] المدنية للتابوت (قاسم بن معن ، الصحاح ٣٣/١ ، ابن جني : المحتسب ، ص٢٥ ، وابن خالويه : البديع ص١٥) التي يصفها نولدكه (GQ,isted.,p.2) بالرهيبة البغيضة ، ويكون من الواقعية إذا حاولنا أن نردها إلى الكلمة الأثيوبية تابوت ، ولكن تلك الكلمة ، كما في العربية ، قد أُخِذت من الكلمة الآرامية الفلسطينية : têbhûthā, têbhōthā ، وهي

---

(١) يصر المؤلف على تأكيد صلة اليهود اللغوية في العربية ولهجاتها ، وعلى نفي الأصالة العربية لهذه الكلمات ، فإذا لم تكن آرامية الأصل فقد تكون عبرية أو متأثرة بلهجة العبريين .(المترجم)

(٢) ٢٤٨-البقرة ، ٣٩-طه . وقد ذكر ابن جني في المحتسب ١٢٩/١-١٣٠ : قال أبو بكر بن مجاهد : «التابوت» بالتاء قراءة الناس جميعاً ، ولغة الأنصار التابوه بالهاء ، وعامة عقيل تقول في الفرات : الفراه بالهاء في الوصل والوقف ، ومن الجدير بالذكر أنهم في منطقة الجزيرة شمال سوريا ينطقون الفرات بهذه اللهجة أي فراه . (المترجم)

المشتقة بدورها من العبرية[1] tebah. إن تحول المقطع e في العربية إلى a من الصعب تفسيره إلاّ من خلال مرور الكلمة أولاً عبر اللهجة الحجازية (انظر الفصل .x seq).

في المدينة ، صارت tebhûthā ، طبقاً للقاعدة ، tābāh (تاباه) ، كتبت بالواو كالعادة[2] . في حين في مكة تمت الغلبة لأحدث صيغة وهي تابوت التي كانت ، بناء على ما ذكره ابن مجاهد (في اللسان ٢٢٧/١) تستعمل من سائر الناس (قراءات الناس) ، وفرضت من الأعضاء المكيين في لجنة كتابة القرآن بالرغم من مقاومة[3] زيد بن ثابت (GQ,ii,57) . لقد أخفق العلماء العرب أخيراً في ربط الصيغة المدنية المكتوبة بالصيغ المعروفة تماماً مثل : صلاة ، ولا بد أن تكون اللغة الأثيوبية قد عرفت الكلمة بطريقة ما بوساطة اللهجات العربية الغربية عبر قنوات ليست معروفة لدينا بعد .

لقد عرفت يهود المدينة كلمة tebhûhā ، ومما يعزز ذلك ظهور كلمة تابوت اسماً لأحد يهود الحجاز عن ابن هشام (ص٣٨٩) ، وانظر : Horovit3,Koranische untersuchungen,p157.

w- ٢٤ - في الختام ، إن الأسماء التي ناقشنا أمرها يمكن أن تعطينا مفتاحاً يحل لغز وضع «وا» مقابل ā'u- اؤ الموجودة في المصاحف القديمة (GQ, iii, 47) يفترض

---

(١) هاجس المؤلف الذي يشغله هو إسناد الظواهر الصوتية في الكلمات العربية ، ورد هذه الكلمات إلى أصول عبرية ، وغاب عن باله أن هذه الألفاظ من اللغة السامية الأم توزعتها فروعها (التي كانت يوما ما لهجات) ونطقتها بكيفية مختلفة عن الأخرى مع تباعد الشقة بينها ، ولكنه نطق لم يبعدها عن الأصل المأخوذ من السامية الأم ؛ وعليه فلا نستطيع أن نثبت هذه الكلمة للغة دون غيرها من الساميات ، وهو التفسير الذي يمكن تقديمه دائماً لمثل هذه الحالة . (المترجم) .

(٢) يقصد كتبت تابوه .

(٣) لقد وهم المؤلف في نقله أن هناك خلافاً وقع عند كتابة الكلمة بين زيد بن ثابت يؤيده الأنصار والأعضاء المكيين عند كتابة القرآن الكريم بعد جمعه وكأنهم انقسموا فريقين (فريق مدني ومعهم زيد بن ثابت مالوا إلى تابوه وقرؤوا بها وفريق مكي مال إلى تابوت) ويبدو أنه استند في ذلك إلى أن زيداً والأنصار ومعهم أُبَي قرؤوا التابوه ، والجمهور قرأها التابوت ، لأن كتب القراءات والتفسير لم تسجّل خلافاً سوى الاختلاف في القراءة وهو ما نقله البحر المحيط ٢٦١/٢ حيث قال : «قرأ الجمهور التابوت بالتاء وقرأ أُبَي وزيد بالهاء وهي لغة الأنصار» . (المترجم)

برجستراسر (المرجع السابق) أنها تمثل اوا ، حيث تكون الواو منزلقاً إلى الهمزة (انظر : الفصل ١١ ، الفقرة bb) أي : ãwn<ã'u ، (اوُّ<اوٌ) والألف الثانية هي ألف الوقاية[١] (wright, i, 11). وهو أمر يجري على نحو مضاد لنهج الرسم القرآني في كتابة الكلمات كما تبدو عند الوقف . في ذلك الموقف تصبح ã'u- اوًا ألفاً ã –(ما دامت الهمزة كانت تسهَّل أو تُحذف في الحجاز) ، مما ييسّر كتابتها واواً ، وهكذا تُقْرَأ ضُعَفَؤُا[٢]= ضُعَفُوا ، وأنبؤا[٣]=أنبوا . .إلخ . (انظر : فوللرز : ,volkssprache p.103). إن الألف بعد الواو إما أن تكون ألف الوقاية أو هي ما تبقى من الهمزة . وعلى افتراض أن اوًا تتوافق قليلاً أو كثيراً مع أمثلة الألف (ol -ah) يمكننا أن ندّعي أنها السبب في رسم اللواحق الأخيرة ، كما في : أولياهم= أولياؤُهم(GQ,iii,64). والرسم المستعمل في المصاحف الكوفية : «او» (انظر : المرجع السابق ص٧٤) يحتمل أن يكون ممثلاً للصيغة الشرقية (–أوْ) ، ولكن الرسم الذي اعتيد عليه في العصور الوسطى العربية اء (ورمز الهمزة ، بالطبع ، أضيف مؤخراً) يحمل شاهداً على ما افترضناه من قراءة للصيغة الحجازية المذكورة سابقاً ، التي تحل محلها ، كالعلاقة نفسها بين صلاة وصلوه .

x– ٢٥ – وهناك دليل ما على أن السامية الأم تمتلك ، إلى جانب الحركات العربية الثلاث ، صائتاً آخر طويلاً : ê (الفتحة الطويلة الممالة) .إن مسألة وجود صوت كهذا كانت موضوعاً لمناقشة حارة بين بارث Barth وفيشر Fischer . انظر : -references in Sa rauw, ZASS, xxi, 35-6) وإن بعض المراجع البارزة الحديثة مثل Bauer-Leander (Histor.,Gramm,p.392) ثم F.R.Blake (JAOS,lxv,111) ينكرون هذا الأمر الأكثر حداثة تماماً . وآخرون يقرّون به بفتور نوعاً ما ، أما بروكلمان(GVG,i,141) فيعترف بوجودها ولكنه لم يخصص لها مكاناً في مناقشة الظاهرة نفسها التي قادت الآخرين للتسليم بوجود مثل هذا الفونيم .

---

(١) قد يقصد الألف الفارقة .

(٢) ٢١ - إبراهيم :﴿وبرزوا لله جميعاً فقال الضُّعَفَؤُا للذين استكبروا . . .﴾ الآية . كذلك في سورة ٤٧–غافر : ﴿وإذ يتحاجُّون في النار فيقول الضُّعَفَؤُا للذين استكبروا . .﴾ . (المترجم)

(٣) على سبيل المثال في الآية ٥ من سورة الأنعام : ﴿فقد كذّبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنبؤا ما كانوا به يستهزءون﴾ . (المترجم)

أما برجستراسر (Hebr Gramm., ii144) فيولي اهتمامه للجذر الأجوف اللازم بالاستعانة بالفونيم ê (الفتحة الطويلة الممالة) في السامية الأم، ولم يأبه بمناقشة الفونيم نفسه باعتباره حركة في السامية الأم، وعلى وجه الإجمال فإن البيان يفضي إلى تعزيز وجود الفونيم e (الفتحة الطويلة الممالة) في السامية الأم، وإنه لا يوجد شيء غير محتمل أصلاً إزاء نظام يمتلك صوائت طويلة أكثر من الصوائت القصيرة، بمقارنة النظام الثلاثي للصوائت الطويلة في العربية الفصحى: الفتحة الطويلة (الألف ا= ā) والضمة الطويلة (الواو المدية= ū) والكسرة الطويلة (الياء المدية=ī)، الذي كان في السامية الأم رباعياً: ê (الألف الممالة)، ā ,ī ,ū.

من الواضح أن الألف في مثل هذا النظام كانت حركة خلفية[1]، ولهذا كانت الضمة الطويلة الممالة الحجازية الكنعانية، كصوت الألف (الفتحة الطويلة)، تشير إلى أنها موروثة من الكلام العام الشائع وهذا يتيح لنا إلى حد ما أن نفترض، استناداً إلى التشكيل الصوتي المتوازي، أن هذه الألف قد صوِّتت بصورة أقصر (أكثر من الضمة الطويلة الممالة) في المقاطع المفتوحة المنبورة. قياساً على نطقها وافية في مواقع أخرى، ولذلك فإنّ الفونيم ê (الألف الممالة أو الفتحة الطويلة الممالة) هو الصوت الوحيد الذي يصوِّت كذلك في المقاطع المفتوحة المنبورة، وإلا فإنها تنطق ae بالإمالة بين بين، وهذه الحقيقة هي التي سببت في النهاية تزامنها مع الألف في العربية الشرقية في فونيم بمدى يختلف عن الفونيم ê (الألف الممالة) بجوار الكسرة أو الياء، مروراً بـ: آ والألف، إلى ضمة طويلة ممالة بجوار الحروف المشدّدة.

إن الإشكالية في هذا الفونيم السامي الأصل الألف الممالة ê أنه لم يؤثر حتى الآن إلاّ في الصيغ ذات الجذور المعتلة العين واللام (أي الأجوف والناقص)؛ باعتبارها أيضاً علامة تأنيث في نهاية الكلمة. فضلاً عن صعوبة فصلها عن الفونيم ê الذي انبثق في لغات مختلفة من خلال عوامل صوتية متنوعة بعيداً عن الكسرة الطويلة. والفتحة الطويلة العربية الغربية هي الوحيدة التي لا تمتلك، بقدر ما أعلم، مثل هذه الألف الممالة ê أصلاً ثانوياً. لذلك إذا أمكن البرهنة على وجود هذه الألف الممالة ê في حديث منفصل هنا، فإنه سيكون حجة دامغة لصالح الجانب الذي يعتبر هذا الصوت من السامية الأم.

y- ٢٦ - إن الألف في شرق الجزيرة العربية في أفعال الغيبة الماضية الجوفاء لم تتأثر

---

(١) أي تقع نقطة نطقها في الجزء الخلفي من التجويف الفموي، عند تقويس الجزء الخلفي من اللسان في اتجاه الطبق. (المترجم)

بالإمالة ، وتمنع الإمالة ؛ حتى وإن اقتضتها الأصوات المجاورة ، إذا اتصلت بالصوامت المفخمة واللهوية (سيبويه : ٥٨٢/٢)[١] . في الحجاز ، لا توجد إمالة بأي حال[٢] (المرجع السابق : ص٢٨٤،٢٧٩ ، كذلك فصل (q) ومع ذلك فإن بعض الأفعال الجوفاء الحجازية نطقت بالإمالة ، بالرغم من أن أصول عدد منها مفخم أو لهوية نحو : هِيبَ (هاب) ، وخِيفَ (خاف) ، وطِيبَ (طاب) ، وصِيْر ، ومِيتَ (مات)[٣] .

وقد سمع أبو إسحاق[٤] (ربما يكون القارئ الكوفي عمرو بن عبد الله السَّبيعي ت١٣٢هـ-٧٥٠م) الشاعر الحجازي كثيِّر عزَّة (ت١٠٥هـ-٧٢٣م) قد قال : صِيرَ (صَار) . وبعض الحجازيين الذين استعملوا هذه الصيغ . وربما تتيح لنا حكاية كُثيِّر أن نخمِّن أن كبار السنِّ هم الذين تكلموا بالإمالة (سيبويه ٢٨١/٢) .

ولقد قرأ حمزة الكوفي بالإمالة كاملة في حين قارئ المدينة نافع قرأ بالإمالة بين بين

---

(١) في الكتاب ١٢٨/٤ (ط هارون) : «الحروف التي تمنعها (الألف) الإمالة هذه السبعة : الصاد ، والضاد ، والطاء والظاء والغين والقاف والخاء إذا كان حرف منها قبل الألف والألف تليه» . (المترجم) .

(٢) يبدو أن المؤلف يعتمد فيما ساقه من نفي تام للإمالة عند الحجازيين على قول سيبويه ١١٨/٤ : «وجميع هذا لا يُميله أهل الحجاز» ولكنه (أي المؤلف) يستثني ، ويعدِّد حالات من الإمالة عند الحجازيين . هذا يدل على أنه ، بقصد أو بغير قصد ، لم يمعن النظر فيما قاله سيبويه الذي لم يرد نفي الإمالة عند الحجازيين على الإطلاق وإنما أراد بالحالات التي سبقت عبارته أي الحالات التي وردت في الصفحة السابقة أي في ١١٧ . (المترجم)

(٣) بالإمالة في الأفعال الثلاثة ، وعن السيرافي في هامش الكتاب ١٢١/٤ : أما إمالة خاف فلأنه على فَعِل والأصل خَوِف ، فللكسرة المقدرة في الألف جازت إمالته . (المترجم)

(٤) ما ورد في الكتاب ١٢١/٤ : «ابن أبي إسحاق «وليس» أبا إسحاق « والمقصود عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت ١١٧هـ) جد يعقوب بن إسحاق الحضرمي ، والخبر في كتاب سيبويه «وبلغنا عن ابن أبي إسحاق أنه سمع كُثيِّر عزَّة يقول : صار» (بالإمالة) . المترجم .

في الأفعال العشرة[1] التالية : خَاف ، طَاب ، جاء ، شاء ، زاد ، ران ، حاق ، ضاق ، زاغ ، (رسمها المؤلف كلها بالألف الممالة) (GQ,iii,198) حسب سيبويه فإن فعلين آخرين هما : هاب وصار ، لا يأتيان في القرآن بصورة أخرى . وإن سقوط مات من قائمة حمزة أمر لافت للنظر ، وقرأ القراء الكوفيون الآخرون والدمشقي[2] بعض هذه الأفعال بالإمالة ، بينما بقية القراء من الحجاز ، قرؤوها كلها دون إمالة مطلقاً . (انظر : Pretzl,Islamica,vi,322).

وقد نقل ابن يعيش قول الفراء (ص ٢٥٢١) : «أهل الحجاز يفتحون ما كان مثل شاء وخاف وجاء وكاد ، وما كان من ذوات الياء والواو»[3] ، وأضاف قائلاً : «وعامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس يُسَرُّون إلى الكسر من ذوات الياء في هذه الأشياء ويفتحون في ذوات الواو مثل قال وجال»[4] ، وما يقوله المؤلف الذي يعتبر ذا خبرة جيدة في قضايا اللهجات ، هو على النقيض تماماً من سيبويه ، وهذه العبارة تناقض كذلك كل ما نعرفه عن الإمالة في المصادر الأخرى . وقد تدعو إلى الشك في أن بعض النسّاخ ممن يعرفون علاقة تميم بالإمالة ، قد قاموا بتغيير مواضع الإسناد ، لأن وجود نوعين من الإمالة متعارضين تماماً يبعث بعض القلق . ويمكننا أن نقرأ ما بين السطور في بيان الأنباري (أسرار العربية ص١٦٠ ، اقتباس فيشر " :(ZDMG,lix,667) الإمالة ميزة أهل الحجاز وجيرانهم من تميم والآخرين» . والإمالة القرآنية كانت صعبة لقرّاء القرآن الذين اعتادوا ، أينما كانوا ، على تمثّل الإمالة الشرقية .

ويبلغنا أبو حاتم السجستاني (ت٢٥٠هـ-٨٦٤م) ، كما جاء في الإتقان للسيوطي : ص ٢١٥) بأن الكوفيين احتجوا في الإمالة بأنهم وجدوا في المصحف الياءات في موضع

---

(١) جاء في كتاب التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني ص٥٠ : «وتفرّد حمزة بإمالة عشرة أفعال . .» وذكر الأفعال التي ذكرها المؤلف . (المترجم) .

وقد وردت «خاف» في خمس آيات من القرآن الكريم : ١٨٢-البقرة ، ١٠٣-هود ، ١٤-إبراهيم ، ٤٦-الرحمن ، ٤٠-النازعات والباقي على التوالي : ١٥-إبراهيم ، ٤٣-النساء ، (وفي سور كثيرة أخرى) ، ٢٠-البقرة ، ١٢٤-التوبة ، ١٤-المطففين ، ١٠-الأنعام ، ٧٧-هود ، ١٧-النجم . (المترجم) .

(٢) أحد القراء السبعة ، وهو التابعي عبد الله بن عامر الشامي اليحصبي ، قاضي دمشق وقارىء أهل الشام ، ت ١١٨هـ . (المترجم)

(٣) شرح المفصل : ٥٤/٩ ، والقول كله للفراء ، ويفتحون تعني أنّهم لا يميلون . (المترجم) .

(٤) المرجع السابق نفسه .

الألفات فاتبعوا الخط ، وأمالوا ليقربوا من الياءات(٤) .

وهذا يشير بالطبع ، على وجه الخصوص إلى الألف المقصورة (وهي في الحجاز على أي حال ai ياء ممالة ، انظر الفصل (bb) ولكنه يلقي بعض الضوء على ما يخالج القراء من شك حيال هذا الأمر . وهذا هو السبب بلا ريب ، وراء عدم محاولة القراء الحجازيين القراءة بالإمالة الحجازية مع وجود الخط غير القياسي الذي تدل فيه الياء على الألف الممالة .

وقد وجد السجستاني أن «جاء» قد خُطَّت بالياء في المصاحف المكية ، في نسخة من المصحف العثماني .(GQ, iii,40) وكان يمكن التأكد من هذا الرسم في المصحف الكوفي في سمرقند (Jeffery, JAOS, lxii,186). وسيبويه (٣٩٨/٢) يخبرنا ولم يحدّد اللهجة أن كاد وزال نطقتا بالكسرة ، لأنهما خُطتا بالياء في موضع الألف ، وقد عدّها فولرز (volkssprache, p.102) إلى حد ما ، أمثلة للأفعال بالألف الممالة ، بينما يصرُّ سرُو Sarauw (ZASS,xxi,41). على أن سيبويه يعني أنها نُطقت : كِيدَ kîda ، وزيل zîla ، مقارناً إياهما بالآرامية = mêth مات العربية (ميتَ الحجازية ، وميَثَ العبرية) ، والآرامية الإنجيلية رِم rim (عالٍ) ، ولكن في المازورة البابلية تكتب(rêm رِيْم) وفي الآرامية اليهودية الفلسطينية مؤنث ميْث - mêth ميثتْ mêthath (Dalmann,Gramm.,p.315). وهذه الصيغ بالكسرة الطويلة î هو تطوير آرامي بحت (انظر أيضاً : Noldeke,Neue Beitr.p209) ، ولا داعي لرفض وجهة نظر فولرز في الصيغ العربية . وقد استعملت الياء في الاصطلاح النحوي العربي بمعنى الإمالة ، انظر على سبيل المثال السيوطي (الإتقان : ص٢٢٠) : إن الألف والياء مقبولتان على قدم المساواة في القراءة القرآنية ، ويقصد بهما هنا التفخيم والإمالة .

وشبيه بذلك قرأ حمزة والكسائي «ران» في الآية ١٤ من سورة المطففين «رِيْنَ» بالإمالة ، وهذا يعني أن الياء هنا تشير إلى الألف الممالة (البيضاوي) . إن استعمال الكسرة للدلالة على الإمالة ، جاء في عبارة الفراء المقتطفة آنفاً والخطّ بالياء يوجد في الأفعال نفسها التي ذكرت آنفاً إلى حد ما في النقوش الصفوية نحو : بيت «بات الليل» (انظر : العامية العربية يبات) ؛ و«صِير» بمعنى سافَرَ ، وصِيد «صاد» ، ومِيْت «مات» (انظر مناقشة

---

(٤) الإتقان : ١٩٩/١ (طبعة دار الكتب العلمية- ط٣ : ١٩٩٥م) . (المترجم) .

هذا الأمر : Littmann,Safat,Inscr.p.xvii-xviii)[1] وهذا يعنى تماماً أنه في المخطوطة التي لا يُعبَّر فيها في العادة عن الحركات الطويلة ، من الصعب القول إنَّ الألف الممالة ربما تحوّلت إلى الصوت المزدوج ai- ولكن مهما كان الصوت الصفوي فإنه يشير إلى ألف ممالة قديمة في هذه الأفعال .

وسبب رسمها ياء في الحجاز ، وهو ما يمكن أن يكون عادة آرامية في الكتابة ، لم يَبْدُ قط أنه اتخذضبطاً خاصاً في الإملاء ، وقد يكون في وعي الناطقين أن الألف الممالة ē كانت مناظرة لفونيم الألف ē . ولا تتضمن أية درجة من الحركات القصيرة ، ولا تكون كسرة طويلة أو ضمة طويلة . ويمكن كذلك أن يلحظ في عامل آخر ، الطريقة التي يطرح فيها سيبويه القضية ، والمسلك الاستثنائي بإيراد نطق شخص باسمه ، والتشويش في التعامل مع الألف الممالة من قراء القرآن . كل ذلك يدل على أن التمييز بين الألف والألف الممالة لا يصدر إلا من نسبة ضئيلة من الناطقين . ربما من الأجيال القديمة ، أو من أهل مناطق معينة ، وفي مكان آخر من الحجاز كان يتراجع قبل الاستعمال الشرقي ، الذي يصوِّرهما كليهما في فونيم واحد .

z- ٢٧ - وهكذا يتضح أنه يجب الاعتراف على نحو واضح بأن اللهجة الحجازية (مع افتراض لهجات عربية غربية أخرى) تملك فونيم الألف الممالة المستقل . وهذا لا يعني بالضرورة أن الفونيم موروث من السامية الأم . ويناقش بروكلمان (GVG,I,605) أن خِيفَ قد تشكلت بالقياس إلى خِفتُ ، وهي الصيغة المتأخرة ، طبقاً لنظريته في الجذر الثلاثي ، ويفسرها على أنها ترخيم لخَوِفْتُ[2] . وهذا بالنسبة له واضح حداً كالدليل الوحيد الذي اقتبسه من عبارة للفراء (انظر آنفاً) حيث الصيغ التي تحتوي على ألف ممالة معزوّة إلى اللهجات التي تختص بالإمالة ، حتى هناك مع ذلك ، مثل هذه العملية تظل ممكنة ما دامت تلمّح إلى أن

---

(١) في الصفوية «ور» (كان أعمى) و«هور بمعنى ذهب = عَوِر ، حَوِر ، يمكن أن تكون الواو صامتة لمجاورتها الراء في العبرية تُضْمَت الواو قبل الراء في حَاور ، في العربية حَوِرَ ، وقبل الأصوات الحلقية في «جاوَع- -gāwa' يموت ، ساوَحْ- Sāu'ah يصيح إلخ .

(٢) نظرية الجذر الثلاثي ليست من افتراض بروكلمان فهي نظرية صرفية عربية ، وخِفْتُ في التحليل الصرفي العربي مأخوذة من خَوِف حصل لها إعلال بالنقل أو بالتسكين (خوْفَ) فوقعت الواو ساكنة بعد كسر فقلبت ياء (صارت خِيفَ) . المترجم .

هذه الألف الممالة تشكل فونيماً مستقلاً -بالنسبة إلى الكسرة الطويلة والفتحة الطويلة كما هو الشأن مع الضمة الطويلة[1] . ولكن الأمر كله في الإمالة العربية الشرقية هي أنها تنويع متوحّد مع فونيم الألف .

لا يمكن إقامة أي جدل حول الإمالة في الحجاز . ومن ناحية أخرى ، إذا كان هناك استقلال لفونيم الألف الممالة في لهجة الحجاز ، فالقياس الذي افترضه بروكلمان يمكن تطبيقه هنا أي : الألف والألف الممالة تقابلان الضمة والكسرة ؛ وعليه فإن : زُرْت وخِفْتُ من زارَ وخافَ . على أي حال إذا كان هناك قياس صوتي خالص فعّال فإنه يجب أن يكون قد طبّق بالفعل على نوع من الأفعال مثل : لِنْتُ : يَلِينُ ، ولكننا لم نسمع شيئاً عن قاعدة عامة من هذا النوع للأجوف اليائي ، كذلك هناك دليل آخر على ندرة الألف الممالة في اللهجة الحجازية ، ودليلنا يجب أن ينصب بشكل رئيس على الأفعال الجوفاء . وعليه إذا قبلنا وجهة نظر بروكلمان فإنه سيؤدي بنا إلى الدوران ، وأن السبب الرئيسي ، من ناحية ثانية ، لعدم قبولنا وجهة النظر التي ترى في الألف الممالة في هذه الأفعال تطوّراً داخلياً في العربية ، هو وجود صيغ مشابهة في عدة لغات شقيقة ، ويلزمنا هنا أن نناقش فقط الصيغ الشقيقة في الأفعال التي سردناها من قبل .

من الأفعال الخمسة عشر التي نحن بصددها لم أجد أي شبيه لـ : خافَ ، شاءَ ، وهبَ ، إذا كان لـ «جَاء» صلة بـ «جِيء- gai'» العبرية (بمعنى الوادي) . (انظر : Nöl deke, Zass, xii,3) يمكننا أن نلاحظ باهتمام أن تلك الكلمة لها الصيغ البديلة : جِيء و gê' بالألف الممالة وبغيرها ؛ أي بكسر الجيم فقط تتلوها الهمزة `ge ، القريبة منها كاقتراب -mêth ميث العبرية من مَيْت وميِّت العربيتين . ويمكن أن يكون لـ«حاقَ» صلة بـ«حِيق» العبرية[2] (خاصة إذا استعملت في تعبير إنه في الصدر ؛ أي في الحماية) ؛ انظر الفصل الثامن ، فقرة t.

أما شبيه «ران على» فيمكن أن يوجد في الكلمة السامية الشمالية الغربية : روم rum «اعْلُ» من الآرامية الإنجيلية التامة «رِيْم ، رِمْ» . وغالباً ما تظهر الميم بجوار الراء وكأنها في

---

(١) الكسرة والفتحة والضمة الطوال هي العلل الطويلة أو الحروف المدّية في العربية . (المترجم) .

(٢) وكأن العبرية هي الأصل وشقيقاتها الساميات فرع عليها ، مع أن الموضوعية تقتضي أن يذكر «حاق ، حِيق» العربية والعبرية ينتميان إلى السامية الأم ، أي أصْلُهُما واحد ، وليست إحدى اللغتين بأحق بالكلمة من الأخرى .

مـــعظم الأحـــوال باء (انظر : Brockelmann,GVG,I,226) ويمكن أن يكون لـ «زاد» صلة بالعبرية زيد- zēdh (المتكبر ، المتعجرف) . أما زاغَ فانظر : زيع- zi' السريانية (بمعنى الارتجاف والارتعـــاش)(١) . وهناك شـيء من الصلة لـ«صَـارَ» بالعـــبـــرية - histayyārū هصطَيَّـارو (Josh.,ix,4) التي هي في حد ذاتها صيغة محيِّرة ومشكوك فيها ، وعلى أي حال لا يعوَّل عليها في اكتشاف نطق الجذر الأصلي . أمّا «ضاق» فتقارن بالآرامية الترجومية عِيقْلي īqli«أنا في ضيق»(ps.,xxxi,10) أمّا «طا»ب فتـقـارن بـ -tebh طِبْه السريانيـة ، و-te'êbh طِئِيبْه الآرامية الإنجيلية . وأما كاد فليس لنا سوى الكلمة العبرية الصعبة كيذ- خراب . (job,xxi,20) وأخيراً ، مات التي خير ما يشهـد لها ميث mēth العبـرية ، وميث mīth الآرامية . والحجة هنا ليست في الحقيقة كافية تماماً ، ولكنها على وجه العموم ، تبدو أنها تشير إلى صيغ الألف الممالة في العبرية والآرامية ، حتى إن هذه الصيغ قد زادت في صعوبة الأمر على النحويين ، الذين يمكنهم أن يأخذوها في الحسبان عند افتراض أقيسة من أنواع مختلفة ، ولكن بصورة مختلفة تماماً عنها عند الإشارة إلى حالة في العربية ، وأسهل طريقة ، وأكثرها طبيعية ، بعد ذلك كله ، هي في الاعتراف بالتوافق والتماثل بين العربية والصيغ الشمالية الغربية السامية ؛ مما يعني وجود الألف الممالة في السامية الأم ، ويمكننا أن نتصوّر أن للأفعال الجوفاء أصلاً صيغة لازمة وأخرى متعدّية ، بغض النظر عما إذا كان الفعل منها أجوف يائياً أو واوياً ، وعليه فإنها على أربع درجات : ١-أ-زار : يزور ، ١-ب-شاط :يشيط ، ٢-أ-ميتَ :يَمَاتُ ، ٢-ب-صيرَ :يُصَارُ (يصيرُ) . في الصيغ ذوات اللواحق ، لا توجد الفتحة المائلة . الدرجتان ١-ب ، ٢-ب فيهما كسرة : شِطْتُ ، مِتُّ ، صِرْتُ ، تدريجياً ، مع ذلك فإن الاختلاف بين الأجوف الواوي والأجوف اليائي قد اكتسب أهمية في اللغات كلها ، وألقى بظلاله على التضاد المبكر . في العربية الشرقية تم تعجيل تلك العملية ، بلا ريب ، عن طريق الاندماج الصوتي بين الألف والألف الممالة . إن الصيغ العربية الغربية ، بقدر ما أفهم ، لا شأن لها بالصيغ الأثيوبية كونَ-kona ، وشيطَ-shēta ، أو الصيغ العربية الجنوبية : كُوْن-kwn ، سم- symالتي تحتوي عنصراً صامتاً ، لا يوجد في العربية . لا شك في خاصية اللزوم في الأفعال التي نُوقشت هنا . بالنسبة لما بينها من جذور الأجوف الواوي فقد أكدتها

(١) الآرامية فيها بوضوح جذران : زَوْع- -zw'يذهب بعيداً (في المشناه ، أبوث ، ٢٢/٥) ، والآخر يتصل بزعزع- z'z' يتزعزع) . وكلاهما ، بالطبع ، يؤثر في الآخر .

صيغ الناقص بالألف[١] . و«مات» هو الفعل الوحيد الذي عومل في العربية الفصحى على أنّه فعل متعد عادي ، وأمّا مِتُّ التامة[٢] في مُتُّ فقد نسبها أبو عبيد (في الرسالة : ص٥٥١) إلى لهجة الحجاز ونسبها ابن دريد (في الجمهرة : ٣/٤٨٥) إلى لهجة طيء ، أمّا الناقص أماتُ[٣] فقد نُسِبت إلى لهجة طيء (في الجمرة ٢٩/٢) .

أما استعمال قراء القرآن في هذه المواضع فلافت للنظر في عدم انسجامه ، فيقرأ حفص عن عاصم «مِتُّ» في الآية ٦٦-سورة مريم[٤] ، وفي الآية ٢٣ من السورة نفسها[٥] ولكن القراءة الثانية[٦] لابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وأبي بكر ، وهم ، إلى حد ما ، مؤيدو التقليد الحجازي ، قرؤوا مُتُّ ، وفي سورة آل عمران الآية ١٢١-١٥٢[٧] ، والآية ١٥٧-١٥٨ يقرأ حفص مُتُّم مرتين ، ومع ذلك قرأهما نافع[٨] وحمزة[٩] والكسائي[١٠] مِتُّم .

(١) لعله يقصد ما كانت عينه ألفاً من صيغ الفعل الأجوف من نحو : زار يزور ، مات يموت . (المترجم) .

(٢) لعل خلوها الظاهر من حرف العلّة دعاه إلى وصفها بالتّامة . (المترجم) .

(٣) لعل هناك خطأ فالفعل الصحيح فيه أماتَ بفتح التاء وليس بضمها . (المترجم)

(٤) في قوله تعالى : ﴿ويقول الإنسان أإذا ما مِتُّ لسوف أخرج حياً﴾ (٦٦-مريم) (المترجم) .

(٥) في قوله تعالى : ﴿فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مِتُّ قبل هذا وكنت نسياً منسياً﴾ (٣٢-مريم) (المترجم) .

(٦) القراءة الثانية هي مُتُّ بضم الميم ، أمّا ابن كثير فهو القارىء المكيّ عبد الله بن كثير ت١٢٠هـ . وأما أبو عمرو فهو ابن العلاء القارىء البصري ت١٥٤هـ ، وأما ابن عامر فهو عبد الله اليحصبي قارىء أهل الشام ت١١٨هـ ، وأما أبو بكر فهو شعبة بن عياش بن سالم الكوفي ، الراوي الثاني لعاصم ت١٩٣هـ ، أما الراوي الآخر لعاصم فهو حفص الذي قرأ بكسر مِت ، وهذا لافت للنظر حيث اختلف الراويان بين الكسر والضم عن عاصم . (المترجم) .

(٧) لم ترد «متّم» في سورة آل عمران إلا مرتين في الآيتين : ١٥٧ : ﴿ولئن قُتلتم في سبيل الله أو مُتُّم . . .﴾الآية . و١٥٨ ﴿ولئن مُتُّم أو قتلتم لإلى الله تحشرون﴾ . ولم ترد «متم» في الآية ١٥١-١٥٢ كما ذكر المؤلف فهو سهو منه . (المترجم) .

(٨) نافع هو قارىء المدينة أحد القراء العشرة ، ابن عبد الرحمن الليثي ، ت ١٦٩هـ . (المترجم) .

(٩) هو حمزة بن حبيب القارىء الكوفي أحد القراء العشرة ، ت١٥٦هـ . (المترجم) .

(١٠) هو علي بن حمزة النحوي الكوفي قارىء الكوفة أحد القراء السبعة والعشرة ، ت ١٨٩هـ . (المترجم) .

كذلك يقرأ حفص[١] نفسه «مِتُّم» في الآية ٥٣- من سورة «المؤمنون»[٢] . يقرأ حفص في كل موضع بالكسر ، وبوضوح لم يقرأ واحد من القراء الفعل التام من مات ، بالضمة بشكل دائم وثابت .

aa- ٢٨ - هناك شاهد ما على أن الألف الممالة ، المماثلة للألف الممالة في العبرية ، قد وُجدت في الأسماء ، فاللهجة اليمنية تُميل النار (اللسان ١٠١/٧) . أي تنطقها نِيْر nīr (النور أو الضوء) . وعَوْداً إلى مشكلة زيل- zyl وأمثالها (انظر الفقرة y آنفاً) ، إنه لمن المفيد أن نفهم أنَّ ما نتج عن المناقشة هو أنه من الطبيعي أن نطق نِير مما ينشأ عنه خلط في الخط (تصحيف) مع بئر . لم أظفر بخبر حتى الآن يذكر أن (جار[٣]) قد نُطِقَت جِير في أي مكان ، (انظر جير gêr العبرية) ، ولكن عدم القبول للجدل الصامت حوْل الفتحة الممالة قد ثبت مع حقيقة أن النطق اليماني للنار قد ذُكر فقط عند الغَلَط في الحديث[٤] . وقد رأى فولرز (Volks-sprache,p.20) مثالاً آخر للألف الممالة في عبارة السيوطي (المزهر : ١٧٦/٢) : أن قاراً قد نطقت في الحجاز قِير qīr[٥] ، ويفترض أن تُقْرأ «قِيراً» بالإمالة .

والكلمة مع ذلك مقترضة (Fraenkel,f remwörter,p:150) ، والمصادر المحتملة : السريانية قِيراً ، والعبرية قِير (الحائط) ترينا الكسرة الطويلة أو الياء المدية وليس الألف الممالة ، والأرجح في الغالب أن تكون مشتقة من الكلمة السومرية جِر gir ،

---

(١) هو ابن سليمان الكوفي ، راوية لعاصم بن أبي النجود أحد القراء العشرة ، ت١٨٠هـ . (المترجم) .

(٢) في قوله تعالى : ﴿أيَعدُكم أنكم إذا مِتُّم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مُخرَجُون﴾ (٥٣-المؤمنون) ، ولا علاقة للآية ٣٧ في هذا الموضع كما ذكر المؤلف . (المترجم) .

(٣) يقصد المستجير حيث كان العربي يقول عن المستجير به : هذا جاري . (المترجم) .

(٤) والخبر كما جاء في اللسان مادة نور : «في حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه : العجماء جُبَار والنار جُبار ، قيل هي النار التي يوقدها الرجل في ملكه فتطيّرها الريح إلى مال غيره فيحترق ولا يملك ردها . . . قال ابن الأثير : وقيل الحديث غلط فيه عبد الرزّاق وقد تابعه عبد الملك الصنعاني ، وقيل : هو تصحيف البئر ، فإن أهل اليمن يُميلون النار فتنكسر النون فسمعه بعضهم على الإمالة فكتبه بالياء ؛ فقرؤوه مصحّفاً بالياء . (المترجم) .

(٥) ما جاء في المزهر ٢٣٩/٢ط الإيمان- مصر في ذكر الألفاظ التي جاءت بوجهين في المعتل : « . . .وقار وقَيْر وعَاب وعَيْب» ولم ينسبه للحجازيين . ولكن في اللسان مادة قير : «القِير والقار : لغتان» ولم يَعْزُ أياً منهما إلى قبيلة أو مكان . وربما يكون فولرز أو المؤلف قد وقعا في خطأ النقل أو تطويعه لما يخدم أفكارهم . . (المترجم) .

(انظر : Landersdorfer,sum.sprachgut,p.44) .

إنه من الصعب أن نشرح كلمة قار العربية الشرقية ، ويمكن أن يكون هناك تصحيف عند اقتراض الكلمة الآرامية اليهودية الفلسطينية قِيرا (الشمع) التي هي نفسها مقترضة من اليونانية -kêros كيروس ، والصيغة تظهر في اسم نهر «ذو قار» في أرض بكر بن وائل ، والألف الممالة الأصل كانت تلاحظ أيضاً في اسم الإشارة ذا ، والذي نطق ، استناداً إلى سيبويه (٢٨٩/٢) ، بالإمالة في بعض القبائل التي لم يعيّنها ، أي ذي dhî. وهذه ، حسبما أفاد بارث (Barth (Pronominalbildung,p.104 هي صيغة السامية الأم ، وقد أثبت سيبويه كذلك أن الذين قالوا ذِي ، قالوا أيضاً يضربِي في يَضْربا[1] (انظر فقرة ccالآتية) . بالنظر إلى وجود «ذي» في العاميّة ذات الطابَع اليمني (Dathina,Zafar,Oman) يبدو أن الصيغة تستحق أن تكون من العربية الغربية .

bb- ٢٩ - كما هو معروف جيداً ، في العربية غالباً ما ترسم الفتحة الطويلة (الألف) في أواخر الكلمات على شكل ياء[2] ، في التعليم العربي ، في مدارس العصر العباسي ، لم يَجْرِ التمييز بين نوعي الألف[3] في أواخر الكلمات بأية وسيلة (انظر : Fischer,ZDMG,Lix,665) ، في المصاحف الكوفية غالباً ما تكتب أَلِفٌ بدلاً من هذه الياء . (GQ,iii,39)[4] ، والآثار المسيحية المبكرة تخلط بين النهايتين تماماً (Graf, sprachgebrauch, p.8) وتداخلتا في العاميات وتطابقتا ولم يُفرِّق بينهما من ناحية ، ولا بينهما وبين ألف التأنيث الممدودة -اءُ . وبالرغم من ثراء اصطلاح النحو العربي فإنه لم يزوّدنا باسم مميِّز للألف التي ترسم ياء سوى أنه

---

(١) في باب من إمالة الألف ١٢٥/٤ يقول سيبويه : «وقالوا في رجل اسمه ذِه رأيت ذها أملت الألف . . . في لغة من قال يضربا ومر بنا» (بإمالة الألف إليهما) أي يضربِي وبِني)

(٢) يقصد الألف المقصورة . (المترجم) .

(٣) يقصد الألف المقصورة والألف الممدودة (القائمة) . (المترجم) .

(٤) يبدو أن هناك تموّجاً في النطق حتى في الكوفة ، ويخبرنا الفراء أن أهل الكوفة يقرؤون في الآية ٦٣- من الأنعام : «أنجيتنا» أنجَيْنا أو أنْجينا ويصر على أنهم يكتبونها على أساس من ذلك . وترسمها بعض مصاحفهم بالألف (Beck,Orientalia,xvi,355) منذ كانت الألف في الكوفة مناظراً للإمالة ، والرسمان يمكن أن يكونا= قد نطقا أنجينا . (وما جاء في معاني القرآن ٣٣٨/١ : «لئن أنجنا من هذه ، قراءة أهل الكوفة ، وكذلك هي في مصاحفهم» أ ن ج ى ن ألف» وبعضهم بالألف وقراءة الناس أنجيتنا بالتاء») . (المترجم) .

أطلق عليها الألف المقصورة ، كالكلمة المكتوبة بالألف(wright,i,11B) ويدّعي فيشر (المصدر السابق ص٦٦٦) بأن شكلي الألف يقعان ألفي إطلاق في الشعر وهذا يحتاج إلى تقييد وتحديد ، إن اثنين من شواهد ثلاثة (للراعي النميري في الحماسة ، ص٦٦٠[١]) ، ورجل من سُلَيْم في الأغاني ج١٦/١٣٧) ، تقع فيها الألف المقصورة من كلا الشكلين روياً في القافية مع الألف الممدودة ، وهذا يقتضي ضمناً نطقاً مختلفاً تماماً عن العربية الفصحى المبكرة ، إن نظرة شاملة إلى الفرزدق وجرير والشعراء السِّتَّة يكشف أن الألف المقصورة لا تظهر صِلَةً أبداً وظهرت مرة واحدة (عند جرير ، تحقيق الصاوي) رويّاً (بعكس القاعدة في كتاب رايت. (wright,ii,352) ولكنها وردت كثيراً ردفاً[٢] قبل : نِ وها ، وفي كل الحالات ظهر شكلا الألف باعتبارهما ألفي إطلاق في القافية وكلتاهما عند الشعراء في شرق الجزيرة العربية وغربها ، ويظهر شكلا الألف كثيراً في الفواصل القرآنية[٣] ، لكن مع استثناءات نادرة جداً وهو ألا تَقْفُوَ إحداهما الأخرى(GQ,iii,37) .

ونادراً ما يأتيان روياً في شعر عمر بن أبي ربيعة (Schwarz,Umar,iv,102) ، في الرسم القرآني الرسمي استبعدت إحداهما عن الأخرى بدقة متناهية . ولم يقتصر الأمر على أواخر الكلمات ، بل على عكس الاستعمال الأخير ، قبل اللواحق أيضاً ، عدا الألف التي كتبت

---

(١) يقصد أبياتاً للراعي النميري جاءت في الحماسة ص١٨٤-٤٨٣ مقطوعة رقم ٦٥٠ (ط دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد) ومنها :

عَجِبْتُ من السّارينَ والريح قرّةٌ إلى ضوْءِ نارٍ بين فَرْدَةَ فالرَّحا (ويجوز فيها الرحى ، والرحاء) . (المترجم)

وقلت له ألْصِقْ بأيْبَسِ ساقِها فإن يُخْبَر العرقوبُ لا يَرْقأ النَّسا (بالألف القائمة فقط) . (المترجم)

فأصبح راعينا بُرَيْمَةُ عندنا بستّينَ أبقتها الأخِلَّة والخَلا (والخلى بالمقصورة أولى كما في اللسان مادة خلا) . (المترجم)

فقلت لربِّ الناب خذها ثَنِيَّةً وناب علينا مثل نابك في الحيا

وبقية الأبيات بالألف المقصورة . (المترجم)

(٢) الرِّدف : هو الصوت الصائت الذي يُلتزَم مباشرة قبل حرف الروي ، سواء كان ألفاً أم ياء أم واواً بالمد وغيره . (المترجم)

(٣) ومن أمثلة ذلك من فواصل في أواخر آيات كثيرة من سورة طه نحو : تشقى ، يخشى/ العلى ، استوى ، . . .إلخ . (المترجم)

بسبب مجاورتها للياء أحياناً قبل ألف الوصل ، وبانتظام بعد ياء أخرى ، والاستثناء الوحيد من هذا أن يكون الرسم يحيى وسُقيها[1] (الآية ١٣/سورة الشمس) ، مما تنتهي مع غيرها من الكلمات بالفاصلة- اها[2] . ومن الواضح في الحجاز إن هذه الألف (التي ترسم ياء) قد نطقت بصورة مختلفة عن الألف القائمة ، ويفترض بروكلمان (GVG,i,619) وبرجستراسر (GQ,iii,37) أنها الألف الممالة . وهذا يكشف عن صعوبة ما ، ما دمنا قد وجدنا أن هذه الألف الممالة في نص جيد مستشهد به ، قد رسمت في أواخر الكلمات ألفاً قائمة كما في غزا ودعا والعشا مما نطق بالإمالة في التعليم العربي في العراق (سيبويه : ٢٨٠/٢)[3] . ومن ناحية أخرى فإن التجويد الرسمي لا يعترف بإمالة الألف بشكليها اليائي والقائم في أواخر الكلمات ، (Grünert,Imale,p.529-32) ، مع أن الكوفييْن حمزة والكسائي قد قرءا الألف المقصورة المرسومة ياء بالإمالة ، باستثناء الأدوات . وقرأ الكسائي الألف القائمة بالإمالة (Pretzl, Islamica,Vi,320) ووصفت قراءة «ناداه» بالإمالة (الآية ٣٩- من آل عمران) بالشذوذ لدى حمزة والكسائي (البيضاوي : ١٥٤/١) .

cc- ٢٢ - إن الحل لمشكلتنا نجده في عبارة لسيبويه (٣٤٩/٢)[4] ، إنهم في الحجاز وبعض قيس ينطقون الألف المقصورة بالإمالة كما في حُبْلَي ، وأَفْعيْ ، وأسماء الأماكن : سَوَرَيْ ، قَلَهَيْ ، وصَفَوَيْ .

وفي مكان آخر من كتاب سيبويه ٣١٤/٢ يثبت دون الإشارة إلى لهجة الحجاز أن الألف المقصورة نطقت : ـَي : -ai في الوقف . وقد دفع هذا سَرَو (ZASS.xxi,39) Sarauw وبركلاند (Pausalformen,p.76) إلى عدّ رسم الألف المقصورة ياء خطأً توقيفياً ، وليدلّل على

(١) بالرسم القرآني ، والمقصود وسقياها . (المترجم) .

(٢) كما في فواصل آيات سورة الشمس نحو (وضحها ، تلها . . .يغشها . . . .عقبها) . (المترجم) .

(٣) إن إمالة الألف المقصورة افترضها سيبويه (٢٨١/٢) . كوفلر في (wzkm,xlvii,23)يؤكد أن رمى لم تنطق بالإمالة ، ولا أدري من أين جاء بهذه المعلومة .

(٤) جاء في الكتاب : ١٨١/٤ ط هارون في باب الحرف الذي تبدل مكانه في الوقف حرفاً منه يشبهه : «وذلك في قول بعض العرب في أَفْعَى : هذه أَفْعَي ، وفي حبلى : هذه حُبْلي . . فإذا وصلت صيّرتها ألفاً ، وكذلك كل ألف في آخر الرسم . حدثنا الخليل وأبو الخطاب أنها لغة لفزارة وناس من قيس وهي قليلة ، فأما الأكثر الأعرف فأن تدع الألف في الوقف على حالها ولا تبدلها ياء ، وإذا وصلت استوت اللغتان» الملاحظ أن سيبويه لم يذكر لهجة الحجاز ولا الكلمات التي تنتهي بها الفقرة .(المترجم)

أن الصيغة في وصل الكلام ليست إلا ألفاً ممالة . وذهب بركلاند إلى أبْعَدَ وافترضها أن حُبلِي في الأصل تنتهي بالألف الممالة ، ولكنها في الوقف صارت aiقياساً على فَتَيْ ، وهي في الوقف فتى والأصل فَتَيٌ . ووجهة النظر يمكن تصحيحها على ضوء ما أخْبَر به سيبويه (٣٤٩/٢) من أن فزارة ، وهي قبيلة في وسط الجزيرة العربية قرب المدينة ، تقول في الوقف حُبْلَيْ وفي وصل الكلام حبلا[1] ، وهذا يقتضي أنها لم تكن لغة الحجاز ، وهي حقيقة يمكن أن تستنتج من المحافظة على الياء قبل اللواحق في الرسم القرآني .

إن الخط المقتبس من سيبويه يجعلنا نفترض أيضاً أن حبلى ، في لهجة فزارة ، في وصل الكلام ، كانت «حُبْلا» وليس حُبْلِى ، ويمكننا أن نفهم أن شَكلَيْ الألف القائمة أنهما رِدْفان في القافية حتى في أعمال الشعراء الذين ينتمون إلى قبائل قيس الغربية كالنابغة وعنترة ، ويبدو أنهما قد نطقتا ممالتين في لهجات معيّنة (انظر آنفاً) . وهذه الإمالة رُمز إليها بنقطة سفلية في المخطوطات الكوفية في : أنّى -(أَنّى) ، نصارى : نصارِي ، تماماً كالإمالة في المقطع الأول من (كـافِـرينَ) (انظر : (Noldeke,GQ,1st ed.p.328). وإن هذه الإمـالة ليست من خيال النحاة الذي أقيمت له الحجة فيما بعد كقراءة إيسِي في آسَيْ في الآية ٩٣-من سورة الأعراف[2] (البيضاوي : ٦٣٣/١) حيث الإمالة في المقطع الأول حدثت بتأثير من المقطع الثـاني . . .وليس في إمكاني تفسـيـر هذه الظاهرة . . . ويمكن أن يشـيـر النطق اللهـجي لـ«يضربِي» الذي ذكره سيبويه في الفقرة aa-28 ، إلى الإمالة بشكل عام للألف في أواخر الكلمات .

dd- ٣١ – على أي حال ، يمكننا أن نقبلها بعدِّها دليلاً على أن في اللهجات العربية في وسط الجزيرة ألفاً (ممالة) في الوصل وai-َ يْ[3] في الوقف .

وفي اللهجة الحجازية ألف للمخالفة بعد الياء ، وفتحة باعتبارها حركة في المقاطع المغلقة ، ما دمنا نستطيع أن نستشهد برسم الألف قبل همزة الوصل[4] والتنوين على أنه يمثل نطقاً لهجياً وأن نعدّ ما كان بالياء نوعاً من التسوية في الخطّ أقيم على الصيغ الأكثر دوراناً دون تقصير . وما حدث صوتياً ليس تقصيراً للألف بنطقها ممالة ، والتخلص من الكسرة

---

(١) هكذا أوردها المؤلف للتفرقة بينهما وبين حبلى ، أي يريد أن يقول إنها تنطق ألفاً خالصة دون إمالة .

(٢) في قوله تعالى : ﴿ . . .فكيف آسَى على قوم كافرين ﴾ . (المترجم) .

(٣) كما في «حُبْلَيْ» .(المترجم) .

(٤) كما في : هذه حبلى الرجل ومِعْزَى القوم (سيبويه ٦٥١/٤) المترجم .

لتجنب توالي العلل في المقطع (لالتقاء الساكنين) . في لهجات وسط الجزيرة بدأ التطور ، بلا شك بالطريقة نفسها ، بانتشار هذه الألف من موقع قبل ألف الوصل إلى مواطن الوصل كلها . في تلك اللهجات (ربما الشرقية) التي تحدّد الاستعمال الأخير امتدت إلى مدى أبعد من مواطن الوقف . والصيغة الأقدم في كل الأحوال هي -ai-ـَ يْ . وقد احتفظت العبرية أيضاً إلى حد ما ، شعراً ولهجة بمثل هذه الظاهرة (Bauer-Leander, Histor. Gramm, p.203, 512) ، بينما في غالب الأحوال في النثر العبري العادي أعلّت إلى حركة كانت تنطق ألفاً مائلة مفتوحة (سيجول seghōl) عندما تنبر ، وألفاً مائلة مغلقة (صِيري- sêrê) عند عدم النبر[1] . ومن أجل هذا وُسِمَت اللهجة الحجازية بالمحافظة . إن خبر إمالة عَصَى -عَصِي في لهجة هذيل (الفقرة fفي الفصل الثامن) ، وصيغ قَفَيْكا في قفاكا وأتَيْك في أتاك في الإنشاد اليمني[2] (الفقرة -iالفصل الخامس) ، تترك قليلاً من الشك بأن هذه الصيغ نفسها كانت جارية في اللهجات العربية الغربية .

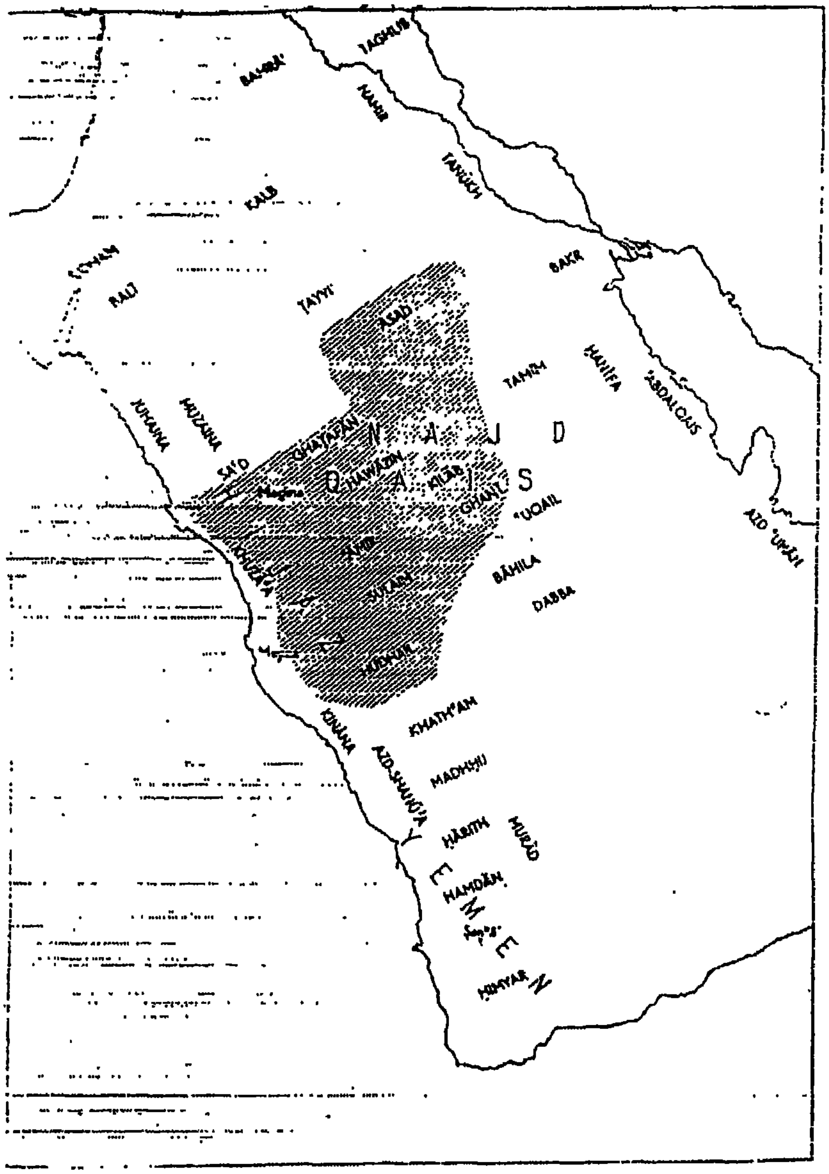
ولدينا لهذا الأمر تلٌّ من البراهين الخارجية ، في سفر التكوين٨٧/١ : ربٌ -ربٌ ليفي (٣٠٠ بعد الميلاد) وردت كما يقال في الجزيرة العربية أن هناك فتى يدعى متيا ، ويحتمل أن تنطق فَتَيا ، وهي ليست إلا فَتَيْ الحجازية بالأداة الآرامية . والكاتب السوري إسحاق الأنطاكي في قصيدة تصف أحداث عام ٤٥٧م (ed,Bickell,I,210) ينقل العُزّى اسم آلهة يعبدها العرب «عُزّيْ» في المخطوطات النبطية السينائية ، ربما تكون أقدم من القرن الثاني بعد الميلاد تظهر الكلمة نفسها في اسم عبد العُزّى دون العنصر الازدواجي[3] ، وهذا يبرهن على

---

(١) في العبرية كما في العربية إن-ـَ ي- ai- بإمالتها المزدوجة لم تُعَالج بالطريقة نفسها التي عولجت بها aiالتي نوقشت لتوها : بدلاً من تبسيطها بتوحيدها ، لقد خُدمت سلفاً عندما نبرت ، واختصرت في ey-ـ ي في غير نبرها .

(٢) يقصد : ما ارتجزه من أبيات الجند اليمانيون التابعون للدولة الأموية عند محاصرتهم عبد الله بن الزبير في الكعبة بأمر من الحجاج وهي : يا ابن الزبير طالما عَصَيكا/ . . .أتَيكا/ . . .قفيكا . . (المترجم) .

(٣) أي دون نطقها عُزّيْ-ـَ ي : كما في : اثنيْن ، يَوم . (المترجم)



الخريطة رقم (١٣) تقصير الكسرة الطويلة في آخر الكلمة (gg/١٠)

أن إفراد العلل قد أخذ مكانه منذ فترة مبكرة تماماً[1] .

ee- ٣٢ - لابدّ أنه قد أصبح واضحاً تماماً أن كل ألف مقصورة في القرآن الكريم يجب أن تقرأ -ai-َ ي[2] ، ما لم نكن نرغب في أن يكون الرسم القرآني حقلاً للفوضى والاستثناء الوحيد من هذا النطق هو إذا ما وقعت الألف المقصورة قبل همزة الوصل ، التي تذكر قبل السكون[3] ، مما يرجّح قراءتها ألفاً كما في الحالات القليلة التي تكتب فيها ألفاً ، أما الاسم يحيى أيضاً فلم يكن الوحيد المميَّز خطياً عن نحيا[4] .

وقد استدل على ذلك بتقليد عبّر عنه السيوطي في الإتقان ص٥١٢[5] من أن بني سعد ، شمال المدينة (المنورة) كانوا ينطقون يحيى بالإمالة ،أي كالكلمات الأخرى التي تنتهي بالألف . مما يتضمن أن أهل المدينة كانوا يقولون يحيَي ، ويبدو أن الاسم نفسه مقترض من صيغة التحبّب اليهودية يُوحَيْ yōhai .

ff- ٣٣ - إن التطبيق المتوالي لقراءة الألف المقصورة في الأفعال : -ai-َ يْ يقود إلى نتائج غير متوقعة . الأفعال الناقصة مثل يرضَيْ تتوازى في العبرية في البقاء مع أسماء

---

(١) وهناك قضية أخرى يحتمل أن تكون في اسم إله النبطيين الذي يُذْكر في المصادر العربية «ذو الشَّرى» إذا كان تحقيق مَيَر (Die Israeliten und Ihre Nachbarstimme.p.269) صحيحاً في توحيد الاسم مع سارَيْ الإنجيلية ، وهذا يزوّدنا بدليل أوْضح على أن - ـَي- aiبدلاً من الألف â في لغة النبطيين العرب . وبالمناسبة قد يكون مستغرباً إذا ما كان تطوير سارَيْ إلى سارّاه (Gen,xvii,150) قد عرفه بعض العلماء باعتباره تغييراً صوتياً لا يدل على أن مجموعة أخرى من القبائل لم تأخذه ، حيث تحوّلت فيه ai إلى ألف a حتى اسم أبراهام يمكن أن يفسر باعتباره صيغة أبرام في لهجة ما بمقطعين ضعيفين كما في Minaean ، وفي الآرامية أحياناً (رهط -راظ ، وبهيث- باث) (GVG, i,53) وكلها جذور جوفاء مثل رام .

(٢) كما في حبلى -حُبْلَي . (المترجم)

(٣) نحو : رأيت حُبْلَى الرجل . (المترجم)

(٤) بينما أحيا ونحيا كانت تكتب مثل يحيا باعتبارها صيغاً فعلية كتبت بالياء . وأفْتَرِضُ أن هذه نتيجة لفوضى كتابة الأسماء .

(٥) يقصد ما جاء في الإتقان ١٩٨/١ : «عن صفوان بن عسّال «أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ -يا يحيي- ، فقيل له : يا رسول الله تُميل ، وليس هي لغة قريش ، فقال : هي لغة الأخوال بني سعد» . (المترجم) .

الأعـلام نحـو : يَحْـدَيْ ، يَحْـمَيْ ، مـا الـذي حُـذف من أواخـر تلك الكلمـات النواقص؟ ووجدت في القرآن مثالاً واحداً هو : يَرْضَهُ في آية ٧ من سورة الزُّمر[١] . ويحتمل أن تكون مشتقة من يَرضَيْ ، بعملية تبسيط العلل أو توحيدها . نفسـها كمـا في الفـقرة dd ، أو أن حذف العلة الأخير قـد حصل في تلك اللهجـة ليس بالحذف الصوتي ولكن قياساً على يَبْنِ ، يَغْزُ ، وأكثر صعوبة من ذلك المشكلة التي تحصل مع الفعل المسند إلى المفرد المذكر الغائب : بَنَيْ ، مما سنناقشه مؤخراً في الفصل الثاني عشر فقرة v كما يبدو أن أصلها صرفي أكثر منه صوتياً .

gg- ٣٤ - لا بد أنه قد لوحظ أن الأسماء في العربية الغربية ، التي تنتهي بـ -ai- يْ تأخذ قبل اللواحق الهيئة نفسها التي تأخذها حروف الجر من الشكل نفسه . في العربية الفصحى عوملت الأسماء وحروف الجر بصورة مختلفة ، والمثالان كلاهما في العربي : إليَّ ، إلَيْكَ ، وفي الوقت الذي يوجد أيضاً في العربية الغربية : قَفَيَّ ، قفَيْكا ، تستخدم العربية الفصحى : قَفَايَ ، قفاكا . وسبب هذا الاختلاف ، بالطبع ، أن الصيغة في الأسماء التي بلا لواحق كانت في وعي المتكلم أكثر من كونها مع حروف الجر[٢] . وستكون مثلاً للاستغراب إذا لوحظ هذا الفرق بصرامة في كل مكان تطورت فيه العربية الفصحى . وإن انعكاساً متقلّباً يمكن إدراكه في الأخبار التي جاء في أحدها من أن الكوفيَيْن : حمزة والكسائي قد قرءا : متى وبلى وأنّى بالإمالة ، ولكنهما لم يُميلا : حتى ، وإلى وعلى ولَدَى (Grünert, Imāla, p.530, Pretzl, Islamica, vi,320) يوسف بن الحسين الأستراباذي (مما استشهد به أبو حيان في المنهاج ، ص٢٤٢) ينقل ، على عهدة ابن مِقْسَم أن بعض أهل نجد ومعظم اليمنيين قد قالوا «حتى» بالإمالة (انظر الفصل الرابع فقرة cc) ، مما يثبت أنها لم تنطق كذلك في العربية الفصحى .

---

(١) في قوله تعالى : «إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يَرْضَهُ لكم . .» الآية . (المترجم) .

(٢) ويبدو أنه لا يوجد اختلاف من هذا النوع في العبرية ، وعدم انتظام الإعراب في الأسماء مثل مرأة قد فسرت جيداً باعتبارها من بقايا إعراب الأسماء التي تنتهي بالياء مثل بونيه أو قياساً على الأسماء من ذوات الجذور القوية ، (ربما يقصد امرأ وامرؤ وامرئ وليس مرأة لأنها من الألفاظ المنتظمة في إعرابها ، أما بونيه التي ضربها فلا أدري لها أصلاً) . (المترجم) .

hh– ٣٥ – وعلى النقيض من ذلك ، يمكننا أن نلاحظ غياب الضمة الطويلة (تتماهى في ياء بإشمام[١] الضمة) من نظام الحركات الحجازي ، (انظر : الفصل ٢١ ، الفقرتان t,u) . وهذه الحركة التي توجد في العربية الفصحى تتحول في الحجازية إلى كسرة طويلة .

ii– ٣٦ – يُعْثَر كثيراً في القرآن الكريم والحديث ، على صيغ حدث في آخرها تقصير للكسرة الطويلة ، أو حذفت بالكامل أحياناً (GQ, iii,34) ، وقد يمتد مثل هذا إلى ضمير المتكلم المفرد في الإعلال ، قد تكون الكسرة دليلاً على ذلك في العادة ، ولكن الكوفيين وأبا عمرو (البصري من أصل تميمي) قد قرؤوا في الوقف «أكرمَنْ» (الآية ١٥–سورة الفجر)[٢] ، و«أهانَنْ» (الآية ١٦–من الفجر)[٣] وقد تكررت كثيراً صيغ مشابهة في شعر الحجازي عمر بن أبي ربيعة(Schwarz,Umar,iv,98 119;ZASS.,xxx,49)والظاهرة الشائعة في الصيغ من الوقف إلى الوصل . وقد أخذت حظها تماماً من المناقشة من بيركلاند (Pausal formen,pp,20 seq 68 seq,78seq)الذي قام بجمع مادتها الثرية ، مما يغني عن إعادتها هنا ، وهي بلا ريب ظاهرة لهجية ، ويعزو الزمخشري النزوع إلى تقصير الكسرة الطويلة في الوصل إلى لهجة هذيل . (انظر الفصل الثامن ، فقرة x) . ولا تعزيز لمثل هذه النزعة في متناول اليد من أي لهجة من لهجات العربية الغربية[٤] .

---

(١) الإشمام هو ضم الشفتين بعد سكون الحرف ويكون في الرفع والضم لا غير ، (التيسير في القراءات السبع– ص٥٩) . (المترجم) .

(٢) في قوله تعالى : ﴿فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعّمه فيقول ربي أكرمنِ﴾ . (المترجم) .

(٣) في قوله تعالى : ﴿وأمّا إذا ما ابتلاه فَقَدر عليه رزقه فيقول ربي أهاننِ﴾ . في الآيتين الكريمتين حرّكت النون في أكرمنِ وأهاننِ بالكسرة على رواية حفص بن سليمان الكوفي عن عاصم الكوفي ، بالرسم العثماني ، وفي التيسير للداني يقول : «ووردت الرواية عن الكوفيين وأبي عمرو بالوقف بالإشارة إلى الحركة . . رَوْماً وإشماماً» وفي كتاب سيبويه ٦٨١/٤ : «وقد قرأ أبو عمرو : فيقول ربي أهاننْ ، وربي أكرَمَنْ» على الوقف» . (المترجم) .

(٤) في الصحاح ٩٦٥/٢ يقول : إن بعض العرب يقصّرون الياء المدية في أواخر الكلمات من الأسماء إذا كانت معرفة بأل كما في : طوالُ الأيدي ، وليس من المتعيِّن أن يشير هذا إلى اللهجات التي نحن بصددها ، والشاهد لشاعر أسدي ، وأسد إحدى القبائل التي لها صلة بما ذكرناه .

ومن ناحية أخرى يخبرنا سيبويه (٣٢٨/٢) : أن حذف الكسرة الطويلة (الياء المدية) ، والضمة الطويلة (الواو المدية) في لهجات قيس وأسد كان شائعاً لدرجة أن المتكلمين قد حذفوا الضمة الطويلة من الصيغ مثل : قَتَلُوا ، والكسرة الطويلة من يقضي في وصل الكلام ، وبهذا تبرز لدينا صيغ لافتة للنظر كالتي في السريانية ، ويبدو أن هذا الضعف الشديد في العلل الطويلة في أواخر الكلمات كان أمراً خاصاً في البادية الوسطى- التي من ضمنها لهجة أسد باتفاق- وربما يكون التماثل مع السريانية ليس إلى حد التطابق ولكنه يشير إلى وجوه الشبه في كلام العرب أكثر من تمثيلها للمجتمع الأدسَديّ . ويحتمل أن تشير إلى اللهجات نفسها التي يقول فيها سيبويه (٣٠٢/٢) من أن بعض العرب يقولون في الوقف : ارْمْ ، اغْزْ ، اخْشْ ، في ارْمِ ، اغْزُ ، اخْشَ . هذه الصيغ تشير ثانية إلى اللهجات الشمالية الغربية ، إلى صيغة الأمر في العبرية : يِبْهِن-yibhen ، يِيشْتْ- yêsht إلخ . والموقف في لهجات وسط الجزيرة مختلف تماماً عما في الحجاز ، حيث لا تكلف قط في الضمة الطويلة . ويبقى الموقف موضع شك بغض النظر عن أي ارتباط ، ويبدو أن حذف الكسرة الطويلة (الياء المدية) وتقصيرها متأصلان بعمق كبير في لهجة الحجاز أكثر من كونهما من قبيل التأثر بالعربية في وسط الجزيرة ، ويحتمل أن يكون النزوع إلى تقصير العلل الطويلة ، موروثاً في لهجات الجزيرة العربية كلها ، ولكنها تطوّرت باتساق في لهجات وسط الجزيرة العربية أكثر منها في اللهجات العربية الغربية . وقد جرى العمل بها في تفاوت في سياقات نحوية مختلفة ، كحركات الإعراب التي قصّرت وحذفت ، تقريباً أينما كانت ، بما فيها الألف في شرق الجزيرة العربية . (انظر : الفصل السادس ، فقرة g) .

٣٧٠-kk – إن وسط الجزيرة والحجاز مرتبطان بحقيقة أن لهجات قيس والحجاز تستعمل في وصل الكلام اسمَي الإشارة للإناث : هذِه ، ته ، للمؤنث ، بينما اللهجات الشرقية تستعمل في الوصل صيغة هذي ، وهكذا ؛ وفي الوقف هذهْ ، وهكذا . والهاء بالطبع ، هاء السكت ، وهي ظاهرة وقفية خالصة ، ويمكن أن تكون ذي وتي اسمين للإشارة للمؤنث في اللهجات الغربية (انظر : الفصل الثاني عشر ، فقرة f) وعلى أي حال ، لا بد أن يكونا قد نُطِقا في الحجاز ، إتْباعاً لنزعة حذف الكسرة الطويلة-هاذ-وغيرها . كذلك الصيغة الهذلية اللَّذ (انظر الفصل الثامن ، فقرة y) ، وهذا يؤكد انتشار صيغة الوقف في الوصل .

في الحقيقة إن مثل «هذِه» هو الصيغة الوحيدة السارية حقاً في العربية الفصحى ، ويبدو أنها ، ومعها النزعة الصوتية التي ولّدتها ، قد نشأت في اللهجات التي استخدمتها

باعتبارها قاعدة العربية الفصحى ، وربما لم تعرف لهجة الحجاز أية صيغة أخرى غير هذه ، ما دامت لا توجد صيغة أخرى في اللهجات التي يمكن أن تكون قد اكتسبت منها هذا النوع من أسماء الإشارة لتحل محل الذي تستعمله وهو تا .

احتفظت القراءة المعتادة في القرآن الكريم بالصيغة الشرقية في الآية ٣٥ من سورة البقرة ، وهي التي تمثل الصيغة التميمية في التعبير كله : ﴿لا تقربا هذي الشجرة﴾ في ﴿لا تقربا هذه الشجرة﴾ . (البيضاوي : ٣٢/١) .

II- ٣٨ - عند الشعراء الحجازيين نجد ـ يَ iya دائماً في نهاية الأفعال الماضية ، تعامل معاملة «مقطع» واحد ، إن حالة مثل نَسِيَ تنتهي بالياء المدية ترينا أن مثل هذه الصيغ كان يُنطق نَسِي ، بَلِي (انظر : شوارتز ، عمر ، ٩٩/٤) وتكررت نسبياً أيضاً حالات أخرى تنتهي بـ : ـ يَ- iyaاختصرت كسرة طويلة (ياء مدية) ، و ـُوَ- uwaاختصرت ضمة طويلة (واواً مدية) في حالة الإضافة ، وقيل هنا إنه ملمح لهجي ، ولا توجد صيغ من هذا النوع في القرآن الكريم[1] .

إن علامة النصب الفتحة على الياء أو الواو تحذف دائماً عند الشعر من كل القبائل . وإنه لمما يلفت النظر أننا لم نسمع شيئاً يتعلق بالحجاز عن تقصير بَلَيَ ونَسَى ، اللتين وجدتا : في الشمال ، في لهجة طيء ، وفي الجنوب ، في شمال اليمن ؛ ولارتباطها بالعبرية تبرهن على أنها صيغة لهجية عربية غربية متطوّرة (انظر : الفصل ١٤ ، فقرة k) . وهذا يضع الصيغ الحجازية في ضوء مختلف ، أي يمكن الافتراض بأن الصيغتين بناء على القياس النحوي الدقيق ، مماثلتان تماماً المثال المبتدع المضروب في الفصل الثاني عشر فقرة v وهو بَنَيْ في بَنَى .

إن صيغة نَسِي ربما تكون هي الأصل الشائع في العامية وهو : نِسِي . (انظر : أيضاً الفصل ٢١- الفقرة w) ، كذلك (الفصل ١١- الفقرة cc) .

---

(١) يفترض كوفلر (WZKM,xlviii,78) الافتقاد الحقيقي لتعبير المد في هذه الصيغ التي تختص بتقصير الكسرة الطويلة إلى ضمة طويلة ، وأن الواو والياء من مخلفات النظام الإملائي ، وهناك أساس كاف إلى حد ما لتفسير مثل هذه الحقائق .

mm- ٣٩ - الخلاصة : يمكننا أن نمثل نظام العلل في لهجة الحجاز على الشكل التالي :

علل قصيرة (صوائت قصيرة) (الحركات)	علل طويلة (صوائت طويلة)
الفتحة	ألف ممالة
الضمة	ألف
الكسرة	كسرة طويلة
	ضمة طويلة

(الصوائت المزدوجة)

au – وْ في مثل : يَوْم ، رَوْم ، لَوْن : في اللهجة : يُوْم ، لُوْن

ai – ي في مثل : عَيْن ، اثنَيْن ، بَيْت : في اللهجة : عيْن ، بِيْت

إن هذه كلها كانت استمراراً للأصوات السامية الأم المشابهة ، فالكسرة الطويلة (الياء المدية) تحل في بعض الحالات محل الضمة الطويلة في بعض الاستعمالات القديمة في اللغة العربية . وفي حالات معينة (المقطع المقفل ، المخالفة)–ي–ai تتحول ألفاً[(١)] .

nn- ٤٠ - إن كثيراً من تقصير العلل يحصل عند تسهيل الهمزة ، وهذه التغييرات ستتم مناقشتها في الفصل الحادي عشر ، فقرة b وما بعدها .

(١) لا يوجد في العربية حركات مزدوجة (كانتينو BSL,xliii,127) وإن –َ ي– -ai العربية الغربية تبسيط حقيقي للحركة المزدوجة لتتكافأ الحركات الطويلة عند تقصيرها ، في المقابل إن تحوّل الألف إلى ai–َ ي معادل للفتح .

الفصل الحادي عشر

الحجاز - الصوامت

a- ١ - إن معلوماتنا عن صوامت اللهجة ضئيلة . وما زال من المشكوك فيه ، إلى أيٍّ مدى نستطيع أن نجعل من قواعد التجويد القديمة ممثّلة للنطق الحجازي . إن التجويد يختلف في تعامله مع الهمزة عن اللهجة الحجازية (انظر فقرة II ، آنفاً) مع احتمال اختلافه في جوانب كثيرة أخرى ، فالقاف في التجويد القديم صوت لهوي انفجاري مجهور (انظر (Vollers,Ninth (or.congr.ii,138 كما هي الآن في العاميات البدوية وما ينحدر منها ، وفي أواسط اليمن (Goi-tein,Jemenica,p.xiv,Rossi,san'a,p.2).

ولا أعرف عن العامية الحجازية إلا الخبر الذي ذكره مالتزان ، بناء على ما سمعه ، من أن القاف العربية كانت تُسمع في مكة (ZDMG,xvii,243). في معجم للمفردات العربية التجرينية بالحروف الحبشية ، من تحقيق ونشر ليتمان (ZASS,xx,I,57-90) غالباً ما تكتب القاف العربية على صورة جَمْل الحبشية ، والمفردات العربية يحتمل أن تكون قد جاءت عن طريق تجار الحجاز . إن البرهان على وجود القاف قديماً يحتمل أن يكون في (قَصّ) ، قال ابن درستويه[١] : (في المزهر -السيوطي ٢٦١/١) التي استعملها أهل الحجاز في الكلمة العربية الشائعة جِصّ (ابن سيده ، في اللسان ٥٤٣/٨ : يقول إن المثال الحجازي كان قَصٌّ أو قِصٌّ) . ولا بد أن يكون هذا دليلاً على أن القاف الحجازية كانت مجهورة ، إلا إذ اشتقت الكلمة من السريانية جِصّا ، وهذه بدورها من اليونانية جبسون) . على أي حال إن الكلمة بهذا الشكل يحتمل أن تكون من جنوب الجزيرة ، حيث القاف فيها الآن جيمٌ (gāf) ، وفي العصور الوسيطة كذلك (الهمداني ، الإكليل ، ص ٢٩) ، في نقوش العربية الجنوبية في وادي رُخَيْلة ظهرت الكلمتان «جِرْم وقصْم» (الجير والجص) (-Stark,JRAS,1929,plate7 Ryckmans,Musean,Iiii,313)من المحتمل أن تكون الصيغ بالجيم كما في السريانية أو في

---

١)جاء في المزهر ٣٧٢/١ ط مكتبة الإيمان : «قال ابن درستويه في شرح الفصيح : الجَص فارسي معرّب أبدلت فيه الجيم من كاف أعجمية لا تشبه كاف العرب ، والصاد من جيم أعجمية ، وبعضهم يقول القَصّ بالفتح ، وهو أفصح ، وهو لغة أهل الحجاز» . (المترجم)

عبرية المشناه (Mishnah, Miqw'oth, xi,2) هي الصيغ الأقدم ، في هذه الحالة فإن القاف في جنوب الجزيرة بناء على مقاربة بعيدة (GVG, I,166) والمثال الحجازي يكونان مقترضين من اليمن ، وبهذه القاف التي أدخلت هناك ، لا نجد ما يساعدنا على تحديد صوت القاف الحجازية . القاف في لهجة تميم تنطق في حالة وسطى بين القاف والكاف أي تلفظ بوضوح في غلظة[1] وغير لهوية ، وهذا الصوت التميمي كان يُمَثَّل بالحرف كاف (الجمهرة ١/٥ ، ابن فارس ، الصاحبي : ص ٢٥) . وهذه الطريقة في نطق القاف تدعى القاف المعقودة ، وفي كثير من الحالات تُرْسَم القاف التميمية في المعاجم كافاً . ويلزم من هذا أنهما كانا صوتين متشابهين ، وهذا يقودنا إلى نتيجة مفادها أن القاف في اللهجات الشرقية كانت مهموسة مثل التي في العاميات الحضرية المعاصرة في سوريا ومصر . . .الخ . العامية العراقية المعاصرة قافها مجهورة ، نوعاً ما ، ولا بد أن يكون لها صورة واحدة في قديم الأيام ، لأنه في بعض الحالات ترسم الجيم g الآرامية في أسماء الأماكن العراقية قافاً مثل : باقِداري (بجوار بغداد ، ياقوت ، المعجم ٤٧٥/١) من : بجذاري ، وجَدَر اليونانية ، وباقِردي (بالإمالة) ، أو قَـرْدا (ياقوت ٤٧٦/١) من جَرْدا ، وينقل الشاعر بشار بن برد (ت ١٦٧/٧٨٣) الكلمة الآرامية جَمْلا في إحدى قصائده على قَمْل (الجواليقي ، المعرب ، ص ٦٧) . وهو من الصعب تفسيره على ضوء ما قلناه عن القاف الشرقية ، على أي حال ، هناك إشارات أخرى على أن اللهجة العراقية كانت في وقت ما قد تأثرت بشكل كبير باللهجات البدوية من نمط اللهجات الغربية ، ويمكننا ، على ضوء حقيقة أن اللهجات البدوية والعامية اليمنية قد جهرت القاف ، أن نفترض أن القاف في اللهجات العربية الغربية قد جهرت أيضاً ، مع أنه حتى الآن لا دليل مقبولاً على نطقها كذلك قديماً ، إن جهر القاف في التجويد لا بد أن يكون استمراراً حقيقياً لنطق الرسول [ﷺ] . ولكن التجويد نادراً ما يُمثل القاف الحجازية التقليدية الخالصة (انظر الهمزة والصوائت) . إضافة إلى أن القاف المجهورة يجب أن تكون قد نطقت خارج الحجاز ، خاصة في بقايا اللهجات النجدية التي تدعم قواعد العربية الفصحى ، وعليه فإن الصوت المهموس المستعمل في اللهجات الشرقية لم يكن موروثاً من زمن قديم ، على أي حال فإن الأصوات المفخمة كانت في الأصل حيادية أو متعادلة صوتياً (انظر الفصل ٤١ ، فقرة h) وقد ثبتت في مختلف اللهجات . إن همس القاف الآرامية كان عاملاً مساعداً في تحويل القاف الشرقية إلى صوت مهموس .

---

١) أي مُفَخَّمة ، انظر الفصل nn

b- ٢ - لقد لاحظ فولرز (ZDMG, xlix ,495) جهر القاف في العربية ، أينما كانت ، والجيم صوت غاري ، ويمكننا أن نضيف أنّ اللهجات بهمس القاف تظهر ميلاً نحو الكاف الغارية ، وهي نزعة لم تكن معروفة لدى اللهجات الشرقية القديمة (انظر : مناقشة الكشكشة من بارث ، (WZKM, xxiv, 281seq) إن الجيم في التجويد لم تكن جيماً غارية كاملة ، عند الأخذ بعين الاعتبار نطقها في اللهجة اليمنية (انظر الفصل الرابع فقرة i) . لقد سمع مالتزان (ZDMG, xxvii, 243) الجيم في الحجاز تنطق غير شديدة[١] كما في الفرنسية dj في مفردات العربية التجرينية كتبت الجيم العربية زاياً وليس جيماً[٢] ؛ مما يخرج أي صوت يشبه الجيم[٣] (انظر : . (Littmann, ZASS, xxi,52

يقتبس كمبفمير (kampffmeyer, ZDPV, xv,18) رسالة شفوية لسوسين مفادها إن أجزاء من الحجاز تنطق الجيم g[٤] ، ولكن لا يوجد أي دليل على هذا النطق .

c- ٣ - إن المعلومات عن الأصوات الحلقية مضطربة ، وعلى ضوء ما قيل في الفصل الرابع فقرة ايمكننا أن نخرج من البحث أنطى في أعطى باعتبارها شاهداً لصوت العين وفي الخبر أن الصيغة امتدت إلى المدينة[٥] وسعد بن بكر ولم تُذكر مكة ، وقد تكرر الفعل أعطى في القرآن الكريم ولا أعرف سوى موضع واحد قرئت فيه أنطى ، أعني في الآية ١-من سورة الكوثر[٦] التي جاءت في قراءة أُبَي «أنطيناك» ، وقُرئت كذلك من اليمني والبصري أخيراً : ابن السميفع والحسن البصري

---

١) الوصف الدقيق الذي يجب أن توصف به هذه الجيم أنها صوت مركب من صفتي الشدة والرخاوة (أو الانفجار والاحتكاك) ، أي صوت يبدأ بالدال وينتهي بالجيم المعطشة ، وهذا واضح من تشبيه هذا الصوت بالصوت dj في اللغة الفرنسية . (المترجم)

٢) إذا كان المؤلف يقصد التجرينية المعروفة في أرتيرية الآن فإنه يكون قد وقع منه سهو فحرف y ليس زاياً . وإنما هو الجيم العربية وهو صحيح فالزاي ترسم عندهم H .

٣) هذا كلام غير دقيق علمياً حسبما ذكرنا آنفاً . (المترجم)

٤) كالجيم اليمانية أو القاهرية كما في Godالإنجليزية . (المترجم)

٥) في المزهر ٢٢٢/١ : «الاستنطاء في لغة سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس والأنصار ، تجعل العين الساكنة نوناً إذا جاورت الطاء كأنطى في أعطى» (المترجم) .

٦) أي في قوله تعالى : «إنا أنطيناك الكوثر» في إنا أعطيناك . (المترجم) .

الكبير[١] ، (Jeffery, Materials,p.80) ولا نكاد نظفر بمن يعلق أهمية كبيرة على حقيقة أن هذه السورة من أقدم السّور ، ومن الصعب التصديق بأن النبي [ﷺ] قد عرف في وقت متأخر أن القراءة الصحيحة هي أعطى .

d- ٤ - إن مصدراً متأخراً جداً (العِنْطابي (Qāmûs Ture,i,284) أفاد أن قبيلة سعد بن بكر ، شمال المدينة ، تقول : نَحَم في نَعَم ، وابن مالك في (التسهيل [مخطوط] ورقة ٨٦- الصفحة ب) يذكر الخبر بنفسه دون تخصيص اللهجة وقد عرفنا ما قيل من أن الهذلي ابن مسعود قد اعتاد على هذا النطق (ابن هشام ، المغني[٢] ، ٥٢/٢ ، انظر الفصل الثامن من الفقرة c) . وقد نطقت في مكة : نَعِم (انظر الفصل العاشر فقرة i) ويحتمل أن تكون نَحَم صيغة محلية في المدينة وما جاورها ، إن قبيلة شمّر في الجزيرة وهي القبيلة التي تدّعي أنها انحدرت من طيء ، تقول حَطَا في عَطَا ، (انظر : Montagne, Contes, BEOIFD,p75,quoted byCantineau,Parlers,p.145)يربط كانتينو هذا بـ «هات» ولكن يمكن تفسيرها بأنها نتيجة لتغيير صوتي مركب ، أي عَطَا- حَطَا ثم هُتَّت الحاءُ هاءً (انظر : الفقرة fفيما سيأتي) .

e- ٥ - يُعَيِّن الأزهري (في التاج ، ١٠ ، ١٢) أمثلة في لهجة الحجاز نحو : آدَى ، استأدى[٣] في : أعْدَى ، استعدَى ، والشاهد على ذلك للشاعر الطائي الطِّرِمَّاح (xlviii,8) وهناك دليل أفْضَل على تجريد العين من التحليق[٤] (انظر الفصل ١٤-

(١) جاء في البحر المحيط ٥١٩/٨ عن هذه القراءة : «وقرأ جمهور أعطيناك بالعين ، والحسن وطلحة وابن مُحَيْصِن والزعفراني أنطيناك بالنون وهي قراءة مروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال التبريزي هي لغة للعرب العاربة من أولَى قريش ، ومن كلامه صلى الله عليه وسلم : «اليد العُليا المنطية واليد السفلى المنطاه . . .» . لم يذكر محمد بن عبد الرحمن بن السميفع أبا عبد الله اليماني (له اختيار في القراءة شذَّ فيه قرأ على شريح وقيل على نافع وطاووس) ، وبحثت في كتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ولم أجد فيه إشارة لهذه القراءة فضلاً عن نسبتها لابن السميفع . (المترجم)

(٢) وفيه ٣٨١/١- ط دار الفكر : «نعَم بفتح العين وكنانة تكسرها . . . وبعضهم يبدلها حاء ، وبها قرأ ابن مسعود» (المترجم)

(٣) في اللسان مادة عدا : استعداه استنصره واستعانه . . .ويقال : استأداه بالهمز فأداه ويقال : آديتك وأعديتك من العَدْوى وهي المعونة» .(المترجم)

(٤) يقصد المؤلف التخلي عن أن تكون العين حلقية بنطقها همزة أي من الحنجرة (المترجم)

الفقرة q) وهذا لا يعني أنها لم تكن شائعة في الحجاز، كما يستنتج من بعض اقتباسات الأزهري من الحديث. وقد سمع مالتزان (ZDMG,xxvii,244) نطق العين همزة بجوار الحُدَيْدَة في تهامة اليمن، وفي صنعاء أيضاً، العين ضعيفة إلى حد ما (انظر (Rossi,San'a,p.4).

إن نطق العين غير حلقية[1] من طرفي المنطقة العربية الغربية: الجنوبية والشمالية يفرض بقوة نوعاً ما أنها نزعة موروثة في اللغة، وعلى العكس من ذلك يحدث في اللهجات الشرقية إذ تتغير فيها الهمزة عيناً[2] في حالات معينة، (الإشارات في الفصل الثامن الفقرة q) وأفْضَل مثال يشهد لذلك هو: أنْ في عَنْ، وعنَّا في أنَّا، وفي مثل هذه الحالة يصعب تعيين أقْدَم الصيغتين، خاصة أن الحرف المصدري والنصب أنْ، وحرف الجر عن ليس لديهما شبيه، ويحتمل أن تكون «أَنْ» لا شيء سوى «عن» التي نقِّحت فشدِّدت وخلِّصت من تحليق العين، من أجْلِ تحوّل المعنى يلزمنا مقارنتها بالكلمة الآشورية شَ sha بمعنى مِنْ، والفنيقية والعبرية شَ- sha و شِ- she بمعنى أنَّ (أو مَنْ للعاقل وما لغير العاقل، أيضاً) ولا بدّ أنّ هذا يوضح امتداد الميل إلى التخلص من التحليق[3]، إلى الشرق في اللهجات التي شكلت قواعد العربية الفصحى.

f- ٦ - ولدينا دليل على إضعاف مشابه للحاء في الحجاز، ويثبت ذلك ابن دريد (في الجمهرة ٣٧٧/٢) بشكل عام بإعطاء مثال حجازي: مَدَه في مَدَح، ومن الأخبار عن النبي [ﷺ] أنه قال: وَيْهَكَ في وَيْحَك. ويذكر المبرد (في الكامل: ص٥١٧) أنَّ مثل هذا التغيير قد جاء في لهجة سعد بن زيد مناة، وإنه في مخطوطتين أخريين للكامل أضيفت قبيلة لخم، والأخيرة ليست إلا التعبير المعتاد لدى النبطيين، الذين عاش معهم اللخميون في الحيرة، ويحتمل أن تكون سعد في الأصل هي سعد بن بكر التي تعيش في شمال الحجاز والقراءة الأخرى قد تكون من وهم النُّسَّاخ. الحاء في جنوب اليمن خالية تماماً من الاحتكاك بالحلق (Land-

---

(١) أي نطقها همزة. (المترجم)

(٢) في مثل قول ذي الرُّمة:

أَعَنْ ترسّمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم

أراد أأن ترسمت . . . (المترجم)

(٣) أي النطق من الحلق. (المترجم)

berg, Hadramout, p253, Arabica, v,77, 281, Rhodokanakis, Dhafar, ii, 57)

g– ٧ – وردت في قافية بيت من الشعر للسموْأل بن عادياء ، (ط شيخو ، ١٢/٣ ، استشهد به أبو زيد في النوادر ، ص١٠٤ ، في اللسان ٣٣٢/٢) كلمة خبيت[1] ، وقال الأصمعي أراد الخبيث ، واستنتج منها أن يهود خيبر يبدلون من الثاء تاءً ، ويعترف بأن الخليل (ت ١٧٥هـ ،٧٩١م) ينكر أن يكون قد سمع مثل هذه السمة في تلك اللهجة ، ومؤلف اللسان يفترض أن القراءة هي ختيت ، ولا شئ هناك بعيد الاحتمال في الظاهر بإمكانية أن يكون اليهود الذين تكلموا ، أو تكلموا حديثاً الآرامية ، قد خلطوا بين الثاء والتاء والمثال المطروح ، لا يمكن استخدامه ، إلى حد ما ، للبرهنة على ذلك ، إن التاء في آخر الكلمة لا بدّ أن تكون قد نُطقت ثاءً في الآرامية ، أيضاً ، ومهما يكن من أمر فإنّ «خبيت» كلمة عربية جيدة ، ربما تكون خاصة بلهجة الحجاز ، وإن كلمة «مُخْبِت» الموجودة في القرآن ، في الآية ٣٤– من سورة الحج[2] ، وفي الحجاز منطقة صحراوية تُدعى الخبت . والجذر نفسه

---

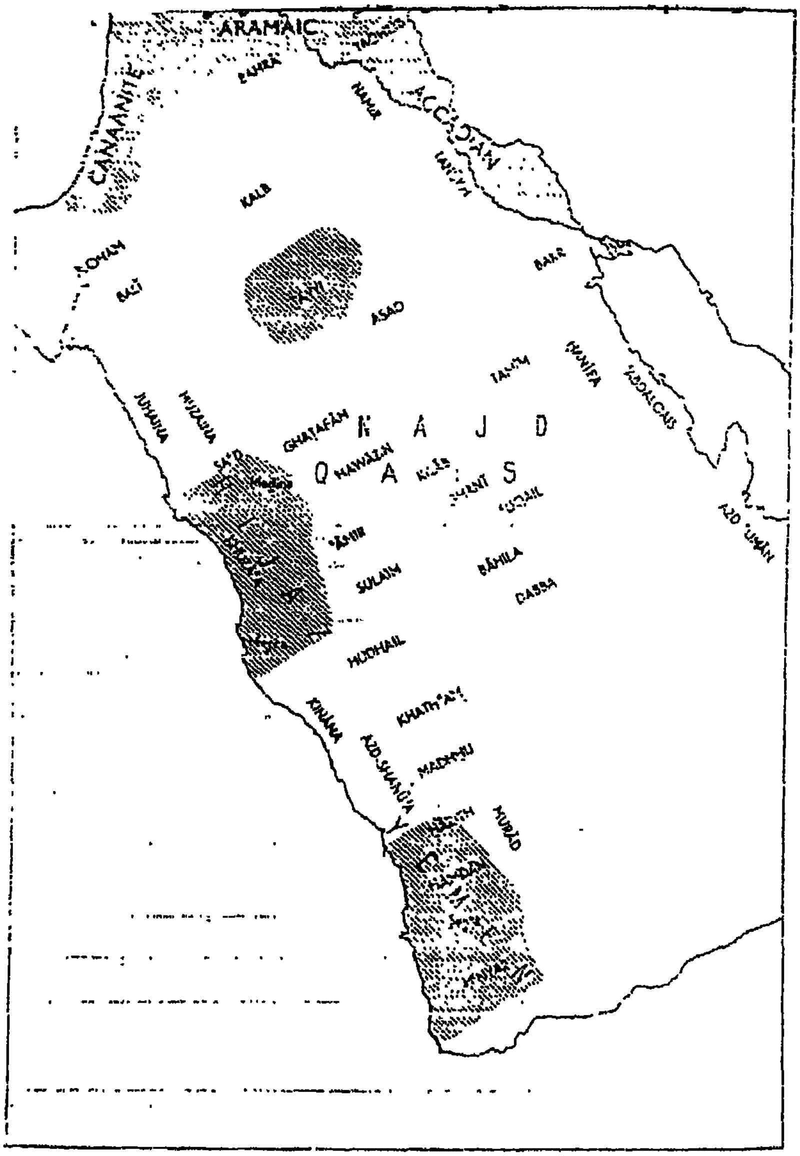
(١) والنص كما جاء في نوادر أبي زيد ٣٤٥–٣٤٧ ط دار الشروق قال أبو زيد : «حدثني شيخ لنا من البصريين عن أبي حاتم السجستاني عن الأصمعي قال : أنشدت الخليل بن أَحْمَد قول السموأل :

ينفع الطَّيِّبُ القليلُ من الرِّز ... ق ولا ينفع الكثيرُ الخبيتُ

ولكلٍّ من رزقه ما قضى اللـ ... ـه ولو حكَّ أنفَه المستميت

فقال لي (أي الخليل) : ما الخبيت؟ فقلت : أراد الخبيث ، وهذه لغة لليهود يبدلون من الثاء تاءً ، قال : فلِمَ لم يقل الكثير فلم يكن عندي فيه شئ؟ قال : أبو زيد» ، وفي المخصص ٩٥/٣ «قال أبو سعيد السيرافي : والخبيت لغة قريظة والنضير . (وذكر البيت وقال اليهودي ولم يسمِّ الشاعر) وفي اللسان مادة خبت : والخبيت : الحقير الرديء من الأشياء ، قال اليهودي الخَيْبري ، (وذكر البيت) ، وسأل الخليل الأصمعي عن الخبيت في هذا البيت ، فقال له أرد الخبيث وهي لغة خَيْبر ، فقال له الخليل : لو كان ذلك لغتهم لقال : الكثير وإنما كان ينبغي لك أنْ تقول : إنَّهم يقلبون الثاء تاء في بعض الحروف ، وقال أبو منصور (يقصد الأزهري) أن هذا تصحيف قال لأن الشيء الحقير الرديء إنما يُقالُ له الختيت ، بتاءين ، وهو بمعنى الخسيس ، فصحَّفه وجعله الخبيت» (المترجم)

(٢) في قوله تعالى : ﴿ . . .وبشر المخبتين ﴾ . (المترجم)



خريطة رقم (١٤) عدم تحليق الصوامت الحلقية (C-11 وما بعده)

يرجع إلى الكلمة المحلية الفلسطينية «حَبْتَا» Habhtā[1](Aphtha in Josephus) وبهذا لا صعوبة في الاعتراف بأنَّ خبيتاً بمعنى حقير.

h– ٨ – يخبر الفراء (في اللسان ٧٤/١٣) بأنَّ «بَنْ» في بَلْ، التي عدَّها آخرون كابن جني بأنها من فصحى العربية، كانت شائعة في لهجة سَعد وكَلْب (في التاج ١٤٥/٩– وقضاعة مع كلب). وفي خبر منفصل يضيف أنه سمع ناساً من قبيلة قيس، إن باهلة تقول لابَنْ في لابَلْ. هذه المخالفة وجدت في منطقة واسعة، وفي تلكما اللهجتين اللتين شاعت وامتدت فيهما الصيغة المخالفة (انظر: التيحرينية والعربية المغربية: نِ في لَ بمعنى إلى، بروكلمان GVG,i,227,224).

i– ٩ – في بيت شعر للأعشى (تحرير جاير ١٩/١) ورد خِيص (بمعنى غؤور العين) بدلاً من خُوص مصدراً للفعل خَوِصَ[2]. وليس ببعيد أن الفعل في لهجة الحجاز قد صار

---

(١) انظر كذلك الكلمة العبرية حابستهم– كعك منبسط– (تتصل بالجذر العربي في المعجم العبري لبراون ودرايفر وبريغز). (وربما يقصد الكلمة «حَبْتا» ما يقال في العامية الفلسطينية حَبَتّي أي لا يملك شيئاً وهو عالة على غيره فيكون محتقراً). (المترجم)

(٢) يقصد بيت الشعر في ديوان الأعشى الكبير تحقيق د. محمد محمد حسين ص١٤٩ (القصيدة ١٩/البيت الأول) هو:

لعمري لئن أمسى من الحيِّ شاخصاً لقد نال خَيْصاً من عُفَيْرةَ خائصاً

ويقصد بالخَيْص هنا القليل، ولكن المؤلف فسّرها بغؤور العين وهو المعنى الذي جاء في أبيات أخرى للأعشى ولم يستعمل كلمة الخيص وإنما الخُوص؛ مما يعني أنَّ المؤلف رابين قد سها أو أخطأ في هذا التوجيه الذي بنى عليه حُكماً لغوياً سيتلو، والأبيات التي وردت فيها كلمة خُوص هي:

ص ١٢٣ من الديوان: ضوامر خُوصاً قد أضرَّ بها السُّرى وطابَقْنَ مشياً في السَّريح المـخُدَّمِ

ص ١٦٧ من الديوان: إذا أدلجوا ليلةً والركـــــا ب خوصٌ تَخضخَض أشوالُهــــا

ص ١٥١ من الديوان: فهل كنتم إلا عبيـــــــداً تُعدُّون خُوصاً في الصديق لوامصاً

وكلمة «خوص» التي وردت في الأبيات جمع أخوص وهو الغائر العينين (انظر: اللسان مادة خوص) (المترجم)

خَيصَ أو خِيصَ[1] [خاص الألف فيها ممالة] ، (انظر الفصل العاشر- الفقرة y) ، ويحتمل أن يكون هذا المثل من الخلط العام بين : او- au و اي- ai من مثل الذي سنراه في لهجة طيء (انظر الفصل ١٤- الفقرة n)[2] .وقد سمع أبو الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ-٦٨٨م) ابن عُمر يقول : حَوْثُ في حَيْثُ (اللسان ٢/٤٤٤) . ويَعُدُّ المفضل (في اللسان ٨/٣٠٠) الصيغة التي تصير فيها : اوًّا- awwā ، ايًّا- ayyā[3]معاقبةً ، ومن الأمثلة التي يستشهد بها لذلك : صَيَّام في صَوَّام ، وصَيَّاغ في صَوَّاغ[4] .

والأخيرة منهما ذكرها الجوهري أيضاً (في الصحاح ٦/٢)[5] على أنها صيغة حجازية . جميع الأفعال المعتلّة التي بالواو في الآرامية اليهودية الفلسطينية ، واوها المشدّدة تقلب ياء

---

(١) إن كل ما ذكره المؤلف أخذ من اللسان دون إشارة إليه حيث جاء في مادة خيص : «الخَيْص القليل من النيل . . . وخاصَ الشيء يخيص أي قلَّ ، قال الأصمعي : سألت المفضّل عن قول الأعشى :

لعمري! لئن أمسى من القوم شاخصاً   لقد نال خَيْصاً من عُفَيْرةَ خائصاً

ما معنى «خيْصاً»؟ فقال :العرب تقول فلان يخوص العطية في بني فلان أي يقللها . قال : فقلبت فكان ينبغي أن يقول خَوْصاً ، فقال : هي معاقبة يستعملها أهل الحجاز يسمون الصُّوَّاغ الصُّيَّاغ . . . ونلت منه خَيْصاً خائصاً أي شيئاً يسيراً» وهكذا يكون المؤلف قد أعطى الخيص وهو قلة العطاء ، معنى الخَوْص ، وهو غؤور العين نتيجة الخلط الصوتي أو الصرفي الذي حصل في الحجاز . (المترجم) .

(٢) لقد ورد أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) كان يقول في صلاته «حَيْل »في حَول (اللسان ٣١/٣٤١,٨٠٢) . (ربما يقصد المؤلف ما رواه ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم ذا الحَيْل الشديد . (المترجم)

(٣) في مثل : الصُّوَّاغ تصير صُيَّاغاً ، والصُّوام تصير صُوّاماً . (المترجم)

(٤) إن الأمثلة التي ساقها المؤلف رابين دالة على المفرد بفتح الصاد في الكلمتين كما في النص الإنجليزي مع أن النص في اللسان مادة خَيص التي ضرب فيها المفضّل الأمثلة يذكرها بالجمع أي بضم الصاد وليس فتحها مع أنّه يقر في ملاحظة له في الهامش أنها قد وردت في المعجم بالضم ، بتأثيرـه في رأيه من الصوامت المجاورة ويحيل إلى الفصل العاشر -) - (المترجم)

(٥) ويقر الفراء (في اللسان ١٥/٤٠٦) أيضاً بأن «صَيّاغ» من اللهجة الحجازية ، ويحللها على أنها فَيْعَال (صَيْوَاغ-صيّاغ) ويؤكد بأنها مما يستعمل الحجازيون أكْثَر من غيرها «أهل الحجاز أكْثَر شئ قولاً للفَيْعال من ذوات الثلاثة» ومعنى ذلك ليس واضحاً لي . ولكن النص قد يتضمن أن فَيْعالاً قبلت في الحجاز أكْثَر من فَيْعول ولكن صوّاغاً لا تفيد ذلك .

في التصريف المضعّف العين (Dalmann,Gramm,p.316) وهذا هو المبدأ الثابت في التطبيق العملي الذي جرى على أساس فيه تغيير قوّام (بالإمالة) إلى قُيَّام (بالإمالة) ، في وقت مبكر جداً ، وهي الصيغة التي تظهر على ورقة البردي الضخم في الإنجيل الآرامي ، فيما بعد الإنجيل العبري ، والسرياني ، كما قام شوارتز (Umar.iv,102) بشرح الأمثلة الحجازية من الأفعال المعتلة العين بالياء ، عن طريق القياس ، وفعل الشيء نفسه بروكلمان (GVG,I,616) في الأفعال الآرامية ، ومن ناحية ثانية ؛ الأفعال المعتلة العين بالياء في الآرامية ، وهي نادرة دائماً ، كانت تختفي معاً ؛ فكان الاحتمال بعيداً أن يجد ما يشدّه إلى جذور الأفعال المعتلة العين بالواو ، لذلك كان فقهاء اللغة العرب على حق في جعلهم هذا التغيير من قبيل التشكيل الصوتي الوظيفي . ولدينا تطوّر آخر متأخر شائع في فلسطين وغرب الجزيرة[١] .

k- ١٠ - حسبما جاء عن ابن مالك (في التسهيل وجه ١٠٨)[٢] : «تبدل الياء من الواو لاماً لـ «فُعْلى» صفة محضة ، أو جارية مجرى الأسماء ، إلا ما شذّ ، كالحُلوى بإجماع والقصوى عند غير تميم» . وقد ذكر الفراء إلى أن القُصوى تُقال في الحجاز خاصة (انظر اللسان ٤٤/٠٢ ، كذلك في أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٦٢٦ ، وابن عقيل ص ٣٧١)[٣] . ربما لأنها ترد في القرآن (الآية ٤٢- سورة الأنفال)[٤] . والقرآن يتضمن كذلك أمثلة بالياء نحو : دُنيا ، عُليا . . .الخ . وسبب الإبدال

---

(١) وبودي أن افترض أن هذا يمكن أن يشرح السبب الذي يقف وراء نطق الكلمة العربية الجنوبية «قول- qwl» بمعنى الأمير في العربية (الشمالية طبعاً) : قَيْلاً . وقُول قد تكون «قوّالاً» (انظر : مَغيذ ، أي الأمير ، العبرية من هجِّذ ، «يقول») . ولا بد أن يكون قد صار في العربية الغربية «قَيّالاً» وسيظل علينا أن نشرح كيف صار قيّال قَيْلاً والجمع أقيال .

(٢) في التسهيل ص ٣٠٩ تحقيق بركات ، وقد نقلت العبارة بنصها كما جاءت في التسهيل . (المترجم)

(٣) في أدب الكاتب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ص٨٨٤ : «قال الفراء : أهل الحجاز يقولون القُصوى بالواو . . .» وفي اللسان مادة قصا ينسب هذا القول إلى ابن السكيت وليس للفراء» قال ابن السكيت : ما كان من النعوت مثل العُليا والدُّنيا فإنه يأتي بضم أوله وبالياء لأنهم يستثقلون الواو مع ضمة أوله ، فليس فيه اختلاف إلا أن أهل الحجاز قالوا القُصوى ، فأظهروا الواو وهو نادر وأخرجوه على القياس ، إذ سَكن ما قبل الواو ، وتميم وغيرهم يقولون القُصيا» . (المترجم)

(٤) يقصد الآية الكريمة : «إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى» (المترجم)

خارج الحجاز إذا كانت الواو فعلاً خاصة بالحجاز ، يحتمل أن يكون صوتياً ، مثل سائر الأمثلة التي تترددّ بين الواو والياء إذا وقعتا بعد صامت ، وفي حالتي خُصْوَة وخُصْيَة ، وكُلْيَة وكُلْوَة وإن ما يقوله البدو السوريون في عاميتهم : خُوصْوَه ، وكُولوَه (Cantineau, Parlers,p.15,222) قد يقودنا إلى تعيين الصيغ الواوية في اللهجات العربية الغربية . ولا يتعارض هذا بالضرورة مع قِنْية الحجازية في مقابل قِنْوَة التميمية (عن يونس في المزهر للسيوطي ١٧٦/٢ : من الألفاظ ذكر قِنْوَه وقُنْيَة) ويبدو أنه كلما كان في العربية الشرقية قنو كان في العربية الغربية قني ، كما في العبرية والآرامية ، والعربية الجنوبية ، والإثيوبية . وقد قال صخر الغيّ الهذلي[١] : قُنْيان (اللسان ٦٤/١٠) التي تبدو أنها كلمة مقترضة . إن الأمثلة كلها التي ساقها اللسان للفعل قني من مصادر عربية غربية كالأحاديث وحاتم الطائي ، والطمّاحي[٢] .

أ- ١١ -إن أكثر الملامح ذيوعاً وشهرة في لهجة الحجاز هو تسهيل الهمز ، والهمزة مسؤولة عن الصعوبات الحقيقية والوحيدة في كتابة العربية ونطقها ، وقد نال تغير هذا الصوت قسطاً وافراً من الاهتمام ، إذا صرفنا النظر عن أعمال فقهاء اللغة العرب ، فإننا لا نستطيع أن نغض النظر عن أعمال اللغويين الأوروبيين نحو : فايل : ,weil Zass, xix,1-63والمادة مأخوذة من النحويين) ، شوارتز : عمر ص ١٠٣-ص١٠٩ (الشعر الحجازي) كذلك Zass, xxx-59-64(رسم المخطوطات القرآنية) ،

---

(١) ربما يقصد البيت الذي جاء في اللسان مادة قنا والذي هو في الحقيقة لأبي المثلّم الهذلي يرثي به صخر الغيّ وهو :

لو كان للدهر مالٌ كان مُتلِدَه   لكان للدهر صخرٌ مالَ قُنْيانِ

والقنية والقنوة من معانيهما ما يُقتنى من الغنم أو غيره . (المترجم)

(٢) ربما يقصد ما قد جاء في اللسان مادة قنا من قوله صلى الله عليه وسلم : «فاقنوهم» فسرها في اللسان : أي علّموهم واجعلوا لهم قنية من العلم . . . قال ابن سيده أيضاً : وأما البصريون فإنهم جعلوا الواو في كل ذلك بدلاً من الياء لأنهم لا يعرفون قنيت» .

وأما حاتم الطائي ففي قوله :

إذا قلّ مالي أو نُكِبتُ بنكبةٍ   قنيتُ حيائي عفّة وتكرُّمـــاً

وكذلك الطمّاحي وقوله :

كيف رأيت الحَمِق الدّ لَنظَى   يعطى الذي ينقصه فَيقنى؟

بيرجستراسر في : (GQ,iii,43-49) الرسم القرآني الرسمي التقليدي) ، فولرز : Volkssprache, pp.83-96 (مصادر عدة) ، فتستشتاين في -ZDMG, xxii,168 178 العامية البدوية ، برتزل (Islamica, vi,303-318 التجويد) . حاول الكتاب المعاصرون في (Comptes, Rendus de, GLEcs,iii,97-79) أن يفسروا الحقائق صوتياً مع استشهادات من أعمال مجرَّبة ومطبَّقة من العبرية الحديثة ، في المواطن التي حدث فيها التغيير نفسه .

إن كثيراً من تعقيد المشكلة ينشأ عن الموقع المتميّز للنطق الشرقي على الخط الحجازي ، مع التعديل المتتابع فيهما كليهما ، الذي أدى إلى طريقة الكتابة المعاصرة ، والأمر نفسه ، أي عدم وجود محاولة دائبة لتقديم تصويت تام يجعل الهمزة ضمن الأصوات الصامتة ساهم في إيجاد نطق أخفى ذلك الصوت ، كان مسؤولاً عن بعض الشذوذ في التعبير العبري الإنجيلي . انظر : (Bergstrasser, Hebr.,Gramm.,I,89-93).

m– ١٢ – تعطي كل لهجة سامية إشارات إلى نزعة الاستغناء عن الهمزة ، ومع ذلك نلاحظ في الآرامية وحدها أنها اختفت تماماً كما في العربية الغربية[١] . والعربية الشرقية ،كما وصفها فقهاء اللغة[٢] ، كانت لغة محافظة إلى حد بعيد في هذا الجانب ، ولم تنافسها في ذلك سوى الأوجاريتية ، ومع ذلك ، حتى مع حذف الهمزة من يُقْتل في يُؤْقتل ومن «الله» في الإله (انظر : شوارتز ، عمر ، ١٠٣/٤) ، في لهجة تميم : يَرْأى (العبرية يِرْئِي) صارت يرى ،كما هي في أي مكان آخر (سيبويه ٣٧/٢) وأسقطوا الهمزة الأخيرة بعد حركة في الوقف (انظر : السابق ٣١١) .

كل اللهجات باستثناء تميم ، خففت الهمزة الثانية من همزتين منفصلتين بحركة قصيرة فقط[٣] . ولا يتم تطويل تلك الحركة إلا إذا جاءت الهمزة مباشرة قبل صوت صامت (الزمخشري ، المفصل ص١٦٧) . في لهجة ما مُدَّت الحركة ولكنها ما زالت تنطق الهمزة

---

(١) عدا المادة الموجودة في النحو المقارن ، أضف الآن ما لاحظه أوليان دروف (لم يطبع بعد) من أنه في التجرينية نزعة متزايدة للعمل بالهمزة في الكلمات ، بدأت تترك أثرها في الخط .

(٢) مما يشكك بأنه حتى اللهجات الشرقية لم تحافظ على الهمزة تماماً كما أشار النحاة ، وإنّه من المؤكد جداً أنّ أيّاً من العاميات ، مع كل نطقها القوي قد فعلت ذلك .

(٣) في الخط الصفوي الصعب : أأمْر ، أأسْد (النقوش الصفوية ، ص٣١) .

(المرجع السابق) . حتى لو حصل اتفاق بين اللهجات في هذه النقطة فإن وجهات نظر النحاة تظل مختلفة ، فأئمة جمع إمام ، رفضها سيبويه مؤثراً أيمَّه ، ولكن القراء الكوفيين تبنّوها ، ولم تُخفف الهمزة في مثل هذه الحالات في المخطوطات المتأخرة ، إن الرسم القرآني القديم في حاجة ماسة إلى الاتساق .(GQ, iii,45) إن التخفيف أو الحذف المؤثر في الحركات التي يبتدأ بها كما في لوَ انَّ في لوْ أنَّ ، وجد في الشعر الشرقي نحو : يالَ في يا آلَ (wright,ii,153B)[1] وهي الصيغة الموجودة في أي مكان ، إذا كانت قاعدتنا[*] صحيحة بأن الرخصة الشعرية تعكس استعمالاً حقيقياً ، ستكون الهمزة من ثَمَّ ، أقلَّ ثباتاً في اللهجات الشرقية أكثر مما يريدنا النحاة أن نعتقد ، أما بالنسبة للهجات العربية الغربية فإن الهمزة قد سُهِّلت أو جرى التخفف منها في كل مناطقها .

ويجعل أبو زيد[2] (في اللسان ١٤/١) تسهيل الهمزة مقتصراً على أهل الحجاز ، وهذيل ، ومكة والمدينة ، بعد أن ذكر مباشرة شيئاً[3] مما يقوله بنو عجلان من قيس[4] . ومع ذلك قيل إن قيساً تحقّق الهمزة (الجاربردي ، مما استشهد به هُوِل ٩٣٠/٤) ، وقد تقلبها أحياناً عيناً[5] . (السيوطي ، المزهر ١٣٣/١) .

يقول الأزهري (اقتباس هُوِل : ٨٢٤/٤) إن بعض طيء لا تنطق الهمزة وقد وجدنا إشارات على تسهيل الهمزة في اللهجة اليمنية (الفصل الرابع- فقرة n) كذلك انظر الخريطة رقم ١٤ .

n- ١٣ - إن الأخبار الواردة من النحاة كلها بوجه عام تشير بوضوح إلى اختفاء الهمزة تماماً بوصفها فونيماً (وحدة صوتية) ، وليس تخفيفها في النطق ، التميميون يحققون الهمزة دائماً ، والحجازيون يحققونها فقط عند اضطرارهم لذلك (عيسى بن عمر

---

(١) ويقدم بارث Barth (Sprachwiss,Untersuch,ii,38-4 مثل هذه المناقشات ذات الشأن على التأثيل والتأصيل .

(٢) بقوله في اللسان في مقدمة عن حرف الهمزة : «أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون» . (المترجم)

(٣) إذ قال أبو زيد في اللسان (السابق) : «وسمعت بعض بني عجلان من قيس يقول : رأيت غُلامَيْبِيك ، ورأيت غُلاميِّسَد تحول الهمزة التي في أسد وفي أبيك إلى الياء ، ويدخلونها في الياء التي في الغلامين» . (المترجم)

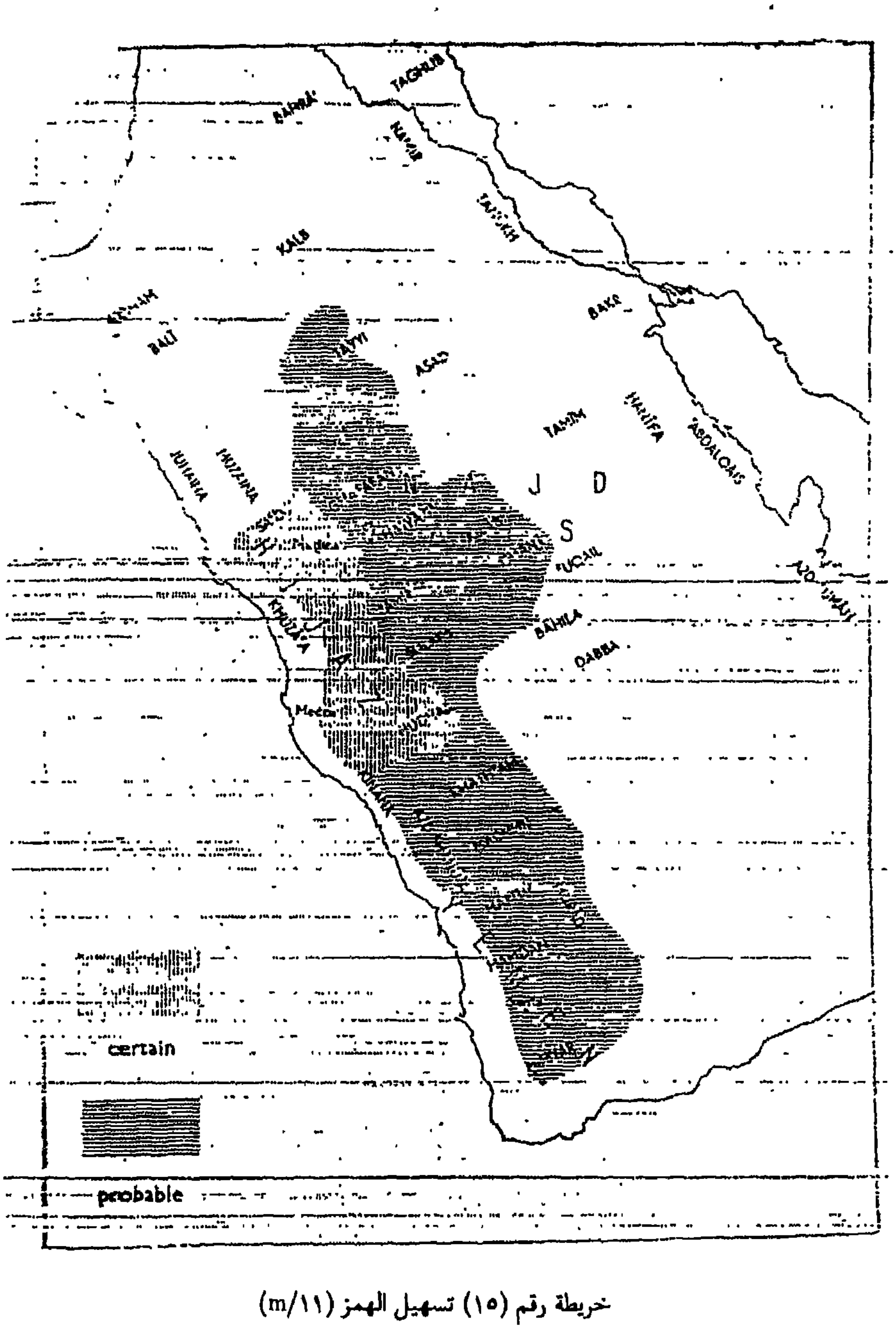
(٤) لا أعرف تجمعاً بهذا الاسم ، وربما يكون قد حصل خطأ والمقصود قيس عَيْلان .

(٥) يقصد العنعنة فقد ورد في اللسان مادة عنن أن الفراء ينسبها إلى تميم وقيس وأسد . (المترجم)

(*) تقول الشاعرة الحماسة المرزوقي ٢٢١/١ .

ادعا دعوة يوم الشرى يا لما لك ومن لا يجب عند الحفيظة يُكْلِمِ

وقد نشرها المرزوقي على غير ما يرى المؤلف .



خريطة رقم (١٥) تسهيل الهمز (m/11)

في اللسان ١٤/١)[1] . وإن أهل الحجاز يجدون صعوبة في نطق ولو همزة واحدة فما بالك بهمزتين متتاليتين (سيبويه ، ١٧٢/٢) ؛ أهل الحجاز لا ينطقون الهمزة (الصحاح ٤٠٢/١) ، والهمزة ليست من لغة قريش (ابن الأثير في التاج ١٣٨/١٠) ، الخ . وهذا لا يعني أنهم كانوا لا ينطقون الهمزة في ابتداء الكلام . وما فعلوه أثبته بوضوح ابن فارس (الصاحبي ، ص٧١) والجزري (في النشر ٤٢٢/١) ، وفي الإدراج طبعاً تسهّل الهمزة (انظر :الأستراباذي اقتبسها هُول ٩٣٠/٤ ، والجاربردي ، السابق ص٩٤٠)

o- ١٤ - كان الحجازيون ، طبعاً ، قادرين على نطق الهمزة كالإنجليزي تماماً ، وبما أنها ليست فونيماً في لغتهم ، كان يخطئون مكانها حين يحتاج نطقها إلى جهد ما وهذا ما يسمى أحياناً فوق القياس .

غالباً ما يعامل شعراء الحجاز همزة الوصل معاملة همزة القطع (شوارتز ، عمر ، ١٠٩/٤) وهذا ليس من قبيل الضرورة الشعرية (wright, ii, 377A) ، ولكن عدم الاعتياد على الاستعمال الصحيح يستدل عليه بحقيقة أنه من الصعب أن يؤثر الإبدال في أل التعريف التي كانت أكثر تكراراً ووضوحاً في الكلمات المبدوءة بألف الوصل ، وقال الحجازيون : «نبيءٌ» بدل «نبيٌّ» ، والبريئة في البريَّة (سيبويه ١٧٥/٢) والقارئ الحجازي نافع هو الوحيد الذي قرأ : أَنبِئَاء في أنبياء (البيضاوي ٧٣/١) والكلمتان من أصل أجنبي (Jeffery, foreign vocabulary, p.276,76) ومن المفترض أن تكونا قد وصلتا إلى العربية بصورتهما الآرامية دون همزة .

p- ١٥ - لا يتحدث النحاة العرب عن اختفاء الهمزة أو عدم ظهورها وما يعقب ذلك ، ولكنهم يتحدثون عن التخفيف الذي يجعلونه في درجات مختلفة : الحذف ، إبدالها بالواو أو الياء[2] ، أو تحويلها إلى همزة بين بين (Weil, ZASS, xix,16). ويمكن التعبير عن اصطلاحاتها هذه أو تمثيلها بالصوامت . ومن وجهة نظرنا إنها مسبار لكل ما يحدث عند اجتماع الأصوات التي سبق الفصل فيما بينها بالهمزة ، خاصة أن سقوط الهمزة قد تبعه ظهور أصوات مزدوجة ليست معروفة

(١) عيسى بن عمر قال : «ما أخذ من قول تميم إلا بالنبر ، وهم أصحاب النبر ، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا» (المترجم)

(٢) قلب الهمزة واواً أو ياء يضعه الصرفيون العرب في باب الإعلال . (المترجم)

في العربية ، مما يجب أن تتخلص منه اللغة ، وعليه فإن تصنيف هذه الظاهرة حسب مواقع الهمزة المحذوفة ، متصل بمجاورتها للصوائت والصوامت .

ولسنا بحاجة إلى أن نأخذ بعين الاعتبار الهمزة في بنية الكلمة الداخلية مادامت تعامل في بدء الكلمة ونهايتها معاملتها في وسط الكلمة ، باستثناء وجودها غير المقيد بالبداية أو النهاية ، من المحتمل جداً أن الاختلافات في التطور الصوتي قد نشأت عن موقع الهمزة المحذوفة وارتباطها بنبر الكلمة ، ولكنني لم أجد دليلاً على ذلك حتى الآن .

q- ١٦ - إن الهمزة التي تقع بين صامت وصائت ، لا ينشأ عن حذفها أي تغيير سوى عدم تعيين حدود المقاطع نحو : قِرَا : ق رَا في : قِرْأً (الأصمعي ، الأضداد ، ص٥) ، قُران في قرآن (النيسابوري ، الغرائب ٣١/١) .وهذا ما حدث بالضبط في الآرامية المسيحية الفلسطينية (انظر Nöldeke, ZDMG,xxii,466) ، والعبرية التوراتية ، والحديثة (انظر Rabin, Melilah,ii,248) ، والعاميات : مَرَا في مَرْأَة-Rhdo kanakis, Dhafar,ii,76)في الرسم القرآني لا يشار إلى الهمزة الأصلية في معظم الأحوال نحو يَسَمُ[1] (٩٤/فصلت) وتَسَمُوا[2] (٢٨٢/آل عمران) في يَسْأَم وتَسْأَمُوا ، ومَشَمَة[3] في مَشأَمَة (٩/الواقعة) ويَنَون[4] (٢٦/الأنعام) في يَنأَوْن ، وتَجَروا[5] (٦٥/المؤمنون) في تَجْأَروا ، وقد تكرر : أَفِدَةٌ في أفئدة ، ويَسَل في يسأل ، الخ ، ومَلَكٌ في مَلاكٌ . والألف في أل التعريف تكتب في العادة ، والسبب في ذلك بلا شك لأن المثال دون أل التعريف كان حاضراً في ذهن الناسخ ، ولكنّ هناك حالات مثل : أصحاب لَيْكَه[6] في أصحاب الأيكة

---

(١) يقصد قوله تعالى في الآية ٩٤/ من سورة فصلت بالرسم القرآني : (لا يَسْـَمُ الإنسان من دعاء الخير . . .الآية) . (المترجم)

(٢) يقصد قوله تعالى من الآية ٢٨٢/من سورة البقرة بالرسم القرآني : (. . .ولا تسئموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً . . .الآية) . (المترجم)

(٣) يقصد قوله تعالى في الآية ٩/من سورة الواقعة : (وأصحاب المشْئمة ما أصحاب المشْئمة) . (المترجم)

(٤) يقصد قوله تعالى في الآية ٢٦/من سورة الأنعام : (وهم يَنْهون عنه ويَنْئون عنه . . . .الآية) . (المترجم)

(٥) يقصد قوله تعالى في الآية ٦٥/من سورة المؤمنون : (لا تجئروا اليوم إنكم منا لا تنصرون) . (المترجم)

(٦) يقصد قوله تعالى في الآية ١٣/من سورة ص : (وثمود وقوم لوط وأصحاب لئيكةِ أولئك الأحزاب) . (المترجم)

(الآية- ١٣/ سورة ص) ونشأة وردت مرتين بالألف (في الآية- ٢٠/العنكبوت[1] ، وفي الآية- ٦٢/سورة الواقعة)[2] . وبقدر علمي فإن هذه هي الحالة الوحيدة في القرآن الكريم التي تأتي فيها الهمزة بعد صوت صامت وهي متبوعة بعلامة التأنيث ، ولا حاجة للتوضيح بأنها تُقْرأ (نَشْأَةٌ) .

يخبرنا الزمخشري (في المفصل ، ص١٦) بأن بعض اللهجات غير لهجة الحجاز ، تقول : المَرَا في المَرْأَة والكَمَا في الكَمْأَة ، ويُعزَى الشاهد المُعْطَى إلى شاعر عراقي حضري هو الكميت وهو من أصل تميمي[3] . وفي العامية التونسية يقولون مْرَا كذلك ، الذي يبدو أنها مقيسة على نمط رْدَا في رداء (Stumme,Grammar,p.49) ويمكن أن يكون المثال القديم من قبيل تجنب النمط غير العادي . والأمثلة الأخرى بالمدّ أو التطويل مشكوك في أمرها ، ففي بيت لعمر بن أبي ربيعة قال : تَدَابَانِ في تَدْأَبَانِ (شوارتز ١٠٦/٤) ، ويمكن أن يكون هذا قد أعيد اشتقاقه من دابَ الحجازية في دَأَبِ ، وبالنسبة إلى ملاك في ملأك ، لا يوجد دليل أو شاهد أقدم من القرن السابع الهجري/القرن الثالث عشر الميلادي (انظر : Boneschi, (JAOS,lxv,109) .

r- ١٧ - أينما تحذف الهمزة قبل الحركة الإعرابية ، لا نجد ما يعبر عن ذلك كتابة ، خاصة أن الحركة نفسها تسقط أيضاً عند الوقف . وعليه فـ «رِدْءٌ» وفي الحجازية «رِدٌ» ستكون عند الوقف «رِدْ» (الاسترابادي ، اقتباس هُول ، ٨٠١/٤) . وتحتفظ لهجة تميم بالهمزة في الوقف سواء من خلال نقل حركة الحالة الإعرابية قبلها نحو : الرِّدُء (حالة الرفع) ، الرِّدِء (حالة الجر) ، الرِّدَأ (حالة النصب) ، أو من خلال إقحام حركة حيادية قبل الهمزة التي تتحمل نبر الحركة ، وهو ما يحدث في بعض اللهجات نحو : الرِّدِء في جميع الحالات الإعرابية (سيبويه ٣١٢/٢) ، وانظر : (Birkeland,Pausal formen,p.61)في احتفاظ نظام الكتابة العربية بالهمزة في

---

(١) يقصد قوله تعالى في الآية ٢٠/من سورة العنكبوت : (. . .ثم الله ينشيء النشأة الآخرة . . .الآية) . (المترجم)

(٢) يقصد قوله تعالى في الآية٦٢/من سورة الواقعة : (ولقد علمتم النشأة الأولى . . .الآية) .

(٣) بناء على ما ذكره ابن يعيش ص١٣٠٧ فإن الفراء والكسائي قد أجازا مثل هذا الإبدال في العربية الفصحى ، بحيث يمكن أن نعزوه إلى بعض اللهجات الشرقية ، سيبويه (١٧٥/٢) بالرغم من أن هناك شكاً ما ، يلمح إلى أن يسال في يَسْأَل قد استعملت في اللهجات نفسها كما في سِلْتُ (انظر فقرة g g) .

أواخر الكلمة حافظ على القراءات القرآنية ورسمها ، حتى في البنية الداخلية للكلمة حرصت على وضع الألف لتدل على وجود الهمزة قبل الفتحة نحو : مشامة في مشئمة بالرسم القرآني الخ .

s- ١٨ - والاستثناء الوحيد من قاعدتنا التي تخص الهمزة بعد أحد الصوامت ، إذا كان هذا الصامت واواً أو ياءً ، في مثل هذه الحالات يضعّف الصامت نحو : أوَانْتَ في أوَأَنْتَ ، أو : رأيت غُلاميِّيْكَ في غُلامَيْ أبيك (سيبويه ٢/١٧٥-١٧٦) ، والتعبير الأخير سمعه أبو زيد في بني عجلان من قيس (اللسان ١/١٤ وانظر كذلك الفقرة m آنفاً) ، وربما هناك مثل آخر هو : حُدَيّا في حُدَيْأَه تصغير حِدَأَة (أبو حاتم في اللسان ١/٤٧ ، انظر كذلك فقرة ee فيما يلي) : والإجراء نفسه يمكن أن يكون في لهجة ظفار حيث تحتفظ بالهمزة بكثرة نحو : نَوَّة في نَوْءَة ، هَيَّة في هيأة (Rhodokanakis, Dhofar,ii,74)(١) ، ويفترض كانتينو (BEO, I, 9 (٢) أن هذا التغيير قد حصل في حالة تشديد الجمع في الآرامية أيّا- -ayyā في أياه (كما في المفرد مَلْكا في مَلْكأى) .والهمزة في كل هذه الحالات أشبه بنصف الصامت ، مثل هذا التغيير ، بالطبع ، لا بد أن يكون قد حدث قبل اختفاء الهمزة تماماً .

t- ١٩ - كذلك في القراءات القرآنية هناك حالات من مماثلة الهمزة للأصوات الصامتة التي تتقدمها(٢) ، في الآية ٢٤/ من سورة الأنفال ، قرأ بعض القراء المَرِّ في المَرْءِ(٣) .

وفي الآية ٤٤ من سورة الحِجْر قرأ الزهري المدني «جُزٌّ» في «جُزءٌ»(٤) وكلاهما في

---

(١) وقد يكون تماثلاً حقاً للهجة حوران ، والأمثلة التي يضربها كانتينو (جوران ص١٤٠) للمماثلة في الأصوات التي تتقدم الهمزة : ضوّ ، في ضوء ، وفَيْ وفَيء في فَيء ، وَقَيَّاه .

(٢) هذا النمط من المماثلة في الآرامية ليس شائعاً في صيغة اتَّفْعَل في اثْأَفْعَل ولكن في الآرامية اليهودية البابلية كذلك في : اتّبَعل فيما كان أول جذره الألف نحو : إتَّجُر- إتَّجُر . بمعنى تنبأ (B ab.Talm,Abodah Zarah,2b).

(٣) يقصد قوله تعالى : « . . . واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه . . .الآية» .

(٤) يقصد قوله تعالى : «لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزءٌ مقسوم» . ففي الكشاف ٢/٦٥٥- ط دار الكتب العلمية «وقرىء جزء بالتخفيف والتثقيل ، وقرأ الزهري جُزٌّ بالتشديد ، كأنه حذف الهمزة وألقى حركتها على الزاي» . (المترجم)

الوقف . ويعد الزمخشري (الكشاف ص٧٢٠) مثل هذه الحالات من قبيل التشديد الذي يحصل في الوقف (wright,ii,369A) مما تحوّل في درج الكلام ، وهو مع ذلك ، كغيره من النحاة يرى أن هذا التشديد لا يمكن تطبيقه في الكلمات التي تنتهي بالهمزة (المفصل : ص١٦١) ، وبالطبع لا يوجد همزة في أواخر الكلمات في لهجة الحجاز .

والراجح أن الكلمتين اللتين تمثلان محاولة التكيّف مع الأنماط الأكثر اعتباراً هما : مَرُو وجُزُو (انظر : أب ، أخ في الفصل السابع فقرة m ، ومَرَاه ونَشَاه ، فصل q آنفاً) . ومع ذلك فإنه لا ينطبق أي تفسير من هذه التفاسير على حالة تَرِّيَّة (غير تَرِيَّة) في تَرْئِيَّة بمعنى : آخِر دم الحيض (عن الليث في اللسان ١٠/١٩) ، ويبدو أن هذه الكلمة أجنبية ، من الكلمة المِشْناويّة «رَئِيَّاه» مسرب الدم أو سيلانه[١] . ومن المشكوك فيه أن يكون أحد هذه الأمثلة له علاقة بلهجة الحجاز .

u- ٢٠ - حيثما تجد الهمزة بين الصائت (الحركة) والصامت فإن المقطع يغلق ، والحركة تطول والهمزة تختفي كما رأينا في الرسم القرآني . وهكذا حوفظ على مقدار طول الصوت ، الإيقاع في العربية يخص التنويع في طول الصوت (انظر Trubetzkoy, Grundzüge der (ogy, phonol p.174, Cantineau, BSL,xliii,128) .

إن الحركات الطويلة الناتجة من هذه القافية تكون طليقة كالصوائت الطويلة في الأصل ، (شوارتز ، عمر ، ١٠٩/٤) ، إن الألف التي تشير إلى تطويل الفتحة كانت تُغْفَل في المخطوطات القديمة ، بالطريقة نفسها التي تغفل بها الألف الأصلية (GQ, iii, 33) إلاّ من حالات قليلة ذُكرت في المعاجم ، مثل جُونه في جُؤْنه (يونس في المزهر ، السيوطي ١٧٦/٢ ، وابن قُرْقُول[٢] في التاج ١٥٩/٩) ، ولكن الجوهري (الصحاح ٣٦٤/٢) لا يعرف

---

(١) التاء للاشتراك مع المصدر والتصريف الثاني وقد لاحظ مالتزان (ZDMG,xxvii,245) إضافة مشابهة للتاء في العامية اليمنية : تِراس في رَاس ، وأتذكر أن هناك حالات في المعجم . كما في الكلمات المبدوءة بالحروف الشمسية . وقد يكون هذا هيّناً بالنسبة لعلامات التأنيث التي يفترض أن تأتي في أواخر الكلمات ولكنها تسبق الكلمات نحو : ات- إر راس- تراس كما في الإنجليزية - an apron تنطق a napron (المَريلة ، الوزره) . وفي العامية الفلسطينية تلحمي نسبة إلى بيت لحم (St ephen,JPOS,xiii,235) . (المترجم)

(٢) ابن قُرقُول ، هذا ضبطه وليس قَرقول كما أورده المؤلف وهو أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف الوهراني ولد بالأندلس وانتهى به الأمر إلى مدينة سلا بالمغرب وكان فقيهاً وأديباً ونحوياً ومحدّثاً ، ت عام ٥٦٩هـ . (انظر سير أعلام النبلاء ٥٢٠/٢٠) .

سوى جونة وأما جؤنة فلا علم له بها[1] . في عامية وسط اليمن يطيلون الحركة السابقة على الهمزة التي يليها صوت صامت ، بالرغم من أنّ نطق الهمزة ما زال باقياً . (Goitein, Jemen-ica, p.xiii) ، وشبيه بهذا تطويل الفتحة القصيرة إلى ألف في الإثيوبية قبل الأصوات الحلقية الساكنة ؛ وربما يكون هذا سبباً في الخروج على القياس في العربية ؛ حيث تصير الحركة في مثل رأس ، ألفاً وبالتالي ضمة طويلة مُمَالة في وقت مبكر جداً (رُشْنُو في تل العمارنة) ، وكتبت الألف فيما بعد في روش Rosh ، وصُوْن Son الخ . ولا حاجة إلى الإشارة إلى أن الألف كانت تحذف بالتزامن مع التطويل أو قبله ، ويمكننا أن ندَّعي أن ترتيب الأحداث نفسه قد حصل في عربية الحجاز : أولاً تطويل الحركات مع الاحتفاظ بالهمزة ، ثم سقوط الهمزة ، والإبقاء على الصائت الطويل فقط ، إنَّ مصطلح التطويل المكافيء لا ينطبق على مثل هذه الحالة .

٧- ٢١ - لمماثلة الهمزة بنصف الصائت الذي يليها ، لدينا مثال وحيد وهو : رُيَّا في رُؤْيا (الزمخشري ، الكشاف ، ص ٤٦١ ، الكسائي في اللسان ٩/١٩) ، وعدّها الزمخشري من قبيل العاميّة ، و الفراء (في اللسان المرجع السابق) يعترف بأن مثل هذا يحدث في الكلام وليس في القراءة القرآنية[2] إنه ، على أي حال ، النطق الذي أقيم عليه الرسم القرآني رُيَّا . وهناك صيغة أخرى وهي رِيَّا (الأخفش[3] في اللسان ، السابق نفسه) ، ولم يُذكَر في أية لهجة تقال كذلك ، بناء على حقيقة أن

---

(١) في إقحام الهمزة بعد الحركة الطويلة (خاصة مع الضمة الطويلة) ، انظر : الفصل ١٤ الفقرة r.

(٢) رجعت إلى الكشاف في المواضع التي وردت فيها الرؤيا في سورة يوسف ٥ ، ٤٣ ، ١٠٠ ، والإسراء ٦٠ والصافات ١٠٥ والفتح ٢٧ ، ووجدت في ٤٢٧/٢ في أول ورودها في الآية ٥ من سورة يوسف : ﴿قال يا بني لا تقصص رؤياك . . .﴾ ، قوله : «قُرِيء روياك بقلب الهمزة واواً ، وسمع الكسائي رُيَّاك ورِيَّاك ، بالإدغام وضم الراء وكسرها وهي ضعيفة . . .» وأمّا نسبتها إلى العامية فقد وردت في مكان آخر ٣٢٤/١ مع تفسير الآية ٢٨ من سورة البقرة ، وأما في اللسان مادة رأى فقد أورد قول الكسائي بعد ما ذكر عن الفراء بقوله : وزعم الكسائي أنه سمع عرابياً يقرأ : «إن كنتم للرُّيَّا تعبرون» (٤٣/ يوسف) . (المترجم)

(٣) في اللسان مادة رأى : الرؤيا ما رأيته في منامك وحكى الفارسي عن أبي الحسن : رُيَّا . . . وكذلك حكى أيضاً رِيَّا . . . قال ابن جني : «قال بعضهم في تخفيف الرؤيا رِيَّا بكسر الراء . . .» وأستبعد أن يكون المحكي عنه المقصود هنا الأخفش كما ذكر المؤلف رابين لأنه توفي ٢١٥هـ ، والفارسي توفي ٣٧٧هـ فهما لم يتعاصرا حتى يحكي عنه ، خاصة أن الأخفش في تفسيره لم يذكر هذا الأمر . (المترجم)

الصيغة الأقدم هي رُويًا (وهي كذلك في اللسان) وأن اللهجة الحجازية غيّرت الضمة الطويلة إلى كسرة في الأفعال الجوفاء (انظر الفصل ١٢ ، فقرة (t)) يبدو من المحتمل أن رِيًّا هي الصيغة الحجازية الحقيقية في المنطقة الكنعانية ، فيما يبدو في الظاهر أنه الحذف نفسه ، توجد في - ryt ري ت– (مشهد) في ميشا المؤابية (سطر ١٢) ، مما يجب أن نقرأه ريّة[(١)] .

في حالة رِيٌّ في رِئْيٌ[(٢)] وهي قراءة أهل المدينة في الآية ٧٤/ من سورة مريم ووردت في الحديث الشريف[(٣)] (اللسان ٧/١٩) ، ولا نستطيع أن نقرر فيما إذا كانت تمثّل رِييٌ بالتطويل العادي للحركة ، أو : ريٌّ بالمماثلة ، وهناك أمثلة أخرى من مماثلة الهمزة مع صوامت أخرى ، ويبدو أن إقامته بصورة أفضل على التاء في التصريف الثامن[(٤)] ، فقد قرأ عاصم الكوفي في الآية ٢٨٣ من سورة البقرة : الذي اتُّمِنَ في اؤْتمن[(٥)] (الزمخشري ، الكشاف ، ص ١٨٤) . والصيغة موجودة في النثر القديم (Tabari Glossary, p.cxx). ويذكر الزمخشري في المصدر السابق نفسه أن(اتّزر)كذلك عامية ، أما (اتخذ) فهي من المماثلة الجائزة في العربية الفصحى ، وقيل إن الجذر الفرعي «تخِذ» الذي اشتق منه ، من لهجة هذيل (الفارسي ،

---

(١) استناداً إلى البروفيسور ريكمانز أن هذه الكلمة مأخوذة من -rwy روي التي تعني القديم .

(٢) يقصد قوله تعالى : ﴿وكم أهلكنا قبلهم من القرون هم أحسن أثاثاً ورئيا﴾ . (المترجم)

(٣) يقصد ما استشهد به صاحب اللسان في مادة رأى من قوله صلى الله عليه وسلم : «حتى يتبين لهما رِئْيُهُما . . .» بكسر الراء وسكون الهمزة أي منظرهما . (المترجم)

(٤) يبدو أنه يقصد صيغة افتعل . (المترجم)

(٥) في قوله تعالى من الآية ٢٨٣/ البقرة : « . . . فليؤدّ الذي اؤتمن أمانته . . .» الآية . وقد ورد في الكشاف ٣٢٤/١ ، ط دار الكتب العملية «وعن عاصم أنه قرأ الذي اتُّمِنَ ، بإدغام الياء في التاء قياساً على اتّسر في الافتعال من يَسَرَ ، وليس بصحيح لأن الياء منقلبة عن همزة ، فهي في حكم الهمزة ، واتّزر عامي ، وكذلك ريًا في رؤيا» . (المترجم)

ديوان هذيل ٨٦/١)[١] . مثل هذه الأمثلة نادرة جداً في العاميات مثل مومِن في مؤمن من العامية البدوية السورية (wetzstein, ZDMG, xxli, 172) هناك أمثلة منفردة في الأكَدية والآرامية والأثيوبية (انظر: (Brockelmann, GVG,I, 56,64) ، ويحتمل أن يكون تكرار مثل هذه الأمثلة في القرآن أكثر مما نظن ، لقد كتبت (شتما) في النسخة الكوفية في سمرقند «شتّما» في الآية ٥٣/ من سورة البقرة . (Jeffery and Mendelsohn, JAOS, lxii,183) ، إن المرَات الكثيرة التي تكرر فيها حذف الألف في «أخطأنا التأويل» الخ (GQ, iii,33) يحتمل أن يخبىء كثيراً من الحالات . وتكتب العربية المسيحية القديمة كذلك : اتّمَر ، واتّمَن (Graf, sprachgebrauch ,p.18)[٢].

w- ٢٢ - حيثما تجد الهمزة مسبوقة بالحركة نفسها يحصل لها التسهيل المماثل نحو: سَالَ في سَأَل (في الحجاز ، البيضاوي ٥٥٢/١ ، ٣٥٥/٢ ، في هذيل : التاج ٣٦٥/٦) . ليس من الواضح تماماً ما الذي يحدث حين يقع الصوت المركب في مقطع مقفل بينما العربية تتجنب الحركات الطويلة ، يبدو أنه قد يتمخض عن هذا التسهيل ، حركات قصيرة نحو: وَيْلُمِّه (وَيْلُ أُمِّه) في الشعر(*) . كلُّ الحالات التي استشهد بها شوارتز (عمر ، ١٠٧/٤) تتعلق بالمقاطع الأولى ، أي حين تؤدي ألف الوصل

(١) في الآية ٧٧/ سورة الكهف قرأ المكيان مجاهد وابن عباس والبصري أبو عمرو ابن العلاء : لَتَخِذْتَ في لَتَّخَذْتَ ورفض الثعالبي القراءة القياسية بحجة أنها تؤدي إلى عكس المعنى المقصود في السياق ، وقرأ أبو زيد لَتَخَذْتَ وهو بوضوح حل وسط (اللسان ٦/٥) ، وبناء على ما جاء في تفسير البيضاوي إنّ ابن كثير والبصريين هم الذين قرأوا : لَتَخِذْتَ في الآية ٦١- الكهف كُتبت الألف في : فاتخَذ ولم يقرأ أحد فاتخِذ . (والبصريان هما أبو عمرو بن العلاء ويعقوب بن إسحاق الحضرمي ، وأما نقله عن أبي زيد ففيه سهو فقد جاء في اللسان إن القراءة «لَتَخَذْتَ عليه أجراً» وليس كما أورد المؤلف لَتَخَذْت ، ولم يوضح المقصود من أبي زيد أهو زيد بن ثابت الذي كان يكنى أيضاً بأبي زيد ، أم أبو زيد الأنصاري حفيده؟ (المترجم)

(٢) مثل هذه المماثلة تظهر متفرقة في اللغات الشقيقة ففي العبرية ماكُولِث في يأكولِث (طعام جماعي) ، وقيل إنها مقترضة من الفنيقية (Rosenrauch, Revue Biblique, lv,77) إن الثقافة العربية لا تعرف مصطلح العربية المسيحية فليس هناك لغة خاصة بالمسيحية وأخرى خاصة بالإسلام ، فالعربية ليس فيها هذا التقسيم اللغوي) . (المترجم) .

(*) كقول الشاعر (الحماسة ، المرزوقي ١٢٠٢/٣) . (المترجم)

وَيْلُمِّ لذّاتِ الشباب معيشةً   مع الكُثْر يُعطاه الفتى المتْلِفُ الندي

وقول الآخر (نفسه ١٧٩٨/٤) :

إلى حذف بسيط في الحركة الأولى ؛ ففي الرسم القرآني تكتب سألتم بالألف ، وفي الحديث (البخاري ، الديات ، ٢١ ، والقسطلاني ٥٦/٠١) نجد آنْتُم (ءانتم) في أأنتم؟ إن أهل الحجاز كما في اللسان (٥/١٩) قالوا : أرأيت في الصيغة العامة أريت[1] . إن رسمهما في القرآن يتعارض مع المعهود (GQ, iii,44) . وعليه ربما تكون الصيغة مشتقة من أرَيْ .

ومن الواضح أن القرّاء الحجازيين قد توهّموا أنها صورة من رأى ؛ وعاملوها على أنها مأخوذة من رأى . على أي حال فهذه ليست من قبيل الصوائت الطويلة . (Barth, sprachw. unters., ii,27 seq. Marcel Kohen, Expression du temps, p.89) .

يقول أبو زيد (اللسان ٧/١٩)[2] في رَأَيْتُ إذا أردت تخفيف الهمزة قلت رايت الرجل فحركت الألف بغير إشباع الهمز ، ولم تسقط الهمزة ؛ ما يبدو أنه يتضمن نبرين ضئيلين أو توزيعاً لحركة طويلة على مقطعين ، وهو ما يطلق عليه الهمزة بين بين (انظر فيما سيأتي bb) . ولا يطلق هذا الاسم عليه في أي مكان . ويؤكد الزمخشري (المفصل ص١٦٦) وجود الهمزة بين بين في مثل سَأَلَ ، معترفاً بالتخفيف على أنه وجه من وجوه الإبدال ، ولكنه لم يأتِ على ذكر الحالة التي نحن بصددها .

وتُشَكِّل «كأيٍّ» حالةً خاصةً ؛ وقد جاءت «كاين» في بيت شعر لجرير التميمي (I,ix,4) ، ولكن اللسان (٢٥٥/١٧) يستشهد ببيت فيه «كاين» وَمِل من العربية الغربية في منَ ال (الفصل ٧/ الفقرة o) ، وقرأ ابن كثير المكي «كائِن» أو كاين من العربية في الآية ١٤٦/ من سورة آل عمران[3] . وتردُ أمثلة أخرى للشاعر لبيد (٢/٩) ولشاعر حنفي ، أي مشرقي (حماسة البحتري ، ص ١٨ ، البيت الأول) . ولا دليل على أن كاين من العربية الغربية . وقرأ ابن مُحَيْصِن المكي كأيٍّ (السيوطي ، الجمع ٧٦/٢) . ولا أستطيع تفسير

== فويلمُّها حيلاً بهاءً وشارةً   إذا لاقت الأعداء لولا صدورها

قول الخنساء نفسه ١٧٩٨/٤

ويْلَمّه مِسْعَـرَ حَرْب إذا   ألقي فيها وعليـه الشَّليـلْ

(١) وما جاء في اللسان مادة رأى : «أريتكم فلاناً . . . فإن أهل الحجاز يهمزونها ، وإن لم يكن من كلامهم الهمز ، فإذا عدوت أهل الحجاز فإن عامة العرب على ترك الهمز» نحو قوله تعالى : «أرأيت الذي يكذّب بالدِّين» وبه قرأ الكسائي . (المترجم)

(٢) أثبتُّ أعلاه ما جاء في اللسان مادة رأى ، بنصه . (المترجم)

(٣) يقصد قوله تعالى : «وكأيِّن من نبيٍّ قاتل معه رِبِّيُّون كثير . . .» الآية .

العلاقة بين الأمثلة الثلاثة ، كذلك الحالات الأخرى غير متيسّرة إلى حد بعيد .

x- ٢٣ - حيثما تجد الهمزة مسبوقة بحركة قصيرة ومتبوعة بصائت طويل مماثل ، تختصر أو تختزل الاثنتان في واحدة طويلة كما في جبريل من جِبرِئيل (التاج : ٨٤/٣) .

وروس في رؤُوس في بيت شعر لقيس بن الخطيم (ابن دريد ، الاشتقاق ، ص٦٨)[1] ، وفي النص القرآني يكتب الصائتان ، مع أنه يجب أن ينطقا صائتاً واحداً نحو : خاطين في خاطئين مما تكرَّر كثيراً ، وفي الآية ٢٤/ من سورة الرحمن- المنشات في المنشئات (انظر GQ, iii,44,45) وبالطبع كذلك روس في رؤوس ، والمقاطع المختصرة عُدَّت في الشعر الحجازي في طول واحد (شوارتز ، عمر ١٠٧/٤) .

y- ٢٥ - وبالمقارنة مع حالة نادرة ، لا تصاحب إلا الفتحة القصيرة ، وذلك حين يسبق الهمزة صائت طويل ويتلوها صائت قصير مماثل كما في ساءَل (للمزيد انظر فقرة kk الآتية) تجوز فيها طريقتان ، أحداهما أجازها النحاة ، وهي التي تبقي كل صائت على حدة ، دون تقصير أو تطويل وكأنهما مقطعان تطريزيان عروضيان (اللسان ١٩٦/١) ، يعتبر فصلهما إخلالاً ، فنيَّة الصوت (ابن يعيش ، ص ١٣٠٨) ليست صوتاً محققاً (انظر : schaade, sibaw, (Lautlehre,p.32; Bravmann, Ma-terialien,p.93) ، ولا عجب إذا لم يجد النحاة ما يمكن أن يَصِفوا به الصوت (Weil, ZASS, xux,19)وإننا سنجد مثل هذا الأمر ، الذي سمي همزة بين بين في كثير من السياقات . من المشكوك فيه ما إذا كانت الهمزة بين بين تخص النطق الحجازي حقاً ، في الوقت الذي قد يمثّلها الرسم القرآني بتصويرها ألفاً ، غالباً ما يُعَدُّ المقطعان مقطعاً واحداً في الشعر الحجازي ، (شوارتز ، عمر ١٠٨/٤) ؛ وهذا يرينا أنهما بالنسبة للحجازي قد اندمجا تماماً ، والاختلاف في الحقيقة على درجة واحدة . في العامية اليهودية المعاصرة تُنْطَق مثل هذه المركبات بنغمة واحدة ومن الصعب غالباً القول بأنّ المسموع حركة واحدة أو حركتان ، فالصائت الأول على درجة عالية من النبر ، أما الثاني فدرجة نبره هابطة (انظر Rabin, GLECS, iii,78) ، وقد جعل ابن قتيبة تقصير الصوائت من العامية (أدب الكاتب ، ص٣٩٤) .

z- ٢٥ - إن الهمـزة بين بين هي الأقرب إلى تحقيق الهمزة التي تحتفظ بها لهجة الحجاز ، وإنه من المحتمـل أن يكون الحجازيون قد تلفظوا بها في كلامهم عند محاولتهم

---

(١) في الديوان (تحرير كوالسكي ، ١٧/٤) جرى تنقيح البيت بحذف روس ، (وللأسف لم أعثر على هذا البيت في الاشتقاق تحقيق عبد السلام هارون- المترجم) .

بحرص أن يتجنبوا التقصير أو التطويل في لهجتهم ، إنهم يبذلون جهداً في نطق الحركات بوضوح وإلاّ سيحصل له تقصير ويبدو أحياناً قد حصل تطويل للحركات القصيرة التي تسبق الهمزة ، وعاملوها عروضياً معاملة الطويلة (انظر ، شوارتز ، عمر ، ص ١٧٤ ، كذلك ZASS, xxix,50) وقد وجدت بقايا من نزعات مشابهة في الرسم القرآني ، ولكن يبدو أنه قد أسيء تطبيق أو استعمال ما يفضي إليه هذا الخط (انظر : GQ, iii, 48, seq) ، ولدينا هنا مثال آخر أكثر من صحيح على ذلك (انظر فقرة o) . .

aa- ٢٦ - وليس لدينا أمثلة في النصوص الحجازية على الهمزة التي تُسْبَق وتُتْلى بالصائت الطويل نفسه ، ويورد شوارتز (عمر ، ١٠٩/٤) يترايانا[1] . ولكنها ليس تحويلاً صوتياً لـ «يتراءانا» بل هي مأخوذة من التصريف الثالث الحجازي رايَي- rayä [2] (اللسان ، ٨/١٩) ، التي أعيد صوغها من الفعل الناقص : يُرائي- يرايي (انظر الفصل الرابع فقرة (p) ، وقد انبثقت قِرايات العربية المسيحية في قراءات بالطريقة نفسها (Graf, sprachgebrauch, p.19).

bb- ٢٧ - إذا أُحيطت الهمزة بحركات مختلفة يترتّب على طرق التناول المختلفة نتائج متعدّدة جنباً إلى جنب ، وأكثرها شيوعاً أو ظهوراً هو الإبقاء عليها منفصلة عن الهمزة بين بين ، أو ربطهما بمدٍّ يوصِل فيما بينهما ، وإنَّ تتبع ما يحدث في العربية الحديثة يقودنا إلى أنها ليست إلا اختلافات في الدرجة ، مع تفاوت متعدد من التدريج فيما بينهما ، وإن ظهور الإبدال نفسه قد لاحظه جويتين-Goitein, Je) (menica, p.xiiiفي عامية وسط اليمن ، والعامل الرئيسي هو سرعة نطق الكلام ، فالإبطاء يسمع انزلاقه الصوتي بصورة أقل ، إن طبيعة الانزلاق الصوتي يُقَدَّر بالحركة الأضيق : فبين الفتحة والضمة واو ، وبين الفتحة والكسرة ياء ، ويذكر الزمخشري (في المفصل ص ١٦٦) إن الانزلاق الصوتي يظهر بوضوح بين الضمة الفتحة ، والكسرة والفتحة ، وليس بين الفتحة والضمة والفتحة والكسرة ، إنها ملاحظة صوتية مؤيّدة تماماً بالسجلات العبرية الحديثة .

ولا تزال مدوّنات النطق الحجازي تكتب في الحالة الأخيرة واواً وياء أيضاً لعدم وجود رموز أخرى مقبولة نحو : حينيذٍ في حينئذٍ (ابن خالويه ، البديع ، ص١٥١) ، وقراءة ابن

(١) ولكنها في الديوان : يتَرابانا . (المترجم)

(٢) الأَوْلى أن تكتب : رايا أي بالألف القائمة ، ولكن المؤلف اصطلح أن يشير للألف المقصورة بالحرف اللاتينيةً . (المترجم)

عباس في الآية ١٤٢/ سورة النساء يراوون في يراؤون[١] (Jeffery, p.179) ، ولا يُؤخذ آخر الكلمة في الحسبان عند النطق كما في أقْرِ يَباك في أقرئ أباك (سيبويه ٢/١٧٢) . مثل هذا الخط نادر في القرآن ، ولكنه يظهر في عبارات يعتقد أنها تُكَوِّن وحدات مغلقة نحو : يَبْنُومّ في يا ابن أمَّ- يَبْنَؤمَّ (٩٤/ سورة طه)[٢] .

إن الخط بالمد قد طُبِّق في القرآن بلا اعتراض أو شذوذ ، ولم يُغيِّر الرسم المتأخر شيئاً غير وضع الهمزة على الصوت الذي فيه مدّ أو انزلاق ، والأمثلة التي حصل مد في نطقها جمعها الجاربردي (هُول ٤/٤٩٠) ، وشوارتز (عمر ، ٤/١٠٦) ، ولم يتضح المد الذي جعل بين الكسرة والضمة ؛ والمثال سِيلَ[٣] (في الآية ١٠٨- البقرة) ليس تطوُّراً صوتياً من سُيِل ، من سُئِل ، ولكنه صيغة المبني للمجهول الحجازية العادية من الفعل الحجازي : سَال= سأَل . «مستهزون» في «مستَهزئون[٤]» (في الآية ١٤/ البقرة) يمكن أن تمثِّل : مستهزِوُونَ أو مستهزونَ ، وقرأ الأخفش يستهزيونَ (الزمخشري ، المفصل ١٦٦) .

cc- ٢٨ - إن قراءة «مستهزونَ» مثال على معالجة أخرى لهذه المركّبات : كامتصاص الحركة القصيرة من خلال الحركة الطويلة ، وفي بعض الحالات تتماهى الحركة القصيرة الثانية في الحركة القصيرة الأولى وهكذا إن «سَائِلٌ»[٥] (١/ سورة المعارج) قد كتبت سالٌ في مُصحَفيْ أُبَيّ وابن مسعود (Jeffery, materials, p.173) . يقول أبو ذؤيب الهذلي (الديوان ٤/٢٦) «رادٌ» في «رائدٌ» ، ويؤكد صاحب اللسان (٤/٩٦١) كثرة دوران هذه الصيغة في تلك اللهجة[٦] . وعلى الأرجح أن أسماء

---

(١) يقصد قوله تعالى : ﴿إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس . . .﴾ الآية . (المترجم)

(٢) يقصد قوله تعالى : ﴿قال يَبْنَؤمَّ لا تأخذ بلحيتي . . .﴾ الآية . (المترجم)

(٣) يقصد قوله تعالى : ﴿أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سُئِل موسى من قبل . . .﴾ الآية . (المترجم)

(٤) يقصد في قوله تعالى : ﴿وإذا لقُوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنَّا معكم إنما نحن مستهزءون﴾ . (المترجم)

(٥) يقصد قوله تعالى : ﴿سأل سائلٌ بعذاب واقع﴾ . (المترجم)

(٦) جاء في اللسان في مادة رود : «وفي شعر هذيل : رَادَهم ورائدهُم ونحو هذا كثير في لغتها . . . قال أبو ذؤيب يصف رجلاً حاجاً يطلب عسلاً :

فبات يجمع ثم تَمّ إلى منى فأصبح راداً يبتغي المرج بالسُّحْلِ (المترجم)

(أعتقد أن الأَوْلى أن يقال رادهم في رائدهم ، وليست كما جاءت لكي ينسجم مع ما جاء بعدها) . (المترجم)

الفاعلين من مثل «قالْ» من الأفعال الجوفاء بالواو أو الياء والأفعال المهموزة العين التي قام بجمعها نولدكه (Neue Beitrage, p.15-210) يجب أن تُفَسَّر على هذه الطريقة[1] ، خاصة تلك الأمثلة المأخوذة من نصوص عربية غربية . إن صيغاً مشابهة قد نصادفها أحياناً في العاميات خاصة أسماء الفاعلين التي فقدت ارتباطها وصلتها بأفعالها .

إن مثل هذا الحذف (التخفيف من الهمزة) غير القياسي والفوضوي يتردّد في أواخر الكلمات ، خاصة إذا اتصلت بالضمائر نحو : «حيا» في «حياءُ» و«بها» في «بهاء» (حالة الحركات الإعرابية مثبتة في نصوص شعرية) ، «تجي» في «تجيءُ» ، «سَتُنْبِني» في «سَتُنبِئُني» ، شانِك في «شانِئُك» (شوارتز ، عمر ، ٤/١٠٧-١٠٨) ، وحالات أخرى ، من اللهجات العربية الغربية وردت عند نولدكه (Zur Gramm, p.6) ، ويبدو أنه بين الكلمتين الأخيرتين يمكن أن تتوسَّط صيغتا : سَتُنْبِيُني وشانِيُك ، اللتان حُلِّلتا خطأً إلى سَتُنْبي-ُني ، وشانِي-ُك ، وكذلك هنا في الحقيقة ، امتصَّت الحركة الطويلة الحركة القصيرة ، ولا بدّ أن يتيح لنا هذا إمكانية أن نضم بلِيَ (انظر فصل ١٢ ، فقرة و) ، أعني أن بَلِيَ قد حُللت على أنها بلَي-َ (بفتح الياء) ثم خفِّفت بحذف الفتحة ، وبما أن الهمزة لا تنطق في اللهجة فإنه لا يوجد فرق سواء أكانت الصيغة معطاة بالهمزة أم بدونها ، واستناداً إلى الأمثلة الشعرية يجب أن نقرأ يستهزيء (١٥/ البقرة)[2] يستهزي . . . الخ .

وهذا في الحقيقة ، لا شيء سوى ما شاع في العربية من النزوع إلى حذف الحركة مثل : القاضِيُ إلى القاضي ، وربما يرمِيُ إلى يرمِي ، مع الإبقاء على حركة الفتحة في : القاضِيَ ، ويرمِيَ ، ويدّعي شوارتز (عمر ، ٤/٩٩) أن اختصار -يَ أي الكسرة والياء والفتحة إلى الياء المدية فقط شائع في القصائد العربية ، وهو أمر لم أستطع التثبت منه ، ويمكن أن يلاحظ نبر الكلمات : تُنبِيُني ، شانِيُك ، يستهزيُ- في الحقيقة إنه موقع النبر في الكلمات العبرية المماثلة- الذي سيكون مؤيداً وموافقاً بوجه خاص لمثل هذا التطور ؛ ولسوء الحظ ، ليس لدينا معلومات أخرى تجعلنا قادرين على دراسة موقع النبر في لهجتنا ، الذي يميزها عن مثيلاتها (انظر في هذا فصل ١٠/ فقرة n) وانظر للمزيد كذلك صيغة : أَدْفِئُوه (فيما يأتي فقرة mm) .

---

(١) أي سأل- سائل- ثم سال . (المترجم) .

(٢) يقصد قوله تعالى : ﴿الله يستهزيء بهم . . .﴾ الآية . (المترجم)

ويصف ابن الأثير في التاج (١٠/١٢٨) مثل هذا التخفيف أو الحذف بأنه شاذ ويؤكد بأنّ نطقها الصحيح يجب أن يكون بالهمزة بين بين ، ومن الواضح أن مثل هذا القصر أو التخفيف قد طرق مسامع عرب شرق الجزيرة العربية ، وربما يكون هو الباعث الرئيس الذي يفرض بقوة الهمزة في النص القرآني .

dd- ٢٩ - إن الحذف أو القصر في : -ائي التي تقع في آخر الكلمة يحوّلها إلى صائت ثنائي أو مزدوج -diphthong أي (ألف وياء) ، وبه قرأ ابن كثير ورايَ[١] في ورائي في الآية ٥ من سورة مريم[٢] . وقرأ أهل الحجاز في مواطن غيره : شركايَ في شركائي (ابن خالويه ، البديع ، ص ٧٢) ، وقرأ البصري وأبو عمرو اللايَ في اللائي (انظر الفصل ١٢- فقرة i) إن سمة الازدواج الصائتي في الكتابة تبدو أنها محل التميّز في البحث الذي قام به دي ساسي,Noticeo et extraits, ix, 67) Barba, Hamze, p35) فالياء في آخر هذه الكلمة ليست هي الحاملة للهمزة وإنما هي رمز للكسرة ، وقد لاحظ فتسشتاين Wetzstein تقصيراً مشابهاً في العامية البدوية السورية : أسماي في أسمائي ، كرايْبَك في قرائِبَك ، نايْمِين في نائمين (ZDMG, xxii, 170) كذلك توجد في عبرية المشناه نحو : نوي nōy في نوئي nō'ī - بمعنى الجمال- (من نائه nā'eh) صيغت على مثال حُولي- hōlî . في مثل شركاء تتصل الضمائر بالكلمات التي تنتهي بألف مقصورة تُكتب بألف قائمة ، وقرأ نافع محيايْ في محيايَ[٣] في الآية ٢٦١ من سورة الأنعام[٤] (البيضاوي ، الأستراباذي ، شرح الكافية ١/٢٩٥) ويمكن أن تكون هذه الأمثلة وراء اختفاء الضمير المتصل- يِ بعد الصوائت الطويلة والمزدوجة (انظر : الفصل ١٢- فقرة (d). والتقصير الوحيد من هذا النمط في وسط الكلمة ، الذي عثرتُ عليه بعد جُهد

---

(١) وقد ذكر الزمخشري في هذا القراءة : ورايَ ، وابن خالويه (البديع ص٣٨) : ورائي ، وكلاهما قالا إنه قرأ بالقصر .

(٢) يقصد قوله تعالى : ﴿وإني خفت الموالي من ورائي . . .﴾ الآية . (المترجم)

(٣) إنها محيا وليست محيى لوجود التاء (فصل ١٠- bb) مع إمكانية الخلط بين الألف الممدودة والألف المقصورة إضافة إلى أن الأخيرة لا تنطق في الحجاز بمالة .

(٤) يقصد قوله تعالى : ﴿إن صلاتي ونسكي ومحيايَ ومماتي لله رب العالمين﴾ . (المترجم)

يوجد في قراءة ابن عباس : سِيلٌ في سائِلٌ ، في الآية ١/ من سورة المعارج[١] ، (الزمخشري الكشاف ، ص ١٥٢٥)[٢] . إن هذه الطريقة من العناية بالبنية- ائي أو الممال منها ، يتكرر في اللغات السامية نحو : شايْلين ، وفي الآرامية المسيحية الفلسطينية ، شائلين[٣] «يسألون»- (Noldeke, ZDMG, xxii, 467) وفي الإثيوبية أيْدوغ في أيدُغ «الحمار» (Mittwoch, Tradit, Aussprache, p.13) ، كذلك في عبرية أوروبا الشرقية يقولون : maise في ma'ase «قصة» . وربما أن ai- تمثل بوضوح āy التي حصل لها تقصير بالنسبة للصائت الثنائي ، فإن المرء ليعجب لِمَ لا يصيب التغيير نفسه أيضا الكلمات التي تقع āy (الألف والياء)- في آخرها ، مما نطقت في الواقع : ورَيَ- waria شُرَكَي ، واللِّي[٤] . وإن مثل هذا الحدس يؤيده تكرار كتابة شاء في شيء .(GQ, iii, 49) وربما تعود شهرتها إلى الرّغبة في تجنب نطقها شي- shi[٥] ولكن لا بد أن يكون لها جذور توافق الهجاء القياسي ، في الآية ٣٤/ من سورة الأنبياء ، كتبت أفإن : أفاين[٦] حيث تشير الألف فقط إلى ai . ولسبب ما استخدم هجاء الألف ياء للتعبير عن الهمزة المفتوحة المسبوقة بكسرة أو عن الهمزة المفتوحة المسبوقة بكسرة طويلة ، وفي بُنىً أخرى (GQ- المرجع السابق) انتهت إلى إسقاطها من آخر الكلمة ، ويبدو أن الألف والهمزة

---

(١) يقصد قوله تعالى : ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾ . (المترجم)

(٢) جاء في الكشاف ٥٩٦/٤ ط دار الكتب العلمية في تفسير سورة المعارج : «وقريء : سال سائل ، وهو على وجهين : إما أن يكون من السؤال وهي لغة قريش يقولون : سلت تسال وهما يتسايلان ، وأن يكون من السيلان ، ويؤيده قراءة ابن عباس : سال سيل ، والسيل مصدر في معنى السائل كالغور بمعنى الغائر» . (المترجم)

(٣) ويقابله في العربية خاصة العامية الفلسطينية : ساءْلين أو سايْلين أو ما بِسايِل أي لا يَسأَل .

(٤) ربما طَيِّر- في الآية ٤٩- آل عمران ﴿ . . . إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير . . .﴾ الآية ، وبالهمزة طائر يشبه المثال الأخير ، وفي السنسكريتية الفتحة الطويلة (الألف) مع الكسرة تقصر في السندية إلى ألف ممالة- ai وليس فتحة طويلة وكسرة āi .

(٥) أيش» لفظ شائع في الحديث وفي العاميات وهو صيغة قياسية في اللهجة الحجازية وهي أي- شي بحذف الياء المدية حسبما جاء في فصل ١٠/ فقرة gg .

(٦) يقصد قوله تعالى : ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخُلْد أفإين مِتَّ فهم الخالدون﴾ . (المترجم)

المضمومة قد جرى تقصيرهما إلى فتحة وواو كما في الحجازية حِدَوْ في حِدَاءُ[1] (اللسان ٤٧/١) . كذلك حِدَو في : «حداءُ» (الزمخشري ، الفائق ١١٤/١) . وعلى النقيض من : -َي- في اثي مثل هذه النهايات الحجازية لا يمكن ظهورها في هجاء يقام بناء على هيئة الوقف ؛ ومن أجل هذا السبب نفضل أيضاً البحث عن تفسير آخر لرسم مثل : ضعفوا في «ضعفاءُ» (انظر فصل ١٠- فقرة و) ، ويظهر في اللهجة العراقية تقصير في : كَوْلَ (قول) ، والإسبانية : هَوْلين في هؤلاء ,Brockelmann) (GVG, I, 319 ، واللهجتان كلتاهما لهما نصيب من العربية الغربية .

ee- ٣٠ - على عكس ما هو معتاد في الرسم القرآني بعرض ما يشير إلى النطق في الوقوف ، تكتب الأسماء الممدودة عند خفضها في بعض الحالات بالياء,G, iii). (64ولا أظن أن هذا يمثّل مجرد هروب إملائي من القاعدة ؛ ومن ثمَّ يجب أن نتوقع حالات مشابهة بالواو في حالة الرفع ، بصرف النظر عن الجمع المشكوك فيه المنتهي بالألف والهمزة (انظر فصل ١٠- w ، وفصل ١١-dd) فإنها لا تمدنا بما نحتاجه من بيان . والأكثر احتمالاً أن -َي- ai - التي تنتهي بها هذه الصيغ عوملت على أنها ألف مقصورة -ى- ، ويجري أمر أمثلة الأسماء المنتهية بألف مقصورة أو ممدودة في اللهجة هكذا :

إناءٌ : أَلَنَوْ ، أَلَنَيْ ، أَلَنَا

أفعى : أَلَفْعَي ، أَلَفْعَيْ ، أَلَفْعَي

هذا التماثل الجزئي جعل انتقال الأسماء من درجة إلى أخرى سهلاً حيثما تجد في لهجات نجد (شِرى) ، تجد في الحجاز شِراءُ (أو بالأحرى شِرَوْ) ، ومِلْطاءٌ[2] «القشرة الرقيقة

(١) إن المؤلف قد وقع منه سهو في النقل ، وما ذكره هو كلام ابن عباس ونسبه لأهل الحجاز كلهم حيث جاء في مادة حدأ : «قال أبو حاتم : أهل الحجاز يخطئون فيقولون لهذا الطائر : الحُدَيّا ، وهو خطأ ، وروى عن ابن عباس أنه قال لا بأس بقتل الحِدَوْ ، وكأنها لغة في الحِداء» وربمّا يكون قد سها أيضاً في رسم حِداء فهي في النص اللساني حِدَأ . (المترجم)

(٢) يبدو أن المؤلف انتقائي من ناحية ويخلط من ناحية أخرى من أجل تطويع المادة اللغوية لتفسيراته فالنص المنقول عن الواقدي لا يوجد فيه ملطاء وإنما ملطاه ، وكذلك ابن الأثير ومِلْطاء عن الليث كما جاء في النص المنقول عن اللسان : «قال الواقدي : المِلْطى مقصور ويقال : الملطاة بالهاء . . . الليث : تقدير الملطاء أنه ممدود مذكر وهو بوزن الحرباء» وكذلك لا بد من ملاحظة أن ملطى بالألف المقصورة وليست كما ذكر المؤلف بـ : -ai وهي صورة من النطق يصعب تصويرها كتابة بالحروف العربية إلا بالألف المقصورة مع أن المؤلف اعتاد أن يرمز للألف المقصورة بـ : ā . (المترجم)

بين عظم الرأس ولحمه» . من ناحية أخرى : مِلْطَى[1] (الواقدي في اللسان ٢٠/١١٤) .

ورد عن تميم : الزِّناءُ في الزنى (اللحياني في اللسان ١٩/٧٩ ، الصحاح ٢/٤٨٩)[2] ، الحالة الأخيرة [3] كان تأثير الرسم القرآني واضحاً في توجيهها ، بينما الصيغة التميمية وجدت في شاهدين شعريين وردا في اللسان أحدهما للفرزدق والآخر للنابغة الجعدي ، في أولاءِ وأُولى ، انظر الفصل ١٢- فقرة i ، وأكثر ما جاء الاضطراب عن طيء (انظر الفصل ١٤- فقرة ee) ، ومن المستغرب حقاً أنّ مثل هذه التغييرات والاضطرابات لم تحدث مع الألف المهموزة[4] (بتنوين الضم) . ويثبت الزمخشري (في المفصل ، ص١٦١) أن النطق الحجازي لكلمة «كلأ» في الوقف «كَلاَ "kala"» في الحالات الإعرابية الثلاث ، في حين يقول الآخرون كَلَوْ في حالة الرفع ، وكَلَيْ في حالة الجر ، وكَلَى في حالة النصب ، ويعزّز ذلك تماماً كلمة «ملأ» التي جاء رسمها موحداً في القرآن وهو الملا في المواضع التالية : في الآية ٦٠/ من سورة الأعراف «المَلأُ»[5] وفي الآية ٣٨/ من سورة هود «ملأٌ»[6] ، وفي الآية ٢٤٦/ من سورة البقرة «إلى المَلاَ»[7] ، وفي الآية ٢٠/ من سورة القصص «إن الملأ»[8] .

ويمكن أن تطبّق الحالات المختلفة على المثال «نبأ» . الصيغ التي وردت يصوّر رسمها حالة

---

(١) كتبت في اللسان أولاً مِلْطَى وبعدها مباشرة في نص مستشهد به مِلْطى . (أو هي ملاحظة من المؤلف غير ضرورية بهذه الصورة وأعتقد أن هناك خطأ ما ، وقد يقصد أنها جاءت مِلْطى ثم بعدها مباشرة ويقال ملطاة) . (المترجم)

(٢) ورد في اللسان مادة زنى : «الزِّنى يمد ويقصر . . . قال اللحياني الزِّنى مقصور لغة أهل الحجاز . . . والزِّناء ممدود لغة بني تميم ، وفي الصحاح المدُّ لأهل نجد قال الفرزدق :

أبا حاضرٍ مَنْ يَزْنِ يُعْرَفْ زِناؤه　　ومن يشربِ الخرطوم يصبحْ مُسَكَّرا

ومثله للنابغة الجعدي :

كانت فريضةُ ما تقول كمـا　　كان الزِّناء فريضةَ الرَّجـمِ　　(المترجم)

(٣) يقصد الزنى . (المترجم)

(٤) ربما يقصد مثل : بنأٌ . (المترجم)

(٥) في قوله تعالى : ﴿قال المَلأُ من قومه . . .﴾ الآية .

(٦) في قوله تعالى : ﴿ويصنع الفُلْك وكُلَّما مرّ عليه ملأٌ من قومه . . .﴾ الآية .

(٧) في قوله تعالى : ﴿ألم ترَ إلى الملأ من بني إسرائيل . . .﴾ الآية .

(٨) في قوله تعالى : ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأَ يأتمرون بك . . .﴾ الآية .

الوقف ، ولكنها في نطقها الفعلي في سياقها يجب أن تكون : مَلَوْ ومَلَيْ . . . الخ . وليس لدينا سبيل إلى معرفة ما حدث في حال تنوين «ملأٌ» .

ff- ٣١ - مع أننا سعينا جاهدين لحفظ التطوّرات الصوتية دون تدخل ، كذلك كان علينا أن نذكر بعض التشكيلات القياسية المعيارية وميدانها الواسع الفعل خاصة ؛ حيث يكون الانجذاب إلى النماذج المعتادة أكبر ، ويسعى الناطقون بدهياً إلى المواءمة بين الصيغ المنحرفة وأنماط الأفعال الموجودة في اللغة ، ومن هذه الصيغ التي أصابها التغيير يوكِّد في يؤكِّد ، يُوصِد في يُؤْصِد ، يوكِف في يُؤْكِف ، امتدت الواو إلى الأجزاء الأخرى من الأمثلة ، حتى إن الحجازيين قالوا أيضاً : وكَّد في أكَّد (السيوطي ، المزهر ١٧٧/٢) وأَوْصَد في آصَدَ وأَوْكف في آكَف ، انظر «أَكَّفَ» العبرية بمعنى السرج (اللحياني[١] في اللسان ٣١٥/١٠) .

ويوجد في لهجتي اليمن (الفصل ٤ ، فقرة n) وطيء (فصل ١٤- فقرة r) صيغ واوية مشابهة مما يرسم في بدء الكلمة ألفاً ، ويوجد الكثير مما يمكن أن يحتج به في العاميات (Brockelmann, GVG, i, 590) ولا نستطيع القول الآن فيما إذا كانت هذه الأمثلة والصيغ موروثة من العربية الغربية ، أو أنها تشكلت حديثاً بعد أن فقدت العاميات الهمزة .

gg- ٣٢ - صاغت اللهجة الحجازية سِلْتُ بدلاً من سألت . . . الخ ، من فعل الغيبة : سالَ في سَأَلَ ، والمضارع يَسَيلُ المأخوذ مباشرة من يَسْأَلُ ، ويبدو أنها مشابهة لـ«يَذَرُ» . . . الخ . (wright, I, 79) لأن الأمر منها سَلْ وليس «اِسَل من اسْأَل» وهذه الصيغ تأتي في الشعر من جميع القبائل ، ولم يكن لهم إجماع قدر إجماعهم على يرى ، دون الهمزة من رأى (سيبويه ١٧٥/٢[٢] (Noldeke, Zur Gramma, p.6) والمخطوطات العربية المسيحية القديمة اتَّخذت درجة أبعد في مناسبة المضارع للماضي فلقد جاء فيها سَلُوا في الأمر الموجه للجمع[٣] (Vollers, Volkssprache,p.88, Graf, sprachgebrauch ,p.18) وربما لا يكون لهذه صلة

---

(١) جاء في اللسان مادة أكف : «قال اللحياني : آكف البغل لغة بني تميم ، وأوكفه لغة أهل الحجاز ، وأَكَّفَ أكافاً وإكافاً عمله . (المترجم)

(٢) في الكتاب ٥٤٦/٣- تحقيق هارون : «ومما حذف في التخفيف لأن ما قبله ساكن قوله : أرى وترى ويرى . . . من رأيت وقد أجمعت العرب على تخفيفه لكثرة استعمالهما إياه» . (المترجم)

(٣) انظر الملاحظة في فقرة q .

بحقيقة أن الآرامية المسيحية الفلسطينية نقلت هذا الفعل تماماً إلى أجوف واوي : المضـــارع yeshol والأمـــر Shol ,Nöldeke, ZDMG, xxii,466, shulthess) . Gramm, p.66)فليس في مضارع هذا الفعل وأمره في القرآن ألفٌ أبداً ، ولكن صيغ الماضي مع الضمائر المتصلة من الحروف الصامتة[1] (سَأَلْتم ، سَأَلْتُك ، سأَلْتَهم . . . الخ) قد كُتبت بألف ثابتة ، مع احتمال أنها تشير إلى الهمزة بين بين (انظر فقرة yآنفاً) . وإن المرء ليشكُّ في أن وضع الألف خطأ لكي تحول دون القراءة بصيغة اللهجة غير الفصيحة : سِلْتُم . . . الخ . و«سأل» في العاميات تُصرَّفَ فيها بتوسّع وكأنّ الهمزة موجودة .(Driver, Grammar, p.83).

وليس في إمكاننا أن نقول شيئاً في معالجة الأفعال المهموزة العين[2] . ولم يظهر في القرآن ماضٍ مهموز العين من طراز (فَألْ) . إن صيغاً مثل يئس مما كُتب بتلك الطريقة ، ليست صيغاً حجازية أصيلة . في تلك اللهجة ظهر الجذر «أَيِس» ومضارعه يايَسُ ، والتصريف العاشر استايَسَ (ابن خالويه- البديع ، ص ٥٦) ، يعزز ذلك رسمها في المصاحف القديمة .(GQ, iii, 50-94).

hh- ٣٣ - يجب أن يكون المرء حذراً في عزو الخلط الحاصل بين الأفعال الثلاثية المهموزة والأفعال الثلاثية المعتلة[3] إلى اختفاء الهمزة أو عدم ظهورها فقط ؛ إنَّ الصيغ من مثال الثلاثي المعتل بالياء من الجذور المهموزة ليس معهودة في أعمال شعراء شرق الجزيرة (شوارتز ، عمر ، ١٠٧/٤ ، ورايت : ٣٧٥/٢-٣٧٦) ويعرض فولرز-volks sprache, p.86)قائمة طويلة من جذور حصل فيها خلط دائم بين النوعين .

ويتوافق النوعان في العاميات حتى في المواطن التي تلاحظ فيها الهمزة بوضوح ، وفي الواقع يبدو أن الحجازيين يَدّعُون كلاً منهما منفصلاً عن الآخر ، ويحافظ عليهما الرسم القرآني ، بطريقته الخاصة متمايزين ، والوحيد الذي يقوم بعملية استبدال الهمزة بالياء في

---

(١) المقصود أن يكون الضمير من الحروف الصامتة أصلاً كالتاء والنون وليس ألف الاثنين أو واو الجماعة مثلاً . (المترجم)

(٢) إن مثالاً مثل : ناشَ ، ينوش مقارناً بـ : نَأَشَ ، يَنْأَشُ ، ولكن لا أحد يقول إنَّ هذه الصيغة حجازية ، والفراء وحده يفترض (في اللسان ٢٥٤/٨) أن أهل الحجاز قد قرأوا «النناوُش» في الآية ٥٢ من سورة سبأ ، لأنهم اشتقوها من ناشَ وليس من نأشَ . على أي حال «التناوشُ» قد قرأها أبو عمرو البصري وبعض الكوفيين .

(٣) وكذلك دائماً في العربية المسيحية القديمة (Graf, sprachgebrauch, p.19).

المضارع هو عمر بن أبي ربيعة (شوارتز ، عمر ، ١٠٧/٤) . إن صيغاً من مثل قراتُ في قرأتُ (الزمخشري : المفصل ، ص ١٦٥) إنما هو من النطق الحجازي للصيغ الفصيحة العادية (مما قد يتماثل مع الأمثلة اللهجية) .

ii- ٣٤ - لأمر ما فقد تصريفا رأى ونأى همزتيهما قبل أن تتحوّل الألف إلى ai- -َي في اللهجة (انظر الفصل ١٢- فقرة (v) ولذلك حوفظ على صيغتي : را ، ونا لأنهما من الرسم القرآني . في الأشعار المستشهد بها في اللسان ١٩/٣-٤ يفترض أن هذه الصيغ قد قيلت خارج الحجاز ، وأنها قد رسمت معتلة العين بالياء وتنطق : راءَ ، ناءَ بالهمزة بين بين . إن السمة الحجازية في هذه الصيغ قد احتُجَّ لها بأبيات من الشعر لكثّير الخزاعي ، وقيس بن الخطيم المدني ، وفي خبر ورد عن الليث بأن الصيغة الوحيدة لرأىَ بتخفيف الهمزة قد جاءت في الواقع راء (اللسان ٧١/٩١)[1] انظر كذلك (Noldeke, Zur Gramma., p.6) ويمكننا أن نقرأ الصيغتين القرآنيتين : نا ، را :(GQ, iii, 39) راءَ ، ناءَ .

وكان ابن عامر الدمشقي ، وهو غالباً ما يتمثل لغة الحجازيين ، قد قرأ : ناءَ في الآية ٣٨/ من سورة الإسراء[2] . وإننا نفترض أن يكون الماضي من راءَ : رِيتُ مثل جيتُ في جئْتُ . مثل هذه الصيغة : ريتُ قد استشهد بها فعلاً الليث (في اللسان ١٧/١٩) دون أن يعزوها لأية لهجة . في المناقشة الناشئة مساواة بينها وبين رُئِيتُ ، وبين ما ذكره الثعالبي : أُرِيتُ ولكنها يحتمل غالباً أن تكونَ رأيت ، ليس غير . في خط المخطوطات القديمة جاء ريتم في رَأَيْتُم (GQ, iii,44) ، بينما الرسم القرآني يسوّي بينهما ، كما عرضتهما النسخة الملكية

(١) يقصد ما جاء في اللسان مادة رأى : قال في المحكم راءَ لغة في رأى . . . ويقال راءه في رآه ، قال كثير :

وكل خليل راءَني فهو قائِلٌ   من أجلِك : هذا هامة اليوم أو غدِ

وقال قيس بن الخطيم :

فليت سويداً راءَ من فرَّ منهمُ   وَمنْ جرَّ إذ يحدونَهُمْ بالركائب

والتهذيب : قال الليث يقال من الظنِّ : ريتُ فلاناً أخاك ومن همز قال : رُئِيتُ ، ومن قلب الهمز مِنْ رأى قال : راءَ كقولك : نَأى وناء» . (المترجم)

(٢)يقصد الآية الكريمة : ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه . . .﴾ الآية .

والآية ٨٣/ من سورة الإسراء وليست من سورة الأعراف كما جاء في نص المؤلف . (المترجم)

وابن عامر الدمشقي هو عبد الله بن عامر اليحصبي قارىء الشام توفي سنة ١١٨هـ في دمشق .

المصرية[١] من القرآن ، بالخطوط الثابتة للصيغ بالسوابق من الصوامت وعينهما ألف ، سواء أكانت كالفعل رأى (في الآية ٣١/ من سورة يوسف[٢] ، والآية ١٠/ طه[٣] والآية ١٩/ الأحزاب[٤] ، والآية ٢١/ الحشر[٥]) أو من أرأيتَ ، الخ ، وقد قيل إن أهل الحجاز وحدهم هم الذين نطقوها ألفاً (انظر آنفاً w).

ويذكر اللسان[٦] أبياتاً من الشعر جاء فيها رَيْتُ في رأَيْتُ ، إحداها على لسان النحوي البصري أبي الأسود الدؤلي ، وهو من الصعب أن يلتزم فيما كتب باللهجة الحجازية ، وافترض أن تقرأ رَاْيْتُ كرَيت ، والألف أقحمت من أجل ألا يقرأ ريتُ Ritu تماماً كما أُقحمت في سالْتُ حتى لا تُقرأ سِلْتُ (انظر gg) وفي شاي كي لا تقرأ : شِي انظر (dd).

إن المضارع كان في الحجاز ، وغيرها : يَرَي (الصيغ بالهمزة استشهد بها في المعاجم ، ولكني لم أستطع أن أتبيّن مواطنها جغرافياً) ، والأمر رَ وللمؤنث رَيْ وللمثنى رَيَا وللجمع رَوْا ، وللإناث رَيْن ، في حين يقال في تميم اِرْأَ ، الخ (اللسان ٥/١٩)[٧] . والأمر نَ الخ قد ذكر على أنه صيغة عربية شائعة ، ومع ذلك بعضهم يقول : انْأَ (اللسان ١٧١/٢٠) .

kk- ٣٥ - بالنظر إلى شيوع تسهيل الهمزة في لهجة الحجاز ، يبدو غريباً أن نجد من يعزو إليها صيغاً شائعة في العربية منذ القدم بالياء أو بالواو اللتين قلبتا همزة فيها . لقد ورد إلينا أن أهل الحجاز قالوا : عباءة في عباية ، وصلاءة في صلاية ، وسحاءة في

---

(١) في النص Royal Koran (المترجم)

(٢) في قوله تعالى : ﴿فلما رأينَه أكبرنَه وقطعن أيديهن . . .﴾ الآية .

(٣) في قوله تعالى : ﴿إذ رءا ناراً . . .﴾ الآية .

(٤) في قوله تعالى : ﴿ . . . فإذا جاء الخوف رأيتهم . . .﴾ الآية .

(٥) في قوله تعالى : ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً . . .﴾ الآية .

(٦) يقصد ما جاء في اللسان في مادة رأى من أبيات مثل الذي استشهد به الكسائي على ترك الهمز :

صاح هل رَيْتَ أو سمعت براعٍ   ردَّ في الضَرْع ما قَرَى في الحِلابِ؟

قال الجوهري : وربما جاء ماضيه بلا همز وأنشد البيت (السابق) ، وكذلك قالوا في أرأيت وأرأيتَك : أَرَيْتَ وأَرَيْتَك ، بلا همز ، قال أبو الأسود :

أرَيْتَ امرءاً كنت لم أَبْلُــهُ   أتاني فقال : اتّخذْني خليــــلا   (المترجم)

(٧) ففي اللسان مادة رأى : «وبنو تميم يهمزون جميع ذلك فيقولون : ارْأَ ذلك ، وارأيا وللجماعة النساء ارْأَيْنَ» . (المترجم)

سحاية (الغشاء ، الغلاف) ، وعظاءة في عِظاية[1] ، (ابن السكيت ، القلب ، ص ٥٦) ، ذأى في ذوى (القالي في المزهر للسيوطي ١/ ٣٠ ، ٢٧٤) ، وصيغ أخرى من هذا النمط مثل : غزاءة وسِقاءة ، استقاءة ، استقاءة (الأستراباذي ، شرح الكافية ١٦٣/٢) ، ولا تُعزى الأمثلة الأخيرة إلى أية لهجة ، كذلك لم ترد الألفاظ المستشهد بها على نقطة بحثنا في اللسان (٣٠٢/١٩ وما يليها) ، ولا إمكانية لاعتبار هذه الصيغ المهموزة لهجية . إن كلمة سقاية وردت في القرآن مرتين ، وكتبت فيهما بالياء ، ولكنهما في الآية ١٩/ سورة التوبة قرأها بعضهم سقاة مما جعل البيضاوي يظنها سُقاة ، ويحتمل أن تكون قد بُنيت على خط قديم- سقاءة ، وعزوها إلى الحجاز لا يستند إلاّ إلى شهادة ابن السكيت ، ولم يكن فولرز على حق باحتجاجه على أن هذه الهمزة أصلية في هذه الصيغ (Volkssprache, p.96) ؛ لأن الكلمات المستشهد بها ، أينما وجدت ، تثبت الياء مثل : عباية ، والعبرية عبهه 'abheh ، والأثيوبية عَبِي : 'abiy ، يعتقد شوارتز(ZASS,xxx,51) أن الهمزة تمثل موضعي النبر العالي ، وهو أمر لا شك في صحته ولكنه لا يفسر اختفاء الياء . وهناك ما يلفت النظر بشكل مواز لهذه الظاهرة في عبرية المشناه ، حيث حذف الهمزة يجري على قدم المساواة مع حذفها في الحجاز . في مثال من تلك اللغة (وليس من الواضح إذا ما كان ذلك المثال محدّداً بمنطقة (أعني بابل أو فترتها) ، أعلّت الياء ألفاً قبل النبر في مثل هوراأه hōrā`ah في هورايا‌ه Hōrāyāh (وصيّة) ، رمّاؤوث ramma`ûth في رمّايوث) rammāyûth تحايُل ، اختراع) ، هاؤو- ha`û في هايو hayu (كانوا) ، (Gimsberg, MGWJ,lxxvii,416, Porah Ibid, lxxviii, 306). ويبدو أن العملية نفسها تحدث في الأمهرية ، حيث الكلمة الدالة على العدد عشرين قد كتبت hêyā و hayā ونطقت هَأَى- (Praetorius, Amhar, sprache, p.54). ha`a إن الألف في عبرية المشناه ، بالطبع ، لا تتحمل همزة فوقها ولكنها مكان لالتقاء صوتين أو نبرين عاليين ، واتضح ذلك بشكل جليّ في مخطوطة بإشارة بابلية من مشناه برَخُوث المجلد الثاني (HUCA,X,202) في هوذاأه hōdhā`āh ظن الناسخ أولاً لا بد أنها هوذاه ولكن عند التجديد داخله شك وزوّدها بفتحتين وقد قام في الحقيقة بكتابة الكلمة نفسها بعد ذلك مباشرة

---

(١) في التاج ٢٤٧/١٠ ، عزيت الكلمة إلى لهجة العالية .

بالألف . وأتوقع أن هذه الأمثلة قد أوجدتها حالة عدم الثبات الناتجة عن جمود اللغة الذي ظهر خلاله ، وبشكل ثابت ، خلخلة وانزلاق صوتي في الصيغ المتقاربة جداً ، أو حتى في الصيغة نفسها .

وهكذا ظهر في اللهجة الحجازية : بَدِيَ في بَدِئَ ، ومن هذا تشكل المصدر الجديد بداية (التاج ٤٢/١) ، إن المصدر من بَدِئ ، كان بِدَاءة ، وفي الحجاز بَداً أو بِدْه ، وغالباً ما استعملت الصيغتان جنباً إلى جنب ، وقد يكون المكان الحقيقي لتسهيل الهمز في الأمثلة : بالفتحة- وبالكسرة ، أو بالفتحة- والضمة ، حيثما كان بالإمكان نطق الانزلاق الصوتي أو الهمزة بين بين (انظر : bb أنفاً) . في المواطن أو الحالات التي لا يوجد فيها تمثيل حقيقي خطي قلّما نسمع قلب الهمزة ياء وواواً .

وهناك حالة واحدة تظهر فيها قراءة : تَرَئِنَّ في تَرَيِنَّ في الآية ٢٦/ من سورة مريم[١] ، والعاميات غالباً ما تستعمل صيغ لهجة شرق الجزيرة بالياء ، ولكن البدو في سوريا يقولون عباة[٢] ، وفي النسخة الملكية المصرية من القرآن عباتي(Wetzstein, ZDMG, xxii, 137) وهي التطوير الحقيقي المنطقي لعباءة .

II- ٣٦ - بعد استقرار الرسم القرآني ، تقيدت الهمزة في نطقها وبالتالي في كتابتها في هذا النص المقدس ، بالنطق العربي الفصيح الذي أقيم على كلام شرق الجزيرة ، في حين أن الرمز الذي يدل على الهمزة من صنع النحاة وباتفاق تام ، ولكن تسهيل الهمزة في القراءة لم يكن بوجه من الوجوه متفقاً عليه ، ولكنه يعبّر عن ظلال مختلفة من التسوية . فليس كل قارئ ينطق الهمزة ، بالرغم من أن قراء الحجاز بوجه عام أكثر ميلاً إلى تسهيلها ، ولم يُسَهِّلها واحد منهم أينما وجدت (GQ, iii,51,n.1) ، ويبدو أن إيراد الهمزة قد اتّسم بشيء من التناقض ، وكثر هذا الأمر في تركيب الحديث ، وتزعم إحدى القصص أن النبي [ﷺ] قد أنّب أحدهم : لأنه عندما ناداه قال : يا نبيء الله فقال له : لا تنبر باسمي (السيوطي : الإتقان ص ٢٣١ ، وانظر كذلك : ابن جني ، الخصائص ٣٨٨/١) ، ورواية أخرى

---

(١) يقصد قوله تعالى : ﴿فكلي واشربي وقرّي عيناً فإمّا تَرَيِنَّ من البشر أحداً . . .﴾ الآية . (المترجم)

(٢) وتكاد تجمع على هذه الصيغة العاميّات العربية المعاصرة . (المترجم)

(في المرجع السابق[1]) تخبرنا أنّه لا النبي [ﷺ] ولا أبو بكر ولا عمر ، ولا أي خليفة قد نطق بالهمزة . وفي وقت متأخر كعهد المهدي (١٥٨-١٦٨هـ ، ٧٧٥/٧٨٥م) تحمّل الكسائي الكوفي غضب عامة المدنيين بالهمز في قراءته القرآنية (التاج ٣/٣٥٥) . كذلك هناك رواية أخرى للقصة (في إرشاد الأريب ، ياقوت ، ٤/١٨٦) من أن هناك سبباً آخر لذلك وهو نطقه ضِعافاً بالإمالة (الآية ٩/ من سورة النساء)[2] . من المحتمل أن يكون اصطلاح النبرة الذي يشير إلى تحقيق الهمزة قد استخدمه أهل الحجاز للدلالة على عدم الاحترام . . . إن نفراً ممن يسلمون بكلام النحاة يثيرون جدلاً آخر ، فالحديث المنسوب إلى علي يؤكد أن القران نزل بلغة قريش التي تسهّل الهمز ، ألم يَبُح جبريل بالهمزة إلى النبي صلى الله عليه وسلم لذا يجب علينا تسهيلها (الرافعي ، التاريخ ١/١٠٤) والرواية الأكثر واقعية هي المنسوبة إلى نافع (ت ١٦٩/ ٧٨٥) وهو الأكثر تمثيلاً للقراءة الحجازية وللشرع حين سئل عن النطق الصحيح لكلمتي بئر وذئب (انظر u- فيما سبق) أجاب إذا تطلبت العربية (قواعد العربية الفصحى) همزها : عليك أن تهمزها (الذهبي ، استشهد به GQ,iii, 139).

يبدو أن تحقيق الهمزة قد أصبح قضية تقليدية ، وعُدّت ملمحاً خاصاً من ملامح القراءة القرآنية . . . وحمزة الكوفي القارئ المشهور (ت ١٥٨هـ/٧٧٥م) وهو من قبيلة تيم الغربية وجد من الضروري أن يحذر من اجتماع الهمزة والمدّ في القراءة القرآنية (طاشكبري زاده ، اقتباس فلوجل في الفهرست ٢/٢٠) .

mm- ٣٧ - هذه السمة في اللهجة الحجازية هي موضوع كثير من النوادر مما سنذكره مرتين نظراً لفائدتهما الخاصة ، في حديث باسم أبي بكر إذ يخبر عن أسير قُدّم إلى النبي [ﷺ] وهو يرتجف من البرد ، فقال النبي : [ﷺ] ادْفِئُوه ولكنها قيلت أدفوه

(١) والخبر كما يُروى في اللسان مادة نبر ومادة همز : «قيل للرسول صلى الله عليه وسلم : يا نبيء الله! فقال له : لا تنبر باسمي ، أي لا تهمز ، وفي رواية ، فقال : إنا معشر قريش لا ننبر ، والنبر همز الحرف ولم تكن قريش تهمز في كلامها ، ولما حجّ المهدي قام الكسائي يصلي بالمدينة ، فهمز ، فأنكر أهل المدينة عليه وقالوا : تنبر في مسجد رسول الله ﷺ بالقرآن . . .» . (المترجم)

(٢) في قوله تعالى : ﴿ولْيَخْشَ الذين لو تركوا من خلفهم ذُرِّيّة ضِعافاً خافوا عليهم . . .﴾ (المترجم)

(انظر c c أنفاً) ففهمها الجند بمعنى اقتلوه فقتلوه (الجمهرة ١/٧٤)[١] . وفي حديث آخر ، وردت النكتة اللغوية في رواية (البخاري- كتاب الأطعمة ، القسطلاني ٨/٢١٠) ، لقي أبو هريرة عمر في الطريق فسأله أن يعلّمه قراءة آية وكما قال أبو هريرة : استقرأته آية ، ويدخله عمر الدار ليشرح له الآية ويدعه ويترك البيت فجأة ويسقط على الأرض من شدة الجوع ، وفي رواية أبي نُعَيم : قال أبو هريرة أقرئني ، والنقطة الأبرز هنا هي أن أبا هريرة قال أقريني (أعْطِني طعاماً) وفهم عمر أنه يعني أقرئني بدلاً من أقريني[٢] . وقد يكون هناك قصص أخرى مشابهة مستترة وراء أحاديث أخرى .

mm- ٣٨ - عرفنا من الداني (كان في مكة ٣٩٧/ ١٠٠٧م) وابن مطروح (استشهد بها Bravmann, (Materialien, p.105-6 أن أهل الحجاز كانوا يفخّمون اللام بجوار الصوامت المفخمة ، ويدعى تفخيم اللام[٣] . يسمع تفخيم اللام في العربية الحديثة بانتظام في لفظ (الجلالة) الله : (انظر Gairdner, Phonetics, p.19) عندما يكون موقع الألف المقصورة في آخر الكلمة ، في اللهجة الحجازية يتّحد

---

(١) ومن أجْلِ روايات أخرى راجع كوفلر (wzkm,xlxii,86) .

(٢) ورواية الحديث كما جاءت في صحيح البخاري ١٢١/٧ (إدارة الطباعة المنيرية - المكتبة الثقافية -بيروت) : كتاب الأطعمة : «عن أبي حازم عن أبي هريرة أصابني جهد شديد فلقيت عمر بن الخطاب فاستقرأته آية من كتاب الله فدخل داره وفتحها علي ، فمشيت غير بعيد فخررت لوجهي من الجهد والجوع ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على رأسي فقال : يا أبا هريرة ، فقلت لبيك يا رسول الله وسعديك فأخذ بيدي وأقامني وعرف الذي بي فانطلق بي إلى رحله فأمر لي بعُسٍّ من لبن فشربت منه . . . قال فلقيت عمر وذكرت له الذي =كان من أمري وقلت له تولى الله لك من كان أحق به منك يا عمر ، والله لقد استقرأتك الآية ولأنا أقرأ لها منك . . .» الحديث ، ويبدو أن المؤلف رابين قد فاته أن الأمر من أقرى الضيف هو غير الأمر من أقرأ فالأول أقرني والثاني أقرئني وبالتسهيل أقريني ، والخلط بينهما من قبيل التوهم الذي يسوق إليه التعامل النظري مع الصرف العربي الذي تنقصه الخبرة التطبيقية العملية ، ففي العربية الفصحى نقول : أعطني وأرني واهدني وليس أعطيني وأريني وأهديني وأقريني (من قرى الضيف) . (المترجم)

(٣) مما يجذب الانتباه أنّه في العاميات التي تفخم فيها الصوامت بشكل عام تبقى اللام كما هي مما يعني أن اللام ليست محلاً للتفخيم (انظر كانتينو ، حوران ، ص١٠٧)

جرسها بالفتحة المجاورة للصوامت الطبقية ، ويمكننا أن نعدَّ المدن المقدسة من مواطن هذا النطق ، ومما يتوافق مع ذلك واعتماداً على الثعالبي (اقتباس برافمان) فإن المصريين والمغاربة هم وحدهم الذين ينطقون اللام بالتفخيم في غير لفظ الجلالة «الله» .

oo- ٣٩ - في الحجاز (لهجة أو قرّاء) لا يدغمون اللام الواقعة في آخر الكلمة بالراء التي تليها في كلمة أخرى كما في : هل رأيت (سيبويه ٦٧/٢) . ومن المشكوك فيه فيما إذا استطعنا أن نخرج بنتائج تخصُّ النطق في صوت آخر .

pp- ٤٠ - في التصريف الثامن من الجذور المبدوءة بالذال- والدال والتاء يحصل بينهما تبادل وتماثل[1] في الحجاز ويصبحان دالين ، وقد ورد في القرآن مدّكر (في الآية ١٥ من سورة القمر)[2] . وكذلك عند عمر بن أبي ربيعة (.xliv,1)ومن ناحية أخرى في لهجة أسد تصبح اذّكر (الطبري ، التفسير ٧٢/ ص٦٥ والفراء في معاني القرآن الآية ١٥/ سورة القمر) وفي النسخة المطبوعة من تفسير الطبري وجدنا ابن مسعود يقول إن النبي [ﷺ] قد قال اذّكر ، وهذا من الأخطاء المطبعية ، وقد وردت صحيحة في اللسان (٣٧٦/٥) : ادّكر وتُعزى صيغة دِكْر في ذكر إلى قبائل ربيعة ، وهم إلى الشمال الشرقي من أسد[3] . وبالرغم من أن علماء اللسان العرب يعدون هذا من قبيل الخطأ في إعادة الصياغة أو الاشتقاق من ادّكر ، ولا شيء في هذا سوى أنَّه نطق عامي مبكِّر جرى على ألسنة القبائل التي اختلطت مع من يتكلمون الآرامية .

qq- ٤١ - إن قواعد الرسم القرآني التي أوردها النيسابوري (الغرائب ٣١/١) توجب في حالات عدة ألا تُكتب النون قبل صامت آخر ، والحالات هي : (لننظر الآية ١٤/

(١) ما يحصل من إبدال يتبعه تماثل وإدغام فادكر مثلاً أصْلُها اذتكر ثم اذدكر- ثم ادّكر أي أبدل من التاء دالاً ثم أبدلت الذال الأولى دالاً فاتحدت الدالان بعد ذلك . (المترجم) .

(٢) في قوله تعالى : «ولقد تركناها آية فهل من مدّكر» كذلك في الآيات» ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠ من السورة نفسها . (المترجم)

(٣) من اجل المزيد راجع كوفلر أيضاً (wzkm,xlxii,86).

سورة يونس[1]) ، فَتُنْجي[2] (الآية ١١٠ من سورة يوسف) ، ونُنْجي (في الآية ٨٨/ من سورة الأنبياء[3]) لَنَنْصُرُ (الآية ٥١/ من سورة غافر[4]) . ننجيَ ونُنْجي وحدهما كُتبتا هكذا في المخطوطات (GQ,iii,51) وجد القراء في تعاليم الخرّاز (انظر : GQ,iii,273) يكتب الأولى «فَنُجِّي بالتشديد ، والثانية نجى ، بنون فوق الجيم ، وبما أن الصامت الثاني للنون في كل حالة أسناني أو غاري ، يمكننا أن نفترض أن النون قد جعلت مشابهة لهن : لِنَظُرَ . . . الخ ، ويقارن شوارتز هذا (في ZASS, xxx, 48)بظاهرة وصفها الزمخشري (المفصل ص١٨٩) بالنون الخفيفة أو الخفية ، وقد ذكر هذا ضمن ما ينتج عن المماثلة الجزئية كالشين التي كالجيم والصاد التي كالزاي ، ووصفت النون الساكنة بأنها غُنة في الخيشوم ، والمثال الوحيد الذي ورد هو عنك ، وهناك شك قليل بأن الزمخشري يصف في هذا الموضع النون الطبقية (الإنجليزية) التي في مثل king. للصوت الطبقي الأنفي غُنَّة أنفية أكْثَرَ من النون الإسبانية ، وغالباً ما تسمى في أعمال العامة (غير المتخصصة) النون الأنفية .

اصطلاح النون بغنة في التجويد حديثاً مساوٍ للنون الغارية (كالنون الفرنسية في agneau[5] (قبل الياء ، المصحوب غالباً بتأنيف قوى للصائت السابق عليها) (phonetics, p,56 Gairdner) . ويذهب شوارتز بعيداً في تحديد النون الخفية بتبسيطها بالتأنيف ، وبسبب وجهة النظر هذه يقرأ «هد» الموجودة في قصيدة لعمر بدلاً من هند (عمر ، ١١٢/٤) . والأكثر احتمالاً في هذه الكلمة «هد» أن تكوّن كلمة هِدٌن في الوقف بالنون التي امتصّت أو اختفت ، ومن ناحية أخرى قد تكون النون المركبة فوقَ الجيم تعبيراً حقيقياً عن التأنيف . ليست كل هذه الظواهر مصمّمة خصيصاً على أنها حجازية ، وليس الأمر كذلك

(١) يقصد الآية الكريمة : «ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون» .

(٢) وهي في الآية الكريمة : ﴿ . . . جاءهم نصرنا فَنُجِّيَ من نشاء . . . ﴾ إلى آخر الآية ، أي ليست فَنُنْجي . (المترجم)

(٣) يقصد قوله تعالى : ﴿ . . . وكذلك نُنجي المؤمنين ﴾ .

(٤) يقصد الآية : ﴿إنا لننصرُ رسلنا . . .﴾ الآية .

(٥) وضع المؤلف رمزاً للنون الفرنسية في الأبجدية الصوتية الدولية كذلك مع النون الطبقية الإنجليزية فوضعت نطقهما في سياق لفظي . (المترجم) .

في «سُبُل» التي يؤكد مصنّف التاج (٣٦٦/٦) أنها الكلمة الحجازية لسُنْبل . ومع ذلك يستشهد القاموس التركي (٢٤٠/٢) بخبر من الروض الأُنف لعبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت ٥٨١هـ/ ١١٨٥م) يَعدُّ فيه أهل الحجاز النون في سنبل زيادة على الجذر لذلك قالوا في جمعها أسبال في حين يقول التميميون سنابل ، وفي همدان يقولون سُبُولَ . وقد يكون هذا مفهوماً إذا كان المقصود بيان أن الحجازيين يقولون في المفرد سُبُل . ولم يأت في اللسان شيء مميّز عن هذه الكلمة ، فربما لا يعرف شيئاً عن الاختلافات اللهجية حولها .

ır– ٤٢ – في المضارع المتصل بضمير المتكلم : ني ، نا ، نَ[1] التي كانت غالباً ما تحذف عفوياً في النصوص ذات الأصل الحجازي نحو : سيفقدوني في سيفقدونَني (البخاري ، كتاب الشهادات ١٥) ، لَتُصَدِّقُنِّي (السابق نفسه) ، صيغة فعّاله . وكثيراً ما يتردد مثل ذلك في الحديث والسيرة (Brath,ZDMG,lix, 642) والمثال الوحيد للماضي المتصل بضمير الإناث هو : فَلَيْني في فَلَيْنَني[2] في بيت من الشعر لعمرو بن معدي كرب (المفضليات[3] ، ص٨٧) والتبريزي (في الحماسة ص ١١٠) والمفضل (في المفضليات) يقولان بجلاء أن هذا مما يقوله أهل الحجاز ، وهذا الحذف العفوي يتردّد كثيراً في قراءة نافع المدني (Fischer, ZDMG,lix,449) .

ss– ٤٣ – ومن ناحية أخرى فإن قراء القرآن الحجازيين يسوّون بين تاء المضارعة والتاء الأخرى التي تتصدر الأفعال فيحذفونها في التصريفين الخامس والسادس[4] نحو : تَقَتَّلُ في تَتَقَتَّل ، في حين قراء الكوفة يقرؤون مثل هذه الحالة تَقَتَّل بالحذف (الطبري ، التفسير ٥٦/٥) . لا بد من الملاحظةِ أن القراءتين قد أقيمتا على الصوامت نفسها ، ويمكننا أن نفترض أن القراءة الحجازية تتفق مع مقاصد الكُتَّاب الَّذين دوّنوا هذه الصيغ ؛ وعليه فإنَّ هذه الصيغ نفسها حجازية اللهجة . إن المماثلة تستلزم ضمناً حذف حركة التاء وهي القاعدة التي تسير عليها عاميات المواطنين (بروكلمان GVG,I,530).

في لهجات البدو الذين يركبون الإبل من شمّر والروالة ، مع أنهم يحتفظون بحركة التاء

---

(١) كما في : يتركُني ، يتركُنا ، يتركْنَ .   (المترجم)

(٢) من يفلّي القمل .   (المترجم)

(٣) لم أجد شعراً لعمرو بن معدي كرب في المفضليات ط دار المعارف . (المترجم)

(٤) فالفعل تتصدّر مثلاً : التاء الأولى فيه هي تاء المضارعة ، في حين أن الثانية هي الداخلة على الحروف الأصلية وكأنها حرف أصلي وليست حرف مضارعة فقد تكون في الماضي . (المترجم)

في مثل : تَحَدَّرُ[١] مضارع تَحَدَّر (Cantineau, Parlers, p.189,190) ، والأمر نفسه يحدث في لهجة بدو وسط الجزيرة العربية (Socin, Diwan, iii, 155) ، وعليه وجدت مشكلتان : لِمَ يظهر الحذف فقط بالسّابقة التاء؟ ، ولِمَ وُجد في اللهجات البدوية المعاصرة ، التي هي أوثق صلة ، لأسباب أخرى ، بالعربية الغربية صيغ بالتاء كاملة[٢]؟ التي بحسب خبر الطبري يجب أن نردّها إلى لهجة شرق الجزيرة . وهناك مشكلة أخرى سببها الصيغ التي استعملها الكوفيون ، إذ توجد هذه الصيغ بالحذف العادي في العربية الفصحى أو في لهجات شرق الجزيرة ، أو أنها مجرد محاولة قائمة على الرسم القرآني قبل إيقاع الحذف بها[٣] . كذلك هناك حالة المدّثر في المتَدثِّر (الآية ١/ سورة المدثر) . لم يناقش أحد من علماء اللسان العرب أنها صيغة لهجية ، ويبدو أن السبب في ذلك هو أن هذا الأمر ليس صحيحاً تماماً ، ولم يخل الأمر من قراءة شاذة هي المُدَّثِّر من دَثَرَ- يُدْثِر مما يغيِّر المعنى ، إن أصالة التصريف الخامس قد عُزِّزت بقراءة قبل خلافة عثمان[٤] (لأُبَيّ والأعمش) : المُتَدَثِّر (Jeffery, Materials, p.174).

tt- ٤٤ - إن شيئاً ما كالمماثلة الجزئية يبدو أنه قد حدث في صيغة اسْتاع من استطاع ، التي قيل إنها حجازية (ابن جني ، الخصائص ٢٦٩/١) . والشيء اللافت للنظر في مثل هذا أن الطاء قد سقطت وليس التاء ، مما يجعل جذر الكلمة غامضاً ومبهماً . وعبارة ابن جني مستَغْرَبة لما جاء في القرآن ، الذي لا نملك إلا أن نرى فيه ممثلاً للاستعمال الحجازي في هذا الباب ، الذي تظهر فيه اسْطاعُوا بالطاء (في الآية ٩٧/ من سورة الكهف[٥]) . وبناء على ما ذكره البيضاوي من أن بعضهم قالها : اصطاعوا . وهذا يعطينا مفتاحاً لحل مشكلة استاعَ ، ما دامت السين والطاء لا تتجاوران دون مماثلة ، والمتكلم إما أن يختار اصطاعَ ، التي تجعل صيغة الكلمة

(١) والأصل فيها : تَتَحَدَّر . (المترجم)

(٢) أي التاء بحركتها . (المترجم)

(٣) يقدّم برافمان (Monde oriental, xxxii,16) نظرية تقوم على أن كل حذف عفوي لمقطع ما كان يسبقه دائماً حذف للحركة مثل : فَلَيْنَني- فَلَيْنّي- فَلَيْنِي ، وفي تَقَتَّلْ من تَتَقَتَّلْ ، يفترض برافمان بقوة مرحلة وسطى اتْتَقَتَّل . وان ما حصل من تطوّرٍ لـ : تَقَتَّلْ يَصبُّ في نظريته ، ولا يتضح لي فيما إذا كان هناك صلة بين الظاهرة الموصوفة هنا وبين الإدغام الأكبر (انظر Prerzl, Islamica, vi,295).

(٤) ربما يقصد قبل جمع القرآن في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان . (المترجم)

(٥) يقصد قوله تعالى : ﴿فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً﴾ . (المترجم)

مبهمة ، وإما استاعَ التي تساهم في غموض جذر الكلمة . ولم يبرز في اللسان (١١٢/١٠ وما بعدها) في أثناء إيراده لصيغها أي شيء يشير إلى استعمالها اللهجي ، ولم يَرِد أنها حجازية إلا في العبارة الموجزة المأخوذة من ابن جني ، وعليه يمكننا أن نصرف النظر عن قراءة حمزة الزيات[1] : اسْطاعَ ، على أساس أنها من وضع النحاة .

(١) هو حمزة بن حبيب الزيات التميمي ، قارئ كوفي ، ت ١٥٦هـ . (المترجم)

الفصل الثاني عشر

الحجاز - الصرف

a- ١ - إن الضمير المعتمَد للمتكلم المفرد في الحجاز هو «أَنَ» في وصل الكلام ، و«أنا» في الوقف (السيوطي ، الجمع ٦٠/١)[١] كما هي الحال في أغلب لهجات العرب (اللسان ١٧٩/٦) . وهذا يتناقض مع لهجة تميم (أي اللهجات الشرقية بوجه عام) حيث تستعمل «أنا» في الوصل كذلك (ابن مالك ، التسهيل ، وجه ٨ب الخ) . في الواقع وردت «أنا» في وصل الكلام في شعر شعراء غرب الجزيرة مثل : عنترة ، الأعشى ، كعب ، عُمر (Noldeke, Zur Gramm, p.14). والعلاقة بين الصيغتين ليست واضحة تماماً . وعلينا أن نتوقع التقصير في الوقف وهو بالضرورة نادر جداً ، وربما تكون هذه الصيغ متباينة أصلاً[٢] . ووجدت الألف الطويلة في آخر الكلمة في الأكّدية ، والعبرية ، والآرامية ، والمصرية ، والألف القصيرة في الأثيوبية ، ويجب أن تُضاف إلى الصيغتين السابقتين[٣] : «آنَ» في لهجة قضاعة (ابن مالك ، المصدر السابق[٤] ، وابن يعيش ص٤١٤) ، في لهجات البدو السوريين (Can-tineau,Parlers,p.70) وفي تلمسان وفي مالطا ، وفي التجرينية ، وفي الآرامية الشرقية الحديثة . وفي عبرية المشناه : أنُو (نحن) يبدو أنها تميل إلى التركيب نفسه ، إن الرسم

---

(١) وقد بُني خلاف بين النحاة على ذلك فهل الألف جزء من الضمير أنا؟ فالبصريون بنوا على لهجة الحجاز فقالوا إنها ليست من الضمير بدليل حذفها وصلاً وإثباتها وقفاً وهي الفصحى ولغة الحجاز والكوفيون يرون أن الضمير هو المجموع أي بالألف بدليل إثباتها وصلاً ووقفاً في لغة تميم وبها قرأ نافع «انظر همع الهوامع شرح جمع الجوامع ٦٠/١» (المترجم)

(٢) في السريانية القديمة نجد قاطِلْنا- قاطِلانا (أَقْتُلُ) ولكن قالِين- قاليانا (أشوي) بتوزيع الصيغتين حسب مبدأ تنظيمي دقيق .

(٣) يقصد أنا ، أن (المترجم)

(٤) لم أجدها في المطبوعات من الكتاب ، ووجدت ما أشار إليه آنفا ص٢٥ تحقيق محمد كامل بركات ط ٦٨ «أنا» للمتكلم محذوف الألف في وصل عند غير تميم» أي تثبت الألف عند تميم في الوصل . ولكنني وجدت إشارة إلى لهجة قضاعة في اللسان مادة أنن إذ يقول : «وقضاعة تمدّ الألف الأولى : آنَ قلته» (المترجم)

القرآني يثبت أنه قد يوقف في الحجاز على الألف .

b– ٢ – إن ضمير الغائب المتصل : هُـ ، هُمْ ، هُنَّ ، وهما لا تصير هِـ بعد الكسرة والياء (انظر الفصل العاشر– فقرة f)

c– ٣ – في لهجة العالية لا تسقط الفتحة عند الوقف من ضمير المخاطب للمفرد المذكّر ، بينما العرب الآخرون يقولون : لكْ ، وعليكْ ، وفي داركْ . أما أهل العالية فيقولون لَكَهْ ، عَلَيْكَهْ ، في دارِكَـهْ (أبو زيد ، النوادر ، ص١٧١) . فإذا كانت هاء السكت تدلُّ غالباً على الطول أو المدّ (Birkeland, Pausal formen,pp.31) يمكننا أن نستنتج أن فتحة كَ كانت طويلة في تلك اللهجة ، كما كانت في عبرية الماسورة [١] . بعض العرب يطيلون حركة كَ أو كِ قبل اللواحق كما في : أعطيتُكَهُ (سيبويه : مما استشهد به الأستراباذي في شرح الكافية ١١/٢) . وفي الغالب احتُفظ بالصيغة القديمة في موقع قبل آخر الكلمة ويوجد التوزيع نفسه في الحبشية .

d– ٤ – من المحتمل أنّ ما يحدث في العربية الفصحى من كسر ياء المتكلم بعد الياء المديَّة أو المزدوجة لم يلاحظ في الحجاز . ففي الآية ٢٢– سورة إبراهيم قرأ الأعمش ويحيى أو حمزة من الكوفة :» ما أنتم بمُصْرخِيِّ في مُصرخِيِّ[٢]» (الفراء ، من استشهاد ;Beck, Orientalia,xv,190 ، كذلك الزمخشري ، الكشاف ص٧٠٤ ، ٨٩٤) عن النّبأ (من اقتباس الفراء) يسمى هذا صيغة لهجية ، ثم يستشهد الفراء

(١) في وصل الصوامت في الكتاب المقدس غالباً ما تنتهي «كا» بالهاء . ومما يثير الدهشة ألاّ يكون لهذه علاقة بهاء السكت التي بحثناها في العربية لتوّنا . فما بين ٣٠٠ق .م و٧٠٠ ب .م كانت تظهر لاحقة الفتحة المتبوعة بالكاف–َـك- -akباستمرار في العبرية (انظر كاله ، Gineza ، ص١٠٠) ربما يكون المقصود الإشارة إلى الاختلاف اللهجي في العبرية ، عندما تتكرر– كا في حديث الطبري .

(٢) في قوله تعالى من الآية : ﴿ . . . وما أنتم بمُصْرِخيَّ إني كفرت . . . ﴾

(٣) البيت في خزانة الأدب ٤/٤٣٠-٤٣١ : للأغلب العجلي وتا في البيت اسم إشارة للمؤنث ، وفي معاني القرآن للفراء ٧٥/٢ قال في مصرخي : «وقد خفض الياء من قوله بمصرخيِّ الأعمش ويحيى بن وثاب جميعاً . . . ولعلها من وهم القراء طبقة يحيى . . . ولعله ظن أن الباء في بمصرخي خافضة للحرف كله ، والياء من المتكلم خارجة من ذلك» والشاهد أن مصرخيِّ بكسر الياء قراءة استشهد لها بقول الشاعر : فيِّ بكسر الياء وهي كما قال صاحب الخزانة «كسر الياء من نحو فيِّ لغة يربوع لكنه عند النحاة ضعيف كقراءة حمزة . (المترجم)

ببيت من الشعر لشاعر مجهول[٣] كما يقول الزمخشري وهو :

قـــال لهـــا : هل لـــكِ يـــا تـــا فـــيٍّ

قـــــالت لـه : مـــا أنـــت بـالمَرْضِـــــيِّ

يقول الأستراباذي (في شرح الكافية ٢٩٥/١) إن هذه لغة يربوع[١] ، وهي فرع من حنظلة التي تنتمي إلى تميم . ومع ذلك سنجد أن (تا) صيغة عربية غربية متميزة للإشارة للمؤنث[٢] . في بيت من الشعر للنابغة الذبياني الغربي (٤/١) ، تُقرأ تقليداً عَلَيَّ في عَلَيِّ[٣] (السيوطي ، الجمع ٥٣/٢) . وقرأ البصريان الحسن (الكشاف ص٨٤٩) ، وأبو عمرو (الأشموني ٢١١/٢) الآية ١٨/ من سورة طه : عصايِ في عصايَ[٤] ، حيث القراءة العربية الغربية الحقيقية : عَصَيَّ(انظر الفصل الثامن فقرة t) فالمادة المعطاة غير كافية حقاً لمعرفة القراءة بالكسر يِ أهي عربية غربية أم شرقية؟ وتوجد يِ (الياء المكسورة) بكثرة في العاميات بعد الصائت الطويل كما في عشايِ ، كُرْسِيِّي (انظر : Diver, Grammar,p.30) وقد تكون السمة كلها عامية مبكرة أكثر من كونها لهجة .

e- ٥ – الأداة «ذي» في الشعر الحجازي (انظر الفصل ١٠- فصل aa في نهايته) يمكن إضافتها إلى أسماء الأعلام ساعة يشاء الشاعر دون أن يكون للمعنى أي تأثير . (شوارتز ، عمر ١٤٥/٤) وفي بعض الحالات قد يتمخض عنها تراكيب نحوية لم تكن محتملة إذا عُدَّت في حالة الجر من ذو (بمعنى صاحب)- شعر عمر[٥] . حسبما أورد الأزهري (في التاج ٤٣٦/١٠) «ذو» شائعة في كلام قيس وما جاورها من القبائل . وفي الحقيقة ليس هذا إلا اسم الإشارة اليمني «ذي» (انظر الفصل ٧- فقرة s) ، الذي أهمل وهُجِر في الحجاز إلاّ مع أسماء الأعلام (انظر : ظهورها مع أسماء الأعلام في ظفار والعبرية في المصدر السابق) . في الكلام الحجازي العادي حلت محلها «ذا» الشرقية أما من ناحية الأثر الباقي من «ذي» السابقة

(١) يربوع بن حنظلة بن زيد مناه بن تميم . (المترجم)

(٢) انظر كذلك البيت الفصل العاشر .

(٣) البيت كما هو في خزانة الأدب ٣٢٣/٢ :

عليَّ لعمرٍو نعمة بعد نعمةٍ لوالده ليست بذات عقارب (المترجم)

(٤) في قوله تعالى : ﴿قال هي عصاي أتوكأ عليها . . .﴾ الآية . (المترجم)

(٥) كما جاء في الأغاني : ١٤١/٧ ، وفي الديوان تقرأ بالممروخ .

يمكننا أن نضع في اعتبارنا أن «ذا» في هذا تتكرر كثيراً في الحديث . والشعراء الحجازيون كثيرا ما يُقحِمون[1] كلمات أخرى بين الهاء وذا (شوارتز ، عمر ، ٤/١٢٠) وأما الحجازيون فيستعملون هو ذا بدلاً من ها هوَ ذا (الأنباري في اللسان ٢٠/٣٤١)[2] ، إذا وضعنا في الحسبان المفاوضات التي دارت في الحديبية (البخاري ، الشروط ،١٥) ، حيث الحوار اتخذ أسلوباً مميزاً مختلفاً عن الرواية[3] يفترض أن يحمل بعض الملامح الحجازية ولدينا نصٌ أكثر كشفاً : حين كان عروة بن مسعود يخاطب النبي ﷺ قاطعه أبو بكر فسأل ابن مسعود : مَن ذا؟ ويضربه المغيرة فيسأل مرة ثانية : مَن هذا؟[4] وإذا استطعنا أن نجعل من هذا أنموذجاً ، نستطيع أن نتبين فرقاً مميزاً بين ذا وهذا أشبه ما يكون بين هذا وذاك في العربية الفصحى .

f- ٦ - إن اسم الإشارة للمفردة المؤنثة ، كان في العربية العالية الفصاحة هذي في الوصل

---

(١) ربما يقصد قولهم : ها أنا ذا ، ها هوذا . . . الخ . (المترجم)

(٢) يخبر الحريري (في الدرة ص٤٩) على أن هذا من العامية العراقية ، وأحدهم اسمه أبو بكر في اللسان اعتقد أن الأنباري على خطأ والصيغة الصحيحة للجمع جاءت في القرآن الكريم في الآية ١١٩- سورة آل عمران(:« هَا أنتم أولاء تحبونهم . . .») الآية ،(إن ما نقله المؤلف عن اللسان مادة ذا فيه غموضاً في هذه المسألة والرواية في اللسان كالتالي : ابن الأنباري : قال بعض أهل الحجاز هُوَ ذا بفتح الواو ، قال أبو بكر : وهو خطأ منه لأن العلماء الموثوق بعلمهم اتفقوا على أن هذا من تحريف العامة والعرب إذا أرادت معنى هُوَ ذا قالت : ها أنا ذا ألقى فلاناً» . (المترجم)

(٣) يقصد المؤلف أن ما جاء في حديث باب الشروط في الجهاد والمصالحة من البخاري ٤/٣٥-٣٧- ط المكتبة الثقافية قد نقل بلغة المتحاورين لا بلغة من روى عنهم ، أي روي الحديث بلفظه وليس بمعناه فاتخذه شاهداً على لغة الحجازيين . (المترجم)

(٤) الحديث طويل من ص٣٥-٤٤ من الجزء الرابع- طبعة المكتبة الثقافية اقتطف منه المؤلف ما يلزمه لغوياً ولكن مقاطعة أبي بكر لابن مسعود حين أراد الأخير أن يشكك النبي ﷺ في أصحابه بقوله له : « . . . وإني لأرى أشواباً من الناس خليقاً أن يفروا ويدَعوك ، فقال له أبو بكر : . . . أنحنُ نفرّ منه وندعهُ؟= فقال (ابن مسعود) : من ذا؟ . . . وجعل (أي ابن مسعود) يكلم النبي صلى الله عليه وسلم ويأخُذُ بلحيته (أي بلحية النبي عليه السلام) والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي صلى الله عليه وسلم . . فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي صلى الله عليه وسلم ضرب (المغيرة) يده بنعل السيف ، وقال له أخّر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرفع عروة رأسه فقال : من هذا؟ قالوا : المغيرة بن شعبة . . .» .

وهذه في الوقف . ويبدو أن اللهجة الحجازية قد تمسكت بصيغة الوقف «هذه» فقط التي استعملت أيضاً في الوصل (سيبويه ٣١٤/٢ ، وانظر كذلك : Birkeland, Pauwalformerns, p.49 ، وفيشر Islamica, iii,47) .

ويحتمل أن تكون الصيغة العربية الغربية الأصلية «تا» هي التي استعملت في لهجة طيء (انظر : الفصل ٤١– u) أو تي ، التي تظهر في التعبير : كيف تيكم؟ وقد قاله النبي [ﷺ] في مخاطبة عائشة [رضي الله عنها]– (البخاري ، الشهادات ، ١٥) وفي نقش النمارة تي ، على كل حال تظهر تا في الشعر كذلك ، ليس في شعر النابغة الغربي فقط ، ولكن في شعر القطامي التغلبي أيضاً(تالكَ في تِلْك في الديوان ٢٨/١٣ ، هذِهِ) وكعب الغنوي هاتا في هذِهِ ، كلها في اللسان ٣٤١/٢٠[١] .

g– ٧ – قيل إن جمع اسم الإشارة في لهجة تميم هو : أُولَى وفي الحجاز أُولاء (ابن عقيل ، ص٦٣ ، وشراح الألفية المتأخرون) . وقد ورد في الألفية :

وبأولي أَشِرْ لجمعٍ مُطْلَقاً
والمدُّ أَوْلى[٢] ، ولدى البُعْد انطقا

ويبدو أنَّ عَزْوَ ابن عقيل أولاء إلى الحجاز كان معوَّلاً فيه على وجودها في القرآن[٣] ، حيث وردت فيه أُولى لتدل على هيئة الوقف أوَّلاً ، ومع ذلك فإن أولاء في الوصل قد قيلت في الحجاز أُوليَ (انظر فصل ١١– (dd) ، وهي لا معنى لها ما لم تعكس خطاً للهجة ما زالت تنطق نهاية اسم الإشارة بـ -ai –َي[٤] . والصيغ الشقيقة كالعبرية elleh' . . . الخ كلها تشير إلى الأصل في السامية الأم اولَّيْ (انظر : Barth, Pronominalbildung, p.119)[٥] إن أولاء الفصيحة لا تتواءم مع صيغ اللغات الشقيقة (Brockelmann, GVG, i, 318) ، ولا بد

---

(١) في حكاية تصف عادات أهل المدينة قبل الإسلام ذهْ قد استعملت للمؤنث (البخاري ، الحرث ، ١٢) .

(٢) يقصد أولاء . (المترجم)

(٣) حيث قال ٣٣١/١ : «وفيها لغتان :المدُّ وهي لغة أهل الحجاز وهي في القرآن العزيز ، والقصر وهي لغة بني تميم» ، وإن المؤلف في قوله«يبدو» . . . يوحي بأن ذلك من استنتاجه مع أنه من كلام ابن عقيل . (المترجم)

(٤) أي أولّي . (المترجم)

(٥) يكتبها اولّى لاعتقاده أن الألف المقصورة يجب أن تنطق . (المترجم)

لي أن أفترض أنها قد ظهرت بالعملية نفسها التي تمت بها القراءة القرآنية : اشترؤُوا الضلالة في اشتَرَوْا الضلالة[١] ، (آية ١٦/ سورة البقرة) يعني أن التطور في النبر العالي الثقيل وفي تحطيم العلة المزدوجة إنما هو من أجل التخلص من المقطع المغلق الثقيل غير المنبور[٢] .

وقد قيل إن القراءة القرآنية متأثرة بلهجة قيس[٣](ابن جني ، المحتسب ، ص٢٠) ، ومن المحتمل جداً أن تكون أولاء قد ظهرت في تلك المنطقة ومن ثم تسرَّبت إلى الفصحى . وقد رأينا في منطقة قيس (فزارة) أنهم قد احتفظوا في الوقف بـ : -ai-َ ي في نهاية الكلمة ولكنهم في الوصل قصرّوها إلى ê- بالإمالة ، ومن المحتمل جداً أن يكون التقصير بالإمالة قد حصل قبل همزة الوصل (الفصل ١٠- فقرة cc) منذ وقوع أُولَي في العربية قبل أداة التعريف أي قبل همزة الوصل في العادة ، ومن المحتمل أن تكون الصيغة المستعملة في ذلك الموقع قد انتشرت في كل المواقع ، وإن أُولَي تلك قد أصبحت أولاء وليس أُولِي ؛ ربما لظهورها في جزء من منطقة قيس وليس في فزارة ، وأنَ ـَ ي -ai- تلكَ عوملت بشكل مختلف أو بشكل مختصر ، وقد أصبح النبر العالي ممكنا على امتداد تلك اللهجات[٤] . بعض لهجات قيس قد يقال فيها أولِي المناظِرة لأُولَى التي عزاها ابن عقيل إلى لهجة تميم . ومن المحتمل جداً أن تكون أَولَى قد استعملت في بعض اللهجات الشرقية ، كما يقول ابن عقيل ولا يبدو أنها تكررت في الشعر بصورة خاصة ، في تلك المنطقة .

لا بد أن أُولَي تتحول في الحجاز إلى أُولا قبل همزة الوصل (في الفصل١٠- bb) وكذلك (GQ,iii,36) وهنا كما في لهجات وسط الجزيرة توزعت تلك الصيغة إلى حالات حيث لا تتبعها همزةِ الوصل كما في : ها أنتم أولا(ءِ) تحبونهم في الآية ١١٩/آل

---

(١) في الآية ١٦ من سورة البقرة : ﴿أولئك الذين اشتَرَوُا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم . . .﴾ الآية .

(٢) والهمزة بالطبع همزة بين بين (فصل ١١- y) ، ومثل هذه الهمزة التي تتبادل الإعلال معها الواو والياء ليست منتظمة في العربية الفصحى مثل : قؤول (الجذر ق و ل) ، وقائم (انظر الفصل ١١- kk).

(٣) وعلى وجه الدقة قبيلة غَنِي ، هذه اللهجة التي يكثر فيها استبدال الأفعال الجوفاء بالواو والياء بالأفعال المهموزة الوسط ، ولا بد أن تكون هذه العملية قد بدأت في الماضي الثلاثي والخبر كله لا يلزم عنه التعميم بناء على تلك الصيغة ويسمي الفراء (في اللسان ١/ ١٠) هذه الهمزة همزة التوهُّم .

(٤) وقيل إنَّ في لهجة عُقيل يقال هاؤلائن (لين ص ٩٤٧-ب) وقد يكون هذا من قبيل محاولة أخرى لإيجاد صيغة أخرى تقع قبل صامت وقبل همزة الوصل أيضاً .

عمران[١] ، وفي أولا(ءِ) على أثرى في الآية ٨٤/ سورة طه[٢] ، وكان من السهل جداً على القراء المسلمين أن يضموا أُولا إلى العربية الفصحى بزيادة الهمزة عليها[٣] .

وهناك دلالة أخرى لقراءة الرسم القرآني أولا وليست أُوْلاءِ وما ذلك إلاّ لأنها قد شاع رسمها في القرآن بإشباع الضمة[٤] ، إن إشباع المقطع الأول كما قال الأستراباذي[٥] (شرح الكافية ١٣/٢) هو من قبيل التنويع المسموح به ، وأما الزمخشري (المفصل ص٥٦) فلم يُشر إلى تقصير أو تطويل فيها . إن الضمة في الشعر غالباً ما يكون قصرها متفاوتاً ، حتى مع الحجازي عمر (شوارتز ، عمر ، ١٢٠/٤) . إن طول الضمة أو قصرها ليس مجرد تنويع طارئ ، ولكن الضمة الطويلة تمثل البديل المصطنع للام المشددة أو الثقيلة في اللغات الشقيقة للعربية . إن أولَى الشرقية والحجازية يُنْبَر ، طبعاً ، مقطعها الأول ولكن النبر في أولاءِ يعتمد على طول الألف وعلى تقصير المقطع الأول كما في : قِتال في قِيتال (انظر : بروكلمان في : (GVG, i, 76).

إن الضمة الطويلة في أُولاءِ (wright, i,265 B) مما احتفظ بها في القرآن ، ولا بد أن تمثل النطق الحقيقي الواقعي فيه أي أُوْلى في أُوْلَيْ . وصيغة أخرى من السامية الأم وهي اللِّي[٦] التي استعملت في الحجاز اسم موصول ، انظر فقرة i التالية التي يمكن أن تعزز ما نذهب إليه عن الصيغة القديمة أولاء من أن أولئك في النسخ القرآنية المعتمدة قد اختلفت كتابتها دون الألف ، باتِّساق يرشح بقوة أنها كانت تُنطق أُلَيْكَ ، في المخطوطات المسيحية القديمة حيث تشير الألف في العادة إلى الفتحة الطويلة ، وهذه الكلمة غالباً ما تكتب دون ألف[٧] ، (انظر.Graf- sprachgebrauch,p. 16).

h– ٨ – يزعم الأشموني (١٢٠/١) أن «ذلكَ» تستعمل في لهجة الحجاز للإشارة إلى البعيد بينما تميم تستعمل «ذاك» . وهذا الأمر مبني بجلاء على أنه لا يوجد في القرآن سوى ذلك ، ولكن لا يبدو الأمر صحيحاً . . . إن جملة من الاقتباسات

---

(١) في قوله تعالى : ﴿ ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم . . .﴾ الآية . (المترجم)

(٢) في قوله تعالى : ﴿قال هم أولاء على أثري . . .﴾ الآية (المترجم)

(٣) لتصبح أولاءِ . (المترجم)

(٤) أي لم تكتب : ألا وإنما أولا أي أشبعت ضمة الهمزة . (المترجم)

(٥) وما جاء في الكافية ٣١/٢-٣٢ هو «وربما تشبع الضمة قبل اللام نحو أولاء» . (المترجم)

(٦) ربما يقصد اسم الموصول المستعمل في العاميات العربية المعاصرة وهو : اللِّي بمعنى الذي . (المترجم)

(٧) أي أولئك وليس أولائك (المترجم)

لـ«ذاك» التي قام بجمعها ركندورف (Syntakt, Verhältn, p.414-6) قد جاءت من الغربيين[1] ووردت كذلك في بيت من الشعر يفترض أنّه من لهجة طيء (انظر الفصل ٤ ، فقرة t ، الاقتباس الثاني)[2] . والأشموني نفسه (١٢٢/١) يعد «هنالك» حجازية بعكس الأكثر منها شيوعاً «هناك» معتمداً كذلك على القرآن .

i– ٩ – من الدليل الذي نمتلكه يمكن الاستنتاج أن لهجة الحجاز لم تستعمل «ذي وذو» الغربيتين اسمي موصول للمفرد (فصل٤ ، فقرة aa ، و٧/١٤) ولكنها استعملت «الذي» العربية الفصيحة كلهجة هذيل (فصل٨– y) ولجمع المؤنث يستعمل القرآن صيغة واحدة تكتب «والئي» (GQ, iii, 32) وتُقرأ «اللائي» بدلاً من الصيغ المختلفة[3] التي تظهر في الشعر ؛ وهذا يناظر اللأْيْ أو اللّي (فصل ١١ ، فقرةdd) وهي التي قرأ بها أبو عمرو البصري ومن البَزّي[4] راوية ابن كثير المكي ويثبت أبو عمرو (ت ١٥٤هـ/ ٧٧١م) أن هذه هي الطريقة التي تنطق بها قريش هذه الكلمة ، وقرأ ورش راوية نافع المدني : اللأْيِ في الآية ٤/ من سورة الطلاق[5] ، بالضبط في التقاطع بين الصيغة الحجازية ونطق ما هو مكتوب (كل ذلكَ عن الأستراباذي ، شرح الكافية ٤١/٢)[6] ، ليس التأنيث أصيلاً في الصيغة ؛ ويبدو أنها استخدمت للمذكر أيضاً وقرأ الأخفش[7] النحوي السوري (ت ١٩٢هـ–٤٠٩م) رواية ابن عامر

---

(١) أي من عرب غرب الجزيرة . (المترجم)

(٢) يقصد بيت الشعر الذي يروي لبجير بن عَنمة أو عَثّمة الطائي وهو :

ذاك خليليَ وذو يعاتبني   يرمي ورائي بامْسَهم وامْسَلَمَه   (المترجم)

(٣) يقصد مثل : اللاتي ، اللواتي . . . الخ (المترجم)

(٤) البزّي هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة ، المؤذن المكي توفي سنة ٢٥٠هـ ، وهو أحد راويي ابن كثير ، والثاني قنبل . (المترجم)

(٥) يقصد قوله تعالى : ﴿واللائي يئسن من المحيض . . .﴾ الآية . (المترجم)

(٦) حيث جاء فيها عن قراءة ورش : «وقد تُسَهّل الهمزة من اللاء بين الهمزة والياء لكونها مكسورة على ما هو قراءة ورش . (المترجم)

وورش هو عثمان بن سعيد المصري توفي بمكة سنة ١٩٧هـ وهو راوٍ ثان لنافع مع قالون . (المترجم)

(٧) هو أبو عبد الله هارون بن موسى الأخفش الذي أخذ عنه ابن ذكوان قراءة ابن عامر وقد جاء في شرح الكافية في هذه القراءة ٤١/٢ : «وبحذف النون فيقال اللائي بهمزه بعدها ياء ساكنة نحو القاضي وهو قليل في المذكر ، قرأ الأخفش (واللائي يؤلون من نسائهم . . .» الآية ٢٢٦/ من سورة البقرة . (المترجم)

الدمشقي في الآية ٢٢٦/ البقرة : واللائي يؤلون في : الذين يُؤلون . وهذه اللاي أو اللّي ، مع ذلك ، ليست إلاّ اسم إشارة : أُلّيْ المستعملة اسم موصول وهذه اللاؤون ، التي تُعزى- ويحتمل أن يكون صحيحاً- إلى لهجة هذيل (انظر فصل ٨- فقرةz) قد تكون مرحلة في تحوُّل اللهجات العربية الغربية الوسطى من اللّي إلى الذين .

وهناك خطوة أخرى في التحوُّل نفسه (ليس بالضرورة العربية الغربية) يُمْكِنُ أن تلاحظ في : الأُلَى ، الـ أُلاءِ إلى الصيغة نفسها[1] ، المستعملة غالباً في الشعر خاصة . (بروكلمان ، GVG, I,324) وقد زيدت أل التعريف لأنها تُشْعِر بأنّ أل هي الجزء الأول من الذي ، ويظهر لي دائماً أن ال في الذي مماثلة لأداة التعريف ؛ ومع ذلك فهو رأي كل من : بارث-Pro nom) inalbildung, p.157) وركندورف (Syntakt, Verhältn, p.601) وقد وجد كلاهما صعوبة في أن يأخذا في الحسبان العنصر لَـ . ويبدو لي أنه لا يمكن فصل الذي عن هلّازه hallazeh العبرية ، والّزيه ellazih' الأمهرية[2] . والأخيرة من الواضح أنها إلّ= أُلّيْ يضاف إليها ذيك ، إن الصيغ المفردة والجمع في أسماء الإشارة موحدة كما في العامية العربية : هاذول=هاذ-أولا . ويبدو في وقت ما من تاريخ العربية أنّ أُلّي- ullai `قد استعملت أيضاً صلة موصول للمفرد . إن اللّي الشائعة في العامية أنها قد أخذت[3] منها مباشرة[4] .

واعتماداً على النحاة يمكن أن تستعمل اللاءُ (اللّو- فصل ١١ ، فقرة ee) للمفرد في العربية الفصحى ، وفيما بعد اتخذت أُلّي مرادفة للذي ، ويمكن أن يكون السبب (مع تعريفها بأل) أنّ اللّيْ قد حصل فيها حذف بعد تحريك نهاية الكلمات : للي- llai ، لَلَ lla ،

---

(١) يقصد الذين . (المترجم)

(٢) وهو أمر لا يحتاج إلى برهان فهذه لغات كانت في بادئ الأمر لهجات سامية ولكنها مع طول الأيام والابتعاد أطلق عليها لغات ؛ لما حصل فيها من تطوّر أبعدها قليلاً عن السامية الأم من ناحية وفرّق بينها وبين أخواتها الأخريات وميّزها ولكن ليس إلى درجة القطيعة فبقيت تستعمل ألفاظ العدد والقرابة والضمائر وأسماء الموصول والإشارة ولكن بتحريف صوتي يتناسب مع كل منها على حده فلا غرابة أن يقابل : الذي في العربية : وهللازِه العبرية والّلزيه الأمهرية ، والربط الصوتي بينها واضح فأصلها واحد قد يكون الذي أو واحدة من الأخريين . (المترجم)

(٣) أي إن إلّي قد أخذت من اللّي . (المترجم)

(٤) يعتقد بارث أن اللي قد انبثقت من الذي بالتآكل ولم يُستدل على مثلها في العبرية وإن فكرة بارث قد رفضت تماماً من خبراء في اللهجات مثل كامبفماير وأوستُرب (بروكلمان ، GVG, i,324).

(انظر : لَـ فيما بين النهرين في العراق ولِـ في اليمن ، بروكلمان في المرجع السابق) ، وعليه يجب أن نشعر بأن لدينا حسماً ضئيلاً جداً ، ومن الممكن أن تكون الذي قد استعملت في البداية للمفرد والجمع مثل أُلَّي (انظر : بروكلمان GVG, ii,565) ، ويمكن أن يكون استعمال الذي للمفرد والجمع في اليمن (فصل ٤- فقرة aa) .

نظراً لدخول صيغة جديدة إلى اليمن في المرحلة نفسها فإن امتداد استعمال أُلَّي في المفرد ، والتطورات الحاصلة لم تترك أثراً في لهجة الحجاز . إنّهما يخصان اللهجات التي أقيمت عليها العربية الفصحى . إن أصل الذي في وسط الجزيرة أو شرقها يمكن أن نتبينه من الفتحة الثانية : التي نشأت عن تقصير الألف في اللهجة التي تحوّلت فيها a i -يِ إلى ألـــف a . ونفترض أن «ذو» في الحجاز قد استخدمت في المفرد قبل وصول الذي واستعمال ألْلاَي ، واللّي للجمع .

k- ١٠ - عوملت الأعلام والنكرات مما على وزن فَعالِ على أنها مبنيات في الحجاز[١] ، بينما تعامل في شرق الجزيرة معاملة الممنوع من الصرف[٢] (سيبويه : ٣٧/٢ ، المبرد الكامل ص٢٦٩) باستثناء جزء قليل من بني تميم ، ومع ذلك ففي التسهيل (ورقة ٧٩- ب) لابـن مالـك أن المنتهي من تلك الأسماء بالراء قد عومل معاملة المبنيات في شرق الجزيرة ، أيضاً[٣] . ويفسر الأستراباذي (شرح الكافية

---

(١) فيقال : هذه حذام ، ورأيت حذام ، ومررت بحذامِ أي مبنية على الكسر في جميع أحوالها ومنه الشاهد :
إذا قالت حَذَام فصدِّقوها فإن القول ما قالت حَذامِ (المترجم)

(٢) أي يعرب إعراب الممنوع من الصرف للعلمية والعَدل ؛ فحذَام من حاذِمة فيقال جاءت حذامُ ورأيتُ حذامَ ومررت بحذامَ . (المترجم)

(٣) ونص الخبر في المطبوع من كتاب التسهيل ص٢٢٣ ط دار الكاتب العربي سنة ١٩٦٨ : «فَعالِ غير مصروف عند تميم معدولاً عَلَما لمؤنث كرقاش ، ويبنيه الحجازيون كسراً ، ويوافقهم أكثر تميم فيما لامه راء ، واتفقوا على كسر فَعَال أمراً أو مصدراً أو حالاً أو صفة جارية مجرى الأعلام أو ملازمة للنداء . . .» فالأمر كنَزَالِ والمصدر كحمادِ والحال كبدادِ والصفة كحلاقِ للمنيّة ويافَسَاقِ . . .» والملاحظ أنه لم يأت بمثال على ذوات الراء كحضارِ . (المترجم)

٦٤/١)[١] بأن «ذات الراء من هذا القسم مبنية على الكسر للوزن والعدل المقدر لحضَارِ ، وإنما قدّروا العدل فيها تحصيلاً للكسر اللازم بسبب البناء إذ كسر الراء مصحِّح للإمالة[٢] المطلوبة المستحسنة» ، على أي حال فإن الاستثناء يبرهن على أن هذا الانعطاف في منع صرف هذه الأسماء في مشرق الجزيرة العربية إنما هو ثانوي وليس أصلاً ، بالرغم من مشابهة هذه الأسماء لأسماء أفعال الأمر مثل : نَزَالِ ، ووجدنا من الصعوبة إثبات أنها أفعال أمر أصلية (انظر : بروكلمان ، GVG, i,345) ولا نستطيع كذلك كما يقترح بروكلمان أن نسوّي بينها وبين صفة التأنيث فَعَال[٣] في العربية والحبشية ؛ لأن هذه الأخيرة لها إعراب عادي ، وأن هناك تنويعاً واضحاً في هذه الصيغة فقد تأتي اسماً أو كنية ولقباً للرجال والنساء والأماكن ذكوراً وإناثاً (الاستراباذي ، الكافية ٧٨/٤)[٣] ، وقد جمع فولرز,ZASS) (xxii, 223قائمة من هذه الصيغة أسماء لأماكن معظمها في اليمن وما جاورها . ومما هو جدير بالإشارة إليه أن العرب تعد فَعَال مؤنث فُعَال (انظر الفصل الرابع- فقرة ٥) والصيغة الأخيرة عندما تستعمل في الأعلام تمنع من الصرف كأسماء

---

(١) نقلته بنصه من شرح الكافية ٤٦/١ لأن المؤلف اقتبسه عندما اختصره ففقد التوضيح الذي أراده الأستراباذي وفي مكان آخر من شرح الكافية ٧٩/٢ نقرأ كلاماً أوضح في التعليل : « أما مذهب الأكثر من بني تميم وفصحائهم فإنهم يمنعون صرف الأعلام الشخصية إلا ما كان آخره راء نحو : حضار ، فإنهم يبنونه . . . وغرض تخصيص البناء بذي الراء قصد الإمالة إذ هي مستحسن والمصحح للإمالة ههنا كسرة الراء ، وهي لا تحصّل إلا بتقدير علة البناء ؛ لأنه إذا أعرب ومنع الصرف لم يكسر وإذا بُني كسر دائماً . (المترجم)

(٢) إن فونيم الراء غالباً ما يعزل تماماً في النظام الفونولوجي العربي (كانتينو (BSL.xliii.122 وقد يشير هذا ولو جزئياً إلى مميزات الراء الصوتية خاصة تحمّلها للتنويع الكلي وهو ما يتّضح في ظاهرة الوقف (انظر أيضاً : (Pretzl, Islamica, vi, 323

(٣) مثل نَوار أو النَّوار وهي المرأة التي تنفر من الريبة والعَوان هي من البقر في منتصف عمرها . وهذه أسماء تعرب إعراباً عادياً فيقال جاءت نُوارُ ورأيتُ نوارَ ومررت بنوارَ بينما حذامِ مثلاً تظل كذلك وتعرب اسم فعل أمر وليست فعلَ أمر . (المترجم)

(٤) ومما جاء في الكافية ٧٦/٢-٨٠ : فَجارِ للفاجرة ، يا لَكاع (يا لكعاء)- وهما من الصفات المؤنثة وقَثَام اسم جنس للضبع وحضار اسم كوكب وظفار اسم مدينة وحذامِ وبهانِ وسجاحِ أسماء لأعلام مؤنثة» . (المترجم)

الأعلام الأجنبية الأصل ولم تعد أعلاماً عربية ، ولكنها معدولة عن اسم الفاعل فاعل[1] ، وإذا أضفنا إلى ذلك ظهور فُعَال في فَعيل في العربية اليمنية (فصل ٤- فقرة o) مع حقيقة أن فَعَالي تظهر في الحبشة كاسم فاعل للمذكر ولا نستطيع أن نغفل أمراً مفاده أن فَعَالى كانت صيغة يمانية أو بالأحرى أصلها عربي جنوبي وأنها تشبه الصيغة الحبشية فَعَالِي مع تقصير الصائت الأخير[2] بناء على ما جاء في الفصل ١٠- فقرة ii وبما تعوزه الحماسة إلى حد ما تخصيص فَعَالِ بصفة التأنيث إذ يمكن أن نرده إلى تأثير صيغة التأنيث فَعَال .

l- ١١ - يخبرنا سيبويه (٣٩/٢) أن لهجة الحجاز تعامل أمسِ معاملة الأداة[3] المبنية ، في حين أنها تُعرب في لهجات شرق الجزيرة ، وهو ما ورد في الشاهد : مذ أَمْسُ[4] . بالرغم من تواتر الأخبار عن النحاة على العكس فإن الجوهري (الصحاح : ٤٤٠/١) مُحِقٌ بلا شك في قوله إن العرب جميعاً يعربون الكلمة حين تستعمل اسما بكامل قوته[5] . وإن تميماً لم تستعمل أمساً المنصوبة ، مع أن بعضهم عاملها ممنوعة من الصرف (ابن مالك ، التسهيل ورقة ٣٨- a) ، وعُقَيْل تصرفها إذا كانت اسماً (أبو زيد ، اللسان ٣٤٠/٢٠-٣٤١) وبعض العرب تستعمل أمسَ في أمسِ (ابن هشام في التاج ٩٧/٢) . ولا تسعفنا اللغات الشقيقة للعربية حيال الحركة في آخر الكلمات خاصة ويبدو أن الكلمة قد استعملت في أجزاء مختلفة من شبه الجزيرة العربية بنهايات ظرفية مختلفة .

m- ١٢ - وهناك احتمال ما على الأقل في لهجة مكة (أعني منطقة تهامة والحجاز) بأن

---

(١) أي حذَام من حاذم وفَسَاق من فاسق . . .الخ . (المترجم)

(٢) أي فعالِي : صارت فَعَالِ . (المترجم)

(٣) الأولَى هنا أن يقال : الظرف المبني وليس الأداة كما ذكر المؤلف وهي عندهم مبنية على الكسر وفي لهجة تميم تعرب كما ذكر ولكنهم يمنعونها من الصرف . (المترجم)

(٤) ربما يقصد الشاهد الذي ورد في المفصل ص ٣٧١ ط٢- دار الجيل- بيروت :

لقد رأيت عجباً مذ أمسا عجائزاً مثل السعالى خمساً

علىٰ أن أمس مجرور بالفتحة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعدل وليست مبنية على الفتح . (المترجم)

(٥) أي لم تستعمل ظرفاً وربما يقصد إذا كانت معرفة بدخول أل عليها أو جُمعت أو صُغِّرت أو أُضيفت أو نكِّرت . (المترجم)

المثنى له صورة واحدة في الرفع وغيره من الحالات كما في شمال اليمن (انظر: فصل ٧، فقرة f وما بعدها) وهو ما ارتآه ابن هشام بتردد (في المغني ٣٧/١)[١] على أنه حل للقراءة القرآنية المختلف عليها: «إن هذان لساحران» (الآية ٦٣/ سورة طه). والصورة الأخرى الصحيحة للمثنى بالياء- يْنِ قد استعملت في جميع مواطنها في القرآن، موافقاً لمستوى الفصحى، في هذه الآية يظهر شذوذ لهجة أخرى حيث الجملة الاسمية المصدرة بـ«إنَّ» يجب أن يُنصب فيها المبتدأ (انظر فصل ٣١- فقرة m) الصورة الصحيحة للجملة يجب أنْ تكون إن هذيْنِ لساحران. الصورة اللهجية للجملة يجب أن تكون إنَّ هذان لساحران والصورة البديلة المجردة من اللغة الأدبية المقابلة للصيغة اللهجية يجب أن تكون: إن هذين لساحرين، وهي غير صحيحة البتة، والحجازي الذي يرغب في أن يكون كلامه صحيحاً عليه أن يعقل وجوب عدم تغيير- انِ (الألف والنون) إلى- يْن (الياء والنون) في الكلمة الثانية وخلال عملية نفسية معلومة لدى كل من يتعلم لغة أجنبية سيدرك أن صاحب هذه القراءة قد جاوز الحد القياسي وأمسك عن القيام بعملية الضبط مسبقاً في الكلمة الأولى[٢] مما يضطر إلى تنقيح لهجي لا شائبة فيه، إن عزو هذه القراءة غير القياسية بالألف والنون إلى اللهجة لا يستند إلى هذا الاستدلال فقط، (في البخاري باب الأذان، ١٤٥ ط كُرِل): «إن رجليّ لا تحملاني» ولكن أبا الوقت[٣] الذي يتمسك في العادة بالصحة النحوية وابن عساكر قرءا: «إنِ رجلاي (القسطلاني ٦٢١/٢) وفي حديث آخر يستشهد به الأستراباذي هو قول الرسول [ﷺ]: «كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهوِّدانه أو ينصِّرانه» (شرح الكافية ٢٧/٢)[٤]، وبما أن خبر كان

---

(١) حيث جاء فيه: «قيل: جاءت على لغة بلحارث بن كعب في إجراء المثنى بالألف دائماً كقوله:

إن أباها وأبا أباها قد بلغا في المجد غايتاها (المترجم)

(٢) أي لم تقرأ: «إن هذين لساحران».

(٣) هو الشيخ الزاهد المحدِّث عبدالأوَّل بن الشيخ المحدِّث عيسى بن شعيب السِّجزي الهروي توفي ببغداد سنة ٥٥٣هـ. انظر سير أعلام النبلاء ٣٠٣/٢٠. الكامل في التاريخ ٤٢٦/٩.

(٤) نقلت ما جاء في الكافية بنصه. (المترجم)

منصوب نتوقع أن يكون اللذان بالنصب أي «اللذين»[1] .

ويستشهد الأشموني (٧١/١) بحديث «لا وتران في ليلة واحدة» (مسند ابن حنبل ٢٣/٤- سطر ٢١) ، ويقتضي أن يكون ما بعد لا النافية للجنس منصوباً[2] .

n- ١٣ - في لهجة خزاعة «لِكَ» الخ بدلاً من «لَكَ» ، (ابن مالك في التسهيل ورقة ٦٥-ط) واعتماداً على اللحياني (اقتباس الرافعي ، التاريخ ١٤٤/١) فقد استعملت اللهجات الأخرى الصيغة نفسها . ومن المحتمل أن «لِـ» الشائعة في العربية قبل الأسماء قد استبدلت من «لَـ» بتأثير «بِـ» (بروكلمان في : GVG, i, 495) في بعض اللهجات العربية الغربية أثّر القياس في بقية الأمثلة ومما هو فاش في لهجات قضاعة قولهم لِهِ وكذلك بَهُ ، مما يعني انقلاباً كاملاً لكلا الحرفين[3] (الكسائي ، ابن جني في الخصائص ٣٥٩/١ ، ٤١١) و«بَـ» قبل اللواحق تقع عقب تطورات معينة في اللهجات البدوية والحضرية السورية (كانتينو (Parlers, p. 208 أي في منطقة قضاعة القديمة . ومن المحتمل إلى حد ما أن «لِـ» و«بَـ» قد تغيرت أماكنهما ؛ وتبدو عبارة الكسائي وكأنها تحريفٌ مازح يجري بين قبائل متجاورة والحقيقة قد تكون في أن قضاعة قد قالت بَهُ أو أن الأداتين قد تبادلتا التماثل في تصريفهما ، كما في العبرية (Bauer-Leander, Histor, Gramm. p. 636)

o- ١٤ - يقرر ابن دريد (في الاشتقاق ، ص٤٠) أن أهل الحجاز على عكس القاعدة ، (wright, (i,58 C يشتقون من «فضِلَ» المضارع يَفْضُل ، والحالة الأخرى الوحيدة التي يذكرها من هذا هي حَضِر يحضُر[4] ، ولم يُشِر بوضوح إلى أنها حجازية . وفي الواقع إن هناك أفعالاً كثيرة من هذا النوع (انظر : -Wright,loc,cit, Brock)

---

(١) يظهر أنه قد فات المؤلف أن «هما» ضمير الفصل وان قواعد النحو تسمح أن يُرفع ما بعده على أنه خبر لضمير الفصل ، على أن ضمير الفصل وخبره في محل نصب خبر كان ، إضافة إلى الصورة الأخرى القياسية وهي النصب بعد ضمير الفصل . (المترجم)

(٢) أي « لا وترين في ليلة واحدة» مع الأخذ بعين الاعتبار ما يقوله البصريون من أن وترين مبني على الياء لأنه مثنى في محل نصب إذا كان اسمُ لا مفرداً ويجوِّز الكوفيون إعرابه : اسم لا منصوب . (المترجم)

(٣) يقصد أن الأصل أن يقال : لَه وبِه أي فتح اللام وكسر الباء . (المترجم)

(٤) وعبارة ابن دريد في الاشتقاق ٦٤ ، تحقيق هارون هي : «أهل الحجاز يقولون : فَضِل الرجل يفضُل وهي شاذة لم يجئ لها نظير إلا حَضِر يحضُر» . (المترجم)

ومن أجل أسباب أخرى ذات طبيعة صوتية ، (انظر .G.R elmann,GVG,i, 546).
Driver:Problems of the Hebrew verbal system, p.64.

ويشير (السمعاني) من هذه العائلة عدة علماء أشهرهم أبو سعد عبد الكريم بن محمد تاج الإسلام صاحب كتاب الأنساب (توفي ٤٨٩/ ١٠٩٦) إلى عبارةٍ لأحد النحاة القدماء إلى أن الصحيح في المضارع من أي فعل على وزن فَعِل يكون على يَفْعِل أو يَفْعُل ويعزز هذا ما سمعه بنفسه من مثل هذه الصيغ من بدو اليمن والحجاز (الأنباري ، نزهة الألباء ، ص ٤٥٩) . ولم يكن في استطاعتي التأكد إذا كان مثل هذه الصيغ ما زال استعماله جارياً في تلك المنطقة ، وربما يكون الغياب الكامل للقواعد التي تحكم حركة المضارع في العربية المغربية (بروكلمان في : GVG, i, 547) توجب ربط هذا الأمر بالهجرة التي لا حدود لها لبدو الحجاز وبدو غرب نجد إلى المغرب ، بعد زمن من السمعاني بوقت قصير . على أي حال ، يبدو أن هناك نزعة قد بدأت في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي في منطقة غرب الجزيرة تطوّرت كلياً في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ، حتى بلغت شأواً كبيراً في السامية الشمالية (الشرقية والغربية) في وقت مبكر جداً .

p- ١٥ – يفتح حرف المضارعة في الحجاز وهي القضية التي أشبعت مناقشة في الفصل السادس– فقرة i ، ويمكننا أن نضيف هنا اعتماداً على سيبويه (٢٢٩/٢) ، وابن هشام (بانت سعاد ، ص٩٧) والأستراباذي (شرح الكافية ٢٢٩/٢) ، أن الحجاز هي المنطقة الوحيدة التي لم يكسر حرف المضارعة فيها وعبارة أبي عمرو[1] (في الفصل والفقرة السابقين) هي الأقرب إلى الحقيقة .

ولم يرد في القراءات القرآنية الصحيحة إلا فتح حرف المضارعة وظهر في بعض القراءات الشاذة كسر حرف المضارعة (جمعها فولرز في Volkssprache,p. 129) واللافت للنظر في هذه أنها تظهر في مجموعات ، وعليه فإنّ عدداً من القراءات الشاذة تعطي خبراً كاملاً عن لهجة تميم ففي الآية ٣٥ من سورة البقرة : ﴿ **لا تِقربا هذي الشجرة** ﴾ . وفي الآية ١١٣ من سورة هود حيث توجد في آية واحدة تلتلتان : ﴿ **لا تِركَنوا إلى الذين ظلموا**

---

(١) يقصد تعليله لفتح حرف المضارعة إذا كان ياء ، فإنهم يستثقلون الكسرة مع الياء إذا كانت حرف مضارعة . (المترجم)

فَتِمَسَّكُم النار . . .﴾(*) .

q- ١٦ - الأفعال اللازمة التي تبدأ بالواو ، تفتح ياء المضارعة قبل هذه الواو في اللهجة الحجازية في مثل : يَوْجَلُ ، ويَوْجَعُ . وفي لهجة تميم تكسر ياء المضارعة وتتشابه معها الواو أي تمتصها الياء في نحو : يِيْجَلُ ويِيْجَعُ . في إحدى لهجات قيس (وهي من اللهجات الغربية ولا تلْتلةَ فيها) استعملت صيغة طالت فيها الفتحة ، وكأنها من الأفعال المهموزة الفاء مثل : يا جَلْ ، يا جَعْ (سيبويه ٦٧٢/٢ ، والأنباري في المفضليات ص٥٤٠ ، والجمهرة ١٠٥/٢) . ويظهر مثال لهجة قيس : يالَغان في شعر الحجازي ابن قيس الرقيات (٢٩/٦١)[١] وفي لتاجَل في لتَوْجَل في الآية ٥٣ من سورة الحِجر[٢] .

في بيت من الشعر لشاعر تميمي (النقائض ١٦٨/١- البيت ٧) : فييجَع ، وربما تكون هذه صيغة مختلطة . وهناك قراءة أخرى للآية السابقة نفسها : لا تُوجَل وبعضهم قرأ يولَغان في بيت من الشعر لابن قيس [الرقيات] . ومثل هذه الأمثلة شاع استعمالها في العاميات بكسر حرف المضارعة وبفتحه[٣] . والضمة في تلك الصيغ نادراً ما تكون تقصيراً ل : ـَ و[٤] ، وظهرت في لهجات شرقية أخرى غير تميم ، حيث يِوْجَل تصبح يُوجَل ؛ تطابقاً مع ما سيأتي في فصل t ، وإنَّ أمثلة قيس بالألف شاعت ثانية في المضارع بصورتيه [كسر أوله وفتحه] وتسمع حالياً في مالطا والعراق ، وعلى امتداد نجد (Brock-elmann, GVG, i, 599).

(*) لم يتكلّم ابن جني على الآية الأولى (٣٥/البقر) ، وتكلّم على القلقلة الثانية (فيتمسَّكم) في الآية الثانية (المحتسب ٣٣٠/١) فقال هي «قراءة يحيى والأعمش وطلحة بخلاف ، ورواه إسحاق الأزرق عن حمزة (الآية) ، ثمّ يقول : «هذه لغة تميم أن تكسر أوّل مضارع ما ثاني ماضيه مكسور ، نحو عَلِمْتَ ، تِعْلَم . .»

(١) ويُعزى أيضاً لشاعر طيء أبي زبيد (انظر كوفلر WZKM,xlvii,128) .

(٢) في قوله تعالى : ﴿قالوا لا تَوْجَل إنا نبشِّرُك بغلام عليم﴾ (المترجم)

(٣) إن إعلال الواو (بالقلب) إذا كانت فاء في المضارع ، في العاميات أمر معقد وقد تكرر استعمال صيغ عدة جنباً إلى جنب محلياً . (كانتينو ، حوران ، ص٢٣٤) وقد تكون بعض اللهجات في الجزيرة العربية قديماً قد اشتركت في إخراج بعض الصيغ .

(٤) وأما حالات تحوّل ـَو إلى ضمة طويلة نادراً ما تحدث في غير المغرب ، (بروكلمان : GVG, i,19) . وينسب ابن مالك (في التسهيل وجه ٨٠١- ب) تغيير أَوْ إلى وُو كما في أولاد إلى أُولاد إلى تميم ولا أثر لهذا في الحالة التي نحن بصددها كما تقول دائماً : إيجَل في إوْجَل .

r-١٧ - في التصريف الثامن[١] من الأفعال التي تبدأ بالواو يحصل لهذه الواو في العربية القياسية مماثلة مع التاء كما في : اتَّزر ويتَّزر ويحصل في لهجة الحجاز تطويل لحركة السوابق[٢] فيقال : ايتَّزر ، ياتَّزر ، موتَّزر (المبرد ، الكامل ، ص١٠٠) ، ياتَّزن ، يا تَعِدونَ (ابن جني ، الخصائص ٤١٤/١) . وأَمْثِلَةُ التصريف الثامن من هذا النوع نادرة جداً في القرآن ، وإنَّ الأمثلة التي تعرض تضعيفاً للتاء نحو : اتَّسقَ (الآية ١٨- سورة الانشقاق)[٣] ، واتقى تتكرر دائماً . ويحس المرء أن هذه الأمثلة التي حصل فيها تطويل في التصريفين الثامن والأول (يا جَلُ وما يماثلها) ، لا تُعدُّ ملائمة في الاستعمال الأدبي ، والكل يمكن أن يكون جزءاً من الخلط الذي ظهر في هذه اللهجة بين الجذور التي فاؤها همزة وتلك التي فاؤها واو (انظر الفصل ١١- فقرة ff).

لمناقشة الماضي اللازم الأجوف الواوي أو اليائي انظر فصل ١٠- فقرة y وما بعدها .

q- ١٨ -ففي اللهجة الحجازية أيضاً : مِتنا في مُتْنا (أبو عبيد ، الرسالة ، ص١٥٥) ومعظم القراء يتبعون الاستعمال الحجازي . فمِتُّ غالباً تُقرأ في جميع المواطن عند حفص عن عاصم (المصحف المصري الملكي) . وفي الآية ٢٣ من سورة مريم[٤] ، قرأ «مُتُّ» ابن كثير المكي وابن عامر الدمشقي وأبو بكر[٥] ، وهم الذين يمثلون في العادة الكلام الحجازي . ولا يورد البيضاوي أية اختلافات في الأمثلة المكسورة في الآية ٣٤- من سورة الأنبياء[٦] ، وفي الآية ٨٢- من سورة «المؤمنون»[٧] ، وكذلك الآية ٣٥[٨] منها . والمثالان الوحيدان بالضمة في قراءة حفص هما في ظهور مُتُّم في آيتين متواليتين (في الآيتين : ١٥٧ ، ١٥٨ من سورة آل عمران)[٩] ، ومثال آخر من شواذ اللهجة الشرقية يأتي في دُفْعات[١٠] (انظر الفقرة p

---

(١) على وزن افتعل . (المترجم)

(٢) كحروف المضارعة وميم اسم الفاعل- الخ . (المترجم)

(٣) قوله تعالى : ﴿والقمر إذا اتَّسق﴾ . (المترجم)

(٤) في قوله تعالى : ﴿فأَجَاءها المخاض إلى جذع النخلة ، قالت يا ليتني مِتُّ قبل هذا . . .﴾ الآية . (المترجم)

(٥) هو شعبة بن عياش الكوفي أحد راويي عاصم . (المترجم)

(٦) قوله تعالى : ﴿ . . . أفإن مِتَّ فهم الخالدونَ﴾ . (المترجم)

(٧) ﴿قالوا أإذا مِتنا . . .﴾ الآية . (المترجم)

(٨) قوله تعالى : ﴿أيعدكم أنكم إذا مِتُّم . . .﴾ الآية . (المترجم)

(٩) في قوله تعالى : ﴿ولئن قُتلتُم في سبيل الله أو مُتُّم لمغفرة من الله . . .﴾ الآية ١٧٥ . (المترجم)

في قوله تعالى : ﴿ولئن مُتُّم أو قُتلتم لإلى الله تُحشَرون﴾ الآية ١٥٨ . (المترجم) انظر ص ٢٢٩

(١٠) أي لا يأتي المثال مرة واحدة وإنما المثال نفسه يذكر عدة مرات . (المترجم)

آنفاً) . في هذه الحالة الخاصة قد تأتي الضمة أيضا من أجل الانسجام الصوتي الذي تخلو منه اللهجة الحجازية كما رأينا (انظر الفصل ١٠- فقرة fوما بعدها) . والمثال الحجازي يحمله هنا نافع المدني وحمزة الكوفي ، والكسائي .

t- ١٩ - إن صيغ الماضي المبني للمجهول من الأجوف الواوي وما يسبق الواو من صوائت ثلاث صور من قبل العربية القياسية : هي سِيطَ في الحجاز وسُوْط (كسرة بإشمام الضمة) في لهجات قيس وجزء من أسد ، وسُوطَ في لهجات تميم وفَقْعَس ودَبّر المعدودتين ضمن فصحاء بني أسد (ابن هشام[١] ، بانت سعاد ص٦٩)[٢] .

والفراء (اللسان ٩٢/١٤) هو الوحيد الذي يقول إن قبيلة أسد قالت : قِيلَ أو قُولَ في المبني للمجهول وفي القرآن في كل حالات الماضي الأجوف الواوي المبني للمجهول خُطت بالياء (قيلَ ، غِيضَ في الآية ٤٤ / من سورة هود[٣] ، وسِيءَ في الآية ٧٧/ من سورة هود)[٤] ، ولا يسجل البيضاوي اختلافات . وقرأ الكسائي الكوفي كل الحالات بإشمام الضمة كسرة,GQ) (iii,198وقد أسقطت اللغة الفصحى الصيغ التي يحصل فيها إشمام الضمة كسرة ، ولكن بالرسم الحجازي وفي أفواه الشرقيين والغربيين من أهل الجزيرة ، الذين ليس في لغتهم ضمة

---

(١) والنص كما جاء في شرح بانت سعاد لابن هشام ص٨٠-٨١ تحقيق د . محمد الصباح : «ويجوز في أول سيط وشيط ونحوهما من فعل المفعول الثلاثي المعتل العين إخلاص الكسر وهو لغة قريش ومن جاورهم وإشمام الكسر الضم وهو لغة كثير من قيس وأكثر بني أسد وإخلاص الضم وهو لغة بعض تميم وجميع فَقْعَس ودُبَيْر وهما من فصحاء بني أسد» وهناك فروق بسيطة لكنها ضرورية بين ما قاله المؤلف وما جاء في النص الأصلي فالنص الإنجليزي نسب الإشمام لقيس كلها ولبعض أسد والحقيقة أنه لغة لكثير من قيس وأكثر بني أسد ونسب النص الإنجليزي كذلك إخلاص الضم لجميع تميم ولدبر وفي النص الأصلي لبعض تميم ولدبير وليس دَبّراً . (المترجم)

(٢) يزعم كوفلر -WZKM,xlviii,73 دون ذكر المصدر أن الضمة الخالصة كانت تستعمل في لهجات دُبَيْر وفقعس وهذيل وضبّة وبعض تميم والضمة بالإشمام عند بعض قيس وأكثر أسد ، وصيغة بُوعَ في بيت لأحد شعراء تميم وهو رؤبة كما أخبر الكسائي (شرح شواهد المغني للسيوطي ص٢٧٧) وابن الأعرابي (ابن يعيش ص٩٧٦) وفي الديوان بيعَ .

(٣) في قوله تعالى : ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين﴾ . (المترجم)

(٤) في قوله تعالى : ﴿ولما جاءت رسُلنا لوطاً سِيءَ بهم وضاق بهم ذرعاً . . .﴾ الآية . (المترجم)

مشمومة بالكسرة حظي النطق الهجائي بالفوز . ولم تُعدّ الصيغ بالضمة الخالصة من الفصحى (السيوطي ، البهجة ، ص٤٦) . تتوافق الصيغ الحجازية مع الآرامية الإنجيلية سِيم (وُضع في مكانه) ، (Ezra, iv, 19, etc) ، ومع زِرْتِ الحيرة «أمقت ، أكره» في رسائل تل العمارنة (٣٤,١٢٧) ، وتتوازى الصيغ التميمية مع اسم المفعول العبرية مُول «مختون»[١] ، ومع شومَتْ Sumath الآرامية الإنجيلية الشاذة (Dan, vi, 18) ، وقد رفض باور- ليندر أن تكون عبرية (Gramm, Bibl, Aram, p.145) وهكذا من الممكن أن يكون المثالان الشائعان من أصول مختلفة ، وفي هذه الحالة فإنه من الصعب ، نوعاً ما ، أن نعدّ ما كان مشموم الضمة بالكسر من المنطقة الوسطى . وعليه يجب علينا في الوقت الحاضر أن نحتفظ بوجهة النظر القديمة التي ترى أن سُوط (بإشمام الضمة بكسرة) قد تطورت عن سُيِطَ ، وتحولت هذه الضمة إلى كسرة طويلة في غرب الجزيرة والى ضمة طويلة في شرق الجزيرة . بافتراضنا هذا القانون الصوتي نمتلك توضيحاً لبعض الظواهر الأخرى (الفقرة q آنفاً ، والفقرة u تالياً) .

u- ٢٠ - يأتي اسم المفعول من التصريف الأول الأجوف اليائي في لهجة الحجاز على مثال : مَدِين ، وفي لهجة تميم على مديون[٢] ، (ابن جني ، المحتسب ، ص٢٨ ، وفي طبعة المقتضب ص٣ ، ٢٣ ، وابن مالك ، التسهيل ورقة ١٠٩- p ، وابن يعيش ص١٤١٩) . ولهجة تميم هي الشائعة في العاميات (بروكلمان في : GVG, i, 609)والمثال الوحيد من هذا النمط الذي ورد في القرآن : مَهِيل (في الآية ١٤- من سورة المزمّل)[٣] ولا يسجل البيضاوي أي اختلاف .

ويرجع المثال الخاص بالحجاز بلا ريب إلى مَدُون (بإشمام الضمة كسرة) مَدوْن-مَدْيون ، بالتغيير الصوتي نفسه الذي حصل في الفقرة السابقة وربما تكون لهجات وسط الجزيرة قد احتفظت بـ : مَدُون (بإشمام الضمة كسرة) . مع أننا لم نسمعها ، والظهور المتكرر لـ مَدِين ، والأمثلة المتشابهة في نصوص العربية الفصحى يشهد بوجودها على هذه الصورة وليس من

---

(١) بروكلمان (GVG, I,613) وبَاور- ليندر بحذر أكثر (Hist. Gramma, p.393) يبيّنان أن هذا تقصير لـ : مَؤول ، ويبدو أنه من الأنسب أن نتناوله كاسم مفعول مماثل للماضي مثل : مِيث .

(٢) وقد وجدنا بيتاً من الشعر لشاعر من غربي الجزيرة وهو عباس بن مرداس من سُلَيْم (استشهد به هُول (Howell: 4/1503) ، والبيت هو :

قد كان قومُكَ يحسبونكَ سيداً وإخال أنك سيّد مَعْيون (ويروى معيون) . (المترجم)

(٣) يقصد قوله تعالى : ﴿يوم ترجُف الأرض والجبال ، وكانت الجبال كثيباً مهيلاً﴾ . (المترجم) .

الضروري أن يكون النمط التميمي هو الصيغة العربية الأقدم ، ولكنها قد تكون تشكيلاً قياسياً جديداً لـ : مَدُون . ويؤيد هذه الرؤية وجود أنماط جديدة مماثلة من الأجوف الواوي مثل : مَقْوُود في مَقُود ، مما لم يُعزَ إلى أية لهجة ، ولكنها قد تكون في شرق الجزيرة (ابن جني ، المقتضب ، ص٣) .

v- ٢١ - الأفعال الماضية المعتلة الآخر بالياء المتعدية المسندة لضمير الغائب المفرد المذكر تكتب كالأسماء بالألف المقصورة ، التي كما سنرى ، تمثِّل : َي- ai (فصل ١٠- فقرة bb) أنه ينتهي بهما ، وعندما يتصل به ضمير[(١)] ، بشرط ألا يكون واوي الآخر ، ويفترض بروكلمان : (GVG, i, 619) أن كلا الفعلين ينتهي بالألف المقصورة ، وهذه الألف المقصورة مجرد مظهر لتتوافق مع صوت العلة المزدوج في الصيغ التي تتصل بها الضمائر نحو : بَنَيْت بسبب بَنَيَ ، وغزوت بسبب غزا ، وهذا التمظهر نوع من التشكيل الصوتي وأكثر من ذلك قد يجبرنا على الافتراض أن هذه-َي- -ai في آخر الكلمة ، تَسُدُّ في كثير من الأحيان مسد يَ ، في ضوء النهايات يجب أن نتعامل مع مثال بنى على أنه كان ينطق بَنَي ، أي إن إعلال الصيغ مع اللواحق قد تحول كلية إلى ضمير المفرد[(٢)] . وقد كانت هذه عملية ثانوية يمكن أن تلاحظ في مثل نَبَتْ وفي مثل الصيغة المختصرة رى من رأى ، (انظر الفصل ١١- فقرة i i) ، حيث كان الاتصال بالمعتل الآخر اليائي مقطوعاً قبل أن تتطور الألف في السامية الأم إلى-َي- ai- . وإنه من المحتمل جداً أن يترتب علينا أن نقرأ الصيغ السبئية (وليس الميناثية) بالواو والياء في أواخر الكلمات بنفس الكيفية : تَلَوَ وبَنَيَ ولن الصيغة التجرينية الأقدم احتفظت بها كما في : تَلُو ، وبَنِي Leslau, Documents (Tigrigna, p.117) والصيغ نفسها كما في الحجازية قد تأثرت بالخط الصفوي : أَتَيْ ، بَنَيْ (Littmann, Safaiticinscr, p. xiv) ، وهنا لا تظهر الياء في الأسماء ذات التجلّي الإلهي قبل- إل[(٣)] ، وهو ما يشير إلى حقبة

---

(١) أي في مثل : قضى ، وقضَيْ (قَضَيْتُ) . (المترجم)

(٢) أي قلبت الألف ياء أي تحوّل بنى إلى بَنَيَ من أجل إسناد الضمائر إليه . (المترجم)

(٣) مثل : جبرائيل ، ميكائيل . . . الخ . (المترجم)

قديمة كانت تنتهي فيه هذه الأفعال بالألف[1] ، ويمكننا أن نعد صيغ الماضي المنتهي بـ :-َي- -ai أنها قد تطورت في حقبة مبكرة جداً من اكتمال العربية ، في غرب الجزيرة العربية وجنوبها ، والأفعال الناقصة الواوية لم تتطور بالكيفية نفسها في غرب الجزيرة العربية ، ربما بسبب ما قد تثيره غَزَوْ من التباس بينها وبين غَزَوا ، وفي العربية الجنوبية فقط تكتب الأفعال الناقصة الواوية بنفس الطريقة .

w- ٢٢ - في شمال اليمن (الفصل ٧- فقرة d) وفي طيء (فصل ٤١- فقرة I) الأفعال من نمط بَقِي تصير بَقَى ، وبالنظر إلى وجود التغيير نفسه في العبرية يتوجب علينا أن نعد هذا من التطور الشائع في العربية الغربية ، ومع ذلك فليس هو الشائع الوحيد بالنسبة إلى العربية الغربية وحقبة اكتمال العربية كما يرينا الفعل «فني» الصفوي ، الذي يمكن قراءته فَنِيَ ، مع إمكانية تامة لامتلاك لهجة الحجاز في وقت واحد صيغة بَقَى[2] ، وهذا يوجد في نص مشهود بصحته في حديث عن ابن التين (البخاري ، المساقاة ، ٩ ، انظر القسطلاني ٢٠٢/٤) حيث يقرأ رَقَى في رقي[3] ، مثل هذه الصيغ ربما استعملت في منطقة ما من الحجاز .

وتوجد في الشعر الحجازي صيغ من نمط بَقِي ، عوملت دائماً على أنها مؤلفة من مقطعين بدلا من ثلاثة ، ولكنها تنتهي بالياء المدِّيَّة (الكسرة الطويلة) (انظر فصل ١٠- فقرة ll). ومنها الصيغة «أُخْفِي» أيضاً التي قرأها حمزة ويعقوب في الآية ١٧/ سورة السجدة[4] ، في «أُخْفِي» ، بينما في أماكن أخرى تضاف إليها الفتحة لتتوافق مع نحو العربية الفصحى ، وصيغة اللهجة الحجازية في هذه الحالة يمكننا تكييفها وتوجيهها لتكون فعل مضارع مبني للمعلوم للمفرد المتكلم ، وهل لدينا هنا صيغة فصحى حذفت فتحتها الأخيرة كما يحدث أحياناً في الشعر مع فتحة النصب ، والنصب بعد الياء؟ ومثل هذا الحذف يظهر في حديث (البخاري ، البيوع ، ٩٨ ، القسطلاني ١٠٠/٤) حيث قرأها الكل إلا الزاهدَ أبا ذر : اشتريت بقراً وراعيْها ، وأما أبو ذر فقد قرأ : وراعيَها ، والتفسير الصوتي ، بافتراض مسبق أن صيغ

---

(١) يعتقد ليتمان بأن الأفعال المعتلة الآخر بالياء في الصفوية كما في العبرية والمثال الوحيد هو نجى ، الفعل اللازم ويمكن أن يكون : نَجوَ الذي صار نَجيَ لأسباب صوتية فقط .

(٢) أي تمتلك بَقَى جنباً إلى جنبٍ مع بَقِيَ . (المترجم)

(٣) وحالة أخرى ربما تكون في الكلمة العربية المسيحية المبكرة : غشَى في غشِي (Graf - rachgebrauch,p9)

(٤) يقصد قوله تعالى : ﴿فلا تعلم نَفس ما أُخفي لهم من قرة أعين . . .﴾ الآية . (المترجم)

العربية الفصحى هي التي أصبحت سائدة في الحجاز، يمكن تعزيزه بحقيقة أن اسم الفاعل للمؤنث من الأفعال المعتلة الآخر بالياء في لهجة طيء: رَضَاةٌ (الفصل ١٤- الفقرة i) التي تظهر في القرآن في صيغتها العربية الفصحى: راضيةٌ الخ، (في الآية ٩/ من سورة الغاشية[١])، من آيات تنتهي بكلمات أخرى على شاكلة: فَاعلَةٌ. بقي علينا أن نعدَّ بَقِي في الحجاز ليست مشتقة من بَقِيَ، وإنما شُكِّلت قياساً على أن بَقيتُ مثل بَنَيْ التي من بَنَيْتُ، وقد يكون من قبيل التنوير أن نجدول ثانية الأمثلة المختلفة من الأفعال الناقصة في اللهجة التي تخصنا هنا:

الماضي للمفرد المتكلم: بَنَيْتُ، بَقِيتُ، غَزَوْتُ

الماضي للمفرد الغائب: بَنَيَ، بَقِيَ، غزا (غزو- الفصل العاشر- فقرة r).

المضارع: يبني (فصل ١٠/ فقرة c)، يَبْقَيْ (فصل ١٠/ فقرة dd) يغزو

x- ٢٣ - بالنسبة لاسم المفعول من الأفعال الناقصة اليائية لدينا عبارة لافتة للنظر للفراء (من القرآن/ الآية ٥٥/ سورة مريم في مخطوطة نورعثمانية فقط) فإنه بدلاً من مَرضيٌّ قيل إنها في الحجاز مَرْضُوٌّ[٢]، وبالرغم من ذلك لم يقرأها أحد كذلك في القرآن.

y- ٢٤ - الأمر والمضارع المجزوم من الأفعال المضعفة العين شكّلا في لهجة الحجاز على مثال الفعل الصحيح مثل: املَلْ، اردُدْ (سيبويه ١٦٢/٢، المبرد، الكامل ص١٩٢)، وهذا ليس خاصاً بالتصريف الأول فقط، ولكن بالتصريف الثالث أيضاً (ابن يعيش ص١٣٢٤) وفي التصريف التاسع (ابن جني، الخصائص ٢٦٩/١) ويحتمل في الأفعال الأخرى. وهذه الصيغ يحتمل أن تكون بوجه عام عربية غربية، وفي بيت من الشعر لأبي كبير الهذلي: لم يُحْلَلِ، ينطق في نهايته متوافقاً مع الاستعمال الحجازي (الحماسة ص٣٨)[٣]. ويلاحظ التبريزي على هذا بأنه من لهجة تميم، ولكن لهجة تميم مختلفة تماماً كما سنرى حالاً. ويبدو أن هذه حالة أخرى من الخلط بين هذيل وحنظلة. ويمكن أن يكون التبريزي قد

---

(١) في قوله تعالى: ﴿لِسعيها راضية﴾. (المترجم)

(٢) ونص الخبر الذي نقله عن الفراء جاء في معاني القرآن ١٧٠/٢-١٧١: وقوله: ﴿وكان عند ربِّه مَرْضياً﴾، ولو أتت: مرضواً كان صواباً؛ لأن أصلها الواو، ألا ترى أن الرضوان بالواو». (المترجم)

(٣) الذين قالوا مرضياً بنوه على رضيت ومرضوًّا لغة أهل الحجاز. (المترجم)

احتفظ بهذه الصيغة المشوَّشة من عبارة تفيد أن الصيغ ذات الجذر الثلاثي من لهجة هذيل . والصيغ الثنائية استعملت أينما كان في شرق الجزيرة ، وإن اختلفت اللهجات في الصائت الأخير الذي كان في بداية الأمر حيادياً أي فتحة مختلفة خفيفة ، من أجل التخلص من التقاء ثلاثة سواكن ، وفي أسد وبعض تميم سُمعت وكأنها فتحة حين تتبعها همزة وصل ، وإلا فإنها كسرة (سيبويه ٢/١٦٢) ولهجات غَنِي وكعب وعقيل من قيس تحرك بالكسر : فِرِّ ، ومَلِّ ، ورُدِّ (سيبويه السابق نفسه ، والزمخشري : المفصل ص١٦٨) . وبعض تميم تحرك الآخر كتحريك ما قبله نحو : فِرِّ ، مَلَّ ، رُدُّ (سيبويه)[١] . وإنَّ هناك كثيراً من التناقضات في أخبار وردت عن مؤلفين آخرين ؛ مما لا حاجة لنا باستقصائه هنا . والنقطة الأهم هي أن عرب شرق الجزيرة قالوا فِرَّ وفي غربها افْرِرْ[٢] ، واستعمال العربية الغربية منفرد تماماً ، ومن اللغات الشقيقة ما يملك جذوراً ثلاثية للمضارع المضعف ، وتستعمل هذه أيضاً في حالة الرفع . واللغة الأمهرية التي تحتوي على النمطين ، وتستعمل ما فُكَّ إدغامه من الصيغ في حالة الرفع[٣] . وأما المدغمة من الصيغ فتلك التي تتماثل مع الصيغ المجزومة في العربية ، فإن الصيغ المختلفة الموجودة في الأدب لا تعطي إلا القليل من الدعم لما تشير إليه في غرب الجزيرة وشرقها ، ففي القرآن

(١) حيث يقول في ٣/٥٣٢ط هارون : «اعلم أن منهم (يقصد العرب) من يحرك الآخر كتحريك ما قبله فإن كان مفتوحاً فتحوه ، وإنْ كان مضموماً ضموه ، وإنْ كان مكسوراً كسروه وذلك قولك : رُدُّ وعَضَّ وفِرِّ يا فتى» . (المترجم)

(٢) حيث يقول سيبويه ٣/٥٣٠ :« فإنْ كان حرف من هذه الحروف في موضع تسكن فيه لام الفعل فإن أهل الحجاز يضاعفون لأنهم أسكنوا الآخر ، فلم يكن بدٌ من تحريك الذي قبله لأنه لا يلتقي ساكنان . . . وأما بنو تميم فيدغمون المجزوم . . . فيسكنون الأول ويحركون الآخر لأنهما لا يسكنان جميعاً وهو قول غيرهم من العرب وهم كثير» أي في الحجاز يفكون الإدغام فيقال «ارْدُدْ وفي تميم يقال : رُدَّ» . (المترجم)

(٣) مثل هذه الأمثلة موجودة في شعر العربية الفصحى (ابن كثير في اللسان ٦/٢٣٢ ، و wright,ii,378). وفي اللسان حديث للخليفة عمر يقول فيه : يَعْرُرُكَ في يَعُرُّكَ التي ربما ترجع إلى الانفراد الصوتي للراء .

لدينا يَرْتَدد[1] (الآية ٢١٧/سورة البقرة)[2] ، وكذلك أيضاً يَرْتَدّ (في الآية ٥٤ من سورة المائدة)[3] ، ويشاقق الله (الآية ١٣- من سورة الأنفال) ، وكذلك يُشَاقّ الله (الآية ٤/ سورة الحشر)[4] ، ولم أجد فيها أي اختلاف وفي الآية ٢٨٢ من سورة البقرة يقرأ حفص «ولا يضارّ»[5] ، ولكن عدداً كبيراً من قراء الحجاز الأوائل : عمر ، الفتح ، وابن عباس ، وابن مسعود ، وأبان بن عثمان ، وعكرمة ، والضحاك ، أُبَي ، والحسن البصري أيضاً ورد عنهم ما يشهد لقراءة : لا يُضَارَر (الزمخشري ، الكشاف ، ص١٨٤ ، Jeffery, Materials,p.30,121) ومن الصعب علينا أن ننقاد إلى وجهة نظر ابن مالك (اقتباس السيوطي ، الإتقان : ص٣١٤) الذي يُقِرُّ بوجود النمطين في القرآن ويرى أن «الله أنزل القرآن بلغة الحجازيين إلا قليلاً ، فإنه نزل بلغة تميم»[6] . و الخلط نفسه بين الصيغ في شعر عمر بن أبي ربيعة (شوارتز ، عمر ، ١٢٤/٤) ، وعند شعراء شرق الجزيرة أيضاً .

وعند الشعراء ، في شرق الجزيرة وغربها ، تظهر صيغ فُكّ إدغامها في حالة الرفع بما يذكِّر بالعربية الجنوبية والأثيوبية والأكدية ، ويبدو لذلك أن كلا الطريقتين في صيغتي الأمر والمضارع المجزوم ، قد سارا معاً على مساحة من الجزيرة وانضما إلى العربية الفصحى في وقت واحد . وقد يكون صحيحاً أنَّه من ناحية أطراف شبة الجزيرة العربية إذ تختار جهة ما هذه الصيغة أو الأخرى أو تستعملهما معاً دون استثناء لإحداهما .

z- ٢٥ - يزعم ابن مالك (التسهيل ورقة ٩٠-ب) أن «هَلُمَّ» حين يستعملها الحجازيون بهذه الصورة يكونِ من الاستثناء في لهجتهم .

ومن الصعب أن نوافق على ذلك ؛ لعدم تحليلنا الكلمة إلى «ها» مع الصيغة الأمرية لفعل متخيّل هي لَمَّ . ويذهب ابن جني (في الخصائص ١٧٣/١) بعيدا بافتراضه أن أصل

---

(١) يقصد قوله تعالى : ﴿ . . . . ومن يرتَدِدْ منكم عن دينه . . .﴾ الآية . (المترجم)

(٢) يقصد قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتدَّ منكم عن دينه . . .﴾ الآية . (المترجم)

(٣) يقصد قوله تعالى :﴿ . . . ومن يشاقق الله ورسوله . . .﴾ الآية . (المترجم)

(٤) في قوله تعالى : ﴿ ذلك بأنهم شاقّوا الله ورسوله ومن يشاقّ الله فإن الله شديد العقاب﴾ . (المترجم)

(٥) في قوله تعالى من آية الدّين : ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين . . . ولا يضارّ كاتب ولا شهيد . . .﴾ الآية . (المترجم)

(٦) نقلت النص نفسه من الإتقان ٢٧٨/١ (ط دار الكتب العلمية) . (المترجم)

الكلمة في الحجاز كان «الم» مع أوهام النحاة هذه، قد يكون من المفيد أن نلاحظ أن تميماً وسائر نجد قد صرّفوا هذه الصيغة الدّعوية على أنها فعل أمر (سيبويه، فيما اقتبسه اللسان ١٠١/٦١)[١]، أي يقال للأنثى هلمّي، ولجمع الذكور هلمّوا وهَلْمُمْنَ (اعتماداً على الفراء في شرح الكافية للأستراباذي ٧٣/٢) وهَلُمَّنَّ أو هَلُمِّنَّ لجمع الإناث، واعتماداً على ابن السكيت والليث (اللسان، المرجع السابق) إن بني سعد (بن تميم وليس سعد بن بكر قرب المدينة) يصرّفون هلمّ[٢]، ويمكننا أن نفهم منها أن لهجة الحجاز لا تصرّف هَلُمَّ. في القرآن الآية ١٥٠ من سورة الأنعام[٣] والآية ٨١ من سورة الأحزاب[٤] قد خوطب بها عدة أشخاص ولم يسجل البيضاوي أية اختلافات.

aa- ٢٦ - في لهجة سُلَيم على تخوم الحجاز، أواخر الأفعال الماضية المضعفة أُلحقت بقاعدة الثنائي (ابن مالك، التسهيل، ورقة ٩٠-ب). ولكن الأمثلة جاءت من مصادر أخرى، مثل: ظِلْتُ في ظَلِلْتُ (المصباح، ص١٠٦٢) وأَحَبْتُ في أَحْبَبْتُ (اللحياني في اللسان ٢٨١/١) ويظهر أن ابن مالك يلمّح إلى أن لهجة الحجاز بمعناها الضيق قد استعملت صيغاً ثلاثية، ولكن المصباح يعزو ظِلْتُ إلى الحجاز، وظَلْتُ إلى لهجة عامر، جيران بني سُلَيم (والأخيرة في بيت من الشعر لأزدي، انظر الفصل ٦- فقرة h البداية). ونجد في القرآن صيغاً ثنائية لظلّ وقرأ أصحاب القراءات الصحيحة في الآية ٩٧- سورة طه: ظَلْتَ[٥]، وفي الآية ٦٥ من سورة الواقعة: ظَلْتُم[٦]. وقرأ ظِلْتَ ابن مسعود ويحيى بنَ يعمر وقتادة، وظِلْتُم قرأها أبو حيوة، وربما ابن مسعود، وقرأ ظَلِلْتُ أُبَيْ فقط، وقرأ الجحدري ظَلَلْتُم Jeffery,

---

(١) والخبر في اللسان مادة هلم: هلمّ في لغة أهل الحجاز يكون للواحد والاثنين والجمع والمذكر والأنثى بلفظ واحد، وأهل نجد يصرّفونها، وأما في لغة بني تميم وأهل نجد فإنهم يجرونه مجرى قولك رُدَّ.

وانظر كذلك سيبويه ٢٥٢/١: «واعلم أن ناساً من العرب يجعلون هلمّ بمنزلة الأمثلة التي أخذت من الفعل يقولون: هلمّ وهلمّي وهلمّا وهلمّوا». (المترجم)

(٢) فيقال: هلمّ، هلمّا، هلمّوا. (المترجم)

(٣) يقصد قوله تعالى: «قل هلمّ شهداءكم...» الآية. (المترجم)

(٤) يقصد قوله تعالى: «قد يعلم الله المعوّقين منكم والقائلين لإخوانهم هلمّ إلينا...» الآية. (المترجم)

(٥) يقصد قوله تعالى: «... وانظر إلى إلهك الذي ظلْت عليه عاكفاً...» الآية. (المترجم)

(٦) في قوله تعالى: «لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلتم تفكهون». (المترجم)

Materials,pp.61,97,147) من الأفعال المضعفة من نمط : فَعِلَ من حسٌّ ، مَسَّ
ولا توجد صيغ مناسبة في القرآن ، من الأفعال على نمط فَعَلَ هناك صيغ ثلاثية فقط مثل : شَقَقْنَا في الآية ٦٢/ سورة عبس[١] ومَدَدْنا في الآية ١٩/ سورة الحجر[٢] . وبجلاء دون تنويع من ذوات الأصل الثنائي . والمادة نادرة جداً بحيث لا تصلح للاستنتاج منها ، ويبدو أن الصيغ الثنائية تتمتع بامتداد إلى أوسع مدى في وسط الجزيرة .

إن عقيلاً التي تذكر غالباً مع قبيلتي قيس : غَني وكلاب ، قيل إنها استعملت ظِلْتُ في الشعر بالرغم من أنها ليست من تلك اللهجة (أبو زيد ، اقتباس ابن جني ، الخصائص ٣٨٧/١) .

في شرق الجزيرة في لهجة بكر نماذج مختلفة من الصيغ الثنائية بصائت يقع بين أول الكلمة وآخرها : ردُّتُ ، مَرّنا[٣] (سيبويه ١٦٤/٢)[٤] .

ويمكن أن تشير الفتحة هنا لأكثر من صائت حيادي منزلق : مَرِّينا . إن وجود الصائت يسمح بظهور نزعة اتجاه المواءمة بين الأفعال والتخطيط لحركة آخرها . وبعض العرب قالت : رَدَّاتُ (الأستراباذي ، شرح الكافية ٧٣/٢) ، هذه الصيغة مع صيغة رَدَّيتُ مما حصل فيها مماثلة كلية مع المعتل الآخر استعملت في العاميات . (بروكلمان : (GVG, i, 634)[٥] ، وانظر كذلك الخريطة رقم ١٦ .

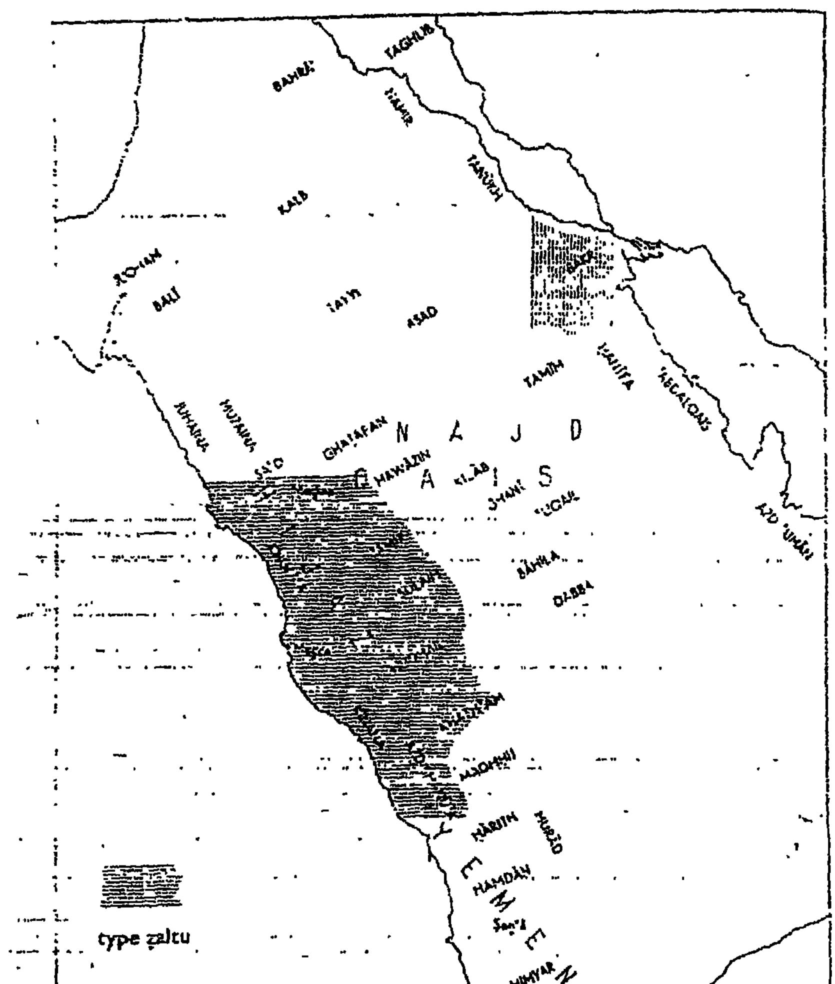
(١) في قوله تعالى : ﴿ثم شققنا الأرض شقّاً﴾ . (المترجم)

(٢) في قوله تعالى : ﴿والأرض مَدَدْناها . . .﴾ الآية . (المترجم)

(٣) وليس مَرَّانا (كما يكتب بروكلمان في : GVG, i, 633) وتظهر صيغ مشابهة في العربية المسيحية المبكرة : ودت ، (احبا raf- sprachgebrauch, p. 17). من خلال الأمثلة البكرية يجب أن نقرأ : وَدُّتُ ، أَحَبْنا وليس وَدَّيت ، وأحبَّينا ، مع إمكانية كتابتها بالياء .

(٤) وردت في الكتاب ٥٣٥/٣ : «زعم الخليل أن ناساً من بكر بن وائل يقولون : رَدَّنَ ومَدَّنَ ورَدَّتُ» . (المترجم)

(٥) بناء على ما ورد في التاج ٤١١/٧ :» قالت تميم ضِلْتُ في ضَلَلْتُ ، بالتوافق الحركي (فصل ١٠- فقرة ٢) فإن هذا على أية حال يوحي بأن لهجة تميم قد استعملت صيغاً ثلاثية ومن المشكوك فيه فيما إذا كان الخبر يمكن التعويل عليه فيه إثبات الصيغ الثلاثية أيضاً لنجد والحجاز .



الخريطة رقم ١٦- الصيغ الثنائية للماضي المعتل المضعّف (فصل ١٢- فقرة (a a)

الفصل الثالث عشر

الحجاز - النحو

a - ١ - استناداً إلى عبارة لليزيدي (في المزهر للسيوطي ١٧٧/٢) : التمر والبُرُّ والشعير والبُسْر ، ألفاظ مؤنثة في لهجة الحجاز ، مذكَّرة في تميم . وهي في اللسان مذكرة ، دون أية إشارة إلى أنها مؤنثة في أي مكان آخر . وفي بيت من الشعر للمتنخِّل الهذلي (١/٢) وُصِف البُر بصفة مذكرة وهي محكومة بالقافية . واعتماداً على الأخفش (اللسان ٩/١٢) :الطريق والسراط ، والسبيل والسوق والزُّقاق ، والكُلاَّء (اسم سوق البصرة)[١] ألفاظ مؤنثة في الحجاز ومؤنثة في تميم . ووصفت الطريق في القرآن بصفة مذكرة في الآية ٣٠ من سورة الأحقاف[٢] والصراط في عدة آيات[٣] ، والسبيل في الآية ٧٦ من سورة الحجر[٤] . واعتماداً على الفراء فإنَّ الصاع (مكيال عند العرب) مؤنثة في لهجة الحجاز ، مذكَّرة في لهجتي أسد ونجد ، ولكن بعض الأسديين يؤنثها (المصباح) . وصُوَاع القريبة منها لفظاً مذكَّرة في القرآن ، الآية ٧٢ سورة يوسف[٥] .

وفي ملاحظة في أحد هوامش الكامل للمبرد (ص ٦٦٦ ، مخطوطة ليدن) عن ابن السكِّيت أن لفظ عُنُق مؤنث في الحجاز ومذكَّر في لهجة أسد[٦] . وفي المصباح (ص ١٠٨٧) يستشهد بقول السجستاني بأن لفظ أغلب يُعَامل غالباً معاملة المذكَّر ، وعنه أيضاً (في الأضداد ص ٧٥) أن لفظ «نخيل» مؤنث في الحجاز ومذكَّر في غيرها من المناطق .

---

(١) في اللسان مادة كلأ : هو مرفأ السفن ومنه سوق الكُلاَّء وهو موضع بالبصرة لأنهم يكلؤون سفنهم هناك . . . والكلاَّء مجتمع السفن ومن هذا الاسم سمي كلاَّء البصرة لاجتماع سفنه . (المترجم)

(٢) يقصد قوله تعالى من الآية : ﴿ . . يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم﴾ (المترجم)

(٣) وقد وردت الصراط موصوفة بكلمة مستقيم نحو خمس وثلاثين مرة . (المترجم)

(٤) في قوله تعالى : ﴿وإنها لَبِسَبِيْلٍ مقيم﴾ . (المترجم)

(٥) في قوله تعالى : ﴿قالوا نفقد صُوَاع الملك . . .﴾ الآية (المترجم)

(٦) ومن ناحية أخرى فإنَّ أبا زيد (اللسان ٣٨٦/٤) يؤكد في لهجة تهامة تذكير : عُضُد وعُجُز دائماً (انظر فصل ١٠- h) بينما هم في الفصحى : عَضُد وعَجُز من جنس آخر .

ويقول ابن مالك (في التسهيل ورقة ٨٨- ب) ما كان من أسماء الجمع مفرده بالتاء من مثل تمر، يُعَامل في الحجاز مؤنثاً ، وفي لهجات تميم ونجد يذكَّر . ويقول الأستراباذي (شرح الكافية ١٦٢/٢) مثل هذه الأسماء كان مذكَّراً في الحجاز، ويؤنَّث في غيرها من المناطق . وهذا ليس صحيحاً بالتأكيد ، وربما يكون من خطأ الناسخ ليس غير . والاتجاه العام للشواهد أن هناك طوائف معينة من الكلمات ظلّت مؤنثة في الحجاز، وفي شرق الجزيرة وفي العربية الفصحى ، وبناء عليه جزئياً في لغة القرآن ، قد التزمت بهذه النزعة من أجل الانتظام والتوافق مع نماذج التذكير والتأنيث .

إن الأدلة من اللغات الشقيقة تدعم جزئياً فقط الرأي الذي يرى في لغة الحجاز أكثر محافظة على القديم ، وتامار «التمر» مؤنثة في عبرية المشناه (انظر: المشناه ,Tebul yom (iii,6 ، ومع ذلك فبوُزْ العبرية ، وبِزْري السريانية (حصرم العنب) مذكّران ، والعبرية سيؤوراه «بصراحة» ومثلها السريانية تَمريثا يمكن أن تكونا مفردتين اسميتين . ودِرِحْ العبرية «الطريق» يستوي فيه التذكير والتأنيث . وشَيبهيل «سبيل» وشوق «سوق» مذكران في عبرية المشناه والآرامية . ويمكننا أن نقارن العنق بـ«عُنْكيثا» «الرقبة» الآرامية اليهودية الفلسطينية بالمؤنثة السريانية عِينَاقا «الرضيع ، الفرع» . والعبرية نَحَل والسريانية نَحْلا «الوادي ، الممر الضيق» مذكّران .

بعض الكلمات الحجازية صارت مؤنثة لأنها مرادفة إلى حد ما لكلمات مؤنثة أصلاً ، ولكن هذا بحد ذاته لا بد أن يَحْمِلَ شاهداً على أن امتداد صفة التأنيث في هذه الكلمات ليس ملحوظاً في الظاهر[1] كذلك .

b- ٢ - يدين سيبويه (٤/١ ، ٢٠٢-٢٠٣) مراراً خطأ التطابق بين الفعل والفاعل (لغة أكلوني البراغيث ، (wright, ii,294C) ويعترف بأن بعض العرب تكلموا بها ، ويصنفها الأستراباذي (شرح الكافية ٨٨/١) بأنها ملمح جاهلي ، ولكنه لم يعيّن أصحاب هذه اللغة . على أي حال ، يعزوها الصَّفّار (عن ابن عقيل ص ١٢١) إلى هذيل ، والخفاجي (شرح على درّة الغوّاص ص ١٥٢) يعزوها إلى لهجة طيء (انظر فصل ٧- w ، وفصل ٤١- hh). أمثلة هذا التركيب التي جمعها نولدكهZur)

(١) ابن الأثير في اللسان ٣٨٠/١ يدّعي أن كلمة ذهب كانت مؤنثة في لهجة الحجاز ولكنه مجرد افتراض (انظر : الأزهري ، المرجع السابق) نظراً لفشله في توجيه انتباهه إلى القرآن الآية ٣٤- من سورة التوبة . (يقصد قوله تعالى : ﴿ . . . والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها . . .﴾ الآية .

(Gramma., p.78 وبروكلمان (GVG, ii, 74) وركندورف (Syntax,p.25) غالباً من مصادر حجازية . ومن الطريف جداً أن يكون أحد مواطن ظهورها المعروفة هو شعر الفرزدق[1] (1xi.5) في بيت يهجو به ضَبَّة . ويستعمل الفرزدق أحياناً ملامح من لهجات خصومه ليسخر منهم ، وعليه من المحتمل أن تكون لهجة ضبّة قد احتفظت بظاهرة التطابق هذه ، وهي ليست من القبائل العربية الغربية . بما أن ظاهرة التطابق بين الفعل وفاعله هي النهج العادي للغات الشقيقة والعاميات ؛ يبدو أن التنبيه الصارم على ضرورة إفراد الفعل في الجملة الفعلية ،من الأمور المستغربة في تلك اللهجات التي شكلت القاعدة للعربية الفصحى .

c- ٣ - قال أهل الحجاز : مبروراً مأجوراً ، بينما لغة تميم تقولها بالرفع (اللسان ١١٧/٥) . وأهل تميم قالوا : بُعْدٌ له وسُحْقٌ بدلاً من الشائعة : بُعْداً له (التاج ٣٠٣/٢ ، وليست في اللسان) . إن تعاقب النصب والرفع على التعجب هو توزيع جيد لأساليب العربية واصطلاحاتها ، ومن المحتمل ألا تكون هذه الأمثلة (إذا كانت صحيحة) شيئاً سوى تثبيت محلي لاستعمال غير راسخ ولكنها قد تخفي اختلافات أساسية لحالات من الاستعمال مجهولة لدينا .

d- ٤ - الأعداد من ٣-١٠ عند توظيفها توابع مذيّلة بالضمائر ، تُنْصَب في الحجاز ، ولكنها في تميم تكون تابعة في إعرابها للمتبوع نحو : أَتَوْني ثلاثَتَهم ، وفي تميم : ثلاثَتُهم (سيبويه ٧٥١/١ ، الصحاح ١٣٠/١ الخ) . ويبدو أن لا شواهد في القرآن على هذه الحالة . ويصنِّف اللغويون العرب النصب في الحجاز ، انطلاقاً من نظامهم النحوي ، على أنه حال ((wright, ii,116D ، وعلينا كذلك أن نعدّه من النصب الإسنادي أو الخبري (انظر : (Reckendorf, .syntax, p,114 ومن المشكوك فيه فيما إذا استطعنا أن نستنتج من هذا التركيب أن مثل هذه الحالة مازالت باقية في الحجاز دون غيرها من المناطق .

e- ٥ - لأسباب سنتبيِّنها في الأقسام الآتية ، إن الأدوات العاملة في الجملة نحو : إنَّ ،

---

(١) في شعر يهجو فيه الفرزدق بني ضبّة ، وهو من شواهد سيبويه ٤٠/٢ :

ولكن ديافيٌّ أبوه وأمـــــه بحَوْرانَ يعصِرنَ السليطَ أقاربهُ

وقبله : فلو كنتَ ضبياً صفحت ولو سرت على قدمي حياتُه وعقاربُـه

والشاهد في يعصرن أقاربـــهُ الفاعلان النون والأقاربُ (المترجم)

أنّ ، وغيرهما يمكن أن تأتي مخفّفة : إنْ ، أنْ وعندها تفقد عملها ، ويُرفع اسمها بدلاً من نصبه . وبعض العرب ينصبون الاسم عند تخفيف هذه الأدوات أيضاً (سيبويه ٢٤٤/١ على عهدة من نثق به[1] ، ابن جني في اللسان ١٧٥/٦١ ، الزمخشري ، المفصل ، ص١٣٧) . وأنكر النحاة الكوفيون إمكانية ذلك (ابن هشام ، المغني ٢٢/١) ولكن الفراء أقرّ بوجود الضمائر مع المخفف منهما (التاج ١٢٨/٤) ، ويزعم الليث (اللسان ، المصدر السابق) : إن ناساً من أهل الحجاز يخففون وينصبون على توهم الثقيلة ؛ ولما كان من الطبيعي أن يتعذر ظهور اسم إنَّ في القافية الشعرية كان من الصعب الاستدلال على ذلك أو البرهنة عليه . في القرآن تظهر إنْ المخففة قبل كلمات تستعمل كأسماء فقط في التعبير : «إنْ كُلُّ نفس لما[2] . . .» ، «وإن كلاً لما[3] . . .» . ويبدو من السياق أنه يعني شيئاً ما مثل : إنهم كلهم معاً يقيناً . تختلف آراء الشرّاح بشكل كبير (انظر أيضاً فصل ٨- e e)ولكن معظمهم يرى فيها إنْ المخففة من إنَّ ، وربما تكون الجملة تعبيراً لهجياً .

وحري التعبير بـ : إنْ كلٌّ في الآية ٣٢- من سورة يس[4] ، وفي الآية ٤- من سورة الطارق[4] ، وفي كلا الحالتين لا خلاف على عدم النصب . وفي الآية ١١١- من سورة هود[6] قرأها معظم القراء بالرفع ، إلاّ قُرّاء الحجاز بالنصب «كلاًّ»[7] . والأمثلة الشعرية مع الضمائر تسمح بافتراض النصب مع الصيغ المختلفة من الأداة ، نحو : لو أَنْكِ[8]- لو أنَّكِ

---

(١) لعله يقصد ما جاء في الكتاب ١٤٠/٢ : «وحدثنا من نثق به أنه سمع من العرب من يقول : إنْ عَمراً لمنطلق» وأهل المدينة يقرؤون : «وإنْ كلاً لما ليوفّينّهم ربُّك أعمالهم» يخففون وينصبون» . (المترجم)

(٢) ٤ /الطارق . (المترجم)

(٣) ١١١/ هود . (المترجم)

(٤) يقصد قوله تعالى :﴿ وإنْ كلٌّ لَمّا جميع لدينا محضرون ﴾ . (المترجم)

(٥) يقصد قوله تعالى :﴿إنْ كلُّ نفس لَمّا عليها حافظ ﴾ . (المترجم)

(٦) يقصد قوله تعالى :﴿ وإنْ كلاً لَمّا ليُوفينّهم . . .﴾ الآية . (المترجم)

(٧) سيبويه قراء المدنية ، ابن هشام قراء مكة والمدينة ، وأبو بكر ، والبيضاوي : نافع وابن كثير وأبو بكر ، أما ابن مسعود فقرأ إن كلٌّ إلاّ . والكل قرأها في الآية ١٤/ سورة ص في قوله تعالى : ﴿إن كلٌّ إلاّ كذّب الرسل . . .﴾ الآية ، (القراءات الأخرى ، ص١٣٧ ، ١٤٤ ، و Jeffery, Materials,p.48) .

(٨) في قول الشاعر :

فلو أنْكِ في يوم الرخاء سألتني   فراقَك لم أبخلْ وأنتِ صديقُ . (المفصل/٢٩٩) (المترجم)

(الزمخشري ، المفصل ، ص١٣٨) . ووردت أَنْكَ مرتين في بيت لعمرة بنت عجلان الهذلية (ديوان هذيل ١٧/٧)[1] ، وبيت فيه : إنْكَهْ في إنَّكَ للقشيري الأسدي[2] ، (ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص٣٥٤- سطر٣) وتتشارك إنْ هنا مع «كا» بما يشكل ملمحاً للهجة العالية ، (انظر : فصل ١٢- c) ، وقد وجدت ، بعد لأي ، حالة وحيدة يكون فيها الاسم منصوباً بوضوح مع إنْ ، في مصدر عربي ، أعني الحديث ، (في البخاري ، باب الهبة ، ٦) ، حيث يقرأ اليونيني : إنْ نساءَكَ يَنشُدْنك الله ، إن «نساءك» المكتوبة بالهمزة على السطر ، لا تُقرأ إلاّ منصوبة ، ويبدو أن للقسطلاني ٣٤١/٤ بعض الشكوك إزاء هذا التركيب عندما تبيَّن له أنَّ عليه أن يذكر صراحة بأن هذا في الواقع هو النص الموثّق .

f- ٦ - لا يمكن إنكار أنه من الصعوبة بمكان البرهنة على صدق عبارة الليث[3] وقد يكون معناها الحقيقي أن الصيغ المخففة في حدّ ذاتها وُجِدت في بيتها الأصلي وهو الحجاز حيث كان استعمالها بكامل تأثيرها وعملها ، خاصة أنها لم تستعمل قط في أماكن أخرى ، أو استعملت بصورة خاطئة في إعمالها (انظر : حالة ما ، فصل االآتي) ، والقيود التي أحاط بها النحاة الكوفيون هي ذات طبيعة نظرية بحتة ؛ ولحسمه ، من الضروري القيام بفحص الحالات التي استعملت فيها هذه الصيغ المخففة ، وفي حدود علمي ، لم تُعطِ أية قاعدة قط .

وسيكون لافتاً للنظر لو حلّت إنْ وأنْ ، التي لها وظائفها العادية الخاصة بها ، محل إنَّ وأَنَّ في استعمال ندّ من متكلم ما . ويجب أن نكون على حذر من أن نضع في حسابنا تلك الحالات التي تأتّي فيها لام بعد إنْ الشرطية ، التي لوجودها تُصنَّف إنْ تلقائياً بأنها مخففة . وقد فعل هذا الزمخشريُّ (في المفصل ، ص١٣٨) في آيتين من القرآن (آية ٣/ سورة

---

(١) كذلك ابن يعيش ص١١٣١ : وأعيدت كتابتهما في الديوان بحيث لم يظهرا .(والبيت هو مع البيت قبله :

وقد علم الضيف والمرملون إذا اغبرَّ أفق وهبّت شمالا

بأَنْكَ ربيع وغيث مريع وأَنْكَ هناك تكون الثّمالا) (المترجم)

(٢) يقصد قوله :

يقولون لي إِنْكَهْ شربت مدامةً فقلت لهم : لا بل أكلت سَفرجلا

(الشعر والشعراء ص٣٤٤) (المترجم)

(٣) ما جاء في اللسان مادة أَننْ : «فأما من خفّف (إنّ) فإنه يرفع بها ، إلاّ أن ناساً من أهل الحجاز يخففون وينصبون على توهم الثقيلة ، وقرئ : «وإنْ كلاً لَمَا لَيُوفينّهم» خففوا ونصبوا» . (المترجم)

يوسف)[1] ، (والآية ٧/ من سورة الأعراف)[2] ؛ حيث يتطلب السياق «إذا» بالتحديد ، وهناك حالات محيِّرة لا يستطاع فيها الحسم إن كانت إنْ بمعنى إذا أم لا . كما في البيت الذي قاله عَبيد الأسدي ٤/١ :

إنْ[3] بُدِّلَتْ أهلُها وحوشاً[4] ،

أو بيت عاتكة بنت زيد العدويّة[5] :

إنْ[6] قتلتَ لمُسلماً

وجَبَتْ عليك عقوبةُ المتعمّد

ولسبب غير مفهوم يصرُّ ابن مالك (في الألفية ١٩١ ، والأشموني ٢٢٩/١) على وجود قرينة إنْ لم توجد اللام ، فهذه القرينة كلمة في السياق تعيّن وظيفة إنْ[7] .

---

(١) يقصد قوله تعالى : ﴿ . . . وإنْ كنت من قبله لَمِن الغافلين﴾ . (المترجم)

(٢) يقصد قوله تعالى : ﴿ . . . وإنْ وجدنا أكثرهم لفاسقين﴾ . (المترجم)

(٣) ما لم يُشَر إليه بالضبط الكتابي ، فأنا سأكتبها في حالة الرفع في الاستشهاد التالي ، بالطبع ربما كتبت يقصد النصب . وقد اعتبر ليال في ترجمته أنّ : إنْ حرف شرط ، أمّا ركندورف (Syntax,p.129) فقد اعتبرها المخففة .

(٤) يقصد البيت :

وبُدِّلتْ أهلُها وحوشاً وغيَّرت حالها الخطوب

ويلاحظ عدم وجود إنْ في رواية البيت (عبيد بن الأبرص ، شعره ومعجمه اللغوي ، د . توفيق أسعد : ص٢٨) ، انظر جمهرة أشعار القرب للقرشي ، وربّما تكون (إن أُبدِلتْ من . .) (المترجم)

(٥) والبيت بكامله كما في المفصل ص٢٩٨ :

بالله ربِّك إنْ قتلت لَمسلماً وجَبَتْ عليك عقوبة المتعمِّد (المترجم) ،

وفي الأشموني ٥٨٦/١ : شلّت يمينك . . .

(٦) والسياق يقتضي أن تكون إنْ شرطية ، واعتبرها الزمخشري (في المفصل ص٨٣١) مخففة .

(٧) يقصد قول ابن مالك في الألفية :

وخُفِّفت إنْ فقلَّ العملُ وتلزم اللامُ إذا ما تُهمَلُ

وربما استغني عنها إن بدا ما ناطق أراده مُعتمدا

أي إذا خففت إنْ وأهملت فلا بد من وجود اللام لتفرّق بينها وبين إن النافية ، وإذا خلا الكلام من هذه اللام الفارقة ، فلا بد من قرينة تعين كونها المخففة وليست النافية . (المترجم)

إذا تجاهلنا مثل هذه الحالات ، يمكننا أن نصل إلى استنتاجات محدّدة عن : إنْ لا تدلُّ على كامل الصيغة فقط إلاَّ مع الضمائر الملحقة بها ، خاصة ضمير الشأن (إلى ذلك أشار ابن مالك في الألفية ١٩٣)[١] ، قبل الكاف وغيرها من الأصوات الطبقية ، قبل النون وقبل النفي (أو قبل اللام) وفي الأمثلة الآتية

g- ٧ - قبل الكاف : إنْ كدْتَ = إنكَ كِدْت (في الآية ٥٦[٢]/ الصافات من القرآن) ، وأَنْ كلٌّ = أَنَّ كلٌّ (الخنساء ، ص٧٧ ، البيت ٨) ، وبأَنْ كلٌّ = بأَنَّ كلٌّ (حسان بن ثابت ، ص٩٩- البيت ١٢) ؛ أَنْ كلانا = أَنَّ كليْنا (عمرو بن جابر الحنفي ، حماسة البحتري ، مصوّرة ، ص٣٢ ، بيت ٥) ؛ كأَنْ كشْحٌ[٣] = كأنَّ كشحاً (النابغة الجعدي ، جمهرة أشعار العرب ، ص ١٤٦ ، البيت الثالث من أسفل الصفحة) ؛ أنْ كلٌّ = أَنَّ كلٌّ (أبو طالب ، ابن هشام ، السيرة ص٢٤٩- البيت ١٥)[٤] ؛ إنْ كان = إنّه كان (ابن سعد- ٢ب ، ص١٣ ، بيت ٢١ ، ص٤١ ، البيت ٧ ، IVA ، ٤٥ ، بيت ٢٥٢ الخليفة عمر في الأغاني ١٤٦/٩ ، البيت ٣ من أسفل عائشة ، في البخاري ، الصوم ٢٤ عثمان في البخاري ، الفضائل ، ١٣) ، إنْ كنّا = إنّنا كنّا (كعب بن زهير في الأغاني ١٤٦/٩) ، إنْ كادت = إنها كادت (معاوية بن محسن الكندي في الطبري- التاريخ ١٠١٩/١- سطر٥) ، إنْ كنت = إني كنت (ابن سعد ٢ت ، ص١٣٠ ، سطر١٦) ، (الأمثلة الثلاثة الأخيرة مع الضمائر الملحقة بها في القسم الأخير) .

قبل الأصوات الطبقية والجيم ، كأَنْ جدولٌ[٥] (عبيد الأسدي ٣/٩) ، أَنْ جُرحٌ = أَنَّ

---

(١) يقصد قوله :

وإنْ تُخفَّف أنَّ فاسمها استكنّ   والخبر اجعلْ جملة من بعد أنْ (المترجم)

(٢) يعني قوله تعالى : ﴿ قال تالله إن كِدْتَ كتُرْدين ﴾ وهي الآية ٥٦ وليست ٥٤/٥٥ كما أورد المؤلف . (المترجم)

(٣) هذه رواية المطبوعة الأميرية سنة ١٣٠٨هـ من الجمهرة ولكن رواية النسخة التي حققها البجاوي ص٦٢٤- البيت الثلاثون :

وباتت كأَنْ كشحها طيُّ ربطة   إلى راجح من ظاهر الرمل أعفرا (المترجم)

(٤) لم أجد هذا البيت في ط دار الجيل ، تعليق طه عبد الرؤوف سعد . (المترجم)

(٥) يقصد البيت :

تذكّرتهم ما إنْ تجفُّ مدامعي   كأنْ جَدْول يسقي مزارع مخروب .

وهو في ٣/٨ من الديوان حسبما جاء في كتاب عبيد بن الأبرص د . توفيق أسعد . (المترجم)

جُرحاً لضبيعة العبسي في عامر ، ط ليال ٣٤- a ، سطره) ؛ بأَنْ قومُكم = بأَنَّ قومَكم (المفضليات ٩/ ٣٠)[١] ، كأَنْ غَربٌ = كأَنَّ غرباً (علقمة التميمي ، أهلورد ، ستة شعراء ٨/٣١) ، كـ- أنْ قَبَسٌ = كـ- أَنَّ قبساً[٢] (مجمّع بن هلال التميمي ، الحماسة ، ص٤٤٣) ، قبل قد مع الماضي ، أَنْ غالباً ما تحل محل أنه (ركندورف- Syntax,p.126).

في الآيتين[٣] : ٧ ، ٩ من سورة النور في : أَنَّ لعنةَ . . . ، أَنَّ غضبَ . . . وقرأ نافع ويعقوب البصري ، أَنْ لعنةُ . . . ونافع : أَنْ غضبَ الله = أَنه غضبَ .

بالرغم من أنَّ الكوفيين لم يجوِّزوا النصب بعد الصيغ المخفَّفة ، يمكننا أن نضيف هنا أن الأخفش والكوفيين أجازوا القياس بعكس البصريين ، على العبارات : إنْ قام لزيدٌ وإنْ قعد لزيدٌ[٤] (الأشموني ١/ ٢٣٠) ، ولا شيء لافت للنظر في اختبار المثال الأول ، ولكنه ليس من عادة النحاة العرب ، أن يعطوا مثالاً ثانياً ما لم يضف شيئاً ذا دلالة على الأول . وفي هذه الحالة بالتأكيد سيكون أمراً غريباً ، وجوب أن يبدأ المثال الثاني بـ«قد» أيضاً ، وقد يكون هذا من قبيل الإبهام في عبارة الكوفيين التي تجيز إنْ في إنَّه قبل الأصوات اللهوية .

h- ٨ - قبل النون : المثال من البخاري في الفقرة e ، في آخر (كتاب الهبة ، ٦)[٥] ، وإنْ

---

(١) والبيت في المفضليات لبشامة بن عمرو وهو نفسه ابن الغدير الغطفاني ص٩٥- ١٠/٣٠ وليس ٩/٣٠ كما قال المؤلف : بأنْ قومُكم خُيِّروا خصلتيـ ـن كلتاهما جَعَلوها عُدولا (المترجم)

(٢) والبيت في الحماسة في قصيدة رقم ٢٤٩- ص٢٠٣- ص٢٠٤ بيت رقم ٩ :
عَبَأتُ له رمحاً طويلاً وأَلَّةً كأنْ قبسٌ يعلي بها حين تُشرعُ . (المترجم)

(٣) الآية ٧- النور : ﴿والخامسة أنَّ لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين﴾ (المترجم)
الآية ٩- النور : ﴿والخامسة أنَّ غضبَ الله عليها إن كان من الصادقين﴾ . (المترجم)

(٤) يبدو أن هذا يحتاج إلى توضيح فيقال : «إذا خففت إنَّ فلا يليها من الأفعال إلاَّ الناسخة . . .»نحو : «وإن كانت لكبيرة إلاَّ على الذين هدى الله» . . . ويقل أن يليها غير الناسخ . . .نحو : إنْ يزينّك لنفسك . . . ومن النادر قوله إن قتلت لمسلماً ، وإنْ قام لأنا ، ولا يقاس عليه عند البصريين ، ويجيز الأخفش والكوفيون القياس عليه (على المثالين) (انظر شرح الأشموني ١/٥٥٨ ، ط٣ ، وشرح ابن عقيل ١/٣٨٢ ، وكلاهما بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد) . (المترجم)

(٥) يقصد : «إنْ نساءَك ينشدنك الله» . (المترجم)

نظنّك = إنّنا نظنُّك (الآية ١٨- من سورة الشعراء)[1] . وقبل اللام ، القراءة القرآنية : أَنْ لعنة[2] (انظر : الفقرة السابقة ، الآية ٧/ النور) ، «وأَنْ لو استقاموا . . . لأسقيناهم» وأَنّنا (الآية ٦١/ من سورة الجن)[3] ، «أَنْ لو نشاء . . . أننا» (الآية ١٠٠/ من سورة الأعراف)[4] . ويقول ابن مالك (في الألفي ١٩٥) وقليلٌ ذِكر لو . . .[5] ، أي إنّ ذكر أَنْ المخففة بعد لو قليل . يقول الأشموني (٢٣١/١) ذكر لو قليل عند النحاة ، بالرغم من كثرته في كلام العرب .

قبل النفي «كأَنْ لم . . .» (الآية ٢٤[6]- من سورة يونس ، ابن وقاص بن الحارث ، مما استشهد به هُول ١٥٧٧/٤) ؛ «أَنْ ليس . . .»[7] (٩٣/ النجم) ؛ أَن لن[8] (٣/ القيامة) ؛ أن مع لا النافية للجنس (الحارث بن وعلَةَ الذهلي[9] ص٩٧ ، وُحرَيث بن جابر التميمي[10] ، الحماسة ص١٨٢ ، وطرفة البكري[11] ، طبعة هالورد ١٦/١٣) .

وأَنْ مع لا الظرفية[12] (أبو محْجن الثقفي ، تحقيق لاندبيرغ ، ص٧٢) . كذلك يجب أن نذكر أيضاً ألاّ الشائعة الاستعمال التي غالباً ما تسدّ مسدّ أَنْ لا وأنّه لا كما في أَنْ

---

(١) في قوله تعالى : ﴿ وما أنت إلاّ بشر مثلنا وإنْ نظنُّك لمن الكاذبين ﴾ (المترجم)

(٢) من الآية ٧- من سورة النور .

(٣) من قوله تعالى : ﴿ وألَّو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقاً ﴾ .

(٤) في قوله تعالى : ﴿ . . . أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم . . . ﴾ الآية .

(٥) من بيت الألفية : فالأحسن الفصل بقد ؛ أو نفي ، أو تنفيس ، أوَلَوْ ، وقليلٌ ذكرُ لَوْ (المترجم)

(٦) يقصد قوله تعالى : ﴿ . . . فجعلناها حصيداً كأَنْ لم تغنَ بالأمس . . . ﴾ الآية .

(٧) من قوله تعالى : ﴿ وأن ليس للإنسان إلاّ ما سعى ﴾ .

(٨) من قوله تعالى : ﴿ أيحسب الإنسان ألَّن نجمع عظامه ﴾ .

(٩) يقصد قول الشاعر في الحماسة ص ٦٥ تحقيق د . عبد المنعم صالح :

وزعمتم أنْ لا حلومَ لنا إن العصا قُرعت لذي الحِلــم (المترجم)

(١٠) يقصد قوله في الحماسة ص ١١٦ تحقيق د . عبد المنعم صالح :

لعمرك ما أنصَفتَني حين سمتَني هواك مع المولى وأن لا هوى ليا (المترجم)

(١١) يقصد قوله : فلما رأى أنْ لا قرارَ يقرّه وأنْ هوى أسماء لا بدّ قاتــله (المترجم)

(١٢) قد يقصد لا الطلبية : فلا في العربية نافية (بمعنى ليس والنافية للجنس ، والداخلة غير العاملة على المضارع لنفي معناه) ولا العاطفة ، والطلبية ، والجوابية ، والزائدة . (المترجم)

لا[١] . ومع ما وجدتُ مثالاً واحداً وهو : أَنْ ما لنا ذنبٌ (عمر بن أبي ربيعة) .

وهذا يجعلها تبدو وكأنَّ العنصر الجوهري هنا هو بأنها مبدوءة باللام وليس بالنفي ، ومن الحالات ما يمكن تصنيفه في نوع خاص به وذلك حين يأتي بعد أَنْ عبارة مثل : آخر دعواهم أَنِ الحمد لله[٢] (الآية ١٠/ من سورة يونس) ، كذلك الآية ١٤٠[٣]- من سورة النساء ، والآية ٨[٤]- من سورة النمل ، وحالات أخرى تستعصي على التصنيف نحو : أَنْ هالكٌ كلٌ[٥] (لأعشى باهلة ، سيبويه ٢٤٣) ؛ أَنْ أُذنا[٦] = أَنَّ أُذني (للفرزدق التميمي ، النقائص ٦٥/٥١) ؛ أَنْ أَمِنْتِ وأَنْ تهبطينَ[٧] (وكلاهما لقاسم بن مَعْن ، العيني ، المقاصد

---

(١) وذلك حين توصل لا بأنْ المصدرية نحو : يجب ألا تهمل في عملك ، وبأن المخففة من الثقيلة نحو : أشهد أن لا إله إلاّ الله ، وأشرت إليه ألاّ يتحرك . (المترجم)

(٢) من قوله تعالى : ﴿ دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أنِ الحمدُ لله رب العالمين﴾ (المترجم)

(٣) قوله تعالى : ﴿ وقد نزّل عليكم في الكتاب أَنْ إذا سمعتم آيات الله . . .﴾ الآية . (المترجم)

(٤) قوله تعالى : ﴿ فلما جاءها نودي أَنْ بورك مَنْ في النار . . .﴾ الآية . (المترجم)

(٥) والبيت بكامله :

في فتيةٍ كسيوف الهند قد علموا أَنْ هالكٌ كل من يَحْفى وينتعل (المترجم)

(٦) في بيت الشعر :

أَتغضبُ أن أُذْنا قتيبة حُزّتــا جهاراً ، ولم تغضب لقتل ابن حازم؟

فاعتبر الأصمعي والكوفيون أَنْ شرطية ، وقرأها آخرون إنْ ، واعتبرها المبرد أَنْ المخففة ولدينا هنا حالة واضحة بعد أن المخففة . (المترجم)

(٧) يقصد ما قاله القاسم بن معن قاضي الكوفة في الأشموني ٦٠٠/١- ط٣ :

إني زعيم يا نُوَيْــــــــ قـــةُ إنْ أَمنْتِ من الــــرَّزاح
ونجوت من عرض المنــــو ن من العشيِّ إلــى الصبـــاح
أنْ تهبطين بلادَ قـــــــو م يرتعون مــن الطِّـــــــلاح

وقد ضبط المؤلف التاء في أَمنتُ بالضم وهي في النص بالكسرة . (المترجم)

٢٧٩/٢) ، إنِ اللهُ[١] (يحيى بن نوفل اليمني في الشعر والشعراء لابن قتيبة ص٤٦٥ ، البيت ١٦) ؛ وإنِ الحقُّ[٢] (الأشموني ٢٢٩/١ ، مجهول القائل) ؛ إنْ مالكٌ[٣] (مجهول ، المصدر السابق) ؛ أَنْ يُؤمِّلون[٤] (مجهول ، العيني ٢٩٤/٢) . إنْ يكاد[٥] (الآية ٥١- سورة القلم) . وفي المثل : «إنْ تزينُك لنفسك وإنْ تشينُك لَهِيَه» (الزمخشري ، المفصّل ١٣٨) ، (ويمكن وضع إلاَّ بدلاً من اللام والياء) . بعض ما ذكرنا من إنْ وأَنْ يحتمل ألاَّ يكنَّ من المخففات .

i- ٩ – لشرح هذا التوزيع من الصيغ المخففة ، يمكننا أن نبدأ بالموافقة على وِجْهَة نظر ركندورف بأن إنْ وأن هما الصيغتان القُدميان ، اللتان تطورت منهما إنَّ وأنَّ لأسباب معينة ، (Syntakt, .Verhaltnisse, p.354) الصيغ القديمة ، مع ذلك ، بقيت في تراكيب تغيّرت فيها النون ، لأسباب صوتية ، إلى نون كالتي تنطق في king[٦] ، وذلك قبل الأصوات الطبقية ، وتتماثل مع اللام ، وربما مع الميم ، ويمكن أن تتغيّر إلى صوت غاري (حنكية) قبل الجيم والياء[٧] .

الصيغ الجديدة إنَّ وأنَّ ، كذلك تغلغلت شيئاً فشيئاً إلى هذه التراكيب . ويمكن أن يكون التركيبان قد استخدما لفترة ما جنباً إلى جنب ، وقاد هذا أيضاً إلى بعض الشك في استعمالها مما ولّد أمثلة غير متنوعة ، وفي صورة موازية يمكننا أن نضرب مثالاً من العبرية ،

---

(١) البيت بكامله :

ففزوان حرٌّ وأم الوليـــد ، إنِ اللهُ عافى أَبا شُبْرُمَه (المترجم)

(٢) يقصد البيت من الأشموني (٥٨٢/١) :

إنِ الحقُّ لا يخفى على ذي بصيرة وإنْ هو لم يعدمْ خلافَ مُعانِد (المترجم)

(٣) البيت للطرماح بن حكيم وهو :

أنا ابنُ أُباة الضَّيم مِنْ آلِ مالـكٍ وإنْ مالكٌ كانت كرامَ المعادن (الأشموني ٥٨٤/١) (المترجم)

(٤) والبيت لمجهول :

علموا أن يُؤمِّلون فجـــادوا قبل أنْ يُسألوا بأعظم سُؤْل (الأشموني ٥٩٩/١) (المترجم)

(٥) من قوله تعالى : ﴿ وإنْ يكاد الذين كفروا ليزلقونك . . . ﴾ الآية .

(٦) هو تنويع صوتي للفونيم ، ويطلق عليه في علم اللسان الحديث : ألوفوناً والنون قد تظهر في سبعة أو ثمانية ألوفونات في العربية ، حسب ما يلحقها أو يسبقها من أصوات . (المترجم)

(٧) المماثلة التي تحصل لها مع الكاف والقاف والجيم وهي تغيرات عادية في نظر سيبويه ٤٦٥/٢ .

بالمضارع الذي من حروفه الأصلية النون التي يحصل بينها وبين ما يليها من الحروف الصامتة مماثلة (مثل : ينْبُل- يبُّل) . ولا محل للمماثلة في الجذور التي يأتي فيها بعد النون حروف حلقية ، حيث التضعيف غير ممكن)[1] ، وأقل تساوقاً في الجذور بالقاف والصاد والجيم (في مثل Good) والزاي (وليس السين واتس) بوصفها حروفاً أصلية ثانية ، ويحتمل أن يكون السبب مع القاف والجيم (القاهرية) هو أن النون قد تحولت إلى (ألوفون) آخر فاكتسبت صفة الطبقية ، ومع الصاد والزاي (انظر ما سيأتي في سوف) .

k- ١٠ - ويعطي ابن مالك تفسيراً (في الألفية ١٩٤) عبر أبيات شعرية نحوية[2] :

وإنْ تُخفف أنَّ فاسمَها استكَنّ
والخبر اجْعَلْ جملة من بعد أَنْ
وإنْ يكن فعلاً ولم يكن دُعا
ولم يكن تصريفُهُ ممتنعا
فالأحسن الفصل بِقَدْ ، أو نفي ، أو
تنفيس ، أو لَوْ ، وقليلٌ ذكْرُ لَوْ

وهذا يغطي وجهة نظرنا ، ولا يُخرجها بأي حال . والحالات التي لم توضحها وِجْهَةُ نظرنا ، لم يكن لها نصيب في التفسير عند ابن مالك كذلك .

أمّا مع السين وسوف فهناك بعض الأمثلة القديمة : أَنْ سيكون[3] ، (الآية ٢٠ من سورة المزمل)[4] ؛ زعم الفرزدق أن سيقتل[5] (جرير ، تحقيق الصاوي ص٣٨٤ ، البيت ٣) ، أَنْ

---

(١) هذا يدل على أن مماثلة النون في الجذور قد حصلت متأخرة ، بعد أن فقدت الأصوات الحلقية قدرتها على التضعيف ، والتطوير الأخير بحد ذاته متأخر . (انظر : Sievers, Metrisch, Studien,i,300, Bergsträsser, Hbr. Gramm.i,152). كذلك برهن على هذا بملاحظة n في حالات مثل . Lip6l (Bergstr, ib,108) في صيغة المضارع نفعال حصل مماثلة قديمة للنون .

(٢) ذكرتها بنصها الذي جاء في الألفية وليس كما نثرها المؤلف بالإنجليزية . (المترجم)

(٣) يقصد قوله تعالى : ﴿ . . . عَلِم أن سيكون منكم مرضى . . . ﴾ الآية . (المترجم)

(٤) وفي الآية نفسها قبل ﴿أنْ سيكون . . .﴾ : ﴿ علم أنْ لَنْ تُحصوه . . . ﴾ قد يترك أثراً ، (والتاء بالضم وليست بالفتح كما ورد في نص المؤلف) . (المترجم)

(٥) بيت جرير بأكمله :

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً   أبْشِر بطول سلامة يا مَرْبَع (المترجم)

سوف يأتي كلٌّ ما قُدِر[1] (مجهول، السيوطي شرح شواهد المغني، ص٢٨٠) . من الممكن أن تعترض الأداتان بين أنْ وخبرها (ومن ثمَّ يجب أن نعتبره منصوبا)، وربما يكون المفتاح بالمماثل العبري السابق، حيث الشين والزاي كانا يقيّدان المماثلة، ولا أستطيع أن أقول ما التغيير الذي يجب أن يحصل للنون قبل السين، فقد يكون قد اختلف بطريقة ما .

إن كثيراً من أمثلتنا تأتي من مصادر عربية غربية، وهناك أيضاً أمثلة عربية شرقية لا شك فيها، لا نستطيع أن ندّعي أنه لا يوجد شيء خاص في العربية الغربية من الصيغ المخففة، وآمل، مع ذلك، أن أكون قد عرضت هذه الصيغ المأثورة بصورة ممتعة ومفيدة .

I- ١١ - هناك شروط خاصة بـ«كأَنْ» ويتكرر ظهورها أكثر من إنْ وأَنْ قبل الصوامت المبدوء بها دون غيرها، وهناك بعض الاختلاف في الرأي في إعرابها والحالة التي تحكمها، ويستشهد سيبويه ببيت من الشعر لمجهول، كأَنْ ثدياهُ حُقَّان[2]، وأضاف أنّ الخليل أصرّ على رفع «ثدياه» (٢٤٢/١) . واتخذ الخليل الموقف نفسه إزاء شاهد احتج به قبل هذا مباشرة :

كأَنْ ظبيةٌ تعطو إلى وارقِ السَّلَم[3]

لأحد اليشكريين، وهو يمني، (انظر: فهرس الشواهد، ص٢٢٠، ٢٦) . وسمع الزمخشري الاستشهاد به: ظبيةٌ، وظبيةٍ أو ظبيةً؛ مما يشعر أن الخليل كان يبسّط وضع القاعدة . ولا يعرف السيوطي (الجمع ١٨/٢) سوى «ظبية» ويستشهد بالبيت على زيادة أَنْ . ويبدو أن هناك تشويشاً وخلطاً بين كَ-أنِ (كَأَنْ) و-كَ . ولا يُقرأ بيت رؤبة إلاّ بالنصب

---

(١) والبيت بكامله :

واعلم فعلم المرء ينفعه أن سوفَ يأتي كلُّ ما قُدرا (شرح شواهد المغني ٨٢٨/٢) . (المترجم)

(٢) والبيت بأكمله :

وَصَدر مشرقُ النحر كأنْ ثدياه حُقَّانِ (المترجم)

في الكتاب ١٣٥/٢، وقال بعده: «وزعم الخليل أن هذا يشبه قول من قال وهو الفرزدق :

فلو كنت ضبياً عرفت قرابتي ولكنَّ زنجيٌّ عظيم المشافر (المترجم)

والنصب أكْثَرُ في كلام العرب . . .» وفي ١٤٠/٢: «يخففون وينصبون: كَأنْ ثدياه حقان»، وإن سيبويه يقول زعم ولا يقول يصرّ، فالزعم فيه شك والإصرار فيه تأكيد . (المترجم)

(٣) وبأكمله في الكتاب ١٣٤/٢ :

ويوماً توافينا بوجهٍ مقسَّمٍ كأَنْ ظبيةٌ تعطو إلى وارق السَّلَمِ (المترجم)

(الملحق ٣/٤) :

كَأَنَّ وريديه رِشاءا الخُلْبِ ،

ولا مجال هنا لافتراض اللهجة الحجازية .

m- ١٢ - يقول ابن هشام (في المغني ٣٥/١) إن لغة الحجاز[1] تنصب اسمي إنَّ وأَنَّ وخبريهما ، ويستشهد بالحديث : «إنَّ قعر جهنم سبعين خريفاً» (صحيح مسلم ، الجنة ، ٣١ ، وكل النصوص المطبوعة ترويه بالرفع سبعون) ، وببيت من الشعر لعمر بن أبي ربيعة (ولا يوجد في ديوانه) ينتهي بقوله : إنَّ حُرّاسنا أُسْداً[2] . ويستشهد الأشموني (٢١٤/١) ببيت آخر للعجاج (الملحق ٥٠/٣٣) :

يا ليت أيام الصبا رواجعا

وبيت لمحمد بن ذؤيب العُماني أو لأبي نُخيلة ، انظر : الخزانة ٢٩٢/٤) بنصب الاسم والخبر بعد كأنَّ[3] ، وقد ذكرنا (في فصل ١٢- فقرة m) أن هذا الشذوذ قد يساعدنا في حل إشكالية : «إن هذان لساحران» (الآية ٦٣/ طه) ، وينقل الأشموني عن ابن سيده وغيره أن

---

(١) ما جاء في المغني ٣٦/١ : «إنَّ . . . تنصب الاسم وترفع الخبر وقد تنصبهما في لغة . . .» ولم يقل لغة الحجاز ، ويظهر أن المؤلف في عزوه هذا قد استنتجه من الحديث الشريف الذي استشهد به وفي الشواهد التالية واحد لابن أبي ربيعة ، مع أن الحديث الشريف كما يقول محقّقا كتاب المغني في الهامش لا يوجد في الصحاح وإنما في الترغيب والترهيب وله رواية أخرى وهي : « لو أن حجراً قُذف به في جهنم لهوى سبعين خريفاً قبل أن يبلغ قعرها . . .» فلا حجة فيه . (المترجم)

(٢) والبيت بكامله :

إذا اسودّ جنح الليل فلتأت ولْتكُنْ خطاك خفافاً ؛ إنَّ حراسنا أسداً (المغني ٣٦/١) ، (المترجم)

(٣) والبيت :

كأَنَّ أُذنيه إذا تشوَّفا قادمةً أو قلماً محرّفاً . (الأشموني ١٣٨/١)

ويعلق ابن سلام في طبقاته ٧٨/١ بعد قول العجاج : « يا ليت أيام الصبا رواجعا» : وهي لغة لهم ، سمعت أبا عون الحرمازي يقول : ليت أباك منطلقاً ، وليت زيداً قاعداً» . ويقول الشيخ محمد محي الدين في تعليقه على هذا الشاهد (كأن أذنيه ، وكذلك ليت أيام الصبا) في شرح الأشموني ٥٣٨/١- الهامش) . الظاهر أنّ ليت قد نصبت الجزئين معاً ، وقد تمسك بهذا الظاهر جماعة منهم الفراء وزعم ابن سلام أن ذلك لغة رؤبة وقومه (أي بني تميم) ، وصرّح أبو حنيفة الدينوري عن أبي زياد بأن نصب الجزئين بليت لغة بني تميم ، وقد اضطرب النقل عن الكسائي ، فذهب أبو حيان إلى أنه يجيز نصبهما بليت . . .» . (المترجم)

قوماً من العرب تنصب بإن وأخواتها الجزئين معاً . كذلك ورد مثل ذلك عن الصبان[١] ، ومعظم النحاة يرفضون ذلك كله . ويمكننا أن نأخذ بوجهة نظر ابن هشام بأنها لهجة عربية غربية ، وبما أنه من الواضح أنها ليست من الفصحى ، فلا محلّ للاستغراب من ندرتها .

أما بالنسبة إلى ليت فتجيز العربية الفصحى نصب الاسم والخبر معاً (انظر :-Fleis cher, Kl, schr.,i.467 seq, Reckendorf, syntax.p. 124,note ، وهذا يعزز وجود التركيب الحجازي ، مما يمكن حمل نتائجه على نزعة وجدت في تراكيب عربية أخرى ، لاستيعاب تشبيه إن وأخواتها بأفعال القلب[٢] . (Wright, ii,48 seq) ، مما يشعر بوضوح بوجود صلة بينهما ، خاصة إذا كان صحيحاً ما أبداه جيوج Geoje من ملاحظة (Wright, ii,83) ثم ما سارت فيه ليت ورأيت من اتجاه مضاد ، من أفعال القلب إلى الأدوات العاملة في الجمل . ذلك الإحساس اللغوي من المتكلم العربي استطاع النحاة أن يبلوروه باصطلاحهم على هذه الأدوات : الحروف المشبهة بالفعل .

n- ١٣ - على العكس من هذا ، يقرر الخليل (فيما ذكره سيبويه ٢٤٢/١) أن بعض العرب يرفع اسم إنَّ ، ويضرب مثلاً لذلك : إنَّ بك زيدٌ مأخوذ ؛ مما يعني أن زيداً قد فُتن بك ولا معنى لإنَّ هنا أكثر من نعم . والشواهد المحتج بها بعد ذلك مباشرة ليست بأنَّ وإنما «كأن»[٣] ، وكلها أشبه بمحاولة لتفسير : إنّ هذان لساحران (٦٣/ طه ، انظر الفصل السابق) .

o- ١٤ - إن خبر كان قد يأتي مرفوعاً وليس منصوباً (انظر ;Noldeke,Zur Gramma., p.38

---

(١) له حاشية على شرح الأشموني . (المترجم)

(٢) وكأنه يشبهها به نظراً لأن أفعال القلب تنصب مفعولين ، وإن وأخواتها على لغة تنصب الاسم والخبر فهما كالمفعولين . (المترجم)

(٣) يقصد مثل :

ويوماً توافينا بوجه مقسَّم   كأنْ ظبيةٌ تعطو إلى وارق السَّلَمْ (المترجم)

ومثل :

وصدر مشرقُ النَّحــــــر   كأنْ ثدياه حُقَّـــانِ س (المترجم)

وجاءت بعد قول سيبويه ١٣٤/٢ : «وروى الخليل رحمه الله أن ناساً يقولون : إن بك زيد مأخوذ . . .» (المترجم)

(Schwartz, Umer, iv,137; Reckondorf, syntax,p.97 ، ومعظم الأمثلة المستشهد بها ذات أصل حجازي[1] . ومثل آخر من الحديث يثبت فيه الرفع خطأً ، (في البخاري ، المظالم ، ٢٥) : كان ذلك الشهر تسع وعشرون . ويلحظ القسطلاني (٢٧٤/٤) مثل هذه الحالات التي تتكرر في الحديث ، وحالة أخرى محكومة بالقافية ، يُنسب فيه البيت إلى أمّ عقيل ، زوجة أبي طالب ، وهي حجازية طبعاً :

أنت تكون ماجدٌ نبيلُ
إذا تهبُّ شَمْأَلٌ بَليلُ

(ابن عقيل ص٧٧ ، الشنقيطي ٨٩/١) .

«وتكون» زائدة عند النحاة العرب ، وهذا غير مرجح إلى حد بعيد ، ولا يحمل معنى ذا بال ومن هذه الناحية فاللهجة الحجازية (إذا كان التركيب لهجياً) لا تختلف عن العربية الفصحى فقط وإنما أيضاً عن الإثيوبية والعربية الجنوبية الحديثة (انظر : Brock-elmann,GVG,ii, 357) ، يجب أن نقف ضد تلك الحالات التي يظهر فيها فاعل كان التامة منصوباً نحو :« إلاّ أن تكون تجارةً» (آية ٢٩/ من سورة النساء)[2] ، «إن كانت إلاّ صيحةً واحدة» (الآية ٢٩/ سورة يس) ، «إذا كان حين العصر» (البخاري ، الإجارة ١١ ، وانظر القسطلاني ١٣٣/٤) ، إنّه كثير الدوران في الإثيوبية (انظر : Brockelmann,GVG,ii, 357) ويحتمل أن يكون قد شاع في العربية الغربية ومن المشكوك فيه أن يكون قد حصل هذا مع اسم كان الناقصة لأن ذلك سيعود إلى شك مشابه في خبرها .

p- ١٥ - من أكثر الملامح شهرة في لغة الحجاز هي استعمال ما (ولا وإنْ) في الجملة الاسمية مشبهة بليس في المعنى والعمل ، وهذه ما الحجازية التي ناقشها سيبويه بالتفصيل (في كتابه ٢١/١-٢٣) ، ومن كل النحاة العرب التالين له ، ومع ذلك

---

(١) والرفع في بيت الفرزدق :

فلو كنت ضبياً عرفت قرابتي ولكنّ زنجيٌّ عظيم المشافر

(طبعة الصاوي ٢٦٢/١) ليس من هذا النوع ، وفي عجز البيت تعبير بالرفع . علي أي حال هناك بيت لأعشى باهلة (انظر : سيبويه ٢٤٣/١ ، Geyer,clxxxvi) ، يظهر النصب بالتأثير (يظهر أنه يقصد البيت :

في فتية كسيوف الهند قد علموا أنْ هالك كل من يحفى وينتعل (المترجم)

(٢) الكوفيون هم فقط الذين اعتبروا كان تامة هنا . (المترجم)

فلسنا متأكدين من مدى تكرارها في الحجاز بهذه الوظيفة ، ولا من أصلها . واستناداً إلى ابن هشام (المغني ٦/٢) أنها استخدمت في تهامة ونجد ، بينما الجوهري (الصحاح ٥٧٧/٢) ينكر بصراحة أن تكون قد استخدمت في نجد ، باعتبار أن تلك المنطقة كانت مأهولة بقبائل من العربية الغربية ، إضافة إلى القبائل العربية الشرقية ، وكلاهما قد يكون صحيحاً ، ولم يكثر قط دورانها في المصادر الحجازية ، ولم أجد سوى شاهد واحد في ديوان عمر بن أبي ربيعة (٧/٢١٢ في الطبعة التي فيها الرفع) وثلاثة في القرآن ، اثنان منها استشهد بهما سيبويه (٢٢/١) :« ما هذا بشراً» (٣١/ يوسف) و« ما هن أمهاتهم» (٢/ المجادلة) . ويضيف سيبويه وبنو تميم يرفعونها إلاَّ من درى كيف هي في المصحف[١] . ويظهر ، كذلك ، أن هذه ليست مسألة جهل فقط ، وقرأ ابن مسعود الهذلي الآية الأولى بالرفع (Jeffery, Materials,p.49). وقرأ عاصم أحد القراء المشهورين ، الآية الثانية بالرفع ، (ولكن راويه حفصاً قرأها بالنصب) وقرأ ابن مسعود ، وربيع بن خُثَيْم ، وأبو مِجْلِز «بأُمهاتهم» (Jeffery, p.99-307). الحالة الثالثة : «فما منكم من أحد عنه حاجزين» (٤٧- الحاقة ، بلا خلاف) ، ولم يذكرها النحاة ربما لأنهم اعتبروها حالاً . إن تركيب ما مع الباء (انظر الفصل -q الآتي) تكرر وروده في القرآن . (Bergstrasser, verneinungs-partikeln,p.35)

q- ١٦ - ليس لدينا دليل على النحو الأفضل لـ«ما» في حالة الرفع ، وهي المسماة عند النحاة «ما التميمية» التي لاقت إجماع النحاة وموافقتهم باعتبارها الأقيس في نظرهم ، ولكن ابن يعيش (ص ١٣٢) يذكر أن ما الحجازية أفصح ، ويقرر الأصمعي (ابن يعيش ص١٣٣) بأنه لم يسمع قط ما مع النصب في شعر البدو[٢] ، ويمكن الملاحظة أنه لم يقل بأنه قد سمع مع الرفع ، ومع ذلك هناك بعض الأمثلة الرفع فيها مؤكد عن طريق القافية :

وما كلُّ من تلقى بذلك عالمُ

(١) هذا نص كلام سيبويه ٥٩/١ . (المترجم)

(٢) ونص ابن يعيش ١٠٨/١ : « يروى عن الأصمعي أنه قال ما سمعته في شيء من أشعار العرب يعني نصب خبر ما المشبهة بليس» ، و الفرق بين هذا النص وما ذكره المؤلف هو البدو/ والعرب ، وهو الفرق بين التعميم والتخصيص . (المترجم)

(العفيف بن منذر التميمي في الأغاني ٤٦/١٤) .

وما كلٌّ ما في النفس لي منك مُظهَرٌ

(لأحد بني أسد في الحماسة ص٦١٨ ، ياقوت ، المعجم ٨٠٥/٣) .

ما كلُّ ما يهوى امرؤٌ هو نائله

(طرفة البكري ، ط أهلورد ، ٢٠/١٣) .

في الحالات الثلاث ، التركيب نوعاً ما مشوش ، فالفصل بين ما وخبرها يمكن أن يكون هو السبب في الرفع ، وما دامت الثلاثة لعرب من شرق الجزيرة ، يستحسن أن نبقي عليها ، حتى يظهر غيرها ، شواهد على أن لهجات شرق الجزيرة قد استعملت ما مع الرفع[1] ، ويبدو أنه يتوجب أن نقرأ للفرزدق (٢ ط هِلْ ، رقم ٦٢٨ ، البيت ٢٨) ، ليس في الطبعة التي فيها : ما أحدٌ من قيس عَيْلانَ فاخراً عليه ولكن «فاخرٌ» ، وفي التعبير : ما أنا مؤاخذُك (مؤاخذَك) بشيء تقوله ، لسعد الحجازي (الطبري ، التاريخ ٢٣١٦/١) ، مُؤَاخِذَك (قرأها ابن هشام بمؤاخذك) . وبيت الشعر لشاعر هوازن الصمة القشيري (الأغاني ١٢٧/٥) : فما حَسَنٌ أن تأتي الأَمر يمكن قراءته حَسَناً بالنصب ، على ضوء السمة العربية الغربية من لهجة هوازن ولم تكن قراءة امرئ القيس سهلة علينا (ط ، هالورد ، ملحق ٤٣/١٨) : وما هذا شطارة لا عب . (وفي السابق : ١٩/٢٤) وما أنتم قابلٌ ، وما خَوَل (وعلينا أن نضع في اهتمامنا : ولا) مع أننا لا نعرف تصنيف لغة كندة[2] بين اللهجات الغربية والشرقية .

r– ١٧ – جمع النحاة عدداً من الحالات التي جاء الرفع فيها مع «ما» ، حتى في لغة الحجاز ، أو كما وصفوها بأنها مبطلة لعمل ما ، ومعظم هذه الحالات يبدو أنَّه أقيم على نظرية تتطلب أن يكون لـ«ما» قدرة للعمل أقل من ليس ، التي هي عماد هذا الصنف من العمل[3] . والكتَّاب العرب أنفسهم يعترفون بأن معظم هذه القواعد يُخترق باستمرار ، والنحوي الانتقائي ابن عبد النور[4] ط.(MS. Bodl. Uri,1279,f.96) يختار منها اثنتين هما : ألا يتقدم خبر ما على اسمها ، وألا

(١) فيشر (ZDMG,1xi,936/1xiii,597) يستشهد بحالات أخرى من المتنبي والمقّري ولكنهما ليسا في عصر الاحتجاج .

(٢) على أساس أن امرأ القيس من كندة . (المترجم)

(٣) ركندورف (Syntakt,verhalt.p 331) يسمي هذه القواعد : «رزمة تقديرات علماء القرون الوسطى» .

(٤) لعله يقصد أحمد بن عبد النور المالقي توفي ٧٠٢هـ– صاحب رصف المباني . (المترجم)

ينتقض نفي خبر ما ، ويأتي اختراق القاعدة الأولى على يد الفرزدق (٣٤/٩) في بيت شعر له :

فـأصـبـحـوا قـد أعـاد الله نعـمـتـهـم
إذ هم قـريشٌ ، وإذا مـا مـثلَهم بشـرُ

وبعضهم قرأ مثلهم بالنصب[1] (سيبويه ٢٢/١)[2] وهو بلا شك أفضل ويوضح ابن عبد النور بأن الفرزدق قد أراد تقليد لغة الحجاز ، ولكنه أخطأ لجهله بالاستعمال الدقيق لهذه اللهجة ، والشعر صحيح تماماً ، ولا بد لنا أن نوافق الزجاج (في الخزانة ١٣٠/٢) الذي يقول : كان الفرزدق تميمياً حقاً ، وكان كذلك مسلماً يقرأ القرآن ، وفي الحقيقة إن لغة الفرزدق سماتها شرقية خالصة ويحتمل أنه استعمل ما الحجازية باعتبارها صيغة عربية فصحى ، دون أن يأخذ بالطبع حذره من النحاة المتشددين بعده[3] .

s- ١٨ - والقاعدة لابن عبد النور لها شيء من الأهمية ، لأننا نفترض أن خبر ما بعد إلاَّ ، يأخذ الحكم نفسه دون إلاَّ ، إذا كان النصب بعد ما ملمحاً حقيقيا في اللغة . وفي حالة لا النافية للجنس ، الاسم المستثنى بإلاَّ لا يكون منصوباً بل يرفع ، والسبب ، بالطبع ، أن النصب بعد لا هذه هو الحالة السابقة للخبر ، وليس الحالة العادية ، (انظر الفقرة -w الآتية ، Reckendorf, syntax.p.505) بالنسبة لجملة الاستثناء التي يذكر فيها المستثنى منه (الاستثناء المتصل) يقول سيبويه (٣١٧/١) إن المستثنى يأتي مرفوعاً[4] في الحجاز وعند تميم كليهما كما في : ما أنت بشيءٍ إلاَّ شيءٌ لا يُعْبَأ به ، وفي لهجة الحجاز يكون المستثنى بليس منصوباً (انظر : الفقرة-z الآتية) . وفي الجمل التي لا يذكر فيها المستثنى منه ، أي صار المستثنى نحوياً

---

(١) العبارة بنصها في كتاب سيبويه ٦٠/١ : «وزعموا أن بعضهم قال وهو الفرزدق : (يقصد نصب مثلهم في قوله)
فأَصبحوا قد أعاد الله نعمتهم إذ هُم قريشٌ ، وإذا ما مثلَهم بَشرُ
وهذا لا يكاد يعرف . . .» (المترجم)

(٢) كما ذكر الأستراباذي (شرح الكافية ٢٦٧/١) ، والخزانة (١٣٠/٢) : وبعض الناس ينصبون مثلَهم .

(٣) وينكر البغدادي ١٣٠/٢ بأن الفرزدق قد ارتكب هذا الخطأ النحوي لأن البدو لا تطاوعهم ألسنتهم على النطق باللحن .

(٤) ويعلل في الكتاب هذا الأمر في ٣١٦/٢ : «ومن قبل أنَّ (بشيء) في موضع رفع في لغة بني تميم . . .وفي لغة أهل الحجاز في موضع منصوب ولكنك إذا قلت : ما أنت بشيء إلاَّ شيءٌ لا يعبأ به استوت اللغتان . (المترجم)

معتَمِداً على ما (أي الاستثناء المفرّغ) ، لم يقصّر التقعيد النحوي في تتبعه بصرامة .

يكون الخبر في حالة الرفع ليس فقط في شعراء وسط الجزيرة وشرقها (علقمة ١٣/١٣ ، طرفة الملحق ٨/٤ ، الشنفرى اللامية ٩ ، جرير تحقيق الصاوي ص٤١ ، سطر٤ في القافية) وإنما أيضاً في مواطن عدة من القرآن ، ونادراً ما يأتي الخبر مع ما منصوباً[1] (انظر : Bergstrasser, verneinungspartikeln,p.35) وفي النحو شاهدان ، الخبر فيهما منصوب بضمان القافية ، أحدهما :

وما الدهر إلاّ منجنوناً بأهله

وما صاحب الحاجات إلاّ مُعذّبا

ويُعزى هذا البيت إلى شاعر مجهول ، أسدي ، أو سعدي ، في النهاية حجازي (انظر فهرس الشواهد ، ص٣٣/٨) . وصدر البيت استشهد به الأستراباذي (شرح الكافية ٢٦٧/١) ودون «ما» عند ابن هشام (المغني ٦٩/١)[2] .

والشاهد الثاني استُشهد به على عهد الفراء (في شرح الكافية للاستراباذي ٧٣٢/١) انطلاقاً من نظريته بأنّ إلاّ تتحكم في النصب في أي سياق :

يطالبني عمّي ثمانين ناقة

ومالي يا عفراء إلاّ ثمانيا

ويمكن أن تكون «ثمانيا» هنا مبتدأ ، «ولي» خبر ، ويعزو البغدادي (الخزانة ١٣/٢) هذا البيت إلى عروة بن حزام العذري ، أي عربي غربي ، ويقول إنه نُقل خطأ ، والرواية صحيحة تنتهي في رأيه بـ«غير ثمانين»[3] .

t– ١٩ – يرى النحاة العرب أن «ما» تعمل النصب في لغة الحجاز ، لأنّ وظيفتها في الجملة الاسمية أن تقوم بدور ليس (مشبهة بليس) . ويرى ركندورف (Syntakt, Verhaltn,p.331) أن السبب في ذلك صفتها العامة باعتبارها رابطة بين المبتدأ والخبر وبالتالي شبهها بليس . وفي الواقع إن النصب بعد ليس (ذات الأصل

---

(١) يقصد خبر ما المستثنى بإلاّ ، كما سيذكر في الشاهد التالي مباشرة . (المترجم)

(٢) وفيه ٧٦/١ ط دار الفكر العربي :

أرى الدهر إلاّ منجنوناً بأهله وما صاحب الحاجات إلاّ مُعذّبا (المترجم)

(٣) أي الشطر الثاني يجب أن يكون : وما لي يا عفراء غير ثمانين . (المترجم)

الاسمي[١] ، وتستخدم فعلاً نافياً مثل ما ، (انظر : -Noldeke,Zur Gram).
ma.,p.89

ليس من السهل فهمه ، أكثر من كونه بعد ما[٢] ، حيث النفي له الأولوية ، إنه من المؤكد أن النقطة التي انطلق منها تأثير القياس أولاً كان دخول الباء على الخبر ، بدلاً من النصب . وفي القرآن ، كما في غيره ، قدر أكبر بكثير من ما بالنصب أو بالرفع ، وعلى العكس من التركيبين الآخرين فقد جرى استعماله على امتداد الجزيرة العربية . ويبقى السؤال في تحديد تركيب ما والباء مع ما الحجازية أو التميمية ؛ وهو أمر نال قسطا وافراً من تفكير النحاة العرب ، وينكر سيبويه (٣١٧/١) وابن مالك أن يكون له أدنى صلة بتركيب ما مع النصب ، بينما أبو علي الفارسي والزمخشري (في المفصّل ص٣٦) يقيدان الباء مع الخبر ، بما الناصبة (الأشموني ٢٠٣/١) ، وتمسّك البيضاوي (٣١٧/٢) بالرأي الأخير ، والجدل في هذه المسألة نظري بحت . ويذكر الأشموني ملاحظة أكثر واقعية حين يضرب أمثلة تبرز أن (ما . . . بـ) شائع في أعمال شعراء تميم . وإن نظرة شاملة على شعر الشعراء الستة يعطي نتائج ذات قيمة وقد ذكرت مرة واحدة في شعر النابغة الغربي (١٧/١٦) ، وذكر أيضاً في شعر الشرقي طرفة البكري (٩٨/٤) ، ولم أعثر على وجود لها في شعر عنترة الغربي وزهير ، وعلقمة التميمي ، وما دامت «ما» لم تذكر مع الرفع ولا مع النصب في شعرهم ، فإن ذلك يعني أنهم لم يستعملوها قط في جمل اسمية ، والشاعر الوحيد الذي كرَّر استعمال (ما . . .بـ) هو امرؤ القيس (١/٧١-١٨ ، ٤/٢٤ ، ٥٩/٥٢ ، ٢/٥٠) . في الملحق بشعر هذا الشاعر ١٨ ، لا توجد سوى حالتين دون الباء (انظر : فقرة q في آخرها) ، ولكن من المشكوك فيه أن تكون تلك القطعة له حقاً . ويذكر الفراء (الخزانة ١٣٤/٢) أن كثيراً من أهل نجد يجرُّون خبر الجملة الاسمية المنفية بما ، حين يسبق الباء ، وإلاَّ فإنهم يرفعونه ، وليس من الواضح ما الذي يمكن أن نخلص إليه من هذا لتدريب بقية النجديين عليه : على استخدام النصب ، كما فعل ابن

---

(١) في لهجة ضبّة فقط تستعمل ليس فعلاً عادياً بتصريفها : لُستُ أو لِستُ (التاج ، ٢٤٤/٤)

(٢) إن أخذ «ما» من أسماء الاستفهام (Reckendorf, syntakt,verhaltn.p.83)قد يترك أثراً قليلاً في الجملة الاسمية ، وربما لاتصالها بفعل النفي المصري «م» وإعمالها هو الأثر الأخير الباقي من أصلها . ومَهْ العبرية توظف للتعبير عن المحظورات (Can,V,8,viii,4,Eculus,xiii,2,xxxii,4كالميم المصرية (انظر -Garain). (er,Grammar,p.260وأود أن أوجه شكري للبروفسور G.R.Driver لأنه لفت نظري إلى وجود مَهْ النافية في العبرية) .

هشام (انظر الفقرة p آنفاً) ، أم نستعملها في التركيب الجملي حسب الفراء والجوهري (المرجع السابق) ، على اعتبار أنهم لا يعرفون استعمال «ما» في الجمل الاسمية؟ والرأي الأخير يتناسب مع الإحصاءات التي تشير إليه حتى الآن .

u- ٢٠ - إنْ النافية عربية غربية بالدرجة الأولى ، وهو ما يمكن استخلاصه من الأمثلة التي جمعها نولدكه (Neue Beitrage,p.21, Zur Gramm,p.89) ، وركندورف (Syn-tax,p.45) وقد ذكر سيبويه والفراء أن الخبر يأتي مرفوعاً بعد إنْ في الجمل الاسمية ، أما الكسائي والمبرد فيجيزان النصب (الزمخشري ، المفصّل ١٤٣ ، وابن هشام في المغني ٢٢/١[١] يجيز الأمرين)[٢] . ولم يذكر إلى أية لهجة تنتمي سوى أن ابن هشام يقول : إنه قد سمع النصب عند أهل العالية كما في «إن أحدٌ خيراً من أحدٍ إلاّ بالعافية» و«إنْ ذلك نافعَك ولا ضارَّك» ، وجاء النصب في بيتين من الشعر مجهولي القائل :

إنْ هو مستولياً على أحد[٣]

حيث النصب مضمون بالوزن العروضي (الأستراباذي ، شرح الكافية ٢٧٠/١ ، والخزانة ١٤٣/٢) ، وكذلك :

إنِ المرءُ ميتاً بانقضاء حياته[٤]

(العيني ، المقاصد ١٤٥/٢) .

وتظهر إنْ النافية في القرآن ، مع إلاّ (في الآية ٢٩/ من سورة الأنعام[٥] والآية ١٥٥/ من سورة الأعراف[٦]) بحيث يكون الخبر فيهما مرفوعاً (انظر : الملاحظات في فقرة s آنفاً) . والنصب بعد إنْ بناء على ما ذكره البيضاوي وابن هشام (المغني ٢٢/١) فقد جاء في

---

(١) فقد جاء في المغني : ١/ ١٩-٢٠ عن إن النافية هذه : «وإذا دخلت على الجملة الاسمية لم تعمل عند سيبويه والفراء ، وأجاز الكسائي والمبرد إعمالها عمل ليس . . . سمع من أهل العالية «إنْ أحدٌ خيراً من أحد إلاّ بالعافية» . . . ومما يتخرج على الإهمال الذي هو لغة الأكثرين . . . الخ» . (المترجم)

(٢) والعيني (في المقاصد ١٤٥/٢) يقول إنها أصبحت محل جدل وخلاف بين البصريين والكوفيين .

(٣) هذا صدر البيت ، وعجزه : إلاّ على أضعف المجانين . (المترجم)

(٤) هذا صدر البيت ، وعجزه : ولكن بأنْ يُبْغَى عليه فَيُخذَلا . (المترجم)

(٥) في قوله تعالى : ﴿ وقالوا إنْ هي إلاّ حياتُنا الدنيا . . .﴾ الآية .

(٦) في قوله تعالى : ﴿ . . . إن هي إلاّ فتنتك . . .﴾ الآية .

قراءة مختلفة لسعيد بن جبير الكوفي (ت ٩٤/ ٧١٣) ، في الآية ١٩٤/ سورة الأعراف : ﴿إن الذين يدعون من دون الله عباداً أمثالُكم﴾ . والطريق الصحيح لفهم هذه القراءة بيّنه أبو حيان (الخزانة ١٤٦/٢)[١] حين قال إنها توقع في تناقض[٢] بين القراءتين وللتخفيف من وقع ما قاله أبو حيان ، يمكننا إعادة بناء القراءتين كالآتي :

أ . إنَّ الذين . . . عباداً أمثالَكم : إنها القراءة الصحيحة ، مع الخصوصية الحجازية التي نوقشت في فقرة m آنفاً .

ب . إنِ الذين . . . عبادٌ أمثالكُم ، إنْ المخففة بمعنى إنْ (انظر : e سابقاً) . يمكن أن تعتبر قراءة توفيقية ، ولكن بالنسبة لنظرية النحاة فإنّ المخففة ليست عاملة ، وإذا جعلناها إنْ النافية لا تضفي مزيد معنى ومهما كان الأمر فإن القراءة لا يمكن أن تخدم الحالة التي تتلوها . إن النصب بعد إنْ يبدو أنها لا تتفق مع القاعدة ، وباعترافهم جميعاً أَنَّ «ما إنْ» لا يعملان النصب . ومع ذلك فإنّ هناك شاهداً بالنصب بعد «ما إنْ» مما يعطي انطباعاً بأنها خالية من التزييف :

بنى غـدانة مـا إنْ أنتـمُ ذَهبَـاً
ولا صـريفاً ولكن أنتمُ الخَـزَفُ[٣]

(الأستراباذي ، شرح الكافية ٢٦٧/١ ، الخزانة ١٢٤/٢ ، عن ابن السكيت) .

---

(١) في المنهج ص ٦٥-٦٦ ذُكر الشاهد ، ولكن التفسير والشرح لم يُعط .

(٢) وقد ذكر وجه هذا التناقض في الخزانة ١٦٦/٤ بقوله :« إن الجماعة يقرءون بتشديد النون وفتحها ورفع عباد وأمثالكم وذلك إثبات ، وقراءة سعيد على هذا التخريج نفي وورد بعده رد هذا التناقض ١٦٧/٤ :« إن التناقض الذي توهمه مدفوع ، لأنهم أمثالهم في أنهم مخلوقون وليسوا أمثالهم في الحياة والمنطق ، وقراءة سعيد على هذا التخريج أقوى في التشنيع عليهم من قراءة الجماعة» . (المترجم)

(٣) يبدو أن المؤلف قد تجاهل الرواية الأخرى للشاهد التي تهمل (ما) وهي :

بني غدانة ما إن أنتم ذهبٌ .

وربما لأجل أن يخدم ما أراد أن يوحى به من أنّ «ما إنْ» تركيب واحد عامل وليس هو «ما» زيدت عليها «إنْ» فأبطلت عملها وهو ما يجمع عليه النحاة العرب ، حتى إنّه عندما تكلم فيما سبق عن مبطلات ما عن العمل ذكر اثنتين مستنداً إلى المالقي ابن عبد النور وتجاهل اقتران «ما» بإن الزائدة وهو موضوع حديثنا هنا ، وتكرار ما وهي مما يتفق عليه النحاة وهو ما ذكره ابن مالك في الألفية بقوله :

إعمال ليس أعملت ما دون إنْ . . . (المترجم)

وبنو غدانة إحدى عشائر تميم ، ولكن كلمة صريف (كذلك في الخزانة) ذات أصل عربي جنوبي ، تفترض مؤلفاً من جنوب غربي الجزيرة العربية . في الوقت الذي لا يوجد فيه أمثلة مقبولة لـ : إنْ مع الباء ، هناك مثال لـِ : ما إنْ مع الباء في بيت من الشعر للمتنخّل الهذلي (ط هلْ ٤/١) .

٧- ٢١ - يخبرنا الزمخشري (المفصّل ، ص٣٦ ، انظر السابق ص ١٦) أن «لا» في لغة الحجاز مشبهه بليس أيضاً . ويضع عدداً من الشروط تشبه شروط إعمال ما الحجازية إضافة إلى قيد آخر وهو أن يكون المبتدأ والخبر نكرتين ، وشراح ابن مالك تابعوا الزمخشري . ويبدي سيبويه (٢٢/١) عدم موافقته كما في رأي بعضهم وينكر الأستراباذي (شرح الكافية ١١٢/١ ، ٢٦٦) هذا التركيب مرتين معارضاً رأي صاحب الكافية نفسه ، مقترحاً بأنه شاذ . ويزعم ابن عقيل (ص٨٢) أن تميماً استعملت لا في جمل اسمية مع رفع الخبر ، ولم يرد في القرآن هذا التركيب بنص الخبر ، وترد لا في الجمل الاسمية للعطف والتنسيق فقط حيث تحل محل غيرها من النافيات (٣٣/ لقمان[1] ، ٤٠/ يس[2] ، ١٠/الممتحنة[3] ، ٣-٥/ الكافرون[4]) والخبر في كل هذه الحالات مرفوع ، دون أي خلاف في قراءتها . ويمكننا أن نقول أن لا تشبه ليس في هذه الحالات ، ولكنّها لا تخلفها في ملامح تركيبها كلها . ولكننا لا نعرف ما إذا كان يُقْرأ بيت الشعر الآتي لعمر بن ربيعة بالرفع أم بالنصب (٢١٢/٤) : لا الدار جامعةٌ/ جامعةً ولو جمعت ، كذلك بيت زميله حاتم الطائي العربي الغربي : فلا صحوٌ ولا الغيم جائدُ (٣٩/٢) ، والرفع مؤكد بسبب القافية ، و«لا» في الشاهدين للتنسيق والعطف كما هي في الشاهدين اللذين وردا في الأشموني ٢٠٤/١ للاستشهاد للنصب :

---

(١) في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشَوْا يوماً لا يجزي والدٌ عن ولده ولا مولود هو جازٍ عن والده شيئاً . . . ﴾ الآية . (المترجم)

(٢) في قوله تعالى : ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليلُ سابق النهار . . . ﴾ الآية . (المترجم)

(٣) في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذي آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات . . . فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حلٌّ لَهُم ولا هم يحلون لهنّ . . . ﴾ الآية . (المترجم)

(٤) يقصد قوله تعالى : ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا أعبد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد . . . ﴾ (المترجم)

تعــزّ فــلا شيءٌ على الأرض باقــيــاً
ولا وزرٌ مما قـــضـى الله واقـــيـــاً

وهو مجهول القائل ، والثاني :

وحلّت ســواد القلب لا أنا باغــيــاً
ســواها ولا عن حــبــهــا مــتــراخــيــاً

وينسب إلى النابغة الجعدي الشرقي وكلا الشاهدين مع بيت عمر تتناقض مع قاعدة الزمخشري التي تشترط مبتدأ نكِرة . والشاهد ، إن دل على شيء ، فإنه في الواقع يتعارض مع فرض النصب في الحجاز ، ولا بد من الملاحظة أن الخبر في كل الشواهد المحتج بها حتى الآن ، من أسماء الفاعلين ، إلاً في القرآن (١٠/ الممتحنة)[1] . وهذا يجعل من الصعب ربط التركيب العربي بالاستعمال العبري في المشناه باستخدام لُو o اقبل إين eyn` قبل أسماء الفاعلين (Segal,Grammar,p.162). في عبرية المشناه ، أيضاً إن هناك تكراراً خاصاً لأسماء الفاعلين المنفية المعطوفة ، والاستعمال في كلا اللغتين نشأ أولاً من الشواهد التي تتعاطف فيها أسماء الفاعلين من صيغ الأفعال المحدودة ، (كما في شواهد القرآن) . وبالنسبة للنصب ، في الشواهد التي يظهر فيها فإنه من غير المؤكد أنها تبرهن على وجوده ، ويجب كذلك أن نعوّل على شواهد القرآن حيث يفرض غياب الخلاف بأن النصب في أوقات قديمة لم يكن قد استعمل في مثل هذه الحالات . إن استعمال لا في الجمل الاسمية من أصل مختلف ، ولها وظيفة مختلفة عن استعمال ما وإنْ[2] .

يجب أن يستبعد من هذه المناقشة الأمثلة التي تظهر فيها لا ناقصة ولكنها في الحقيقة لا النافية للجنس ، كما في بيت شعر لسعد بن مالك البكري (الحماسة ، ص٢٥٠ ، البيت الرابع) الذي ينتهي بقوله :

فأنا ابن قيس لا براحُ[3]

---

(١) يقصد قوله تعالى : ﴿ . . .لا هنَّ حلٌّ لكم ولا هم يحلون لهن . . .﴾ الآية .

(٢) هناك أمثلة لـ : (لا . . . بـ) على الرغم من أنه لا يوجد أمثلة لـ : إنْ . . .بـ) : وردت مرتين : معطوفة في بيت من الشعر لإسماعيل بن يسار النسائي ، معاصر لعبد الملك (الأغاني ١١٨/٤ ، بيت ٦) ، وغير معطوفة في بيت الحطيئة (ZDMG, 47/77, o/68).

(٣) هذا عجز البيت وصدره : من صدّ عن نيرانها ، وفي الكتاب : من فرَّ وقد ورد غير مرة فيه : ٥٨/١ ، ٢٩٦/٢ وهو بكري وليس قيسياً كما ورد في الكتاب . (المترجم)

الذي ناقشه اللغويون العرب باستفاضة ، ونأخذ بتفسير سيبويه (٣١٠/١) وفي دائرة الشعر وجدنا بيتاً من الشعر لمرّة بن ذهل البكري :

فلا وَكَلٌ ولا رَثٌّ سلاحي

ويترجمها نولدكه :(Delectus,p.41) فأنا لست جباناً ولا سلاحي مثلوماً . وربما على المرء أن يفسرها أنّه (لا أمل لديه في قبيلته) ، فإنه ليس جباناً ولا . . وفي الشاهدين كليهما الرفع بعد لا النافية للجنس ، كما هو الحال في الشعر أحياناً (انظر : Reckendrof, syntax, p,119) . والشيء نفسه محتمل حقاً في البيت الآتي :

نصرتك إذ لا صاحبٌ غيرَ خاذلِ[١]

(مجهول القائل ، ابن هشام ، المغني : ١٩٥/١) .

حيث غير حرف جر[٢] ، ومن المشكوك فيه كذلك ما إذا كان علينا أن نضم إلى شواهد الرفع بلا ، تلك التي يكون فيها المبتدأ جملة مؤولة[٣] مثل : لا عليكم أن لا تفعلوا (البخاري ، القدر ، ٤ ، القسطلاني : ٣١٥/٩) .

لو lo العبرية البابلية تشبه في استخدامها إِيْن eyn' حين يكون المبتدأ في حالة المصدرية (المصدر المؤوّل) مثل : lo tobh heyoth ha-'adham lebhaddo «ليس من المستحسن للرجل أن يعيش وحيداً» أو oth ken lonakhon la'a أليس من الملائم أن تفعل ذلك . (Ex.,viii,18)

w- ٢١ - يقول الزمخشري (المفصل ص ١٥) يمكنهم في لغة الحجاز ، أن يذكروا الخبر في الجملة التي تحتوي على لا النافية للجنس في مثل : لا رجلٌ في البيت ، في حين في لغة تميم لا يثبتونه ، فلا يقولون : لا رجلَ . ويثبت الأستراباذي (شرح الكافية ١١٢/١) أن الزمخشري هو صاحب هذه الملاحظة . وهي بجلاء أقيمت على حقيقة أن لا النافية للجنس نادراً جداً ما تظهر دون خبر ، باستثناء قليل من العبارات . (انظر .Bergstrasser, Verneinungspartikeln,p.57).

واعترض الجزولي على هذا الخبر بقوله :» بنو تميم لا يلفظون به (يقصد الخبر) إلا أن

---

(١) وعجز البيت : فُبوِّئْنَ حصناً بالكماة حصينا . (المترجم)

(٢) لا أظن أن المؤلف يقصد أن تكون حرف بالمعنى الحرفي لهذا الاصطلاح ولكنه يقصد أن ما بعدها مجرور ، ولكن بالإضافة . (المترجم)

(٣) حيث يمكن تأويل هذه الجملة بمصدر يكون مبتدأ نحو : لا عليكم عدم فعلكم . (المترجم)

يكون ظرفاً» أي ليس وصفاً ، كذلك يعلّق الأندلسي بقوله : لا أدري من أين جاء نقله (يقصد الزمخشري) ولعله قاسه ، والحق أنّ بني تميم يحذفون الخبر حين يكون جواباً لسؤال ، أو إذا قامت قرينة غير السؤال دالة عليه ، وإذا لم تقم فلا يجوز حذفه ، وعليه يجب الإتيان بالخبر عند بني تميم كما هو عند أهل الحجاز (انظر الأستراباذي ، السابق نفسه) والسمة النظرية الخالصة لكل ما قام من حوله كانت من ملاحظة أبداها الزمخشري على بيت من الشعر ورد في ديوان حاتم الطائي (٦/٥٠) وهو :

ولا كريمَ من الولْدان مصبوحُ[1]

ولا بدّ أن يكون حاتم قد أخذ هذا من لهجته الحجازية[2] . ويُثبت الخبر بعد لا عند الفرزدق والأخطل ، وشعراء من شرق الجزيرة ، ولكنه قد يكون أقل مما هو في العربية الغربية . والتركيب دون الخبر ، بالطبع ، أقدم ، منذ أن كان النصب أصلياً في الخبر (Noldeke,Zur Gramm., p.47; Recokndorf, syntakt.Verhalten.,p.343) .

بالطريقة التي وردت في القرآن ، لا يختلف نفي الجنس في وظيفته عن التراكيب مع ما وليس ، وهذا يمنح شيئاً من القيمة الجوهرية لافتراض أن لا النافية للجنس قد نشأت في أجزاء أخرى من الجزيرة العربية ، حيث استمرت تستخدم بوظيفتها الأصلية في الأخبار ، ووردت إلى الحجاز على أنها صيغة عربية فصحى .

x- ٢٢ - في جمل الاستثناء المنفي التي لا يكون فيها المستثنى من جنس المستثنى منه نحو : ما جاء أحد إلا حماراً (الاستثناء المنقطع)[3] ، وفيه ينصب المستثنى في لغة أهل الحجاز ، في حين في لغة تميم يكون المستثنى تابعاً للمستثنى منه (سيبويه ٣١٩/١) ويقرأ أهل الحجاز في القرآن الآية ١٥٧ من سورة النساء : «ما

(١) وهذا عجز البيت وصدره : إذا اللقاح غدت ملقى أصرتها

ونسب هذا البيت أيضاً لرجل من بني النَّبيت في هامش المفضل ص٢٩ ، ومن العيني في شرحه على شرح الشواهد في حاشية الصبان على شرح الأشموني ١٧/٢-١٨ ، وهذا النبيتي اسمه عمرو بن مالك بن أوس . (المترجم)

(٢) وفي التعليق على ملاحق الديوان أن هذا البيت ليس لحاتم ، أنّه لرجل من بني النبيت من المدينة ، وهي ملاحظة لا توجد فرقاً في الدلالة .

(٣) إنها نفس الوظيفة في عبرية المشناه والسريانية «إلاّ» .

لهم به من علم إلا اتباعَ الظن»[1] وتوجد في شاهد شعري لعباس بن مرداس السلمي (ابن هشام، السيرة، ص٨٦٥، رقم ٨):

ولم يكن/ بنا الخوفُ إلاّ رغبةً وتحزُّماً[2]

والأمثلة بالرفع تأتي كلها من مصادر شرقية: بكري (الحماسة ص٢٤٩، بيت ٢) في القافية، وأسدي (الطبري، التاريخ ١٩٥٢/١، بيت ٦)، الأخطل التغلبي، ط الصالحاني، ٢/١) جران العود النميري (ط القاهرة ١٣٥٠، ص٥٢)، الفرزدق التميمي (ط باوتشر ٦٦/٦٣) ويروي سيبويه (٣٢٠/١) أبياتاً من الشعر تقرأ على الوجهين، أهل الحجاز يقرؤونها بالنصب، في حين يقرؤها التميميون بالرفع.

إنه من المشكوك فيه فيما إذا كان التمييز بين الاستثناء المنقطع والمتصل هو العامل الحاسم حقاً في هذا الصدد، وقد ذكر سيبويه (٣١٨/١) أن المستثنى بإلا في أي جملة استثناء منفي، قد يكون منصوباً في إحدى اللهجات «بعض العرب الموثوق بعربيته» كما في: ما مررت بأحد إلا زيداً، وهذا من الاستثناء المتصل.

ومن حالات النصب في القرآن: الآية ٤٦- من سورة النساء[3]، والآية ٦٦[4]- النساء أيضاً بقراءة ابن عامر[5]، والآية ٩٨- من سورة يونس[6]، والآية ٨١- من سورة هود[7] (قراء الجمهور إلا ابن كثير وأبا عمرو)، والآية ١١٦- من سورة هود[8]، وذكر فيها كلها المستثنى إلا الآية ٤٦- من سورة النساء. ولم يحظ هذا التركيب بموافقة النحاة، فالبيضاوي

---

(١) في الآية ٦٥/ النمل: ﴿لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا اللهُ...﴾ اتخذها ابن مالك شاهداً على لهجة تميم (من الخزانة ١٣٤/٢) الذي نطق بها حجازي، وبالتأكيد فإنَّ السبب الذي عوملت على أساسه معاملة الاستثناء المنقطع، ديني خالص.

(٢) صدر البيت: وبِتْنا بنهْيِ المستدير ولم يكن... (المترجم)

(٣) في قوله تعالى من الآية: ﴿... فلا يؤمنون إلا قليلاً﴾. (المترجم)

(٤) في قوله تعالى من الآية: ﴿... ما فعلوه إلا قليلٌ منهم...﴾ الآية. (المترجم)

(٥) أي بالنصب، وهي قراءة أُبي وابن أبي إسحاق وعيسى بن عمر، وبالرفع قراءة الجمهور (انظر البحر المحيط ٢٨٥/٣-ط دار الفكر). (المترجم).

(٦) في قوله تعالى: ﴿فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قومَ يونس...﴾ الآية. (المترجم)

(٧) في قوله تعالى: ﴿... ولا يلتفت أحد إلاّ امرأتَك...﴾ الآية. (المترجم)

(٨) في قوله تعالى: ﴿... إلا قليلاً ممن أنجينا منهم...﴾ الآية. (المترجم)

يسمى قراءة الجمهور في الآية ٨١/ هود بأنها على غير الأفصح ، ويخلص الزمخشري (المفصل ص٣١) من هذه المشكلة إلى إلحاق إلاّ بالاستثناء غير الموجب (من أجْلِ تجويز النصب)[1] . ويحتمل أن تكون الحقيقة في أن الفرق الحقيقي لا يقع في لغة الحجازيين إلا الاستثناء المتصل والمنقطع ولكن بينهما من جهة ، وبين الاستثناء المفرَّغ ، حتى هذا الفرق يهمل أحياناً ، والاتجاه دائماً إلى نصب ما بعد إلا .

واستبدل الأستراباذي (شرح الكافية ٢٢٨/١) بتقسيم سيبويه قسماً واحداً أكثر تعقيداً يتكون من عدة حالات حيث المستثنى منه يمكن حذفه دون أن يؤثر ذلك في المعنى ، في الحالة التي تجعل فيها تميم المستثنى يتوافق مع المستثنى منه في الحالة الإعرابية ، وفي حالات أخرى لا يمكن حذفه ، حيث ينصبه التميميون وجوباً كما في الآية ٤٣- من سورة هود : «لا عاصم اليوم من أمر الله إلاّ من رحم» .

z- ٢٤ - في لغة الحجاز ينصب المستثنى في الاستثناء المنفي بليس ، أو بكان المنفية (أبو عمرو بن العلاء ، في المغني لابن هشام ٢٢٧/١) . وهذا يختلف عما يحصل مع ما الحجازية (في الفقرة s آنفاً) . ويرد في القرآن مثل هذه (الآية ٥٣- الأنفال[2] ، الآية ١٩[3]- يونس)[4] ، وفي السيرة (لابن هشام ص٣٨٣ ، السطر ٢٠ ، الطبري ، التاريخ ١٠٣٥/١- سطر ٣) . ويضيف أبو عمرو أن تميماً ترفع مثل هذه الحالات ويضرب مثلاً بقوله : ليس الطيبُ إلا المسكُ ، أما معاصره عيسى بن عُمَر فأدهشه هذا القول ، وثبتت له صحته من أحد التميميين مباشرة (انظر : الفصل الثاني فقرة s) وقد احتج سيبويه (٣١٧/١) بشاهد[5] لأوس بن حجر التميمي على النصب في أسلوب (ليس . . إلاّ) . ولا يعني هذا أكثر من أن التركيب التميمي لم يستعمل إلا في تميم ، حين لا يريدون أن يستخدموا العربية

---

(١) يقصد المؤلف ما قاله الزمخشري في المفصل ٦٨ من الاستثناء : «جائز فيه النصب والبدل وهو المستثنى من كلام تام غير موجب كقولك ما جاءني أحد إلاّ زيداً وإلاّ زيدٌ . . .» (المترجم) .

(٢) في قوله تعالى : ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلاّ مكاءً وتصدية . . .﴾ (المترجم)

(٣) هي قوله تعالى : ﴿وما كان الناس إلاّ أمةً واحدةً . . .﴾ الآية .

(٤) ومن اجل الآية ٩٢/ من سورة يس : ﴿إن كانت إلاّ صيحة واحدة فإذا هم خامدون﴾ ، انظر فصل p- آنفاً .

(٥) وهو في الكتاب ط هارون ٧١٣/٢ :

يا ابْنَي لُبَيْنَى لستما بِيَدٍ   إلاّ يداً ليست لها عَضُدُ .   (المترجم)

الفصحى . هل كان عرب الحجاز يصرون على النصب مع ليس ، ويتخلون عن النصب مع ما وإلاّ؟ ربما يكمن الجواب بمحض المصادفة في الشواهد التي تأتي دائماً مع ما من الاستثناء المفرّغ ؛ في حين أن الشواهد مع ليس . . . الخ يأتي فيها المستثنى منه في العادة ، ولذلك بنيت على النزعة التي ذكرت في الفقرة الأخيرة[1] .

aa– ٢٥ – يقول النبي [ﷺ] في حديث له (ابن سعد : IVB/ 46 ، سطر٧) «أُسامة أحبُّ الناسِ إليَّ ما حاشا فاطمةَ» . وغالباً ما يتم شرحه : أسامة هو الأعزُّ لدي من بين الرجال ، وفاطمة غير مستثناة . وزيدت في رواية الطبراني «ولا غيرها» مما جعل الشرح خالياً من الخطأ تماماً . واعتبر ابن مالك (ابن هشام ، المغني ١٠٩/١) ما حاشا بنفس معنى حاشا[2] ، بناء على أنها من لغة النبي[3] . ويتعارض هذا من ابن مالك مع ما أخبر به (في الألفية ١٣٣) من أنَّ «حاشا» ليس من الضروري أن تصحبها ما[4] . ولم يجوّز شارح الألفية الأشموني ١٧٢/٢ : قام القوم ما حاشا زيداً . وهي الجملة نفسها التي يوردها ابن مالك في المغنى للاستدلال على صحة ما يقول وصدَّرها بقوله : إنّه قد يقال أحياناً .

ويحتج ابن هشام والأشموني ، كدليل آخر ، ببيت آخر للأخطل التغلبي (ص١٤٦ ، سطر١٠) وهو :

رأيت الناس ما حاشا قريشاً
فإنا نحن أفضلُهم فَعَالا

ويبدو أن الأخطل قد أراد عدم الاستثناء حقاً ، ومهما يكن من أمر فإنّه لا أصل لعزو

---

(١) والحالة الوحيدة التي جاءت بالنصب مع الاستثناء المفرّغ في القرآن في الآية ٣٩/ الإسراء : ﴿هل كنتُ إلاّ بشراً﴾ وهذه مسألة بلاغية ، واعتبرت سؤالاً حقيقاً وبالتالي انتظم بنصبها .

(٢) أي الاستثناء .

(٣) ويبدو أن المؤلف استعمل لفظة Language لغة وليس كلام النبي عليه الصلاة والسلام كما جاء في المغني والفرق واضح فكلمة لغة تعني النظام اللغوي أما الكلام فتعني أنها من مفردات النبي ﷺ ، وليست مزيدة من غيره . (المترجم)

(٤) بقوله في الألفية :

وكخلا حاشا ولا تصحب «ما» وقيل «حاشَ ، وحشا» فاحفظهما . (المترجم)

هذا الاستعمال للحجاز .

bb– ٢٦ – وحـــاشــا في الأصل اسم مــتــبــوع بالجــرور (انظر : -Reckendorf, syn takt.Verhalten.,p.426) ، والمعهود في العربية أن تأتي مع : ما خلا وما عدا بزيادة ما في جملة فعلية ، كما في الفقرة السابقة ، ويأتي بعدها الاسم منصوباً ، ولم يجوّز سيبويه الاستعمال الأخير[١] ، ولقيت تردداً من الزمخشري[٢] (في المفصل ص٣١) اعتماداً على المبرد . ويستشهد الأشموني (انظر :الفقرة الأخيرة) بنخبة من العلماء[٣] الذين يجيزون النصب بحاشا ، و الشواهد الصحيحة من شرق الجزيرة : الأخطل (انظر أعلاه) ، وجُمَيح الأسدي (المفضليات ٤/١٠٩)[٤] .

cc– ٢٧ – إلى جانب الجملة ذات الوجهين تمتلك العربية وسيلتين أخريين لإفادة التوكيد بوضع أحد عناصرها في موضع مميز من الجملة[٥] . وأولها التوسّل بأمّا التي تؤكد الجزء غير المميز (غير المؤكد) في الجملة ، انظر : الزمخشري (في المغني لابن هشام ٥٤/١) : «إذا ما قصدت زيد ذاهب ، وأنه لا محالة ذاهب وأنه بصدد الذهاب وأنه منه عزيمة قلت : أمّا زيد فذاهبٌ»[٦] . والكلمة التي تأتي بعد أما تأخذ اسمها من خلال وجودها[٧] وبالتالي الرفع (Reckendorf, syntakt.Verhalten.,p.309).

(١) بقوله في ٣٤٩/٢-٣٥٠ : «وأما حاشا فليس باسم ولكنه حرف يجر ما بعده كما تجرُّ حتى ما بعدها . . .ألا ترى أنك لو قلت : أتوني ما حاشا زيداً ، لم يكن كلاماً . . .» . (المترجم)

(٢) لأنه يقول في المفصل ص٦٨ بداية عن ضرب من الاستثناء يكون «مجزوءاً أبداً وهو ما استثنى بغير وحاشا . . .» ثم يذكر أي المبرد بالنصب دون أن يوضح موافقته أو عدمها : «والمبرد يجيز النصب بحاشا» . (المترجم)

(٣) يقصد ما جاء في الأشموني ١٦٥/٢ (مع حاشية الصبان) : «الصحيح جواز (النصب بحاشا) فقد ثبت بنقل أبي زيد وأبي عمر والشيباني والأخفش وابن خروف وأجازه المازني والمبرد والزجاج . . .» . (المترجم)

(٤) يقصد قوله في المفضليات ص٣٦٧/١٠٩ :

وبنو رَوَاحة ينظرون إذا   نظر النَّديُّ بأنْفٍ خُثُّم
حاشى أبا ثوبان إنَّ أبـا   ثوبان ليس بِبُكْمَةٍ فَدْمِ (المترجم)

(٥) إنني أفضل استخدام اصطلاح (extraposition من وضع يسبرسن) على اصطلاح Casus pendens أو nominative absolute. مما يوحي بمفاهيم غير مقصودة .

(٦) نقلت العبارة بنصها من المغني ٥٩/١ . (المترجم)

(٧) فقد تأتي مبتدأ أو خبراً ، وقد يكون جملة شرطية وقد يكون منصوباً مفعولاً به أو غيره . (المترجم)

أما الوسيلة الثانية فبالتقديم ، بتقديم ما يقع عليه الاهتمام عن موضعه الأصلي في جملته كما في : إياك نعبد (الآية ٥- الفاتحة) . وقد تتقدم الفاء الجملة الصغرى كما في : اللهَ فاعبد (الآية ٦٦/ سورة الزّمر) . وكما نرى في الأمثلة ، التركيب الثاني يؤكد بقوة اللفظ المتقدم المراد بيان أهميته ، ويتشابك النمطان فيما بعد والكلمات التي بعد أما (دائماً مع الفاء) تُنْصَب حين تتطلب الجملة الصغرى تلك الحالة ، وعليه وجدنا «فأمّا اليتيم فلا تقهر»[1] ، الآية ١٧- من سورة فصّلت التي قرأها ابن عباس ، والأعمش ، وابن أبي إسحاق بالنصب «أمّا ثموداً فهديناهم»[2] ، وهذا أمر شائع في الطلب والتحذير (سيبويه ٥٨/١) ، ويبدو أن الأمر ليس مرتبطاً بأية لهجة .

ومع ذلك فهناك أمثلة تأتي فيها ما بعد أمّا منصوباً ، أيّاً كانت الحالة المفضلة للاسم في الجملة الصغرى ، ومهما اختلفت اللهجات . ويناقش سيبويه (١٦٢/١- ١٦٥) مثل هذه الحالات بشكل واسع ، وعرضه ينقصه الوضوح ، ويتعامل مع مقولات منطقية يبدو أنها لا تتيح إمكانية كبيرة للتمييز النحوي ، وسأقوم بتلخيصها بقدر ما أستطيع :

dd- ٢٨ - في مثل الحالات : أمّا علماً فعالمٌ ، أما علماً فلا علمٌ عنده حيث الاسم المقدّم مَصْدَرٌ نكرة ، والأصل فيه النصب ، ويرفع في لغة تميم ، مع أن النصب في لغتها أحسن . وهناك مثال للنصب وهو عبارة منسوبة إلى رجل من الحارث (الحماسة ، ص٢٥ ، سطر٢١) :

أما قتلاً فلست قاتلاً

ee- ٢٩ - أما في حالة أما العلمَ فلا عالمٌ ، مع مصدَر معرفة[3] ، ففي لغة الحجاز ينصبون ويرفعون ، والتميميون يرفعون دائماً . وهناك مثال آخر هو بيت شعر للمخزومي أي الحجازي (انظر: Schawahid- Indices,p.24,a,l)

أما القتالُ فلا قتال لديكم[4]

ff- ٣٠ - أما إذا كان المتقدّم اسم ذات كما في : أما عبيدٌ فذو عبيدٍ أو : أمّا العبيدُ فذو

(١) الآية ٩- الضحى . (المترجم)

(٢) انظر البحر المحيط : ٤٩١/٧ . (المترجم)

(٣) لا شك أن هناك اختلافاً في المعنى لم نستطع إدراكه .

(٤) هذا صدر بيت ، وعجزه : ولكنّ سيراً في عراض المواكب . وهو في الخزانة شاهد على حذف الفاء أي الرواية فيه : أما القتال لا قتال لديكم . (المترجم)

عبيد . وهي في اللهجات كلها بالرفع ، ويزعم سيبويه أنه سمع من العرب من يقول : أما ابن مُزَنيَّةٍ فأنا ابن مُزَنيَّةٍ . وما دامت مساكن مُزَيْنَة ملاصقة للمدينة (انظر : خُوالسكي ، قيس بن الخطيم ص١٤ ، البيت الأول) ، وعليه يمكننا أن نعتبرها عبارة لحجازي ، وقد عرف يونس (سيبويه ١٦٤/١) أن بعض العرب يقولون هذا التركيب بالنصب[١] .

gg– ٣١ – والدرجة الآتية هي التي سماها سيبويه صفة[٢] ، ويبدو أن الاصطلاح قد استعمل بمعناه الواسع ، والنموذج هو : أمّا علماً فعالمٌ ، وينصب في اللهجات كلها ، ويحتج سيبويه بمثال آخر باسم موصوف : أما صديقاً مصافياً فليس بصديق مُصافٍ ، ويماثله– بالرغم من أنه اسم فاعل– : أمّا جابياً فلا (البلاذري ، الفتوح ، ص ٣٠٣) والسمة الوصفية أقوى في : أما صادراً فوسيقةُ[٣] جميل (قطامي التغلبي ٥٩/٧) . ونستطيع أن نقول إن النصب على الحالية .

hh– ٣٢ – إن تحليل سيبويه للمنصوبات مختلف في الحال والتمييز ، وهذا ما يسلّم به ركندورف (syntakt.Verhalten.,p.793). ويبدو من المرجح أن النصب يمتد قياساً من هذه الحالات ، حيث جرى تسويغها بالمكان الواقعي للكلمة المتقدمة : فالنمط الأصلي لـ«أما علماً فعالمٌ» . هو : هو عالمٌ علماً ، وسيبويه نفسه يستخدم هذا المعيار حين يرفض مثل : أما عبيدٌ فذو عبيد ، على أساس أنّه لا أحد يقول : هو رجل عبيداً . وهجر اللغويون المتأخرون تصنيفَ سيبويه الذي يشوبه التعقيد ، فالزمخشري في المفصل لم يتعامل قط مع هذا النمط ، أما ابن مالك (في التسهيل ورقة ٤٣–أ) فلم يقل سوى أن النصب في : أما علماً فعالم ، لغة حجازية ، وأهل الحجاز كذلك يرفعون ، ولم يذكر الأشموني (٣٤/٤) الاختلافات اللهجية ، ويعزو إلى قريش من مثل : أما العبيدَ فذو عبيد ، (وهو التركيب الذي ساقه سيبويه) ، وأما قريشاً فأنا أفضلهم ، ومن أحسن ما قيل إنه من المسموع

(١) ففي الكتاب : ٩٨٣/١ ط هارون : أنّ أقواماً من العرب يقولون : أما العبيدَ فذو عبيد ، وأما العبدَ فذو عبد . (المترجم)

(٢) في قوله في الكتاب ٣٨٧/١ : «وما ينتصب من الصفات حالاً كما انتصب المصدر الذي يوضع موضعه ولا يكون إلا حالاً . . .أما عالماً فعالم . . .» (المترجم)

(٣) الوسيقةُ هي الغنيمة . (المترجم)

(الذي لا يخضع للتنظير النحوي) ، وبتعليقه هذا يرفض عملياً شرح سيبويه لهذه التراكيب .

ii– ٣٣ – يمكن أن يكون لعسى تركيبان في العربية الفصحى ، إحداهما غير المتصرِّفة (التامة) (على التجريد من الضمير) : الرجلان عسى أن يفعلا . والأخرى أن تتطابق مع المبتدأ تذكيراً وتأنيثاً ، إفراداً وتثنية وجمعاً : الرجلان عسيا أن يفعلا . ويعزوها سيبويه (٤٢٦/١) إلى الاختلاف اللهجي ، ولم يخصص . ويعزو البيضاوي (٢٦٣/٢) المجرّدة من الضمير إلى لغة الحجاز ، وعسى المتصرفة بالإضمار لغة تميم ، ويثبت السيوطي (في البهجة ، ص٣٣) العكس . ووردت عسى في القرآن فاعلها جمع ومثنى في الآية ٢١٦– من سورة البقرة[١] ، وفي الآية ١١ من سورة الحجرات[٢] ، وقرأ ابن مسعود الهذلي وأُبَي المدني : عَسَوْا وعَسَيْن(Jeffery, Material,p.93,304) وفي الآيتين ظهرت عسى مرتين ، وهما ليستا بمرتبة واحدة وربما يعود ذلك إلى اختيار الصيغة غير المتصرفة (المجردة من الضمير) ، ووردت عسى المتصرفة (بالإضمار) مرتين أيضاً : في الآية ٢٢– من سورة محمد : ﴿**فهل عسيتم إن توليتم أنْ تُفْسدوا**﴾ ، وفي الآية ٢٤٦– من سورة البقرة : ﴿ . . .**هل عسيتم . . .ألاّ تقاتلوا . . .**﴾ أن تكون عسى بمعنى ربما غير كاف ، وبودي أن تكون يجرؤ ، وقد يكون هذا هو المعنى الأصلي للفعل ، وقرأ نافع الآية ٢٢– من سورة محمد : عَسِيتُم بدلاً من عَسَيْتُم . وهذا تطابق صوتي مع عَسِيَ ، وهي صيغة لهجية لعسى يَعْسُو « يصبح كبيراً وقوياً» (اللسان ٢٨٣/١٩) . إن حلقة الوصل هي : (ليكون قادراً من أجل انتقال المعنى ، انظر : الأثيوبية كِهْلا- kehla ، والآرامية البابلية كَهل- -khl قادر ، وكَهُلَ العربية (تمَّ نموُّه)[٣] .

---

(١) في قوله تعالى : ﴿ . . . وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم . . .﴾ الآية . يبدو أنّه فات المؤلف أن المصدر المؤول (أن تكرهوا ، أن تحبوا) في محلّ رفع فاعل ، وقد يقصد هنا دلالة الجمع . (المترجم)

(٢) في قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن . . .﴾ الآية .

(٣) يمكننا أن نقارن العبرية hōi'l التي تعني بدأ ، جرؤ ، أكمل ، كل هذه المعاني تعود إلى «ليكون قادراً» والكلمة لكي تكون مشابهة للكلمة الهذلية ألَى- يقوى (ابن دريد- الجمهرة ٨٨١/١) . انظر المليلاء ٢٥٣/٢ .

ويستشهد الأستراباذي (شرح الكافية ٣٠٣/٢) بمثالين يأتي فيهما بعد عسى اسم وليس أنْ : عَسَيْتُ صائماً ، والمثل : عسى الغويرُ أبؤساً (اللسان ٣٤٤/٤)(١) ، إن عسى غير المتصرفة مماثلة لكلمة المشناه العبرية : = yākhōl إنّه قادر في مثل : yākhōl tāqêphāh 'ālāw mishnatho " يمكن أن تكون دراسته صعبة جداً عليه» (Aboth,iii,8) في كلا المثالين تتبدى الظاهرة السامية النادرة للفعل المبني المجهول حقاً ، ويشعر ذلك بأنه لا بد أن يكون هناك أكثر من تشابه بمحض الصدفة ، وإن استعمال الصورة غير المتصرفة لا بد أن يكون قد نشأ في مكان ما من الجزيرة العربية (ربما في منطقة لها اتصال بالعبرية) وانتشر ، ومع ذلك لم تخلف التركيب المبني للمعلوم القديم ، أما فيما إذا كانت الحجاز هي مركز هذا الإشعاع ، فلا يمكننا قول ذلك .

kk- ٣٤ - يقرر اللحياني (التاج ٢٦٢/١) فيما نقله الكسائي والأصمعي ، أن تناسق الجمل الذي تأتي فيه أفعال في حالة الرفع بعد أفعال الطلب والتمني ، شائع (لغة فاشية) في الحجاز ، ويضيف ابن الأثير (في المرجع السابق) أنّه يتكرر في أعمال الشافعي ، والأمثلة النثرية المستشهد بها كلها من مصادر عربية غربية Reckendorf, syntakt.,p.383, Brockelmann,GVG,ii, 525):) في الآية ٧٧ من سورة البقرة(٢) ، وكذلك الآية ٨٤(٣) منها ، والآية ٦٤ من سورة الزمر(٤) (حيث يقرأ ابن مسعود بالجزم ، انظر Jeffery, Material,p.27) ، وفي الحديث ، والسيرة ، ونثر على لسان شاعر هذلي (الحماسة ص ٤٠ ، سطر ٢٢) . وأما الأمثلة الشعرية فهي من شرق الجزيرة ، أعشى باهلة (٣٠/٤-١) ، وطرفة البكري (٥٤/٤)(٥) . ولا

---

(١) بالرغم من اعتراض بروكلمان (GVG,ii, 514,n.1) وصعوبة العلاقة بين الأصوات الصفيرية ، يبدو أنه من الأفضل عدم اعتبار عسى مرتبطة بالعبرية `āsāh التي قد تعني أولاً لها قوة على)

(٢) في قوله تعالى : ﴿أَوَلا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ . (المترجم)

(٣) في قوله تعالى : ﴿وإذخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم . . .﴾ الآية . (المترجم) وإذ أخذنا

(٤) في قوله تعالى : ﴿أفغير الله تأمرونّي أعبدُ أيها الجاهلون﴾ . (المترجم)

(٥) هذا البيت ذكره رايت (Wright (2/27 A مثالاً على الانقطاع في الجمل المتصلة المتعاطفة واستشهد به البيضاوي على الرفع ٧٠/١ ، وسيبويه والتبريزي (الحماسة ص ٤٣٨) ، وانظر دي جوج في ملاحظة على رايت .

يتحدث سيبويه عن لهجة (٤٠/١) ولكنه يقول إن هذا التركيب يندر أن يُتكلّم به ، وهذه ملاحظة دالة لاتصاله الدائم بقبائل عرب شرق الجزيرة ، ومن الواضح أن التركيب المعطوف أقدم ، ولكن في العربية الغربية ظل شائعاً في الحديث اليومي ، ولكنه في شرق الجزيرة أقرب إلى الأسلوب المهجور ، ويستعمل للضرورة الشعرية ، والعاميات اتبعت في هذا الجانب الاستعمال العربي الغربي .

ll- ٣٥ - أورد سيبويه في كتابه (٤٠١/١) أنّه قد يجزم الفعل بعد أفعال الطلب في أسلوب الجمل المتعاطفة ، ويحتج بالآية ٣١/ سورة إبراهيم : «قل للذين آمنوا يغفروا . . .» و«كلّمي رسولَ الله يكلّمْ . . .» (البخاري ، الهبة ، ٨) : وادعُ عباد الله يأتوا مَدَداً (الخزاعي في السيرة لابن هشام ، ص٨٠٦ ، سطر ٤) الخ . سنرى أن الأفعال المستخدمة ليست مخصصة للطلب ، ولكن عند الجزم ليس من الضروري أن يكون هناك نصٌ على معنى الأمر . يلاحظ ركندورف (Reckendorf, syntakt.Verhalten.,p.62) أن الاعتماد المتزايد من الجزم على العلاقة النحوية يتركز بقوة على موقعه في الجملة الشرطية . ولا يوجد في الحقيقة ما يعترض طريقنا في اتخاذ هذه الحالات (الأمثلة) جملاً شرطية عادية مع فعل الأمر باعتبارها أجوبة أمر (انظر : syntakt.Verhalten., p.498) دون افتراض أي حذف (كما فعل رايت A 83/٢). أنها تشبه عبارة : أَمَرَه ففعل ، أَمَر تتطلب مفعولاً مثل قال تماماً ، ولا توجد خصوصية حجازية في هذه التراكيب ؛ وعليه فالأمثلة المعطاة آنفاً من مصادر حجازية .

mm- ٣٦ - يبدو أن لغة الحجاز قد رفعت بدلاً من الجزم ، حيث لا فعلَ للقول أو الطلب ، ويورد الفراء (Orientalia,xv,182) أمثلة على ذلك : «إنّا زيّنّا السماء . . .لا يسّمّعون . . .» من الآيات ٦ ، ٧ ، ٨- الصافات . و﴿كذلك سلكناه . . . لا يؤمنون به . . .﴾ ٢٠٠-٢٠١ من سورة الشعراء ، و«لا» هنا حلت محل «أَنْ لا» وأهل الحجاز وحدهم الذين يرفعون مثل هذه الحالات ، في حين يجزمها الآخرون .

nn- ٣٧ - يقول الزمخشري (المفصل ص١٤٧) أن بعض العرب يرفعون حتى بعد أَنْ وكذلك قرأ ابن مجاهد وابن مُحَيْصن في الآية ٢٣٣/ البقرة : «أراد أن يتمُّ الرضاعة» في حين يقرؤها الآخرون : يُتِمَّ . ومثال آخر لأبي محجن الثقفي (تاريخ الطبري ٢٣١٦/١) :

أخاف . . . أنْ لا أذوقُه

وربما يتوجب علينا ألا نعتبر الرفع بعد أَنْ ملمحاً في لغة الحجاز ، ولكن الأحرى أن نقول إن أهلَ الحجاز اعتادوا أن ينسِّقوا الجمل مع الرفع ، وأحياناً يرفعون مع جمل أَنْ غير المألوفة أيضاً . ومن حيث القراءة القرآنية ، قد يكون هناك تناقض بين القراءتين من الخلط في دمجهما نحو : أراد يتمُ وأراد أن يتمَّ وفي بيت شعر لمجهول (في الخزانة ٥٥٩/٣) :

أن تقرآن . . . وأن لا تشعرا[1]

قال الرؤاسيّ (السيوطي في الجمع ٣/٢) : «فصحاء العرب ينصبون بأن وأخواتها الفعل ، ودونهم قوم يرفعون بها ودونهم قوم يجزمون بها» . والجزم «بأن» يعزوه اللحياني (ابن هشام ، المغني ٩٢/١) إلى بني صبّاح من ضبّة ، ويبدو أنّه قد انتشر باتساع في الوسط الشرقي من الجزيرة العربية وشاهدها بيت لامرئ القيس (٤٠/٤)[2] . وشاهد آخر لجميل العذري (الشنقيطي ٣/٢)[3] . ويذهب اللحياني إلى القول (السيوطي ، الجمع : ٤/٢) بأن بعض العرب يجزمون بلن والتركيب المستشهد به يؤذن بأنه استعمال أدبي فهو لابن الأعرابي[4] .

ويذكر اللحياني (الشنقيطي ٤/٢) أن بعض العرب يجزمون النواصب وينصبون الجوازم ، لا بد من الإشارة أن الجزم في الشاهدين لا يعتمد على أفعال الطلب ، و عليه فالتراكيب هناك لا تخص ما نوقش في الفقرة IIIالسابقة .

---

(١) والبيت بكامله :

أنْ تقرآن على أسماء ويحكما منى السلام وأَن لا تشعرا أحدا . (المترجم)

(٢) جاءت على «أن يأتنا» من النحاة (انظر الشنقيطي ٣/٢) ، (وياقوت ١٦٠/١) وفي الديوان صححت «يأتيا» .

(٣) وهو الشاهد :

أحاذر أن تعلمْ بها فتردَّها فتتركها ثقلاً عليَّ كما هيــا .

وأما شاهد امرئ القيس :

إذا ما غدونا قال ولدان أهلنا تعالوا إلى أن يأتنا الصيد نحطب . (المترجم)

(٤) فيما أورده المؤلف أخطاء في النقل : أولها أن القول لأبي حيان وليس للحياني (انظر السيوطي ، الجمع ٤/٢) ، والبيت المستشهد به لأعرابي وليس لابن الأعرابي كما في المغني ٣١٥/١ ، وهو :

لن يخب الآن من رجائك من حرّك من دون بابك الحلقة

وهو الذي ذكره السيوطي في الجمع ٤/٢ بعد قوله وحكى (يقصد أبا حيان) الجزم بلن لغة . (المترجم)

aa- ٣٨ - مع أن النحاة العرب يرفضون الاعتراف به (ابن هشام ، المغني ، ١/٥٩) فإن هناك شكاً ما بأنّ إمّا في العربية تستعمل كإذا ، إنها شقيقة إمّا الأثيوبية[١] . والأمثلة التي جمعت في مختلف كتب النحو ، عربية غربية خالصة : في القرآن الآية ٢٦/ من سورة مريم[٢] ، والأسود بن يَعْفُر النهشلي (المفضليات ص٤٥١)[٣] ، وجابر بن رألان الطائي (الحماسة ١/٣٠٠)[٤] ، وحسان بن ثابت (١٤/١٣) . ومن قيس ، الغربي عنترة إنْ عربية غربية أصلية ، أم من العربية الفصحى ، وهذا ما لا نستطيع أن نبتّ فيه .

aa- ٣٩ - قال الأخفش (الأستراباذي ، شرح الكافية ٢/١١٨) منذ لغة أهل الحجاز وأما مذ فلغة بني تميم وغيرهم ويشاركهم فيها أهل الحجاز ، ولم ترد كلتاهما في القرآن . واستعملت منذ وحدها من بعض بني سُلَيْم ، عن أبي حيان (المنهج ، ورقة ١٧٢-أ) وتنقل كذلك عن اللحياني قوله إنّ بني عَبيد من غني يقولون مُذُ (الأستراباذي ، السابق نفسه) وهذا يشبه التوسط بين مُذْ العربية الشرقية ، ومِنْذ ، ومُنْذُ العربية الغربية كما في مِذُ المنسوبة إلى عُكْل . وقيل إن بعضهم يستعمل مُذِ قبل همزة الوصل .

qq- ٤٠ - ويبدو أن هناك خلافات في إعراب هذه الأداة . وينقل أبو حيان عن النحاة الكوفيين قولهم إن بني أسد وبني تميم يرفعون ما بعد مُذْ (ويضيف اللحياني ، ضبة والرِّباب ، وعبيد وسُلَيْم) في حين مزينة وغطفان وعامر وقبائل قيس المجاورة يجرّون ما بعدها (انظر الخريطة رقم ١٧) . ويقول الأخفش إن أهل الحجاز يجرُّون ، وبني تميم يرفعون . ومن الصعب القول بأن هذه الأخبار لها علاقة بالفروق بين

---

(١) وربما إمْ العبرية ، التي إذا كانت هي الأصل ، لا بد أنها قد حصل فيها نوع من المدّ والمثالان الآخران أضافهما برجستراسر (Gramm,i,148) ، مِنْ وإمْ فهما عند الأعراب مِنٌ ، إمّ ، وربما إمّا وهِنْ وهما في الأصل متباينتان ، وتلوثتا مع طول الوقت . (المترجم)

(٢) قوله تعالى : ﴿ . . .فإما تَرَيِنَّ من البشر أحداً فقولي . . .﴾ الآية . (المترجم)

(٣) والبيت :

إمّا تَرَيْني قد بليت وغاضني ما نيل من بصري ومن أجلادي (المترجم)

(٤) والبيت :

إمّا تَرَيْ ما لنا أضحى به خَلَل فقد يكون قديماً يرتُقُ الخللاَ (المترجم)

استعمال الرفع ، والجر كما رسمها النحاة (انظر : wright,ii,173) ويبدو أن الأخير مصنوع وفيه تكلّف . ويحلل ركندورف (syntakt.Verhalten.,p.237): رأيته مُنْذُ (= مِنْذُ) يومان . إذا اتفقنا على أن «ذو» اسم إشارة ، أفضّل أن أربط وجود منذ بـ«زِه» المستخدمة مع الاصطلاحات الزمنية في عبرية الإنجيل (انظر : ,Gisenius Grammar,p.443وأن أترجم منذ يومان كما في العبرية : (Gen.,xxvii,36) حلّ محلى مرتين ، إن تعبيراً مثل : منذُ يومُ الجمعة ، الوظيفة الأصلية غامضة ، وأُعدّت الطريقة باتجاه التسوية بين مِنذ ومِن وإعرابها بالجر[1] . إذا كانت اللهجات العربية الغربية بهذا قد انحرفت عن التركيب النحوي المبكر لهذه الأداء ، فإنها قد احتفظت بالصيغة الأقدم منها . ويظهر لي في الواقع حتى الصيغة الشرقية ، يمكن شرحها بصورة أبسط ، على أنها نشأت في ظلّ الشروط الصوتية للعربية الغربية .

إن اسم الإشارة العربي الشرقي كان «ذا» الذي يمكن أن يكون قد اختصر إلى- ذ أو ذو ، ولكنها في العربية الغربية - ذي (انظر : فصل ٧ فقرة u ، ١٢ فقرة e) التي في تطورها الصوتي العادي (فصل ١٠ ، ii) تصبح «ذِ» ، ومِنْذِ تطورت إلى مُنْذِ بتأثير الأصوات الشفوية ، والكسرة الأخيرة بصيرورتها حركة حيادية (وكأنها حذفت كلها) حدثت لها مماثلة . ومرة أخرى بفعل قانون لوحظ قديماً في غرب الجزيرة فقط (فصل ١١- qq) مُنْذُ صارت مُذٌ ، والأخيرة صارت مُذْ ، بحذف واحد من الحرفين المدغمين . وقد تكون هذه التغيرات قد حصلت في لهجات قيس كالتطورات التي حصلت في العربية الفصحى ، وأخذت مكانها في اللغة الأدبية في شرق الجزيرة بهذه الصورة .

rr- ٤١- في الأسئلة الملحقة بـ«مَنْ» ، يضع أهل الحجاز الاسم الذي يأتي بعدها في الحالة نفسها التي يأتي بها في الجملة الخبرية ، فإذا قلت : رأيت زيداً . يكون السؤال عند أهل الحجاز : من زيداً؟[2] وسائر العرب يقولون : مَن زيدٌ؟ (سيبويه ٣٥٦/١) . وهذه ملاحظة مفيدة للاستعمال العامي ، يصعب استخراجها من المصادر الأدبية . ويصرُّ سيبويه على أن هذا أمر خاص بالأعلام من الأسماء ، ولكن

---

(١) في المرحلة التالية تحل منذُ محل مِنْ . وجاء هذا في بيت من الشعر لزهير الغربي (١/٤ و Schawahid- In-dicesص١٠٥ أ-٢٣) . والبديل ورد في زمن الحريري (الدرة ط ثوربك ص٦٧) ، وتكتمل في عاميات اليوم . (Brockelmann,GVG,ii, 542) .

(٢) النصب على الحكاية . (المترجم)

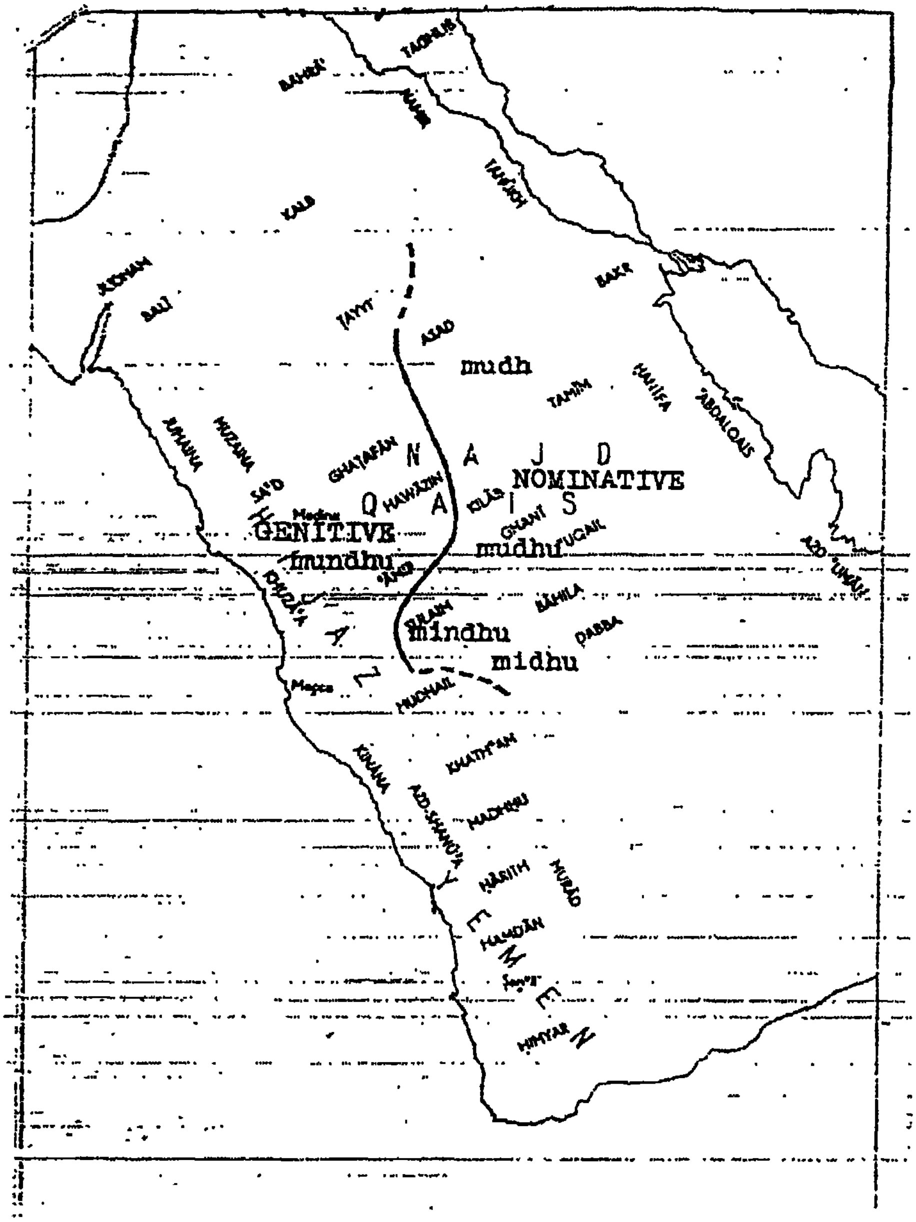
الأستراباذي (شرح الكافية ٦٣/٢) يستشهد بخبر عن يونس ، نقله المبرد ، ولا وجود له بأيٍّ حال في النسخة المطبوعة من كتاب سيبويه وهو أنه يمكن أن نقول : من أخا زيدٍ؟

ss– ٤٢ – يقول الرافعي (التاريخ ١٤٥/١) إنّ مَنْ المعربة تستعمل في الأسئلة الملحقة فقط نحو : مَنَوٌ ، مَنِي ، مَنا ، مَنُونَ ، الخ . (انظر wright,ii,275) قيلت في لهجة الحجاز ، وللأسف لم يذكر مصادره . وإذا كان هذا صحيحاً فإنه يقيم صلة بين لغة الحجاز ، والصيغة الأثيوبية : منُّو ، وفي النصب مَنّ ، والأكدية مِينُ[1] . والصيغ بالضمة الطويلة ما زالت تستعمل للدلالة على المبتدأ في العاميات ففي لهجة الفلاحين الفلسطينية : أنْ[2] ، وفي حلب مَنُ (Driver, Grammar,p.38).

---

(١) في الأوغاريتية إن مي في مقابل مَنْ فلا بدّ أن تكون الياء صوتاً صامتاً ، مما يدل على إعرابها نحو : مِيُو ، مِيي ، مِيا ، وفي تنظيم جوردون– مِيا (Grammar,p.32) ، لأن الرفع لم يجد تأييداً كلياً من صيغ اللغات الشقيقة .

(٢) كما هو معروف في الفلسطينية : مَنُو وأَنُو وليس مَنُ . (المترجم)



الخريطة رقم ١٧ : أحوال ما بعد منذ (١٣ - ٩٩)

الفصل الرابع عشر

طيء

a- ١ - لم يكن لقبيلة طيء شأن كبير أيام النبي ﷺ في موطنها، منطقة حائل هذه الأيام، فَصَلَتْهُم صحراء النفوذ عن الهلال الخصيب، وكانت روابطهم السياسية بشكل رئيس مع قبائل نجد، كما هو الحال مع عشيرة تميم من يربوع الذين هوجموا في رِجْلَة التَّيْس[1]. وكانت طيء من بَعْدُ، بالنسبة للسريان واليهود البابليين والفرس الاسم الدال على العرق العربي. (انظر أيضاً: Baily, JRAS., 1939,89). وهذا يعني أنَّ أرضها في قديم الزمان كانت أكثر اتساعاً وتغطي مساحة من منطقة قبائل قضاعة المتأخرة وإذا كان الأمر كذلك فإنه يتيح لنا أن نتوقع وجود بعض الآثار من جهتَيْ: لغة تلك القبائل، ومواقعها. ولسوء الحظ فإنّ ما نعرفه عن لهجات قضاعة قليل جداً، التي، كما يقول لَمِنْز Lam-mens (Arabie Occidentale, p.308)، «يبدو أنها عاشت خارج التطوُّرات العامة لشبه الجزيرة العربية؛ بل يمكننا أن نقول خارج حياة العرب». ومن المظاهر المعروفة التي تربط قضاعة بطيء وغيرها، التلتلة، مع قبائل ما زالت شرقية؛ في مثل هذه الأحوال يمكن أن تكون طيء حلقة وصل. وللربط المكاني لديّ مثال واحد فقط هو الأوداة، في منطقة كَلْب (Noldeke,Zur Gramm.,) وإذا كانت هذه هي الأودية نفسها فإنها تدل على تغير صوتي مطابق تماماً للهجة طيء، (انظر ما سيأتي في فقرة I)؛ مما يُؤْذِن باتخاذها دليلاً على أنها كانت مشغولة من قبيلة طيء منذ القدم.

b- ٢ - تُعَدُّ قبيلة طيء من حيث النسب من بين القبائل اليمنية، والروايات المعتادة الواردة عن هجرتهم تردُّهم إلى اليمن. وإن موطنهم الأصلي الذي سكنوه كان الجوف في اليمن، أي بجوار قبائل شمال اليمن؛ التي تكشف لهجة طيء عن بعض

(١) موضع بين بلاد طيء وديار بني أسد، وفيه أصابت بنو يربوع وبنو سعيد طيئاً وأسداً وضبة، وكانت ضبة تحوّلت عن بني تميم إلى طيء، تركوا حلف بني تميم فقتلتْهُم بنو أسد، وأَسرَتْهُم. (انظر معجم ما استعجم للبكري ١/٢٩٣- حرف الراء). (المترجم).

علاقات التجانس مع لغتها . ويمكننا أن نقوم بتوضيح هذه العلاقات بهذه الطريقة ، ولكن للمرء أن يقول إن كلتا اللهجتين[١] قد احتفظت بملامح عربية غربية قديمة هجرتها لغات هذيل والحجاز ، التي كانت أكثر اتصالاً بنجد[٢] . وهناك روايتان إزاء السكان السابقين لمنطقة طيء ، وأكثرهما شيوعاً هي أن قبيلة طيء قد قامت بطرد قبيلة أسد (انظر : Caussinde Perceval, Essai sur l'histoire des Arabes avant l'Islam,I, 103) ، أما الأخرى فقد ساقها ياقوت (المعجم ١٢٧/١) : وهي أن سكان جبلي طيء كانوا يسمّوْن الصُّحَار . وتغلبت عليهم طيء وتولّت أمر لهجتهم وتوارثتها ، بحيث أصبحت لهجة طيء هي لغة صُحَار ، فالأسماء الموجودة هي أسماء البُلْدات في عُمَان وفي اليمن[٣] . وفي الأخيرة ، بجوار صَعْدة ، توجد قبيلة أخرى بذلك الاسم (الهمداني ، الجزيرة ، ص١١٩) . وقيل (في معجم ياقوت ٣٦٨/٣) صُحار[٤] كانت جزءاً من قُضاعة ، وعرفت بأسماء قبائل مختلفة من تلك المجموعة . إن المادة اللغوية الأساسية تستوقف النظر ، ويمكن أن تفسر بعض الشواذ والغريب في اللهجة .

c- ٣ - إن عرب شمّر ، الذين يسكنون هذه الأيام أرض طيء ، يعتبرون أنفسهم من نسل هذه القبيلة ، ولا يعرف إلا القليل من لهجتهم . غير أن كانتينو قد قام بجمع بعض المفردات (Parlers, p.230 seq) لا يمكن من خلالها إثبات الاتصال الوثيق ، إلاّ من السّمة التي بحث أمرها في الفقرة fالآتية ، وإن إعادة البحث والنظر في لهجة شِمّر أصبح ضرورياً .

(١) يقصد لهجة قبائل شمال اليمن ، ولهجة طيء . (المترجم) .

(٢) إذا وافقنا على الفكرة التي تقول إن عرب غرب الجزيرة قد هاجروا في موجات متتالية من الشمال إلى مواقع سكناهم التاريخية ، يمكننا أن نقول إن قبائل شمال اليمن هي آخر موجة من المهاجرين في ذلك القطر ؛ مما ينبغي أن يرينا شيئاً من علاقات التجانس اللغوية مع طيء ، التي مكثت بقرب الموطن الأصلي . إن وجود بعض طيء في شمال اليمن (انظر : Wegghausen, Reste arab, Heidentum, p.129) ، كان من الممكن أن يحمل بعض هذه القبيلة شيئاً من هجرتها .

(٣) وهما أجأ وسلمى (المترجم) .

(٤) وهي موطن صنع القماش الصحاري ، ويمكن أن تكون كلمة صحر قد ذُكِرَت في النقوش العربية الجنوبية (CIH.407,Line19)في عهد شمّر يُهرْعِش .

d- ٤ – يقول فولرز (Volkssprach,p.7) إن لغة طيء لم تكن ضمن الائتلاف الذي يسمى العربية ؛ في حين أن نولدكه يزعم أنها كانت ضمن هذا الائتلاف (Neue Beitrage,p.5) واعتبر الفيلسوف الفارابي[1] لغة هذه القبيلة ضمن قائمة اللهجات الصحيحة بالرغم من أنها كانت في ذيل القائمة[2] . مما يعني أن قبيلة طيء قد ساهمت بقدر ما في الحركة الأدبية التي تحمل ملامح العربية الفصحى وهي بدورها اكتملت بمساهمة عدد كبير نسبياً من شعراء طيء الجاهليين ، الذين اتفقت أعمال اللغويين ، بلا خلاف ، على صحة لغتهم . وقد اشتركت لهجة طيء مع لغة الحجاز بملامحها الخاصة الفارقة ، فذو الطائية (فقرة v الآتية) قد عرفت بأنها تنوع مكاني في العربية الصحيحة .

e- ٥ – يقول ابن القوطية (Libro, deiverbi,p.5) إن طيئاً لديها توسع في اللغات ؛ مما يعني إمّا وفرة من اللهجات ، أو وفرة من الملامح اللهجية المميزة ، ومن الصعب استخلاص شيء ذي بال من هذا الخبر دون سياقه .

f- ٦ – إنَّ وصفاً عاماً للهجة طيء يختفي وراء مفردة القُطعة . وقد ورد هذا في اللسان (١٥٩/١٠) للإشارة إلى نزعة للقطع الصارم في الكلمات عند النداء كما في : يا أَبا الحكَ في : «يا أَبا الحَكم» . مثل هذا الترخيم وجد في شعر جميع القبائل ؛ ولا يوجد في شعر طيء ، مما يُشعِر بنزعة مشيرة للانتباه في هذا الاتجاه . ولم تَرِد مثل هذه الصيغة في شعر أيٍّ من شعراء طيء ، على الأقل عن طريق اللغويين ، وكذلك في غير النداء . وعليه سيذكر اللسان (١٦٢/٢٠) المنا في «المنازلُ» في بيت شعر للأخطل[3] ، وكذلك الحَما في الحمامة في بيت شعر للعجّاج . وأكثر

---

(١) في كتابه الألفاظ والحروف مما اقتبسه السيوطي في الاقتراح (حيدر أباد ص ١٩) ، ورأيه في هذه القضية طريف ، سيما أن بعضهم لم يعتبره لغوياً ، ولم يعط صفة صحة اللغة إلاّ لبعض طيء .

(٢) يبدو أن المؤلف قد أخذ بيانه من السيوطي الذي ذكر بعض طيء ، من ناحية ، وذكرها في آخر القائمة ، مع أن نص الفارابي ذكر القبيلة باسمها دون كلمة بعض ، وذكرها قبل هذيل كما في ص١٤٧ من نص كتاب الحروف كما أثبته المحقق محسن مهدي (دار المشرق ، بيروت ١٩٦٨) ، وليس الألفاظ والحروف كما في المزهر أو الاقتراح للسيوطي . (المترجم) .

(٣) وهو كما جاء في اللسان مادة نزل :

أَمْسَتْ مناها بأرضٍ ما يبلّغها بصاحب الهم إلا الجسرةُ الأُجُد . (المترجم)

من ذلك ما يضيفه اللسان إلى العبارة بأنّ القُطعة كالعنعنة في لهجة تميم . والعنعنة عند النحاة هي نزعة إلى قلب الألف عيناً ، ومن المحتمل أنها تشير إلى أكثر من ملمح صوتي (انظر : فصل ٨- فقرة q) وبما يلاحظ في عامية شمّر في أيامنا النزوع إلى حذف التاء والميم والنون واللام والراء والياء ، والتخفيف منها في آخر الكلمة ، (Cantineau, parlers,p.230 ، وهكذا تفقد كثير من الكلمات مما في أواخرها من الصوامت . ومثل هذا الأسلوب يستحسن أن يسمى «القطع» . وربما لا يكون من قبيل الصدفة أن المثال الذي ضربه اللسان ينتهي بالميم . ويمكن لهذا الملمح أن يأخذ دوراً في شرح التطوُّر الذي سيأتي وصفه في الفقرة z الآتية . وإن العامية اليمنية قد تخففت من الميم والنون واللام في أواخر الكلمات (Rossi, RSO, xvii,236) ، وربما نحن هنا في مواجهة ملمح آخر شائع في غرب الجزيرة العربية[1] . وهناك صعوبة تتمثل في فهم كيفية تقييد القُطعة مع تاء التأنيث (انظر فقرة y الآتية) .

g- ٧ - ولا يوجد أي دليل في لهجة طيء على أنها تشارك اللهجات العربية الشرقية في نزوعها إلى إسقاط الصوائت القصيرة ، والميل إلى المماثلة ، والتوافق الحركي ؛ على تميّز النبر في العربية الشرقية (انظر الفصل ١٠/ فقرة m) وفي الواقع فإن هذه النزعات أضعف في لهجة أسد ، أقرب الجيران إلى طيء ، من لهجة تميم مثلاً . ولا توجد أمثلة على إسقاط الصوائت لتسجيلها في هذه اللهجة . وما زال غياب هذه الملامح يتناسب تماماً مع الصفة العامة للعربية الغربية في لهجة طيء[2] .

h- ٨ - إن الوحدة الصوتية الصغرى للكلمة في لهجة طيء قد جاء في عبارة الطائي ، قيل

---

(١) ويذكر إبراهيم أنيس في كتابه اللهجات ص٧ قائمة بالمناطق المصرية التي تخفف لهجاتها في الوقف من أواخرها الصامتة ، وحبذا لو كان هناك تصنيف آخر ، ولكن هذا الملمح يتوافق إلى حد كبير مع الصفة العربية الغربية في العامية المصرية .

(٢) ويستشهد كوفلر بمثال على التوافق الحركي : (Wzkm,xlviii,264) سُدُوس الطائية في مقابل سَدُوس اليمنية (اللسان ٧/٤١٠) ، ولكن هذا اسم لعشيرة تشكلت مستقلة في كل منطقة ، وليست كلمة للدلالة على العباءة كما يعتقد كوفلر .

إنّه حاتم الطائي (حاتم/ ٣) : لا أرسو ولا أَتَمَعْدَدُ[١] . ويعني ذلك عند الشرح : لا أقول : زَقَرْ في صَقَر ، والزّراط في الصراط ولا أنوي أن أكون من مَعَدّ . إنَّ نطق الزاي بدلاً من السين بجوار- وليس التّماس والاتّصال المباشر- المفخم هو من خصائص لهجة كلب (الزمخشري ، المفصّل : ص١٧٧ ، اللسان ٣٧/٦) . ويوجد التغيير نفسه تماماً في عامية تدمر وهي منطقة كلب القديمة ، حيث تنطق كلمة سقف : زقفاً ، وسقيفة زقيفة . حتى الصاد في الكلمة البدوية المقترضة : جَمَصْ (الجيم= قاف) تصير : «جَمَزْ» (بمعنى العَدْو) ومع ذكر القاف ، من ناحية أخرى ، الزاي تصير سيناً كما في : سُقاق في زُقَاق (كانتينو ، لهجة تدمر ، ص٥٠ وما بعدها) . إن مؤشراً لتوضيح هذه الظاهرة يأتي من عامية بلدة أردنية هي الصّلط (السّلط) ففي جوار الأصوات المفخمة يظهر الخلط بين السين والزاي والصاد في مثل : الزّراط ، السراط ، والصّراط ، وزَقَر ، وسَقَر ، وصَقَر . . .الخ (Littmann, volk-sposie,p.4) والاعتماد هنا على النزعة الصوتية ، التي لاحظها جيداً كانتينو في تدمر والصحراء السورية (اللهجة العربية في تدمر ، ص ٣٩ وما بعدها) وهي التي تقوم عليها الكلمة سواء أكانت مفخمة أم غير مفخّمة ، وفي الحالة الأولى تتحوّل الصوامت كلها إلى التفخيم (مثل هذه اللهجات لديها طاقم من الصوامت[٢] المفخمة تغطي مواضع النطق كلها) . وقد أعطت هذه في لهجة بني العنبر بروزاً لصيغ مثل : الصوق في السوق ، وصويق في سويق (ابن السكيت ، القلب ، ص ٤٢ ، الجمهرة ٤٤/٣) . والصيغة الأخيرة سُجّلت أيضاً لبني عمرو بن تميم (يونس ، اقتباس ابن سلاّم ، الطبقات ، ص١٢) .

وفي الحقيقة إن مثل هذه الصيغ قد أخذت مدى واسع الانتشار ، للبرهنة على الاستعمال الواسع للصراط في السراط ، وهو من أصل لاتيني هو .Strata ويقرّر الخليل (القسطلاني ٣/٤) أنه في العربية الصحيحة كل صاد مسبوقة بالقاف في الكلمة عينها ،

---

(١) المأخوذ من قول الشاعر :

إلههم ربي وربي إلههم　　　فأقسمت لا أرسو ولا أَتَمعْدَدُ

أي لا يلفظ الصاد والسين زاياً ، وهذا القول يتناقض مع ما نقل عن حاتم عندما أُسِر وطلب منه أن يُفْصَد ، أي يذبح ، قال : «هكذا فَزْدي أنَهْ ، يريد فصدي أنا» . (المترجم)

(٢) يميّز كانتينو (حوران ، ص ٨٦) بين هذه الأصوات المفخّمة والمفخّمات حقاً .

يمكن أن تستبدل سيناً . وفي لهجة كلب يأخذ عامل آخر دوره وهو : إنّ الصاد كانت صوتاً مجهوراً[١] . وقد برهن على وجود الصاد المجهورة ابن خالويه (الرافعي ، التاريخ ، ١٠٩/١) . إن السين التي أصبحت مفخمة في هذه اللهجة قد تكون في الوقت نفسه اكتسبت الجهر ، وتستوقفنا هنا بعض النقاط في هذا المجال نحو : لِمَ تضركَتْ هذه النزعة أثرها في السين دون غيرها من الصوامت؟ ولماذا ، على الأقل عند اللغويين ، عملت مع القاف دون غيرها من الأصوات المفخّمة؟ وأخيراً ، فإن الصاد التي كانت مجهورة في لهجة كلب تحوّلت إلى صوت مهموس في استعمال العاميات الحديثة في تلك المنطقة . ثم لِمَ هذه الزاي التي أوجدها تفخيم السين ، فقدت صفة التفخيم ، ولم تفقد جهرها ، وعليه تمّ انفصالها عن الصاد القديمة؟ ومهما كانت الأجوبة على هذه التساؤلات فإن هناك قليلاً من الشك في أن تغيير الصوت مرتبط في معظمه بالكلمة التي أوجدها النبر الزفيري ، وأنْ غيابها من لهجة طيء القديمة ذو دلالة[٢] .

i- ٩ - في الوقت الذي لا نعرف فيها شيئاً عن الصوائت البسيطة في اللهجة ، فقد علمنا ما فيه الكفاية عن التغير الصوتي في الكسرة والياء والفتحة (ـِيَ) إلى الألف ā وبلا شك فإن السبب الرئيس لذلك هو أن شعراء طيء قد استعملوا مثل هذه الصيغة ولا يمكن تقديره صحيحاً من أجل البحر الشعري . ويذكر سيبويه

---

(١) إن صوت الظاء كان في العربية القديمة ، طبعاً ، هو الذال المفخمة كما هو مطلوب في التجويد ، وليست هي الزاي المفخمة في اللهجة المصرية المعاصرة . ويمكننا الملاحظة هنا أنه في العربية القديمة كل صامت مفخم يقابل زوجاً من الأصوات غير المفخمة ، أحدهما مجهور والآخر مهموس : فالطاء يقابلها التاء والدال ، والصاد يقابلها السين والزاي ، والظاء يقابلها الثاء والذال ، ومن المحتمل الضاد يقابلها الشين واللام (انظر فصل ٤/ m) وليس من دلالة صوتية سواء في الصوت المفخم بالجهر وعدمه ، ولهذا يمكن أن تكون الطاء صوتاً مجهوراً في العامية اليمنية الحديثة ، والقاف مجهورة في معظم العاميات البدوية (انظر المناقشة بالتفصيل من كانتينو ، . (BSL,xliii,lll-12)

(٢) إن عمليات مشابهة قد تشرح حقيقة أن «سينقُ الآشورية (بمعنى السلاسل) . قد صارت في العبرية والآرامية «زِقيم» و«زِنّقَا» . وإذا كانت سينقُ شقيقة العربية «ضَنْك» والعبرية «صينُوق» (بمعنى السجن) ، لا بدّ أن يكون لدينا الأنواع الثلاثة من الإبدال . وربما تكون شقيقتها العربية هي «شَنَق» .

(٣١٧/٢) رُضَى[١] في رُضِيَ ، ونُهَى في نُهِيَ مما تتيحه وتسمح به العربية الفصحى ، ولا نعرف مدى ارتباطها بلهجة طيء . والأمثلة عديدة جداً تفوق الحصر كاملة مثل : رُضَى في بيت شعر لزيد الخيل[٢] تضمنه القافية (الجمهرة ١٤٣/٢) ، وَلَى في وَلِيَ (المفضليات ص٧٦٧) ، وبَقَى في بَقِيَ في بيت لزيد الخيل أيضاً (JRAS,1907,.P.859) ، ورضَى في رَضِيَ (شرح الحماسة ، ص٧٧)[٣] . وقد حصل تقصير للألف مع المؤنث في بُنَتْ[٤] ، في بيت لشاعر طائي مجهول (الحماسة ، ص٧٧) ، وبَقَتْ (الصحاح ، ٤٤٨/٢) . ويحدث التغيير نفسه في اسم الفاعل المؤنث ، وصيغ أسماء الفاعلين نحو : خاظاةٌ ، في خاظِيةٌ[٥] مؤنث خاظ (اللسان ٢٥٤/١٨) ، وناصاة في ناصيةٌ .

وفي عبرية المشناة «نوصاه»[٦] (بمعنى الشعر ، وتحت) ، (أبو عبيد ، الغريب المصنّف اقتباس السيوطي ، في المزهر ١٤١/١ ، ابن سيده في اللسان ٢٠٠/٢٠ مع شاهد لحريث ابن عَنَّاب)[٧] . وبَداةٌ وقَراةٌ «سكان البادية والقرية» ، (اللسان ٣٨/٢٠ ، ٢٠٠) ؛ وجاراةٌ في جاريةٌ (الفراء ، اللسان : ٢٦٨/٢٠) . ومن غير أسماء الأفعال أَعْرِفُ مثالاً واحداً وهو : تَوْصاة

---

(١) الحركة الناتجة من هذا الاختصار ترسم في مصادرنا أحياناً ألفاً مقصورة ، وأحياناً ألفاً قائمة ، وما دامت الألف المقصورة تنطق في هذه اللهجة ـَي ـ ai ، بالإضافة إلى أسباب أخرى وهي مؤكدة تطبيقاً بأن الألف هي الشكل الصحيح وتكتب مقصورة قياساً على بنى وما شابهها . وسأكتب الألف فيما سيأتي هكذا ؟ .

(٢) جاء في الكتاب ١٨٨/٤ : أفي كلِّ عامٍ مَأْتَمٌ تبعثونه على مِحْمَرٍ ثَوَّبْتُموه وما رُضَا . (المترجم)

(٣) هناك مثال دال على كيفية تخلص اللغويين من الصيغ اللهجية وهو بيت شعر في الجمهرة ٣٢/١ فيه كلمة سُقَى . وفي اللسان ٤٦٥/١ أعيدت صياغة البيت بحيث ظهرت سَقى بدلاً من سُقَى .

(٤) في الحماسة ١٠١/١ قال بعض بني بوْلان من طيء :

نستوقد النَّبْلَ بالحضيض ونصـ ـطاد نفوساً بُنَتْ على الكَرَمِ (المترجم)

(٥) وهي المكتنزة من كل شيء . (اللسان مادة خظا) .

(٦) انظر : مشناة حُولين ٤/٣ ، والتلمود البابلي : شبّث (وجه ٨٢ ب) وفي عبرية الكتاب المقدّس الكلمة تعني «ريش الجناح» والجذر (ن ص ي) له صلة بالطبع بالجذر العبري (ن ص ص) والترجوم الآرامي ن ي ص (ينبت) .

(٧) والبيت الذي قصده لعنّاب الطائي :

لقد آذَنَتْ أهلَ اليمامة طيءٌ بحرب كناصاةِ الحِصان المشهَّرِ . (المترجم)

في توصِيةٌ ، مصدر للتصريف الثاني (الفراء ، المرجع السابق) ، يمكننا أن نضم إلى ما سبق «أوداة» المذكورة في الفقرة a آنفاً .

k- ١٠ - والصيغ من هذا النمط ليست محصورة بأي حال بلهجة طيء وحدها ، وقد ورد هذا بإجمال عند ابن سلام (الطبقات ، ص١٢) : بَقَى وفَنَى ، وهما لغتان لطيء ، وقد تكلمت بهما العرب ، وهما في لغة طيء أكثر . وإننا في شك كبير إذا كان باستطاعتنا الموافقة على هذا الإجمالي ، ومن المثير للعجب أن نجد التغيير نفسه في صيغ تكلّم بها شعراء من مُزَيْنة ، جيران طيء ، كذلك عُدَّت من بين قضاعة . وقد جاء على لسان معن بن أوس «أَخْلَى» (شوارتز ١/٥)[1] . كذلك استعمل زهير «فنى»[2] (ابن سلام ، الطبقات ، ص١٢) . وقد يَكونُ للهجة مُزَيْنة نصيب من التطوّر الصوتي نفسه وبما أننا لم نسمع قط بأن تغيير هذا الصوت قد حدث في لهجة قيس أو في نجد ، وإنه لأمر يثير العجب إذا ما وجدنا صيغاً مشابهة في أعمال الشعراء من الطرف الآخر لنجد .

وعليه فإن طفيلاً الغنوي قد استعمل نُهَى[3] (سيبويه ٣١٧/٢ ، وليس في الديوان) ، وفَنَى (JRAS, 1907,P.859). إن امرأ القيس الكندي من أقدم الشعراء المعروفين لدينا ، يذكر في بيت من شعره (٢/٢٩) : «بَنَاة» في مكان بانيَةٌ ، وقد قيل إن هذا الشاعر كان يقضي بعض أوقاته في منطقة طيء ، ومن المحتمل جداً أنه في تلك الفترة كان يلتقط شيئاً من كلامهم الخاص . إن إجماع مصادرنا في عزو هذا التغيير الصوتي إلى طيء يجعل من الصعب الافتراض بأنه كان شائعاً في جميع أنحاء نجد . ولا يبقى لدينا سوى أن نستنتج أنه في بدايات شعر العربية الفصحى عرفت أبنية طيء بأنها من الإبدال اللهجي الذي

---

(١) كذلك بروكلمان (GVG,i,619) الذي كتبها أُخْلَى ، بعكس ما جاء في اللسان (٢٦١/١٨) وفيه أُخْلَى .

(٢) في بيت شعر يقول فيه :

تربَّع صارةً حتى إذا ما فَنَى الدُّحلانُ عنه والإضاء . (المترجم)

(٣) فقد جاءت نُهى في بيت من الشعر هو :

لزجرت قلباً لا يَرِيْعُ إلى الصبا إنّ الغَوِيَّ إذا نُهَى لم يُعْتِبِ . (المترجم)

أما فَنى فهي في بيت شعر له أيضاً هو :

فلما فَنىَ ما في الكنائن ضاربوا إلى القرع من جلد الهجانِ الجوُّب (المترجم)

يمكن استعماله في الرخصة الشعرية ؛ مما يجعل لطيء مكاناً مهماً في ائتلاف العربية القديمة . ويبدو أن التغيير الصوتي نفسه لم يكن محصوراً في طيء ، وقد يكون شائعاً في النصف الشمالي من العربية الغربية[١] . على الأقل فإننا قد عرفنا وبعهدة موثوقة أن التغير قد حصل في لهجة الحَرْث في شمال اليمن (فصل ٧/ d). ويمكن أن يكون التغيير نفسه قد حدث في لغة الحجاز ، ولكنه حلّ محل مثل : بَقِي[٢] (انظر : فصل ١٢/ w)[٣] ، هذا التغيير الصوتي كان شائعاً في شمال غربي الجزيرة العربية ، والكنعانية ، حيث نجد في العبرية : بوناه في بانِية مؤنث بونهْ في بانِيُ .

وهذا التغير الصوتي يقدّم في رأيي أيضاً ، كحد أدنى ، شرحاً لحقيقة أن الفعل الماضي للمفرد المذكر الغائب لا يمثله في العبرية الفعل المتوقّع : بانو من بَنَى بل الفعل باناه الذي ورد في حروف تل العمارنة : قَبَا (قال) ، لَقَى (أخذ) . ومع بقية الأشخاص فإن الأفعال الثلاثية (يُذ- yodh) حيث توجد في العبرية في جميع الأفعال المتصرفة بعد النمط الحيادي ، وهي موجودة كذلك في تل العمارنة : بَنِت ، لَقِت (Bohl,sprach der Amarna,p.47) ، ولا نملك إجابة على السبب الذي يجعل المفردَ الغائبَ وحده يمتلك الصيغة الأكثر دوراناً في كل الأفعال . إذا صارت بَنِيَ بَنَى بعد التغيير ، والتمثيل لها بـ a > o ، يكون من السهل أن نحسب حساب الألف النهائية في الصيغة . ويبدو لي أن هذا الشرح يقدّم بعض الفوائد في مقابل تلك التي تقوم على القياس في كتب النحو . من أجل تفصيلات أكثر للجانب العبري من هذه المشكلة ، انظر المليلاه ٢/ ٧٤٢ وما بعدها . وفي العبرية أيضاً صيغ ترد أحياناً باليُوذ- الصامتة نحو : بوخِياه (Thr.,I,16)[٤] وهذه قد تكون بالنسبة للقياس ، ويمكن أيضاً أن تمثّل استعمال قسم من المنطقة الناطقة بالعبرية ، التي لم يحصل فيها تغيير للصوت ، أو

---

(١) وإنه بالنسبة لوجهة نظرنا إن الألف في الصيغ كلها قد حلّت محل الكسرة والياء والفتحة ، في المغرب حيث تأثير العربية الغربية قوي ، وقد يكون قد امتد إلى مصر ، والعراق وإسبانيا وهي لهجات فيها الكثير من عناصر العربية الغربية (بروكلمان : GVG,I,621)

(٢) وليس بَقِيَ . (المترجم)

(٣) وعلى قدر علمي لم يعرض هذا التغيير الصوتي في الصيغ الاسمية ، في أي نص حجازي الأصل ، ولكنه لا يفصح بجلاء أن مثل هذه الصيغ لم يستعمل في اللهجة .

(٤) في العبرية : حاساياه (انظر فقرة cc القادمة) .

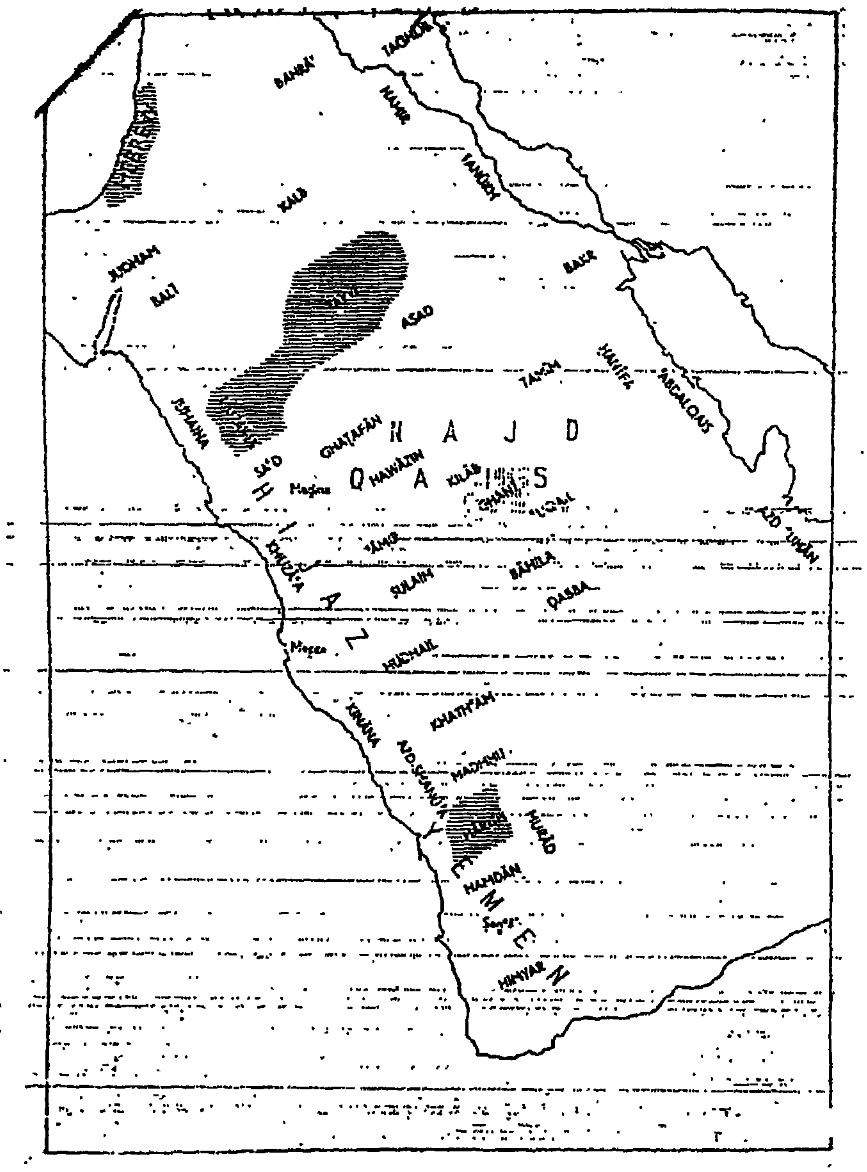
للعنصر غير الكنعاني ؛ إذا وافقنا على الفكرة التي ترى في العبرية مزيجاً من لغات عدة .

على أي حال فإن التغيير مؤرخ في الكنعانية ، في ماضي المفرد المذكر الغائب وفي اسم الفاعل المؤنث ، ولا بد أن يكون قد حصل بعد التوقّف عن أول تغيير للألف إلى ألف ممالة (انظر : فصل ١٠/ فقرة s) ، وبالتأكيد بعد أن بدأت كل من العربية الغربية والكنعانية بالبروز باعتبارهما لغتين منفصلتين . وعليه يجب أن نتوقع أن ذلك القسم على الأقل من العربية الغربية بقي على احتكاك كافٍ بالناطقين بالكنعانية بحيث يتأثر بتغيير الصوت الذي حدث في تلك اللغة . وليس هذا هو الموضع الذي يُعمل فيه خارج المفاهيم التاريخية ، خاصة وأنه يحدث في فترة مظلمة من تاريخ العرب (انظر الخارطة رقم ١٨) .

l- ١١ - في تغيير الكسرة والياء والفتحة مجتمعة بالألف يبدو أنها ليست الياء الوحيدة التي تأثرت بوقوعها بين صائتين . وحسب ابن مالك (التسهيل ورقة ٧٧-أ) فإنَّ الياء في آخر المضارع ، إذا كانت مسبوقة بالفتحة ، فإنها تحذف قبل نون التوكيد الثقيلة ، وهذا يعني بوضوح أنَّ ترضَيَنَّ الفعل المؤكد من تَرضَيْنَ ، قد صار تَرضَانَّ . وفي الحقيقة إن المثال الوحيد الذي أعرفه لمثل هذا التغيير هو : لَتُغْنِنَّ في لَتُغْنِيَنَّ ، في بيت من الشعر لحُرَيْث بن عَنَّاب (الشنقيطي ٤٥/٢) فيكون لدينا هنا حالة من تحويل الكسرة والياء والفتحة مجتمعة إلى كسرة طويلة (ياء مدية) مع التقصير في المقطع اللصيق . على كل حال ، إذا كان الافتراض الذي سيأتي فيما بعد في الفقرة dd صحيحاً بحيث يمكن على أساس منه أن تتغير الكسرة الطويلة (الياء المدية) في المضارع من الثلاثي الناقص ، إلى ألف في اللهجة ، فإنَّ الكلمة موضوع حديثنا- يجب أن تُقرأ لتُغْنَنَّ من لَتُغْنِيَنَّ ، مما يُخْرِجُ ابن مالك . ولا تُحسَم صحة الأمر إلاّ بأمثلة أخرى .

m- ١٢ - يقول الفراء (في التاج ٢/٢) في لغة طيء وبعض أسد تقلب الياء المجاورة للعين ، جيماً وآخرون (في اللسان أيضاً ١٤٤/٣) ينسبون هذا التغيير الصوتي إلى قضاعة فقط . والمثال الوحيد على ذلك هو : هذا راعجٌ خرج مَعج ، في : هذا راعيٌّ خرج معي . ومن الملاحظ أنَّ في راعج شبه صائت مُضعَّفاً وهو الياء التي تصير جيماً مضعّفة ، ولا يوجد في معي ياء أبداً (إلا في الكتابة العربية) ولكن الموجود كسرة طويلة تتغيّر إلى كسرة وجيم بصورة ما ، بتأثير من العين .

ويحصل خلط في كل مكان تقريباً بين هذا الملمح وبين تغيير صوتي معهود جيداً في لغة تميم : إيّ- إجّ كما في إجّل في إيَّل ، فُقَيْمجٌ في فُقَيميٌّ «وفُقَيم من حنظلة» (سيبويه



الخارطة رقم ١٨ : نطق الياء المفتوحة المكسور ما قبلها ألفاً (١٤- k)

٣١٤/٢ ، ٣٤٢ ، الصحاح ١٤١/١ ، الخ ، الفصل ٨/ فقرة t) . إن تشديد الياء[1] هذا يمكن أيضاً أن يكون قد حصل في لهجات أقصى الغرب ، ولكنه من المشكوك فيه جداً أن يكون حصول هذا التغيير متعلقاً بوجود العين . ويبدو كأنها مأخوذة من كلمة العَجْعَجَة التي اعتيد إطلاقها على سمة لهجية في لغة قضاعة . في عبارة اللسان قيل إنَّ العجعجة في قضاعة كالعنعنة في تميم ، وهي التي نوقشت آنفاً في فقرة f ، وكما وصف الاصطلاح الأخير الانطباع العام فإن كلام تميم أقيم على ما عابه الجيران ، وخمَّنه اللغويون على أنه يعني التغيير من أنْ إلى عَنْ ، ولذلك لا بد أن تكون العجعجة اصطلاحاً عاماً . وبما أن عجَّ تعني صَرَخ فإنه من الراجح أن يدل ذلك على ما يلفت النظر إلى تنغيم قضاعة ، والفراء هو الوحيد الذي خصَّ طيئاً بهذا الاصطلاح ، وربما كان في ذهنه حقاً تغيير إيّ إلى إجّ ، وخمَّن أنه المقصود بالعجعجة . ويبقى لدينا شك كبير في إمكانية اتخاذ عبارة الفراء دليلاً على أنَّ تغيير إيّ إلى إجّ قد حدث في طيء[2] .

n- ١٣ - يقول الطائيون «حَوْث» في حيث (اللحياني في اللسان ٤٤٤/٢ ، ابن هشام ، المغني ٦١١/١) ، وفي بعض المصادر قيل إن الصيغة تميمية ، ويقولون : أُوتُق في أَيْنُق (الصفدي ، شرح اللامية : ١٤/٢) . وفي اللهجة ما يغاير ذلك نحو : مَحَيْتُ في مَحَوْتُ (اللسان ٩٣١/٠٢) ولا نستطيع أنْ نستخلص من هذا بأن الناقص الواوي والناقص اليائي قد تساويا في هذه اللهجة ، كما يحصل معهما في العبرية . ولا أنه قد حصل خلط بين -َيْ و-َو (ai وau) . وصيغة حَوْث ، كغيرها من التغييرات غير المنتظمة مع الواو والياء ، توجد في لغة الحجاز (انظر فصل ١١ ، فقرة i) وانظر حُبْلَوْ في حُبْلى في فقرة eeالقادمة .

o- ١٤ - إن هناك أمثلة مختلفة من إبدال الباء من الميم ، وعكسه تنسب إلى هذه اللهجة .

---

(١) ومن الصعب جداً إثبات أن الياء والجيم متقاربان جداً في النطق ، انظر الإسبانيتين : جُ=يُ «١» ، والألمانية الشمالية ثُيَ=جَ «نعم» ، وفي الساميات : رِجِيم= رِيِيم «عال» الخ . . ، وفي لهجة مَسُّوَ من النيجرِيَّة-Litt (mann,ZASS,xiii,149وتبدو بعض اللهجات العربية غير المعروفة كالتُّجرية في تغيير شبه الصائت «الياء المفردة» ، جيماً . ويقتبس ابن يعيش ص ١٣٩٠ من أبي زيد بيتاً لشاعر مجهول : حتى إذا أَمْسَجَتْ وأَمْسَجا . في أمست ، وأمسَيَ . إن الياء المصمتة ، التي لا بد أن تكون قد وجدت في أَمْسَيَتْ في وقت ما ، ليست هي نفسها التي في طيء في مثل : لَقِيَتْ (انظر ccالآتي) ولكنها تذكّر بالعربية الجنوبية .

(٢) عن صوت الجيم في طيء ، انظر الملاحظة في الفقرة /iالفصل الرابع .

فقد قالوا : حَبَلْتُ في حَمَلْتُ (الميداني ، اقتباس فريتاج Einführung,p.98) ، ومَجَحَ في بَجَحَ (براو في دائرة المعارف الإسلامية ٢٦٤/٤)(١) . والخلط نفسه ، وهو أكثر شيوعاً ، قد نُسب إلى بكر أو إلى مازن بن بكر (من الفاسي في التاج ١٤٢/١) ، وشكّل موضوعاً للنوادر (الأغاني : ١٣٦/٨) . وهي في العربية الجنوبية (كما في : بِنْ في مِنْ) ، وفي الحميرية (Praetorius, Amb,.spr.p.57) ، وفي عبرية المشناه (Segal, Diqdüq leshon ha-Mishnah,p.38) ، في مثل : .yabhneh وقد أعدَّ كوفلر (wzkm,xlvii,71) قائمة من الأمثلة في العربية ، دون تخصيصها بأيٍّ من اللهجات . وقد يكون التغيير ليس لهجياً ، وبالتأكيد لم يجر نقله بطريقة واحدة في أي لهجة . وبعلاقتها الخاصة بمازن بن بكر يمكن أن تكون قد اشتُقَّتْ من استخدامهم المخالفة في : باسْمُكَ؟ بدلاً من ما اسمك؟ وإنه قد سُمع في صنعاء في أيامنا هذه بِسْمَك (Rossi,San'a,p.8).

p- ١٥ - يقول اللغويون العرب إنهم في طيء يقولون طَسْتُ في طسٌ (الفراء في الصحاح ١٢٤/١) ، ولَصْتُ في لَصٌ (السابق ، واللحياني في اللسان ٣٥٦/٨) أي يقلبون السين والصاد الثانيتين تاءً . والصيغة الأخيرة(٢) استعملت عند بعض أهل المدينة . وبالطبع لا يوجد تغيير صوتي هنا ، ولكن الصيغتين قريبتان من الكلمتين الأصليتين في اللغات التي اقترضت منها : دَسْت الفارسية وليستيس Lestes اليونانية . وهما في لغة طيء من الصيغ المهجورة أكثر من كونها شواهد على الوقت الذي كانت فيه القبيلة على اتصال مباشر بغير العرب .

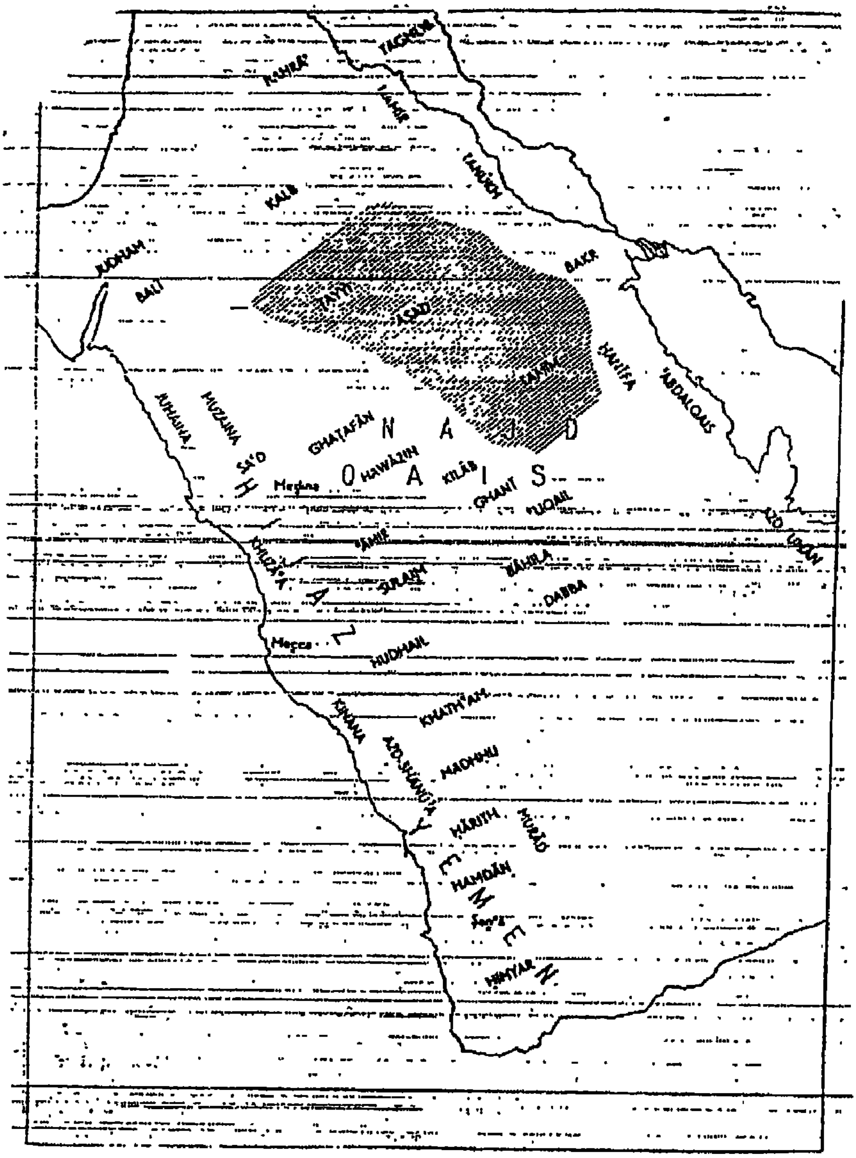
q- ١٦ - هناك بعض الأمثلة على تغيّر العين إلى ألف . ويذكر الفراء (اقتباس ابن السكيت في القلب ، ص٢٤) أنه النهج العام للهجة ، ويضرب أمثلة نحو : دأني (دَغْني) ، تَألى اللهُ (تَعالى الله)(٣) ، وليس لدى الأزهري علم (التاج ١٢/١٠) عن هذا التغيير في لغة طيء . ويعزو أأَدَ (ساعد) وما شابهها إلى لغة الحجاز . والشاهد الذي يسوقه يحتوي على : يُؤْديهم للطرمّاح الشاعر الطائي (٤٨/٨) . وقد

---

(١) ورد في اللسان ٣/ ٤٢٥ : مجّاح (بمعنى من يتفاخر بما لا يملك ، يمانية) . (المترجم)

(٢) أي لَصْتَ في لصّ . (المترجم)

(٣) ربما يقصد تعالى الله لأنه ترجمها إلى الإنجليزية بهذا المعنى . (المترجم)



الخريطة رقم ١٩ : نطق الياء المشدّده جيماً مشدّدة (١٤ – m)

وجدنا أنهم في الحجاز وغيرها ينزعون من العين صفتها الحلقية[1] (فصل ١١/ e) ، ويجعلونها ملمحاً نموذجياً للعربية الغربية ، ولا توجد معلومات مقبولة عما حدث للحاء في اللهجة .

r- ١٧ - نزع حلقية العين قد يكون بنطقها همزة أو بإخفائها اعتماداً بالطبع على الهمزة الأصلية في اللهجة . وفي هذا يقول الأزهري (التصريح من اقتباس هُول ٨٢٤/٤) إنّ بعض القبيلة ينطقون الهمزة ، وبعضهم الآخر لا يفعلون ذلك . ويُشَكّ في أن يكون هذا الخبر هو خلاصة الملاحظات التي نقلناها آنفاً ، الأدلة غير المباشرة متناقضة .

فمن ناحية واخى في أخى (Nashwan, Extracts,p,114) نفرض مقدّماً حذف الهمزة نصف الصائتة (انظر فصل ١١/ f f). ومن ناحية أخرى في سُؤْدَد من سودَد (ابن دريد ، الاشتقاق ، ص١٣٠) همزة ليست من الجذر . إقحام مثل هذه الهمزة كان من ملامح لهجة كلب المجاورة لقضاعة ؛ حيث يقال دأبّة في دابّة وشأبّة في شابّة (أبو زيد في اللسان ١٤/١ ، ابن يعيش ، ص ١٣٢٦) . ورمز الهمزة هناك ليس بالضرورة أن يمثل الوقفة الحنجرية ، ولكن يمكن أن تكون دليلاً على مقطع شديد مزدوج نشأ من صعوبة نطق صائت طويل في مقطع مغلق . وهذا السبب الصوتي لظهور الألف لا ينطبق على سودد . ويمكننا مقارنة هذا بظاهرة وجدها رودوكناكس Rhodokanakis في عامية ظُفار (ظفار ٨٩/٢) .

إن كلمة مثل شاجَع يمكن أن تُلفظ اختياراً شاءَجَع والسبب الذي يقف وراء تطور هذا المقطع الشديد المزدوج هو الرغبة في الاحتفاظ بطول الألف (الفتحة الطويلة) إزاء النزوع إلى تقصير الصائت الطويل غير المنبور . إذا كان هذا هو التفسير لسُؤْدَد الطائية فعليه لا بد أن يكون من الضروري أن نفترض بأنَّ الكلمة المنبورة هي (سوءْدَدُ) وليست سودَدُ التي في العربية الفصحى . ويوجد عدد كافٍ من المعطيات تفترض إدراج الهمزة غير المحققة في مقاطع طويلة حتى في المواضع التي لا يُمكن افتراض التناوب النبري فيها .

(١) ربما يقصد أنهم ينطقونها همزة بمعنى أنهم يعطونها صفة مخرجية أخرى وهي الحنجرية . (المترجم)

بلغنا أنّ كلمة «ساق» تنطق في لهجة كَبْعَز «سَأْقاً» (المخصص ، ٥٢/٢)[١] ، ونصُّ اللسان (٣٥/٧) الذي يتضمن هذه الصيغة يبدو أنه محرّف ، للأسف ، ومن الواضح أنها لهجة خاصة . في النص بيت من الشعر لجرير (لم أُحقّقه) مستشهد به على الشكل الآتي : أَحَبُّ المؤْقدان (انظر : فصل f /٧) إليك موسى[٢] . وفي الآية ٥٠ من سورة النجم قرأ نافع وأبو عمرو : عاداً الُألَى بدلاً من «عاداً الأُولى» (البيضاوي) . ويقول البيضاوي (١٨٧/٢) عن السُّؤْق في السُّوق بأن الهمز بسبب الضمّ[٣] الذي يسبقها ، أي إن الميل إلى إبدال الصوائت الطويلة بصائت قصير وهمزة كان من أكثر المنطوق بالضمة الطويلة . على كل حال ، في لهجة صنعاء ، التي تظهر فيها هذه النزعة ، يكون المنطوق بالألف (الفتحة الطويلة) وليس بالضمة نحو : مَألُ في مال (Rossi, ROS, xvii,234). ويبدو أن ما ورد من قبيل ظاهرة التنغيم . وهذا يذكّر بالدنماركية واللاتفية حيث تحل الهمزة محل نغمات معينة في اللهجات الشقيقة .

s- ١٨ – يزعم ابن السكيت (اقتباس الرافعي ، التاريخ ١٣٨/١) أن الهمزة تُبدل هاء في لغة طيء ومن الأمثلة التي ضربها : هِنْ في إنْ ، ولهنَّك في لأنّك . ولكنها لا تعزى إلى الطائيين (قطرب في اللسان ١٧٨/٦١ ، الزمخشري ، المفصل ، ص١٧٥) . والمثال الثاني ذكره سيبويه (في اللسان ١٧٣/٦١) مع ملاحظة طريفة هي : «وليس كل العرب تتكلم بها» . ومن الصعب القول هنا أننا نتكلم عن تغيّر صوتي . إن الكلمة التي تعني إذا ، تبدأ بالهاء في الأوجاريتية (Gordon, Grammer,p.91) ، وفي الآرامية البابلية ، والمينائية والقتبانية ، الكلمة التي تقابل إنّ العربية هي هِنّه في العبرية . ويبدو أن توزيع الصيغ بالألف والهاء بين اللغات المختلفة لا يقوم على مبدأ واحد منظم . ولكنه من الطريف أن نرى لهجة طيء

---

(١) وقد قرأ ابن كثير المكي في الآية ٤٥٤ من سورة النمل : «عن سَأْقَيْها» في «ساقيها» ، والآية ٣٣ من سورة ص : «بالسُّؤْق» في «بالسُّوق» (وقرأ أبو عمرو بن العلاء بالسُّؤُوق» ، والآية ٢٩ من سورة الفتح : «على سُؤْقه» . ولا يوجد مطلقاً سَأْق في ساق . ويظن البيضاوي أن الهمزة في سُؤق بسب الضمة الطويلة (الواو المدية) ، ومن ثم انتقلت إلى سَأْقَيْها . وشُوْق في العبرية لا يلاحظ فيها وجود للألف .

(٢) جاء في اللسان ٣١٥/١٥ : بلغنا أن العجاج الضبّي قال : عَأْلَمٌ في «عالَمٌ» وخَأْتَمٌ في «خاتمٌ» ولكن رؤبة ولده لا يشاركه هذا النطق . وربما يكون هذا من غرائب أو شذوذ قدامى الناطقين للهجة ضبّة .

(٣) ربما يقصد الضم وهو الأَوْلى ، أي الضمة الطويلة في السين . (المترجم)

تتفق في هذا الجانب مع اللغات السامية الشمالية .

t- ١٩ - إن الضمير المتصل للمفردة المؤنثة الغائبة في الوقف هو الهاء الساكنة المفتوح ما قبلها -َهـ ، وفي الوصل : ها (الجمهرة : ٢٣٤/١) . والشاهد لعامر بن جُوَيْن وهو :

فلم أرَ مثلَها خُباثةَ واجد[(١)]
ونَهْنَهْتُ نفسي بعدما كِدتُ أفْعَلَهْ

وصيغة مثلها لا تشوبها شائبة بضمان البحر الشعري «الطويل» . إن توزيع الصيغتين يعزّز نظرية بروكلمان (GVG,i,312) من أنّ- اه- ah العبرية ، في الأصل للوقف ومن العاميات الحديثة في شمال غرب الجزيرة ، احتفظت التجمعات البدوية الصغيرة بـ : هـَ .

ما شمّر والبدو الرُحّل لديهم -َهـ- -ah ، في حين أن قسماً من الخوالد الذين يعيشون في الأردن لديهم -ِهـ- -ah بعد الصامت ، وها بعد الصائت (Cantineau, parlers,p.78,182) . أولئك البدو ، الذين نعتبرهم أكثر التصاقاً بطيء ، قد ورثوا صيغة الوقف القديمة . في نقش النمارة : العرب كله[(٢)] أي كل العرب تعني بوضوح : العَرَب كُلُّهْ .

u- ٢٠ - إن اسم الإشارة للمؤنث في طيء هو : تاء ، وليست «هذه» العربية الشرقية (انظر فصل ١٢ ، فقرة f) واستعملت تا كذلك في أجزاء أخرى من الجزيرة العربية وقد صرّح بنسبتها إلى طيء أبو عبيد (من اقتباس فريتاج : Einleitung,p.100) ومن الجدير بالملاحظة أن كاتب نقش النمارة قد استخدم : تِي أوتَيْ وليس تا .

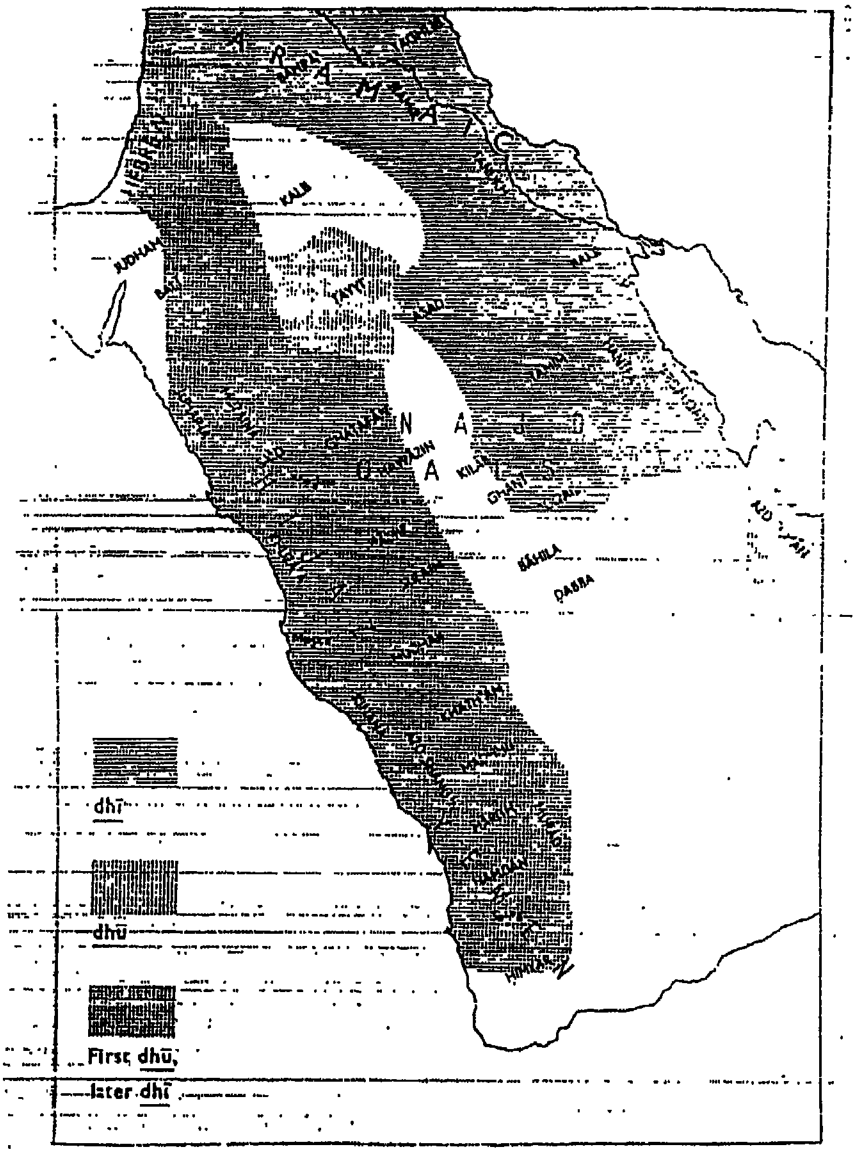
v- ٢١ - إن اسم الموصول في اللهجة هو : ذو . وأقدم من ذكر ذلك هو الفراء (في اللسان ٣٤٨/٢٠) ، وممن أصغر منه بقليل السجستاني (الرافعي ، التاريخ ١٤٠/١) ، وفي حين يقرر السجستاني وابن مالك (التسهيل ورقة ١١ ب) ومعظم اللغويين (انظر الأستراباذي ، شرح الكافية ٤١/٢) أن «ذو» تستعمل للمفرد والمثنى والجمع ، وللتذكير والتأنيث ، وفي كل الحالات الإعرابية[(٣)] ، فإن غيرهم يثبتون تصريفها

---

(١) صححت ما وقع في الجمهرة من خطأ بكتابتها خُبَّاسة ، والسيوطي (في شرح شواهد المغني) يذكر خُبَاسة وكل النصوص بما فيها سيبويه ١٢٩/١ فيها خُبَاسة واحدٍ ، مما يترك الشطر الثاني في مهب الريح .

(٢) دون حركات في النقش . (المترجم)

(٣) وجدنا الطائيين يستعملون «ذو» الجر ، في الشعر ، في الحماسة ، ص٥١٥ سطر ٦ . وفي النثر (انظر : المرجع السابق ، ص١٤٨ سطر٢٠) (لعله يعني شرح الكافية هنا) .



الخريطة رقم ٢٠ : استعمال اسم الموصول ذو

جزئياً أو كلياً ويجعلونها أشبه بـ«ذو» المُلْكية[1] . ويخبر الفراء عن متسوِّل في جامع الكوفة أنَّه استعمل «ذاتُ» للمفردة المؤنثة (هُول ١/٥٨٨) ، ويستشهد ببيت من الشعر لرؤبة التميمي (الملحق ١/٧٠) فيه «ذوات» لجمع المؤنث (اللسان ٢٠/٣٤٨) ، ويفترض أن أجزاء مختلفة من طيء ربما يكون لديها استعمالات مختلفة في هذا المجال ، مثل الشاهد الذي ورد في الاختيارات النحوية والحقيقة التي تظهر لي أنَّ «ذو» الأصلية قد استخدمت لكل من التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع ، كالعبرية «زو» المناظرة لها . ومع مرور الوقت سقطت من الاستعمال واختلطت بـ«ذو» المُلْكية ، بنفس الطريقة التي هُجِرت فيها «زو» العبرية ، واختلطت بـ«زه» بمعنى هذه ، (انظر : بارث -Pronominal bil dung,p.153) في نقش النمارة ، استخدمت ذو اسماً موصولاً : ذو أَسَرَ التاجَ . وفي نقش حِجْر ٧٦٢م ، يبدو أن دء- 'd قد استعملت اسماً موصولاً في عبارة : mn y'yr d' 'ly mnh = من يغيِّر ذا (؟) عَلِيَّ منه . (فوق الأرض أو عليها : انظر : (Lidzbarski,ZASS,Xxii,195) ، وكتبت 'd على أنها اسم إشارة في سطر ٨ ؛ وإذا كنا على صواب فيما قدّمناه ، فإن الخلط نفسه قد حصل هنا كما في العبرية .

w- ٢٢ - إن استعمال «ذو» اسماً موصولاً يقرّب من ربط لهجة طيء على الأقل بالعناصر الأساسية في اللغة العبرية . ما دامت «زو» العبرية لا تستعمل إلا في الشعر ، ومهجورة ، قد يجعلنا نتجرأ ، إذا اتفقنا على نظرية الخلط ، أن نستخرج العنصر غير الكنعاني . الافتراض غير محتمل ، لا بد أنْ تُرَدَّ الصيغة إلى الوراء ، إلى الفترة السابقة على انفصال العربية الغربية واللغات الأخرى . ومهما كان فإن لغة طيء هي الوحيدة من اللهجات العربية الغربية التي تمتلك اسماً موصولاً من هذا النمط .

في الجنوب ظهرت على شكل «ذي» ، الذي من المحتمل أن يكون له صفة ثانوية (انظر فصل ٤/ aa) ، خاصة أن هناك أدلة ما على الوجود السابق لـ «ذو» في عُمان . في العربية الشرقية والوسطى يستعملون (الذي) ، التي تفترض وجود الصيغة المختصرة (ذي) في وقت ما (انظر أيضاً فصل ٢١/ I) . بهذه الطريقة قد تلتقي العربية الشرقية مع الآرامية ، حيث زي= ذي هي أقدم صيغة يمكن الوصول إليها . وبهذا يكون لدينا حدٌّ لهجي بين الكنعانية والآرامية قد استكمل بوضوح في شبه الجزيرة العربية . (انظر : الخريطة رقم ٢٠) .

---

(٢) يقصد : ذو بمعنى صاحب وهي من الأسماء الستة المعهودة في العربية . (المترجم)

x- ٢٣ - إن أداة التعريف أم ، على الطرف الآخر من منطقة العربية الغربية (نشوان ، Extracts,p,39 ، والزمخشري ، المفصّل ، ص٩٦١ ، ٤٧١ . . .الخ)[١] . وإنّ شعراً لبجير بن عَنَمَة (أو عَثْمَة) البولاني ، ورد في اللسان ٢٠/٣٤٧ شاهداً على «ذو» يشتمل على : أم- سهم وام- سَلِمَة[٢] . انظر الفصل الرابع/ x.

y- ٢٤ - بناء على ما نقل عن الصاغاني (التاج ٤/٦٥) فإن هذه اللهجة تنطق هاء التأنيث في أواخر الكلمات عند السّكت تاءً . وقد ورد في الصحاح (٢/١٥) وفي اللسان (١٠/٣٨٣)[٣] نصوص تثبت هذا التحقيق باعتباره لغة ، ولكنها لا تنسبه لطيء ، مثل الحَجَفَةْ التي ظهرت في القافية في شعر يعزى لشاعر يدعى سُؤْر الذئب[٤] ، الذي لا يُعرَف عنه شيء .

---

(١) إنّ أكثر الاستعمالات اللافتة للنظر جاءت عند الطائي في الحماسة ص ٨٤١ ، البيت ٢٠ : وذو بيته بسماء . مما يمكن أن يكون بِمْ- سماء أو بالسماء . أليس هذا نوعاً من الصيغة الآرامية (دي بيثيه بي- شميّا)؟ فإنه بالتأكيد سترجح أن مثل هذه الصيغة قد أبقت عليها تقلبات النسخ .

(٢) ليست سَلَمة كما وردت عند المؤلف بل هي السَّلِمَة بكسر اللام وهي واحدة السِّلم بمعنى الحجارة والبيت كما جاء في اللسان مادة سلم وعزاه ابن بري لبجير بن عَنَمه الطائي (وهو من تركيب صدر بيت على عجز آخر وصحة روايته) :

وإنّ مولاي ذو يعاتبنـــي   لا إحْنَةٌ عنـــده ولا جَرِمَـــه

ينصرني منك غير معتذر   يرمي ورائي بامسهم وامسَلِمَة

يقصد السَّهم والسَّلِمة . (المترجم)

(٣) جاء في اللسان مادة حجف : «ومن العرب من إذا سكت على الهاء جعلها تاءً فقال : هذا طلحتْ ، وخبز الذُّرَتْ» ، والحجفة هي الترس . (المترجم)

(٤) ذكرت أبياته في لسان العرب للاستشهاد على استعمال الحَجَفة بمعنى الترس المصنوع من الجلد ومنها :

ما بال عين عن كراها قد جَفَت

وشَفَّها من حزنها ما كَلِفَـــتْ

كأنّ عُوّاراً بها أو طُرِفَـــتْ

ومنها

بل جَوْز تيهاءَ كظهر الحَجَفَـتْ

قطعتها إذا المها تجوَّفَـــتْ   (المترجم)

وشعر آخر نُسِب إلي أبي النجم العجلي (اللسان ٣٦١/٢٠) وهو بأي حال ليس طائياً ، وفيه عدة أسماء بالتاء في القافية . ولكنه يكشف عن نفسه وكأنه نكتة بما يذكره من : مَتْ في مَهْ وما . وإنه لضعيف في التدليل على ارتباط هذا الملمح بطيء . وإنه من الأفضل أن يستشهد به للجنوب البعيد (فصل ٤/أ) .

ولا بد أن تكون اللهجات الشمالية الغربية قد احتفظت بالتاء ، لأنها ظهرت بانتظام في الأسماء العربية في المخطوطات اليونانية واللاتينية التي كتبت قبل ٣٠٠م مثل : دُمُثَه ، سَبُّثه ، مايْبَثَه أودنثُس (فولرز Volkssprache,p.158) بورتَشتْ ، بُرَيكه (Waddington, No2396) ، وفي الحروف النبطية (انظر Cantineau,Nabateen,ii,171).

كُتَّاب السريان والبيزنطيين في القرون : الخامس والسادس والسابع ، من ناحية أخرى ، نسخوا علامات التأنيث العربية في أواخر الكلمات : فتحة (نولدكه Hausgafna,p.6.N.3) ، وقد حاولت بقوة أن أربط هذه مع كل الانزياحات الطائية في هذه المنطقة بقضاعة ، ولكن المادة نادرة جداً حقاً لمثل هذه الخلاصة .

z- ٢٥ - بعكس الاحتفاظ الممكن بالتاء مع المفردة المؤنثة تسقط الألف وتاء التأنيث من آخر جمع المؤنث في الوقف (قطرب في المفصل للزمخشري ص ١٧٦) . وقد برهن على صحة هذه الظاهرة في العاميات البدوية في الصحراء السورية ونجد (Wetzstein, ZDMG,xxii,182;Socin Diwan,iii,107; Cantinau, parlers,p.20) إن الصفة الصوتية الخالصة للتغيير تظهر من خلال الموقع في عامية نعِم في شرق سورية ، حيث تكون التاء ضعيفة ولكنها مسموعة . وفي شمَّر ، الذين يدّعون انحدارهم من طيء ، حيث تتبع الألف ياءٌ ضعيفة مثل : إبْقَراي= بقرات ، تماماً كما في الماضي للمفردة المؤنثة : كتوباي= كَتَبَتْ (Cantineau, p.133) ، إن في تلك العاميات قسماً من الضعف العام لصوامت معينة في أواخر الكلمات ، الذي ظننا (في فقرة (f أيضا أن لغة طيء القديمة احتفظت به(١) . لإمكانية حدوث هذه الظاهرة في الجنوب (انظر فصل ٧/ فقرة k).

aa- ٢٦ - ليس لدينا بيان فيما إذا كانت لهجة طيء تكسر حروف المضارعة كما هو الأمر في شرق الجزيرة . أم تفتحها كما هو الحال في غرب الجزيرة (انظر فصل ٦/ i ،

---

(١) حسب الأشموني ١٦٠/٤ قيل في طيء هيها في هيهات ، وهذا يؤيد رأينا أن التغيير كان صوتياً خالصاً . إذا لم يُشَكّ في أن عبارة الأشموني تقوم على أحكام نظرية وليس على العادة التقليد .

وفصل ١٢/ p). إذا كانت نظريتنا في أنّ استعمال الكسر مع حروف المضارعة قد تطوّر في المنطقة الكنعانية ، ومن ثم امتد وانتشر في شرق الجزيرة (انظر : -Jour nal of Jewish Studies,I,26سيكون من غير المعقول أن نفترض تأثر لغة طيء ، أو أنها في الواقع قامت بدور الناقل للصيغ الجديدة . ومهما يكن فإن شكاً كبيراً يدور حول العبارة التي يمكن أن نوردها ، من أجل ذلك ، وهي قول المرزوقي (في التاج ٣١٣/٧) إن صيغة إخال أصيلة في لهجة طيء . هذه الصيغة ، التي كانت مستعملة عبر الجزيرة كلها ، ومن الراجح أنه ليس لدينا ما نضيفه حول كسر المضارعة أو التلتلة . (انظر للمزيد فصل ٨/ bb).

bb– ٢٧ – إن تصريف الأفعال اللازمة المعتلة الوسط بالواو من النماذج القديمة ، كما في الحجاز (انظر : فصل ١٢/ s) تقول طيء : مِتُّ في مُتُّ (الجمهرة ٢٩/٢) وما دِمْتُ في ما دُمْتُ (المرجع السابق ٤٨٥/٣) . ومِتُّ وردت في شعر الطرماح الطائي (١٦/١) . في حين أن أفعال المضارعة في لهجة الحجاز ، في حدود ما أعرف ، هي : يموتُ ، ويدوم ، يقابلها في طيء : يَمَاتُ ، يَدَامُ (انظر : الجمهرة ٤٨٥/٣) . بالنسبة لـ«يَمَاتُ» فإن بروكلمان (GVG,I,608 يعتقد أن الألف قد استُردَّت بالقياس ، لأن الفعل بالواو (الضمة الطويلة) في سائر اللهجات السامية الأخرى ، وربما يكون أيضا من قبيل أن أقدم اللهجات العربية الغربية قد احتفظت بصيغة يَمَاتُ ، وقد استعملت في عاميات حديثة كثيرة (مثل : سوريا ، انظر : ,Driver Grammar,p.91) ويثبت ابن يعيش (ص ٧٥٢١) أن المضارع من الأجوف الواوي قد نُطِق بالإمالة ، مع أنه لم يعيّن اللهجة التي يقال فيها ذلك ، ومن الصعب أن يكون هذا من قبيل الانضمام العادي إلى الإمالة في اللهجات الشرقية مع عدم وجود الكسرة . وعليّ أن افترض أن استعمال يَميتُ ، ويَديمُ (بالإمالة) الخ جارٍ في بعض اللهجات العربية الغربية ، وبحكم القياس فإن ماضيها بالإمالة : ميتَ ، وديمَ (انظر : الفصل ١٠/ y وما بعدها) . والقياس الكامل بين الأفعال من مثل : قُمتُ : يَقُومُ ، وزِدْتُ : يزيد ، لا بدّ أن يولّد : مِتُّ : يَميتُ (دون إمالة) . إن الفعل المُمال يَميتُ الذي ذكره ابن يعيش ، هو حل وسط بين يَميتُ (دون إمالة) ، وبين يَمَات التي يتطلبها النظام النحوي ، الذي لا يمكن فهمه إلا عند وجود الماضي ميتَ (بالإمالة) ، ويمكننا أن نتوقع وجود الألف الممالة مع الأفعال المسندة للغائب ، كما في اللهجات العربية الغربية .

cc– ٢٨ – إن التغيير الصوتي من الكسرة والياء والفتحة مجتمعة -يَ إلى الألف a الذي نوقش آنفاً في الفصل السابق/ فقرة i جعل أمثلة الأفعال الثلاثية الماضية اللازمة غير ثابتة الصيغة ، وهي التي أقحمت في هذه اللهجة : بَقِيتُ ، بَقِيتَ ، بَقَى ، بَقَتْ . إن «بَقَتْ» للمفردة المؤنثة الغائبة ، بتحقيق النحاة وورودها في الشعر ، وإنَّه لغريب حقاً أن نجد راوية قديماً كاللحياني يصرّح بأن الصيغة الطائية هي لَقَيَتْ في مقابل لَقِيَتْ الشائعة . وقد وردت في بيت شعر لطائي مجهول (اللسان ١٨٤/٤) :

لم تَلْقَ خيل قبلها ما لَقَيَتْ

من غِبِّ هاجرة وسير مُسْأَد[1]

«وتبعها قوله مفسراً : إنَّه يقصد أن يقول لَقِيَت وهذه لغة طائية[2]» . ولا بد من أن يكون قد تمّ الاحتفاظ بصيغة الفعل بالتقليد ، كما أنه لا شيء يمنع قراءة لَقِيَتْ . إنها تشبه بدقة : حاسَيَاه العبرية– hāsayāh (Ps.lvii,2) ، التي من الصعب تماماً أن نجد لها تفسيراً . دون بيانات أخرى سيكون من غير الممكن أن نقول إنها صيغة طائية حقاً . كذلك مما يجب أن يوضع في الحسبان : أَمْسَجَتْ في أَمْسَتْ ، التي يفترض مسبقاً أنها أَمْسَيَتْ (انظر : الملاحظة في فصل ١٤/ فقرة m).

dd– ٢٩ – إن مضارع : قلا ، قلى في لغة طيء : يقلا ، يقلى (اللسان ٥٩/٢٠ ، السيوطي ، شرح شواهد المغني ، ص٨٣) ، وشاهد يقلى في اللسان مجهول القائل[3] . أما شاهد يقلى الشعري فلأبي محمد الفَقْعَسِي[4] ، من القبيلة المجاورة لأسد .

(١) يبدو أن المؤلف قد وجّه الخبر وإن لم يخرج به عن المقصود فالرواية في اللسان مادة لقى : «قال ابن سيده : ولقاه طائية ، أنشد اللحياني :

لم تلق خيل قبلها ما قد لَقَتْ   من غِبِّ هاجرة وسيرٍ مُسْأَدِ»

فالفعل لَقَى أسنده ابن سيده وليس اللحياني ، والبيت روايته ما قد لَقَتْ وليس ما لَقَيَتْ كما رواه المؤلف رابين ولَقَتْ دون الياء بالضرورة بفتح القاف والشاهد ربما لا يكون طائياً كما أفاد المؤلف ، حيث لم ينسب في اللسان . (المترجم)

(٢) والحقيقة أنها تلفيق بل من وضع المؤلف رابين لأن ما بعد الشاهد المذكور يورد صاحب اللسان قولاً لليث يذكر فيه لَقِي ومصدرها أو اسم المرة منها وهو : لَقِيَه لقيةً واحدة ولَقَاة واحدة . . .» . (المترجم)

(٣) فقد جاء في اللسان في مادة قلا : «تقول قلاه يقليه . . . ويقلاه لغة طيء ، وأنشد ثعلب :

أيام أمّ الغَمْرِ لا نقلاها . (المترجم)

(٤) وهو : يقلِي الغواني والغواني تقليه . (المترجم)

ويمكن تفسير هذا بسهولة بافتراض أن «قلى» الطائية تمثّل قَلِيَ ، ومثل هذه الصيغة قد سجّلت في الواقع من ضمن العربية الفصحى على عهدة كثير من الرواة في نص اللسان . على كل حال يقرّر ابن مالك (في التسهيل ، ورقة ٧١- ب) إن الجميع ، باستثناء طيء ، يلتزمون الكسر في المضارع ، مما لامه ياء وعينه غير حلقية ولا أرى أي معنى لهذا سوى أنه إذا كان الآخرون يقولون : بنَى : يَبْنِي ، فإن الطائيين يقولون : بَنَى : يبنَى ، أو بالأحرى ، بناء على الاستعمال العربي الغربي (فصل ١٠/ فقرة :ff) بَنَيْ : يَبْنَيْ . والموضوع أقل غرابة مما يبدو ، وذلك لأن في العبرية بعض الآثار من التعميم المشابه لهذا النمط غير المتعدّي ، ومن المضارع دون لواحق أو سوابق : yirseh. Yibhneh ، يمكن أن يرد إلي : يِبْنَي ، ويِرضَي ، بنفس القدر الذي ترد فيه إلى : يِبْنِي ، ويِرضِي . (انظر : .Bauer- Leander, Hist Gramm.,p.407) ، ولكن tibhkeynah للجمع المؤنث الغائب يمكن أن تكون مشتقة من تبِكَيْنَ . إن الأمثلة القليلة التي تحتفظ بالياء قبل اللواحق ، تظهر كلها بالفتحة في الوقف : tibh'äyûn) أنتم تطلبون أو تبحثون) ، ye'ethayu (ستأتون) ، ye'ethãy ênî (يأتيني) . بالرغم من أن شقيقاتها بكسر المضارع . وفي أسماء الأعلام بالياء ، مكسورة أو مفتوحة ، من هذه الجذور ، التي بلا شك تمثّل غالباً الصيغ النادرة من المضارع (انظر : ,Gees AJSL,xxvii,300seq,and Rabi, Journal of J.S.i.23) المنتهي بالياء تظهر بصورة مركبة (مثل : Ya'asî' êl, yahzî'el, yir'iyyāh) ، ولكن الألف ، والفتحة والياء : ـَي- aiفي الأسماء ليست متبوعة بعنصر روحاني : ,yahdai, ya'anai, ye'dai, yishwāh, yimnāh الخ . والاستثناء الوحيد من هذا : يِشْوِي- yishwi ، التي جاءت في ترجمة التوراة السبعينية[1] Iessai . والجذور العربية الشقيقة في هذه الأسماء لها مضارع ينتهي بالياء غالباً . ولا يخرج هذا تماماً عن المسألة التي أثارتها العبرية في إحدى درجات التحويل ليس للماضي فقط ولكن للمضارع أيضاً من الأفعال المتعدّية الناقصة اليائية بعد كونها أمثلة للزوم . وهذا يمنح شيئاً من المعقولية لخبر ابن مالك[٢] . وإذا كان ما استخلصناه مقبولاً ، فإننا بحاجة إلى مثال آخر هنا يثبت الشبه الشديد بين اللهجات الغربية والعبرية لتطوّر حدث بعد انفصال اللغتين .

---

(١) ترجمة يونانية للتوراة قام بها ٢٧ عالماً يهودياً في ٧٢ يوماً . (المترجم)

(٢) ربما يقصد ما جاء في أول الفقرة من التزام الجميع الكسر في الناقص اليائي . (المترجم)

ee- ٣٠ - لقد ورد في مصادرنا ثلاث صيغ بطيء بديلة للمثال : حُبْلى : بعضهم قال : حُبْلَي والآخرون حُبْلَوْ ، وكلاهما على حد سواء في الوقف والوصل (سيبويه ٣١٤/٢) ؛ ومنهم من يقولها بالهمز في الوقف : حُبْلأْ (الأزهري ، التصريح ، من اقتباس هَوِل ٨٢٤/٤) . وتأثير عدم ظهور الهمزة على تصريف الأسماء التي تنتهي بـ : -ai- – ي و u-أ- او[1] قد نوقش في فصل ١١/ فقرة ee الأسماء التي تنتهي بألف التأنيث الممدودة «إناء» حين تقصر بحذف الهمزة ، تصبح عند الجر : إِنَيْ ، وفي الرفع : إِنَوْ ، وحُبْلَي على المثال نفسه .

في بعض مناطق طيء ربما استبقوا الرفع على أنه صيغة فريدة ، وغيرهم احتفظ بصيغة الجر . وراوية سيبويه الذي سمع مثل هذه الكلمات أحياناً في إحدى الحالات الإعرابية وأحياناً أخرى في غيرها ، يؤدي إلى خلاصة أن الطائيين يستعملون صيغاً مختلفة بقدر اختلافهم .

ومن الراجح تماماً أنهم في تلك المناطق حيث تمّ الاحتفاظ بالهمزة جزئياً على الأقل فإن الأسماء التي تنتهي بـ- aiفالأقرب أنها انضمت إلى ما يماثلها من أسماء التأنيث الممدودة .

ff- ٣١ - بناء على ما ذكر ابن القوطية (Libro dei verbe,p.5) فإن لهجة طيء تصوغ المصدر الميمي من المثال الثلاثي الواوي على مثال : مَفْعَل . ففيها : مَوْعَد في موعِد ، ومَوْزَن في موزن . وهذا يجب ربطه بخبر آخر ورد عن ابن مالك (في التسهيل ، ورقة ٥٧/أ) الذي يقول فيه : «يصاغ من الفعل الثلاثي «مفعل» والتزم غير طيء الكسر مطلقاً في المصوغ ؛ مما صحّت لامه وفاؤه واو . . .»[2] . وعليه فإنهم في طيء يقولون : موضَع في موضع . . .الخ . ويبدو أن هناك بعض الاعتماد على التناغم الحركي أو الإيقاعي في العمل الذي يفضل توالي «مَوْ» (أي ميم مفتوحة وواو ساكنة وفتحة) في مقابل «مَوْ-ِ» (أي ميم مفتوحة وواو ساكنة وكسرة) .

gg- ٣٢ - تقول طيء وكلب «مِنِ» قبل ألف الوصل بدل «مِنَ» (اللحياني في اللسان ٣١١/٧١) . ومن أجْلِ مناقشة مستفيضة لـ «مِنْ» انظر فصل ٧/ فقرة o.

hh- ٣٣ - إن لغة طيء كغيرها من اللغات العربية الغربية (انظر فصل ١٣/ فقرة b). تطابق بين الفعل والفاعل في الجملة الفعلية (الخفاجي ، شروح درة الغوّاص ص١٥٢) .

---

(١) في مثل : حُبْلَيْ ، حُبْلاً . (المترجم)

(٢) نقلت ما جاء في النسخة المطبوعة من الكتاب بنصه في ص٢٠٨ . (المترجم)

الإضافات

- ص ٢٩ ، البيبليوجرافيا : حمودة عبد الوهاب- القراءات واللهجات ، القاهرة ، ١٩٤٨ . إن توزيعاً ذا أهمية للمشاكل قد قام بمناقشته فولرز ، معتمداً على تفسير أبي حيان (انظر ص٨) مما لم أستطع الحصول عليه ويحتوي على معلومات جديدة .
- ص ٤٢ فقرة d: نشر صلاح الدين المنجد كتاب اللغات في القرآن عام ١٩٤٦ ، الذي يشبه إلى حد بعيد رسالة أبي عبيد . وعليّ أن أقوم بملاحظة الاختلافات في هذه اللغات في طبعة أخرى .
- ص ٧٩- رقم ٩ ، انظر فورلاني . . . : ويمكن أن تكون الكلمة موجودة في العبرية إذا كان التنقيح في ٣٢/٨صحيحاً . (انظر درايفر : الملاحظات على صمويل ، ص ٣٦٤) .
- ص ١٧٢- فقرة m: إن مثالاً قديماً لهذا قد يكون في الآشورية : أنا قائي (تتأنّق) انظر وقد تكون من قبل العربية يناقاط (الرُّضَّع)- (انظر ٢٨/١٦ : Gen) أَيْنَق العربية انظر تْسِمَرن ، أكّد ، (Fremworter, etc,1915,p.50).
- ص ١٧٨- فقرة s: يعزو النحاس (ت ٣٣٨هـ) هذا إلى كثير من هوازن وهذيل . (أبو حيان ، استشهد به حمودة ص ٢٨) .
- ص ١٩٢- فقرة f: انظر للمزيد ، فِكْ ، العربية ، ١٩٥٠ ، ص ١٠ .
- ص ٢٤٣- فقرة a إن قصة المأموم (٨١٥/٢٠٠) حكاها الطبري في تاريخه ١١٤٨/٣ ، ويتكلم عن وقوع الكافِ مكان القاف باعتباره أمراً شائعاً في لهجة حِمْيَر فقط .
- ص ٢٤٥- فقرة c: يدّعي التبريزي (١١٠٨/٥٠٢) أنَّ أَنطى موروثة من العرب العاربة من سكان الحجاز قبل التاريخ (عن أبي حيان ، من اقتباس حمودة ، ص ١٢٣) . وهل يعني هذا أنها من أصول عربية غربية .
- ص ٢٧٦- فقرة hh: إن صيغة ناءَ قد نسبت في الحقيقة إلى هوازن ، وكنانة ، وهذيل وأهل المدينة (أبو شامة ، إبراز المعاني ، ص٣٧٩- واقتبسها حمودة ص ٢٨) .
- ص ٣٠٢- فقرة r: ربما بدأت من الماضي حيث : اوتزر- أُوتُزَر- إيتَّزَر بناء على ما جاء في الفقرة t ، ثم امتدّ الصائت الطويل إلى الصيغ الأخرى قياسياً .
- ص ٣١٩- عدد ٢ : إن رسم كاه هي طريقة مدوّنات البحر الميت ، التي تحتوي مثل هذه المهجورات نحو : (hu'ah هو) hi'ah هي) ، انظر الأوجاريتية ، والعربية الجنوبية ، والعربية الأسبانية حووَت ، وحِيَيتْ .

- ص ٣٥٩- فقرة :e حُرَيث بن عَنّاب الطائي : (الحماسة ص ٦٥٠) يتهم عشيرة بني ثُعَل الطائية بأنهم يتكلمون لغة غير مفهومة .

- ص ٣٧١- سطر ١٢ : بناء على ما أورده حمودة ص ١٢٢ مقتبساً من كتاب الهمز لأبي زيد ، اللهجة لكليب وليست لكلاب وإذا كان هذا صحيحاً يجب أن يكون له صلة بتغيير اَوْ إلى اءُ في المقطع المغلق المعروف عن اللهجة المجاورة ، غَنِي ، ص ١٥٣ أن تحوّل ياجوج وماجوج إلى يأجوج ومأجوج معزو من ناحية أخرى إلى أسد جيران طيء (الفراء عن أبي حيان من اقتباس حمودة ص١٢٥) . وهذا هو التغيير نفسه الذي حدث في طيء في كلمة سُؤْدَد .

الفهارس الفنية

فهرس السور القرآنية

فهرس الأشعار

فهرس اللغة

فهرس اللغات

فهرس القبائل

الألف

الباء

التاء

الراء

الزاي

السين

الشين

الصاد

الصاد

الطاء

القاف

الكاف

اللام

الميم

النون

الهاء

الياء

فهرس الأعلام

الألف

الباء

التاء

الثاء

الجيم

الحاء

الخاء

الدال

الذال

الراء

الزاي

السين

الشين

الصاد

الضاد

الطاء

العين

الغين

الفاء

القاف

الكاف

اللام

الميم

النون

الهاء

الواو

الياء

فهرس مراجع التحقيق والترجمة

١- الاتقان في علوم القرآن : للسيوطي ، ط٢ ، البابي الحلبي ، مصر .
الاتقان في علوم القرآن : للسيوطي ، ط٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

٢- الإقتراح في علم أصول النحو : تحقيق محمد أحمد قاسم ، ط١ ، القاهرة ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .

٣- البحر المحيط : لأبي حيان الأندلسي ، ط٢ ، دار الفكر ، القاهرة ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

٤- بين العربية ولهجاتها والعبرية : د . محمد بحر عبدالمجيد ، مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة ، ١٩٧٧ .

٥- التطوّر النحوي للغة العربية : برجستراسر ، إخراج وتعليق د . رمضان عبدالتواب ، الرياض ، جامعة الرياض ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

٦- جمهرة أشعار العرب : لأبي زيد محمد القرشي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، بلا طبعة أو تاريخ .

٧- الحروف : للفارابي ، تحقيق محسن مهدي ، دار المشرق ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٧٠م .

٨- خزانة الأدب : عبدالقادر البغدادي ، تحقيق عبدالسلام هارون ، ط٣ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

٩- الخصائص : لأبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، ط٢ ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت .

١٠- دراسة الصوت اللغوي : د . احمد مختار عمر ، ط١ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٦م .

١١- ديوان الحماسة : لأبي تمام الطائي ، تحقيق عبدالمنعم أحمد صالح ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، بلا تاريخ .

١٢- السيرة النبوية : لابن هشام ، تقديم وتعليق طه عبدالرؤوف سعد ، دار الجيل ، بيروت .

١٣- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك : تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، ط٣ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

١٤- شرح شافية ابن الحاجب : للأسترابادي ، تحقيق محمد نور الحسن ، ومحمد الزفراف ، ومحمد محيي الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٥٠هـ - ١٩٧٥م .

١٥- شرح شواهد المغني : للسيوطي ، تصحيح محمد محمود الشنقيطي ، لجنة التراث العربي ، دار مكتبة الحياة .
١٦- شرح كافية ابن الحاقب : للأستراباذي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
١٧- شرح المفصَّل : لابن يعيش ، عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة المتنبي ، القاهرة .
١٨- الشعر والشعراء : لابن قتيبة الدنيوري ، تحقيق د . مفيد قمحية ، ومحمد أمين الضناوي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
١٩- صفة جزيرة العرب : للهمداني ، تحقيق محمد علي الأكوع ، مركز الدراسات والبحوث اليمنية ، صنعاء ، ودار الآداب ، بيروت ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م .
٢٠- طبقات فحول الشعراء : لابن سلام الجمحي ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، بلا تاريخ .
٢١- فقه اللغات السامية : كارل بروكلمان ، ترجمة الدكتور رمضان عبدالتواب ، جامعة الرياض ، ١٣٩٧هـ ، ١٩٧٧م .
٢٢- فقه اللغة المقارن : د . ابراهيم السامرائي ، ط٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٨م .
٢٣- فقه اللغة وأسرار العربية : لأبي منصور الثعالبي ، دار مكتبة الحياة ، دون ط ، وتاريخ .
٢٤- الكامل في اللغة والأدب : للمبرد ، مؤسسة المعارف ، بيروت .
٢٥- الكتاب : سيبويه ، تحقيق عبدالسلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٢ ، ١٩٧٧م .
٢٦- لسان العرب : لابن منظور ، ط٢ ، دار صادر ، بيروت ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
٢٧- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
٢٨- «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب» : لابن هشام الانصاري ، تحقيق د . مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر ، ط٢ .

اللهجات العربية القديمة

في غرب الجزيرة العربية

يتناول هذا الكتاب لهجات غرب الجزيرة العربية القديمة في الحجاز واليمن وهذيل وطيِّئ، بحثاً عن سمات العربية التي ائتلفت من هذه اللهجات.

وكان هذا الكتاب، وما يزال، مرجعاً في بابه لكل باحث متخصص في اللهجات العربية القديمة، فلا تكاد تجد دراسة في لهجات العرب القديمة تخلو من اشارة إليه أو إحالة عليه؛ نظراً لإحاطته وغزارة معلوماته، وسعة اطلاع مؤلفه على كتب التراث، ودقة تحليلاته، وكثرة مقارناته، وقدرته على الربط والتعليل، مع أمانة في النقل وصحة التوثيق. وكان حافزاً لي أن أضع النسخة العربية من هذا الكتاب بين أيدي قراء العربية وباحثيها، حرصت فيها على أن أقوم بكل ما يلزم الترجمة من تعليق أو توثيق أو مراجعة أو تفسير وتوضيح، وكأنه تحقيق لنص تراثي عربي قديم، مؤمّلاً، بمشيئة الله، أن تكون النسخة العربية في مستوى النسخة الإنجليزية.

وعلى الله التوفيق وقصد السبيل.

المترجم

د. عبد الكريم مجاهد

منشورات 2002
المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بيروت، الصنايع، بناية عيد بن سالم، ص.ب: ٥٤٦٠-١١
الشوف السري، شوكاتلي،
هاتفاكس: ٧٥٢٣٠٨/٧٥١٤٣٨